وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الإفريقية أحمد درايــة – أدرار

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسـلامية

قسم: العلــــوم الإنسانيـــــة

رقــم التسجيــل: ....

الرقم التسلسلي: ....

سياسة روما الثقافية في بلاد المغرب القديم وموقـــف السكــــان منهـــا

(146ق.م - 430م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الثقافي والاجتماعي المغاربي عبر العصور

إعـداد الطالب:

بوقفة نور السادات

تحت إشراف الأستاذ الدكتور:

الطاهــر ذراع

الاسم واللقب	الرتبـــة	الصفـــــة	الجامعة الأصلية
أ.د عبد الكريم بوصفصاف	أستاذ التعليم العالي	رئيسًا	الجامعة الأفريقية أحمد درايـة – أدرار
أ.د الطاهر ذراع	أستاذ التعليم العالي	مشرفًا ومقررًا	الجامعة الأفريقية أحمد درايـة – أدرار
د. محفوظ رموم	أستاذ محاضر (أ)	عضوًا مناقشًا	الجامعة الأفريقية أحمد درايـة – أدرار
د. محمد دبوب	أستاذ محاضر (أ)	عضوًا مناقشًا	الجامعة الأفريقية أحمد درايـة – أدرار

السنة الجامعية 1436-1437هـ/2015-2016م


بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الذي وفقني إلى إنجاز هذا العمل المتواضع.

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور الفاضل "الطاهر ذراع" الذي وسعني برحابة صدره، وتوجيهاته العلمية السديدة، ولم يكن هذا العمل ليرى النور، لو لا تلك النصائح التي أسداها إلي ومتابعته العمل من أوله إلى نهايته.

وأشكر أيضًا كل الأساتذة الذين تولوا تدريسنا خلال السنة التحضيرية، ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ عبد الكريم بوهناف والأستاذ عولمي الربيع.

وأتقدم بالشكر الجزيل إلى الوالدين الكريمين أطال الله عمرهما في طاعته واللذين يعود لهما الفضل في وصولي إلى هذا المستوى.

وإلى زوجتي وأبنائي وأحبائي (إلياس وعبد المؤمن وأيوب) وإلى كل إخوتي وأبنائهم.

وإلى كل الزملاء والأصدقاء الذين مدوا لي يد المساعدة من قريب أو بعيد.

فإلى كل هؤلاء موفور الشكر والتقدير.

الطالب: نور السادات بوقفة

قائمة المختصرات:

- المختصرات باللغة العربية:

1- ص = الصفحة.

2- تر.= ترجمة.

3- تح. = تحقيق.

4- ج = جزء.

5- ط = طبعة.

6- مج. = مجلد.

7- (د.ت) = دون تاريخ نشر.

8- ق. = القرن.

9- (د.ب) = دون بلد نشر.

10- ق.م = قبل الميلاد.

11- م = ميلادي.

12- هـ = هجري.

13- ها. = هامش.

14- ف = G, g.

15- د. = دكتور.

- المختصرات باللغة الأجنبية:

1- B.C.T.H.S.: Bulletin Archéologique du Comité des Travaux Historiques et Scientifiques.
2- R.AF.: Revue Africaine.
3- H.L.A.C = Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne.
4- R.N.M.S.A.C.: Recueil des Notices et Mémoires de la Société Archéologique de Constantine.
5- H.A.A.N. = Histoire ancienne de l'Afrique du nord.
6- R.N.M.S.A.P.C.: Recueil des notices et mémoires de la Société archéologique de la province de Constantine.
7- R.P.M. = Revue du patrimoine mondial.
8- hist.: Historique.
9- Scient. = Scientifique.
10- T. = Tome.
11- Vol. = Volume.
12- éd. = édition.
13- Télé. = Télécharger.
14- ST. = Saint, Sainte.

مقدمة

مقدمة:

- **التعريف بالموضوع:** تمكن الرومان من احتلال مناطق من بلاد المغرب القديم، واتبعوا في ذلك سياسة دُعمت بالقوة العسكرية التي استغلت حالة التمزق السياسي والصراعات بين الممالك النوميدية، حيث تم إلحاق البلاد بالممتلكات الرومانية بشكل تدريجي، ابتداءً من إخضاع قرطاجة عام 146ق.م ثم القضاء على المملكة النوميدية عام 46ق.م لتتفتح أمام الاستعمار الروماني باقي المناطق، واتبعت في ذلك سياسة ثقافية استهدفت من ورائها دمج المجتمع المغاربي في الحضارة والثقافة الرومانية، مستعينة في ذلك على كل الوسائل المتاحة.

لذلك فقد مست سياسة روما الثقافية في البلاد المغاربية، النواحي العمرانية والفنية والدينية واللغوية والفكرية والاجتماعية، كاد يفقد معها المغاربة معالم شخصيتهم الثقافية في خضم التغيرات التي مست جميع مجالات الحياة الاجتماعية في ظل الاحتلال الروماني، خصوصًا أن المجتمع الروماني كان من المجتمعات المتحضرة، بما كسبه من الشعوب التي احتلها وخاصة الإغريق، من جميع النواحي.

وسأعالج في هذا البحث سياسة روما الثقافية في بلاد المغرب القديم، بدراسة بعض مجالاتها المادية والفكرية، محاولاً التطرق إلى الوسائل المعتمدة في نشر ثقافتها بين سكان بلاد المغرب القديم، وموقفهم من تلك السياسة.

وللبحث حدودًا جغرافية وزمنية؛ فبالنسبة للحدود الجغرافية له، فتتعلق بالمناطق التي خضعت للاحتلال الروماني في القسم الشمالي من بلاد المغرب القديم، الممتدة من ليبيا شرقًا إلى المحيط الأطلسي غربًا، ومن البحر الأبيض المتوسط إلى غاية المشارف الشمالية للأطلس الصحراوي، مع العلم أن الاستعمار الروماني لم يعم كل أقاليم البلاد المغاربية.

أما بالنسبة للحدود الزمنية، فالبحث يتناول مرحلة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم الممتدة من عام 146ق.م إلى غاية عام 430م.

- **أهمية الموضوع:** يعتبر موضوع هذه الدراسة المتواضعة من المواضيع الهامة في معرفة سياسة الرومنة الثقافية في بلاد المغرب القديم، فالرومان سعوا إلى تغيير الكيان الحضاري والثقافي للمجتمع المغاربي عن طريق سياسة ثقافية بوسائل متعددة، لذلك فالبحث في تاريخ المغرب القديم خلال الفترة الرومانية تمليه ضرورة ملحة في استجلاء الحقائق التاريخية لها.

ومن هنا تكمن أهمية هذه الفترة التاريخية بما تعُجُ به من دراسات مختلفة متناقضة، تدفع بالباحثين إلى ضرورة النظرة النقدية التحليلية والمنطقية والتحلي بالموضوعية العلمية الدقيقة والاحتكام إلى العقل، وفقًا لمقوماتنا الحضارية والثقافية، لما لذلك من أهمية في السيرورة الاجتماعية نحو بناء كيان حضاري مبني على أساس خلفيات تاريخية محلية.

ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة، إذ ركزتُ في هذا المجهود على الاهتمام بالنواحي الثقافية والاجتماعية للسياسة الرومانية في بلاد المغرب القديم، وإبراز أثرها على المجتمع المغاربي، وإبراز إسهاماته الحضارية والفكرية في ظل الحضارة الرومانية، عكس ما أشارت إليه المدرسة الإستعمارية الفرنسية، التي أسقطت الدور الحضاري التاريخي الذي قدمه هذا المجتمع خلال فترة الاحتلال الروماني، وقد حاولت دراسة الموضوع بالبحث والتنقيب من المصادر والمخلفات الأثرية التي تبرز السياسة الثقافية الرومانية وأثرها على المجتمع المغاربي ومدى نجاحها، من خلال إبراز الوسائل المادية والمعنوية التي اعتمدت عليها روما في ذلك، والدور المغاربي في تلك السياسة، وإبراز إنجازات المغاربة الثقافية، ودورهم في مقاومة الإستعمار الروماني وسياسته الراغبة في محو الشخصية المغاربية وإحكام السيطرة على أرض وإنسان بلاد المغرب القديم وتسخيره لخدمة الإمبراطورية الرومانية.

- **أهداف الموضوع:** أما أهداف الموضوع، فهي تهم طلاب العلم والباحثين والمجتمع ككل، حيث تمكنهم هذه الدراسة من معرفة تاريخ بلاد المغرب القديم، والاطلاع على بعض الحقائق التاريخية التي تخص السياسة الثقافية للاستعمار الروماني والتاريخ النضالي لمجتمع المغرب القديم ضد القوى الاستعمارية، الذي استغل كل الوسائل المتاحة للمقاومة.

أما الهدف الأسمى من هذه الدارسة التاريخية ووفقًا للمنهج القرآني أخذ العبر من الأحداث التاريخية.

ويبدو أنه من الصعب على الباحث في هذه الرسالة أن يلم جوانب الموضوع بشمولية، ومن ثم فإن بعض هذه الجوانب قد لا يتوفر لها العمق الكافي والتحليل الجيد المدعمان بالحجج والأسانيد التاريخية، وذلك نظرًا لغزارة المادة العلمية من جهة وندرة المعلومات حوله من جهة أخرى، في بعض العناصر الثقافية في المصادر والمراجع المتوفرة.

وهكذا حددت من خلال هذه الأهمية عنوان المذكرة بـ: "سياسة روما الثقافية في بلاد المغرب القديم وموقف السكان منها". وما يمكن الإشارة إليه أن طبيعة هذا الموضوع تقتضي أن نعطي للدراسة كل الفترة الرومانية (146ق.م-430م)، أي منذ سقوط قرطاجة إلى الاجتياح الوندالي، خصوصًا أن سياسة روما الثقافية كانت قد لازمت الوجود الروماني في بلاد المغرب القديم.

- **دوافع اختيار الموضوع:** تعود أسباب اختياري لهذا الموضوع وبالضبط لفترة الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم إلى مجموعة من الأسباب منها:

1- قلة الدراسات الأكاديمية في المجال الثقافي في بلاد المغرب القديم والتي ركزت على الجوانب الاقتصادية والعسكرية والسياسية، غير أن الجوانب الاجتماعية والثقافية لا تزال تحتاج إلى المزيد من البحث المعمق والدراسات الأكاديمية من قبل الباحثين المغاربة، حتى يكتب تاريخنا بأقلام محلية وبنظرة محلية.

2- رغبة مني في دراسة تلك المرحلة التي كان يعاني منها المجتمع المغاربي في ظل سيطرة المستعمر الروماني، وقد جذب انتباهي تلك السياسة التي مارسها الرومان من أجل إحكام السيطرة المطلقة على بلاد المغرب القديم، من خلال السيطرة على خيرات البلاد وطمس ثقافة وقيم المجتمع المغاربي، وضرب المقومات الشخصية للفرد المغاربي، وقد دعمت تلك السياسة بترسانتها العسكرية والقانونية وكل ما بوسعه أن يخدم سياستها الثقافية وأهدافها لرومنة البلاد والسكان.

3- ميولي الشخصية للتاريخ الثقافي والاجتماعي لبلاد المغرب القديم، وخاصة الفترة الرومانية، التي امتازت بمميزات خاصة جعلت منها مجالاً خصبًا وممتازًا لباحثي ومؤرخي المرحلة الاستعمارية، والذين كتبوا تاريخ المنطقة على حسب منهجهم وميولهم خدمةً للمشروع الاستعماري، لذا فقد التزمت في هذه الدراسة المتواضعة التحلي بالموضوعية والمنطق العلمي وبأسلوب نقدي ومنهج علمي، لإبراز السياسة الثقافية المتبعة من قبل روما ومدى نجاحها في تحقيق الأهداف التي سعى الاستعمار الروماني لتحقيقها، وأثرها في بروز طبقة أسهمت في الإنتاج الحضاري المغاربي في ظل تلك السياسة.

4- رغبةً مني في معرفة الحقيقة التاريخية المتمثلة في المقاومات المغاربية طيلة الوجود الروماني في المنطقة، التي كانت ذات طابع اجتماعي ثقافي على الرغم من أن أغلبها كانت عسكرية، وردة فعل حاسمة على الطابع الاستغلالي الذي اتبعه الاستعمار الروماني،

استغلال الأرض والإنسان خدمة لروما، وأن موضوع الثورات والمقاومات هي شيء طبيعي في مجتمع لا يقبل الرضوخ، وهي خاصية تَطبّع بها سكان بلا المغرب القديم مثل: ثورة يوبا الأول (58-46ق.م) وثورة تاكفاريناس (14-27م) والثورات الاجتماعية والثقافية المتمثلة في الحركة الدوناتية ومقاومة الريفيين وثورة فيرموس (372-375م) وجيلدون (397-398م) التي ميزت القرون الأخيرة من الوجود الروماني.

- **إشكالية البحث:** إن الوصول إلى أهداف هذه الدراسة فرضت طرح مجموعة من الفرضيات والتساؤلات، والتي حاولت الإجابة عنها وفقًا للمنهج العلمي المتبع في الدراسات التاريخية، وانطلاقًا من الإشكالية المحورية، التي مفادها أن روما قد طبقت سياسة ثقافية تهدف إلى رومنة المجتمع المغاربي، مست مجالات التسلية والترفيه، والمجال الديني والاجتماعي، واللغوي ومجال التربية والتعليم، ومن تلك التساؤلات الفرعية أذكر:

1- ما هي أهم مباني التسلية والترفيه التي اعتمدت عليها روما في تطبيق سياستها الثقافية في بلاد المغرب القديم؟

2- كيف كانت السياسة الثقافية في المجال الديني؟.

3- ما هي الآليات المعتمدة من قبل الرومان لفرض اللغة اللاتينية على مجتمع بلاد المغرب القديم؟.

4- كيف كانت وضعية التربية والتعليم ضمن سياسة روما الثقافية، وما هي إفرازاته؟

4- كيف تم تطبيق الرومنة الثقافية على المجتمع المغاربي؟ وما نتائجه؟

5- ما هو موقف السكان المغاربة من السياسة الثقافية الرومانية في بلادهم؟.

- **المنهج المتبع في البحث:** اعتمدت في عرض المادة الخبرية وتنظيمها، وتصنيفها وتحليلها، ومناقشتها واستنباط النتائج، على أكثر من منهج بحث، أذكر منها:

1- المنهج الوصفي: وقد اعتمدت عليه في عرض المادة الخبرية، ذلك أن بعض الأحداث والوقائع التاريخية تتطلب عرض النصوص واقتباسها بكل أمانة قبل مناقشتها والتعليق عليها، وكذا في معالجة سير الأحداث ووصف الوقائع والظواهر التاريخية والاجتماعية والثقافية التي يعالجها هذا البحث، وصفًا يمكنني من ترتيبها وتصنيفها حسب أهميتها وزمانها ومكانها.

3- المنهج التحليلي: وهو منهج أساسي في الدراسات الأكاديمية، واعتمدت عليه في تحليل المعطيات العلمية التي تضمنها البحث، واستعنت به في تحليل المادة العلمية بالشرح والتفنيد والاستدلال والنفي.

4- **المنهج المقارن:** وقد استعملته في التقريب بين الوقائع التاريخية وتبسيط النماذج والصور المعقدة واستنباط واستخلاص النتائج.

- **صعوبات البحث:** لقد كان هذا العمل مضني، ولا نبالغ إن اعتبرناه شاقًا، إذ لا تخلوا مهمة الباحث في التاريخ القديم من صعوبات وعراقيل مختلفة، وقد واجهتني بعض منها أثناء إنجاز هذا البحث، يمكن أن تعترض أي باحث يخوض غمار البحوث العلمية الأكاديمية، اذكر منها:

1- صعوبة الحصول على المادة العلمية من مصادرها الأساسية، ذلك أن المادة الخبرية فيها متناثرة عبر تلك المصادر، بالإضافة إلى المراجع والدراسات العلمية والتي هي الأخرى بنفس الميزات.

2- امتازت كتابات الكثير من المصادر الرومانية والدراسات المعاصرة للفترة الاستعمارية، بالتحامل والتحيز حينًا، والطعن والتلفيق أحيانًا أخرى، خاصة ما تعلق بتاريخ بلاد المغرب القديم، لأن كتاباتهم كانت لها أغراض استعمارية، لذلك يجد الباحث صعوبة في تمحيص ما كتبوه.

3- وما زاد من العناء كون أن معلومات فترة هذه الدراسة والتي كتبت بأقلام رومانية كانت هامشية بالنسبة لأهدافها التي تؤيد الاستعمار الروماني والتفوق الحضاري لروما.

4- قلة الكتابات المحلية والتي تدخل الباحث في مسار الكتابات الرومانية والفرنسية فيما بعد.

5- صعوبات مادية للتنقل داخليًا وخارجيًا قصد الحصول على المادة المعرفية، حسب الوضعية التي يعيشها الطالب الجامعي في بداية دراسته العليا.

4- عامل الزمن المتمثل في سنة واحدة، فهي غير كافية لإنجاز بحث علمي أكاديمي والإلمام به من جميع جوانبه، وخاصة في التاريخ القديم.

- **أهم المصادر والمراجع (عرض وتحليل):** اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر المادية والكتابية، والمراجع العربية والأجنبية، وعلى دراسات وبحوث استقيتها من الدوريات ودوائر المعارف والمجلات التاريخية المتخصصة باللغة العربية والأجنبية، وسأقتصر هنا على ذكر أهم مصادر ومراجع البحث حسب أهميتها بالنسبة لموضوع الدراسة ومدى الاستفادة منها:

أولاً- المصادر:

أ) المصادر باللغة العربية: تتكون من:

1- المصادر الدينية المتمثلة في الكتاب المقدس بمختلف أناجيله (أنجيل لوقا، مرقس، ويوحنا) المترجم إلى اللغة العربية، استفدت منه في تتبع ظهور الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم وإعطاء تفسيرات لبعض الأحداث بالاستدلال بما ورد فيه.

2- النصوص الأدبية الرومانية أهمهما: كتاب سالوستيوس وحرب يوغرطة، ترجمة فيصل الأحمر وفاطمة بريهوم، وكذا ترجمة محمد العربي عقون بعنوان المؤرخون القدامى، وكذا ترجمة كمال شهريت إلى اللغة الفرنسية.

5- مجموعة مصادر كتبها مؤلفون مغاربة، مثل: كتاب "التحولات"، "المرافعة أو دفاع صبراتة"، و"الأبولوجيا" للوكيوس أبوليوس، والأعمال الكاملة لترنس، "المنافحة" أو "الدفاع عن التوحيد" لترتوليانوس، و"الرسائل والاعترافات" لسانت أوغسطين.

ب) المصادر باللغة الأجنبية:

1- مصادر استقيتها من الموقع الإلكتروني: *http://remacle.org*، منها: فيتروف "عن الهندسة المعمارية"، والأعمال المسرحية لبلاوتوس، وأميان مارسلوس "تاريخ روما"، والتي أفادتني في مختلف مراحل هذا البحث.

2- كتاب سالوستيوس وحرب يوغرطة، ترجمة كمال شهريت إلى اللغة الفرنسية.

ثانيًا- المراجع:

أ) المراجع باللغة العربية: اعتمدت في دراسة موضوع سياسة روما الثقافية على مجموعة من الكتب والمؤلفات الخاصة بتاريخ المغرب القديم، ومن بين المؤلفات باللغة العربية منها:

1- كتابات محمد البشير شنيتي منها: كتاب "الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور"، وكتاب "نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال"، و"الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)".

2- كتاب محمد العربي عقون بعنوان: "الاقتصاد والمجتمع في الشمال الأفريقي القديم".

3- مؤلفات محمد الصغير غانم، وتتناول التاريخ السياسي والعسكري والديني لبلاد المغرب القديم ومن أهمها: "مقالات آراء في تاريخ الجزائر"، "الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا".

4- كتاب "الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة" تأليف شارن شافية وسعيد دحماني ومحمد الحبيب بشاري، الذي اعتمدت عليه بشكل بارز خاصة فيما يتعلق بالتعليم في بلاد المغرب القديم.

وقد أفادتني هذه الكتب كثيرًا في دارسة الجوانب الدينية والاجتماعية والقانونية وردود الفعل المغاربية على سياسة الرومنة.

5- كتاب "حفريات في المسرح الجزائري المسرح النوميدي في العهد الروماني" لطامر أنوال، وقد أفادني في دراسة تاريخ ظهور المسارح والعروض المسرحية في بلاد المغرب القديم، وهي دراسة اختصت بدراسة تطور المسرح وعروضها في الجزائر خلال فترة الاحتلال الروماني.

6- كتاب "أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا، دراسة تاريخية عن القرنين الأولين" لروبين دانيال مترجم، وقد أفادني في دراسة السياسة الدينية الرومانية اتجاه الديانة المسيحية.

7- كتاب محمد شفيق "ثلاثة وثلاثين قرنًا من تاريخ الأمازيغيين".

8- كتاب عبد السلام بن ميّس "مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)".

وقد استفدت منهما في دراسة النخب المغاربية المثقفة بالثقافة اللاتينية ومدى إسهامها في الإنتاج الحضاري خلال الحقبة الرومانية، وكتاب عبد السلام بن ميس أفادني بالإضافة إلى ما ذكرته، معرفة أهم المراكز العلمية التي كانت سائدة في بلاد المغرب القديم ودورها الكبير في إفراز فحول من العلماء والمفكرين والأدباء والشعراء الذين كان لهم دورًا كبيرًا في الإنتاج الفكري في العالم القديم.

ب) المراجع باللغة الأجنبية: لقد استفدت من مجموعة مؤلفات:

1- المؤرخ ستيفان ڤزال *Stephan Gsell* التي تحمل عنوان: "التاريخ القديم لشمال أفريقيا *Histoire Ancienne de l'Afrique du nord*، وكتاب " الآثار القديمة من الجزائر *Les monuments antiques de L'Algérie*"، و"الجزائر في العصور القديمة *L'Algérie dans l'antiquité*"، فقد أفادتني في دراسة الجوانب الأثرية والدينية والثقافية في موضوع البحث، ورغم نزعته الاستعمارية إلا أنها كتابات مفيدة من الناحية المعرفية.

2- كتاب بويسويلواد *Boeswillwald (E.)* وريني كانيا *R. Cagnat*، بعنوان: "تيمڤاد مدينة أفريقية تحت الإمبراطورية الرومانية *Timgad une cité africaine sous*

l'empire Romain"، وكتاب "ثاموقاس، حفرياتها ومكتشفاتها مع المخطط والنقوش *Thamugas, ses fouilles et ses découvertes avec plan et gravures*" لفيول *Violle (M.)*.

3- الدراسات الأثرية للباحث بالو *Ballu (A.)*، الأولى بعنوان "أثار تيمقاد، ثاموقادي القديمة، *Les ruines de Timgad, antique Thamugadi*"، والثانية بعنوان "أثار تيمقاد القديمة ثاموقادي *les ruines de Timgad antique Thamugadi*"، وقد أفادتني في دراسة بعض الجوانب التي تستدعي الوصف الأثري لبعض المرافق والمنشآت الثقافية.

4- كتاب مارسيل بنابو "المقاومة الأفريقية لسياسة الرومنة *La résistance Africaine à la romanisation*"، الذي أفادني في دراسة مختلف المقاومات المغاربية للسياسة الرومنة للبلاد المغرب القديم.

5- كتاب فارس ش. *Vars (CH.)* بعنوان "كيرتا، أثارها وإدارتها، وحكامها *CIRTA, ses monuments, son administration, ses magistrats*" واستفدت منه في دراسة أماكن التسلية والترفيه في مدينة كيرتا ونموذج عن العروض المسرحية، وبعض الجوانب الدينية.

6- وكتاب أولفيي م.ج *Olivier (M. G.)* بعنوان: "أبحاث في دين البربر *Recherches sur l'Origine des Berbères*".

7- كتاب بيكارد ش.ج بعنوان: "ديانات أفريقيا القديمة *les religions de l'Afrique antique*".

استفدت من الكتابين (أبحاث في دين البربر، وديانات أفريقيا القديمة) في دراسة الجوانب الدينية للمغاربة القدماء.

8- كتاب قايد ميلود *Gaid (M.)* بعنوان: البربر في التاريخ من ما قبل التاريخ إلى الكاهنة "*Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina*"، وقد تناول هذا الكتاب في إحدى فصوله الديانة المسيحية، وقد أفادني في ذلك.

9- كتابات بول مونصو *Monceaux (P.)* في عنوانين، الأول: "التاريخ الأدبي لأفريقيا المسيحية من البدايات إلى غاية الفتح الإسلامي *Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe*"، والكتاب الثاني: "الأفارقة، دراسة حول الأدب اللاتيني الأفريقي، الوثنيين *Les Africains, étude sur la*

"*littérature latine d'Afrique, les paiens*"، وهما دراستان مهمتان استفدت منهما في دراسة الديانة المسيحية وانتشارها في بلاد المغرب القديم ودراسة الشخصيات المغاربية التي كان لها صيت بارز في مجال الإبداع الأدبي والخاص بالشخصيات الوثنية.

10- كتاب فرنسوا دوكري *Derect (F.)* ومحمد حسين فنطر *Fantar (M.)*، المعنون بـ "بلاد المغرب القديم في القديم، تاريخ وحضارة من البدايات إلى القرن الخامس الميلادي *L'Afrique de Nord dans l'antiquité, histoire et civilisation des origines au Vème Siècle*"، وهو كتاب قيم استفدت منه في دراسة مختلف مراحل هذا البحث.

ثالثًا- المجلات والدوريات:

كما اعتمدت على مجموعة مقالات منشورة في العديد من المجلات والمجلات الإلكترونية باللغة العربية والأجنبية:

أ) المجلات والدوريات باللغة العربية: أذكر منها:

1- مقال الدكتور بلقاسم رحماني المعنون بـ: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، المنشور في مجلة الآداب والعلوم الإنسانية لجامعة الحاج لخضر، وهو مقال قيّم يتمحور حول الآثار الثقافية والاجتماعية للاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم، وقد استفدت منه أثناء دراسة سياسة روما الثقافية في مجال منشآت التسلية والترفيه وسياستها في مجال رومنة المجتمع المغاربي، كما له مقال ثاني بعنوان "روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب نموذجًا)"، المنشور في مجلة البحوث والدراسات الصادرة عن المركز الجامعي بالوادي.

2- مقال محمد الحبيب بشاري بعنوان "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، المنشور في مجلة عصور، الصادرة عن جامعة وهران، الذي يتناول فيه الباحث الجوانب الأدبية في بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، وذكر فيه شخصيات مغاربية بارزة كان لها الدور البارز في إنعاش الحياة الأدبية في المنطقة، وقد أفادني هذا المقال في دراسة أهم النخب المغاربية المثقفة التي أنتجتها سياسة روما الثقافية، سواءٌ كانت وثنية أو مسيحية، ودورها في إنعاش حركة الإنتاج العلمي والأدبي في بلاد المغرب القديم.

3- مقال عبد الرحمان بن مرزوق "مدينة تيمڨاد أو تاموڨادي قديمًا"، المنشور في مجلة التراث، الصادرة عن جمعية التاريخ والتراث الأثري بولاية باتنة، ودليل آثار تيمڨاد (تاموڨادي) الصادرة عن جمعية المعالم الأثرية لولاية باتنة، تناولت الجوانب الأثرية لمدينة

تيمقاد، وقد استفدت منهما حينما تطرقت إلى دراسة بعض النواحي الأثرية لذات المدينة كالمسرح والحمامات والمكتبة.

4- مقالات أخرى مثل: "التوسع الروماني والمقاومة المغاربية (مقتل بطليموس وردّ فعل المور)"، المنشور في مجلة عصور، لعبد القادر بوعزم، و"حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن 4م"، المنشور في مجلة الأصالة، لمحمد البشير شنيتي، و"بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، المنشور في مجلة الثقافة، لمحمد الصغير غانم، والتي تناولت جوانب من المقاومات المغاربية ضد الاحتلال الروماني، واستفدت منها في دراسة ردود فعل السكان على سياسة روما الثقافية.

ب) المجلات والدوريات باللغة الأجنبية: أذكر منها:

أما المجلات باللغة الأجنبية أذكر على الخصوص المجلة الأفريقية في مختلف فصول البحث من الدراسات الأثرية والثقافية منها مقال تيسوت ش *Tissot (Ch.)* بعنوان "نقوش مدرج الجم *Inscriptions de l'amphithéâtre d'El-Djem*"، ومقال بارادار ج. *Baradez (J.)* المعنون بـ "14 سنة من البحث الأثري في تيبازا (1948-1961) *Quatorze années de recherches archéologiques à Tipasa*"، و"القديس أوغسطين ومشكلة استمرارية البونية *Saint Augustin et le problème de la survivance de Punique*"، ومقال ستيفان ڤزال *Gsell (S.)* "يوبا الثاني، عالم وكاتب *Juba II, savant et écrivain*".

ج) المجلات والدوريات الإلكترونية باللغة العربية: منها:

1- مقال محمود عبد الرازق مسعد "الأمفثياتر *Amphithéâtre*"، المنشور في مجلة الآثار الإلكترونية، ومن خلال عنوانه يتضح فحوى موضوعه إذ يتناول الملاعب المدرجة أو ملاعب الألعاب في بلاد المغرب القديم، وقد استفدت منه في دراسة هذه المنشأة المعدة لمختلف الألعاب التي أشاعتها الإمبراطورية الرومانية في بلاد المغرب القديم.

2- مقال محمد علي عيسى، الموسوم بـ: "الحياة العامة في المدن الليبية القديمة أثناء الاستعمار الروماني من خلال بعض نماذج الفسيفساء"، المنشور في مجلة آثار العرب، فقد أعطى فيه الكاتب صورة قلمية حول الألعاب في الملاعب من خلال صور الفسيفساء، وأخذ بعض النماذج في ذلك، وذلك ما سهل علينا مهمة دراسة نماذج عن الألعاب في الملاعب المدرجة التي كانت منتشرة في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني.

د) المجلات والدوريات الإلكترونية باللغة الأجنبية: أما المقالات العلمية المحكمة العديدة والمنشورة في بعض مواقع المجلات الإلكترونية، في مقدمتها موقع بريسي *persee*، والموسوعة البربرية *Encyclopédie Berbère*، وهي الأخرى أفادتني وبشكل كبير في مختلف جوانب هذا البحث الأثرية والثقافية والاجتماعية وكل ما يخص بالتقريب هذا الموضوع، وأذكر أهم تلك المقالات:

1- مقالات موقع بريسي *persee* منها: "قيصرية الموريتانية، مدينة رومانية ومرافقها، روما *Caesarea de Maurétanie, Une ville romaine et ses campagnes, Rome*" لكاتبها فليب لوفو *Leveau (Ph.)*، ومقالات لوقلاي *Leglay (M.)* "ساتورن الأفريقي *Saturne africain*"، و"كايلستيس *Caelistis*".

ومقال "المكتبات في أفريقيا الرومانية *Les bibliothèques en Afrique romaine*" للباحث نورالدين تليلي *Tlili (N.)*، و"المقاومة الأفريقية للرومنة *La résistance africaine à la romanisation*" لروبار ت. *Robert (T.)*.

2- المقالات المنشورة في الموسوعة البربرية نذكر منها: "لمباز *Lambèse*" لجانون م. *Janon (M.)*، و"بولا ريجيا *Bulla Regia*" لثيبار *Thébert (Y.)*، ومجموعة مقالات الباحث *Camps (G.)*، "دوقا *Dougga*"، "أرباب أفريقية والآلهة المورية *Dieux africains et Dii Mauri*"، ومقال "أبيزار *Abizar*" للباحثين فيفري*Février (P.A.)* وقابريال كاميس، "الدوارين *Circoncellions*" ليونال *Lancel (S.)*.

رابعًا- المواقع الإلكترونية: وفي خضم التطور التكنولوجي في مجال المعلوماتية، المتمثلة في شبكة الإنترنيت، فقد استفدت بالكثير من المواقع الإلكترونية وعلى رأسها الموسوعة الحرة ويكيبيديا، والمواقع الإلكترونية لبعض المتاحف مثل متحف سوسة وباردو بتونس.

خامسًا- الموسوعات والمعاجم: هناك بعض الموسوعات والمعاجم التي اعتمدت عليها في بعض الشروحات لبعض المصطلحات وسيّر بعض الشخصيات الواردة في البحث نذكر منها على سبيل المثال: لسان العرب لابن منظور، وموسوعة الشروق، موسوعة السياسة لعبد الوهاب الكيالي، ومعجم المصطلحات الأثرية ليحي الشهباني، موسوعة العقيدة والأديان لأحمد علي عجيبة، موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة لحسين نعمة، والمعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية لجميل صليبا.

سادسًا– الدراسات السابقة: اعتمدت في إنجاز هذه الدراسة على مجموعة دراسات علمية مهمة منها:

1- دراسة رضا بن علال حول الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه في التاريخ القديم من جامعة الجزائر- 2 (2011/2010م)، دراسة مهمة في دراسة موضوع أماكن التسلية والترفيه في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني ومختلف الألعاب والعروض التي كانت تجرى في تلك الفترة، والباحث قد توسع فيها بشكل ممتاز، وقد أفادتني في دراسة مختلف منشآت التسلية والترفيه من مسارح وملاعب مفتوحة وميادين السباق، ودراسة مختلف العروض التي كانت تجرى فيها واستنباط دورها في نشر وترسيخ الثقافة الرومانية في بلاد المغرب القديم.

2- دراسة مها عيساوي: حول المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، وهي عبارة عن أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، من جامعة منتوري بقسنطينة (2010/2009م)، درست فيها الباحثة المجتمع اللوبي منذ العصور القديمة إلى عشية الفتح الإسلامي، وكانت دراسة جيدة ومفيدة، وأفادتني في دراسة المجتمع المغاربي من الناحية الثقافية والدينية والاجتماعية خلال الاحتلال الروماني.

3- دراسة محمد العربي عقون حول: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطوري الأول، منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، من جامعة منتوري بقسنطينة (2005/2004م)، وهي دراسة اختصت بدراسة إقليم معين من بلاد المغرب القديم وهو الاتحاد السيرتي، ويعتبر نموذج ممتاز من الدراسات إذ تناول فيها الباحث كل المجالات في الاتحاد الكيرتي من الجوانب الإدارية والدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية، مستندًا على الشواهد الأثرية المادية ونصوص أدبية، لذلك قد أفادتني رسالة هذا الباحث في دراسة مختلف محاور الفصل، لما تتوفر عليه من معلومات قيمة واستشهادات أثرية وأدبية.

4- دراسة عبد الحميد عمران حول: الديانة المسيحية في المغرب القديم (النشأة والتطور 180-430م)، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، من جامعة منتوري بقسنطينة (2011/2010م)، تناول فيها الباحث الإرهاصات الأولى لبداية انتشار الديانة

المسيحية، والاضطهادات التي لازمت انتشارها، والأزمات التي عصفت بالكنيسة المسيحية والانشقاق الديني وبروز ما يسمى بالنحلة المناهضة المتمثلة في الحركة الدوناتية التي حاربت الاحتلال الروماني ومحاولاته رومنة الديانة المسيحية، ودعمها لكل الثورات والمقاومات في تلك الفترة الزمنية، وأهم الشخصيات الدينية، لذلك فقد أفادني هذا البحث في دراسة الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم واستغلال الإمبراطورية الرومانية في آخر المطاف هذه الديانة لإحكام السيطرة على المغاربة، ورد الفعل التي بدرت من قبلهم.

5- دراسة مصطفى محمد قنديل زايد حول: التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، وهي عبارة عن بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب من جامعة طنطا بمصر (1422هـ/2001م)، تناول فيها الباحث التعليم خلال العهد اليوناني والروماني، وقد استفدت منها في دارسة جانب التربية والتعليم خلال العهد الروماني، وطرق ومناهج التدريس وسن الالتحاق بالمدرسة، ومختلف أطوار التعليم خلال ذلك العهد.

خطة البحث: دفعتني إشكالية البحث، وعلى ضوء المادة العلمية المستقاة من المصادر والمراجع المتنوعة، والتي تمكنت من الاطلاع عليها، فقد وضعت خطةً محاولاً من خلالها تغطية جوانب البحث، حسب استطاعتي العلمية في هذا العمل المتواضع، وتتكون المذكرة من مقدمة وأربعة فصول ومباحث وخاتمة وملاحق وبيبليوغرافيا البحث وفهرس الخرائط والملاحق وفهرس الأعلام والأماكن والبلدان وفهرس القبائل والشعوب وفهرس المحتويات.

تناولت في **الفصل الأول** السياسة الثقافية الرومانية في مجال التسلية والترفيه، ودرست في المبحث الأول المنشآت المسرحية من مسارح والعروض المسرحية التي كانت تقام على ركوحها (خشبات المسرح)، والمبحث الثاني المنشآت الرياضية والألعاب، درست فيه أهم الملاعب وميادين السباق التي كانت منتشرة في بلاد المغرب القديم في فترة الاحتلال الروماني، وأعطيت نماذج عن تلك الألعاب سواءٌ في المدرجات أو ميادين السباق، أما المبحث الثالث فتمحور حول منشآت الاستحمام، حيث ركزت على دراسة بعض نماذج الحمامات التي كانت منتشرة في مدن بلاد المغرب القديم، وإعطاء صورة واضحة عن طرق الاستحمام في تلك الحمامات الرومانية وأهم الأنشطة المرتبطة بها.

وعالجت في **الفصل الثاني** السياسة الثقافية الرومانية في المجال الديني والاجتماعي، حيث قسمته إلى مبحثين، تناولت في الأول السياسة الثقافية في المجال الديني، بدارسة الديانة الوثنية والتي تعرضت إلى حملة رومنة ثقافية للمعتقد المغاربي، والديانة المسيحية

والتي رغم الاضطهادات إلا أنها انتصرت لنفسها، لتتعرض هي الأخرى إلى الرومنة التي كانت عامل استقطاب للعناصر الاجتماعية المغاربية.

أما المبحث الثاني فقد عالجت فيه السياسة الثقافية في المجال الاجتماعي، بدراسة منح حقوق المواطنة وسياسة الدمج وما له من دور في رومنة الحالة الشخصية للفرد المغاربي، وما أفرزته هذه السياسة من وضعية طبقية للمجتمع المغاربي.

أما **الفصل الثالث** فقد تناولت فيه السياسة الرومانية في المجال الثقافي المغاربي، ففي المبحث الأول درستُ السياسة الثقافية الرومانية في المشهد اللغوي والتعليمي، بدارسة اللغة اللاتينية التي فرضت وفقًا لمراسيم وقوانين جعلت منها لغة رسمية في الإدارة، وانتشار التربية والتعليم باللغة اللاتينية ودورهما أيضًا في دعم تلك السياسة، ثم قمت بدراسة المنشآت الثقافية من مدارس ومكتبات، وبعض محتوياتها من الكتب والوثائق ووسائل التعليم.

أما المبحث الثاني فكان حول الإنتاج الفكري من خلال شخصيات مغاربية، سواءٌ من الوثنيين أو المسيحيين باعتبار تلك الشخصيات، كانت تحصيل حاصل لتلك السياسة، والذين أسهموا في إثراء الإنتاج الثقافي في العالم القديم عموماً والروماني على الخصوص.

وتطرقت في **الفصل الرابع** إلى دراسة المواقف المتعددة للمغاربة ضد سياسة الرومنة الثقافية، ففي المبحث الأول تناولت المواقف الدينية والاجتماعية، خصصته لدراسة الديانة الوثنية المغاربية وصمود الذات المغاربية، ثم الانشقاق الديني والحركة الدوناتية، ومقاومة الدوارين الاجتماعية للسلطة الرومانية.

أما المبحث الثاني فقد خصص لدارسة المواقف العسكرية والسياسة للمجتمع المغاربي من السلطة الرومانية، من مقاومة يوبا الثاني ثم مقاومة تاكفاريناس ومقاومة فيرموس وجيلدون.

وختمت البحث، بنتائج جاءت كإجابة عن الإشكالية التي طرحتها في مقدمة المذكرة، والتي تمكنت من الوصول إليها بعد دراسة الموضوع والإلمام به من جل جوانبه.

وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل الأول

السياسة الثقافية الرومانية في مجال التسلية والترفيه

المبحث الأول: المنشآت المسرحية

المطلب الأول: المسارح

المطلب الثاني: العروض المسرحية

المبحث الثاني: منشآت الرياضة والألعاب

المطلب الأول: الملاعب وميادين السباق

المطلب الثاني: ألعاب الرياضة والمصارعة

المبحث الثالث: منشآت الاستحمام

المطلب الأول: الحمامات

المطلب الثاني: طقوس الاستحمام

الفصل الأول: السياسة الثقافية الرومانية في مجال التسلية والترفيه

تعد المباني الثقافية من العوامل الضرورية في المجتمعات الإنسانية، لقدرتها على ترسيخ ثقافته أو نشر ثقافة(*) أجنبية عنه، حيث تأخذ العديد من الاعتبارات، كأن يكون البناء جيد من الناحية الجمالية للجذب والتأثير، وكذا طبيعة عروض وألعاب التسلية والترفيه التي تؤدى فيها، وهذه الأخيرة من العناصر الأساسية في المجتمع الحضري القديم، والتي وجدت مكانًا لها في مدن بلاد المغرب القديم؛ لذلك أعطت الإمبراطورية الرومانية أهمية بارزة لمباني التسلية والترفيه، حيث اعتمدت عليها في سياستها الثقافية في بلاد المغرب، ومن تلك المباني الثقافية: المسارح والملاعب المدرجة وميادين سباق العربات (السيرك) والحمامات، التي سأعالجها في هذا الفصل من خلال هذه المباحث وهي:

المبحث الأول: المنشآت المسرحية

تعتبر المنشآت المسرحية من بين أهم وسائل التسلية والترفيه، ولها علاقة بالعروض والتمثيليات الكوميدية والتراجيدية، التي كانت تؤدى على خشبات المسارح، وشهدت مدن بلاد المغرب القديم ازدهارها خلال العهد الإمبراطوري، وتمكن الأثريون من التعرف على حوالي خمسين مسرحًا موزعًا على مقاطعات بلاد المغرب[1]، ولعبت دور مهم في نشر الثقافة الرومانية في الوسط الاجتماعي المغاربي، فما مدى تمكن الرومان من نشر ثقافتهم من خلال هذه المنشآت؟.

---

*- **الثقافة:** يعد مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم صعوبة وتعقيدًا حتى في اللغات الأجنبية. إن مفهوم الثقافة يشير إلى كل ما يصدر عن الإنسان من إبداع أو إنجاز فكري أو أدبي أو فني أو علمي، أما المفهوم الأنثروبولوجي الذي يعرف الثقافة بأنها حصيلة كل النشاط البشري والاجتماعي في مجتمع معين. أنظر: موسوعة الشروق، مؤلفة شاملة (عربية، عالمية، إسلامية)، مج1، دار الشروق، القاهرة، 1994م، ص 118.

- عرفها ابن منظور: ثقف، ثَقِفَ الشيء ثَقْفًا وثِقافًا وثُقوفةً: حذَقَهُ. ورجل ثَقْفٌ وثَقِفٌ وثَقُفٌ: حاذِقٌ فَهِمَ، وأتبعوه فقالوا: ثَقْفٌ لَقْفٌ. اللحياني: رجلٌ ثَقْفٌ لَقِفٌ وثَقِيفٌ لَقِيفٌ بين الثقافة واللّقافة. ابن السكيت: رجلٌ ثَقْفٌ لَقْفٌ إذا كان ضابطًا لما يحويه قائمًا به. ويقال: ثَقِفَ الشيء وهو سرعة التعلم. وثَقُفَ الرجلْ ثقافةً أي صار حاذقًا خفيفًا مثل ضخُم، فهو ضخمٌ، ومنه المثاقفة. وثَقِفَ أيضًا ثَقَفًا مثل تعب تعبًا أي صار حاذقًا فطنًا. ابن منظور: لسان العرب، مج.9، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ص 50.

- عرفها الأنثروبولوجي الإنقليزي تيلور *E.B.Tylor*: "أن الثقافة... هي ذلك المجموع المعقد الذي يتضمن المعارف والمعتقدات والفن والحقوق والأخلاق والأعراف وسائر القابليات التي يكتسبها الإنسان بصفته عضوًا في مجتمع ما". وعرفها إميل دوركايم: "إن الثقافة هي مجموع متناسق من طرق السلوك والتفكير والشعور، المشكلة للأدوار التي تعرف السلوكيات المتنظرة من مجموعة من الأشخاص". أما الأنثروبولوجي إدوارد سابير *E. Sapir*: "الثقافة مجموعة معينة ليست سوى جردة كاملة لجميع أنماط السلوك الظاهرة علنًا من جميع أعضاء هذه المجموعة أو قسم منهم. إن محل هذه العملية التي يشكل مجملها الثقافة ليس الجماعة النظرية التي نسميها المجتمع، وإنما هي الأفعال الفردية المتبادلة". موريس دوفرجيه: علم اجتماع صناعي، تر.: سليم حداد، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م، ص 78.

1- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة ودكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر 2، تحت إشراف الدكتور سعيد دلوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، 2010-2011م، ص 256.

المطلب الأول: المسارح *Les Théâtres*

المسرح أو الفن الدرامي تأليف أدبي مكتوب بالنثر أو الشعر بطريقة حوارية، وهو موجه للقراءة أو العرض، ويستعين المسرح الدرامي بمجموعة من العناصر الأساسية أثناء العرض مثل: الكتابة والإخراج والتأويل والديكور والملابس، وتشتق كلمة دراما من الفعل والصراع والتوتر، وقد يكون المسرح في تاريخه القديم ناتجًا عن الرقص والغناء.(1)

والمسرح *Theartum* هو من بين أماكن التسلية والترفيه التي اهتم بها الرومان، وهو عبارة عن بناية نصف دائرية الشكل يحتل قطرها ما نسميه "خشبة المسرح" *la scène*.(2)

لقد عرف الرومان المسرح والمسرحية الكاملة، بعدما حدث الاتصال باليونان بواسطة مستعمراتها في الجنوب الإيطالي، أو بواسطة الحروب التوسعية خارج حدود إيطاليا(3)، فظهرت حركة الترجمة من اللغة اليونانية إلى اللاتينية التي قادها ليفيوس أندرونيكوس "*Livius Andronicus*"، الذي ترجم بعض المسرحيات اليونانية وكتب بعضها الآخر على النسق اليوناني مثل: ترجمة "أوديسيا" "هوميروس(*) *Humérus*"، ثم تبعه الشاعر "ڤالينوس نايفيوس *Galenus Naevius*"، الذي يعود له الفضل في ابداع المسرحية الرومانية القومية المسماة بـ "المسرحية ذات العباءة الأرجوانية" نسبة إلى العباءة الرومانية ذات الشريط الأرجواني التي كان يرتديها الرسميون الرومان، ومن مسرحياته نذكر: "كلاستيديوم" و"رومولوس" و"لوبوس".(4)

والظاهر أن البحث في أصول ألعاب المسرح عند الرومان يجعلنا نحتكم إلى النصوص الأدبية اللاتينية التي ترتبط في معظمها بأساطير الميثولوجيا، الممتزمة بين

1- جميل حمداوي: "تاريخ المسرح العالمي"، موقع ديوان العرب، الرابط: *http://www.diwanalarab.com/spip.php?article5153*، تاريخ النشر: 14 جويلية 2006م، تاريخ الاطلاع: 2014/04/15م.

2- شارن شافية وبلقاسم رحماني ومحمد الحبيب بشاري: الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007م، ص 214.

3- حسين الشيخ: دراسات في الحضارات القديمة الرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1425هـ/2004م، ص.ص 311-312. حسين الشيخ: اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، (د.ب)، 2003م، ص.ص 266-267.

*- **هوميروس:** شاعرٌ ملحمي إغريقي أسطوري يُعتقد أنه مؤلف الملحمتين الإغريقيتين الإلياذة والأوديسة، لا يعرف شيء عن هوميروس، وكل ما وصلنا من العصر الإغريقي والروماني هو من صنع الخيال، وهناك حقيقتان عنه أنه كان أعمى والثانية من آسيا الصغرى أو الجزر المحاذية له، وربما جزيرة خيوس، ويقول ثوكيديديس (455-300ق.م) إنه عاش بعد حصار طروادة بزمن طويل، ويقول شيشرون (106-43ق.م) إنه ولد قبل تأسيس روما المتفق على أنه كان عام 753ق.م. هوميروس: الإلياذة، تر.: أحمد عتمان وآخرون، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008م، ص 22-23.

4- أحمد عتمان: الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م، ص.ص 15، 18.

الحقيقة والخيال، ويفيدنا تيتوس ليفيوس عن الألعاب المسرحية المرجح إقامتها لأول مرة في روما عام 364ق.م، وكان الغرض من إقامتها إبعاد وباء الطاعون الذي أهلك السكان (366–365ق.م)، ورافق تلك الألعاب مآدب العشاء المجانية لاسترضاء الآلهة[1]، وكانت في شكل فني "المايم *Mime*"[*] و"البانتومايم *Pantomime*"[**][2] أو الملهاة التمثيلية الناطقة والصامتة التي تعتمد على الرقص والحركات البهلونية والإنشاد[3]، ويبدو أن تلك العروض كانت عبارة عن خليط من الانتقادات الساخرة حول مواضيع مختلفة وبأسلوب النقد اللاذع[4]، وارتبطت تلك العروض بالأعياد الدينية وجنائز وجهاء المجتمع؛ التي كانت كثيرة ولها وظيفة التسلية والترفيه.[5]

أما عن المسرح الروماني كبناء معماري، ففي العهود الأولى من القرن الخامس قبل الميلاد، لم يكن هناك مسرح ثابت، فكان لتمثيل العروض المسرحية يتم بعد اختيار مكان مائل أو منحدر؛ أسفل هذا المنحدر يتم وضع منصة أو مصطبة خشبية (بروسكاينيوم *Proscaenium*) تكون مغلقة بواسطة جدار من الخشب، في الأعلى يقف الجمهور في الهواء الطلق، وأمام المنصة توجد مساحة نصف دائرية شبيهة بالأركسترا[***]

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 166.

*- **المايم *Mime*:** فن مقتبس عن اليونان الذي يعني المحاكاة أو النقل أو التقليد عن طريق الحركة، وفي بداياته كان عبارة عن مسرحيات قصيرة تعرض في الأسواق والأماكن العامة ومواضيعها قائمة على السخرية من الشخصيات النافذة في المجتمع، وتعتمد مسرحياته على الحركات الكوميدية والهزل والتهريج بالإضافة إلى الارتجال، ولم يكن هذا الفن صامتًا بالكامل فتكون فيه كلمات وجمل حوارية قصيرة، أو الموسيقى أو الأصوات الناتجة عن صفق طرف من أطراف الجسم أو النقر على الأرض. أنظر: توماس ليبهارت: فن المايم والبانتومايم، تر.: بيومي قنديل، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2005م، ص 8. د. صديقة لاشين: "فن المايم والبانتومايم"، موقع جريدة مسرحنا، العدد: 262، الرابط: *http://www.masrahona.com*، تاريخ الاطلاع: 2014/08/02م.

- **البانتومايم *Pantomime*: استخدم لأول مرة في العصر الروماني، ويعني تقليد الكل أي المحاكاة للكل سواء كانوا أشخاصًا أو أشياء، وتعتمد المحاكاة على الإيماءات وحركات الجسد فحسب من رقص واستخدام للأقنعة، وعلى السخرية والهجاء، كما يكون صامتًا تمامًا، ويبدو أن تلك العروض عبارة عن خليط من الانتقادات الساخرة حول مواضيع مختلفة وبأسلوب النقد اللاذع. أنظر: صديقة لاشين، المرجع نفسه.

2- طامر أنوال: حفريات في المسرح الجزائري المسرح النوميدي في العهد الروماني، طبع مشترك: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع الترجمة، وأطفالنا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 93.

3- حسين الشيخ: دراسات في الحضارات القديمة الرومان، مرجع سابق، ص.ص 311-312. حسين الشيخ: اليونان والرومان، مرجع سابق، ص.ص 266-267.

4- طامر أنوال: مرجع سابق، ص 93.

5- د. ول ديورانت: قصة الحضارة، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، ج1، تر.: محمد بدران، مج.3، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م، ص 206. رضا بن علال: رجع سابق، ص 172.

***- **الأركسترا:** كلمة تطلق على المكان نصف الدائري بين المسرح والجمهور. أنظر: موسوعة الشروق، مرجع سابق، ص 29.

L'Orchestra اليونانية، وهي مخصصة لجلوس الشخصيات النافذة من كهان وحكام وقضاة وأعضاء مجلس الشيوخ وغيرهم.[1]

تم بناء مصطبة (بروسكاينيوم *Proscaenium*) وجدار من الحجر في عام 178ق.م أمام معبد أبولون *Apollon*، من أجل الألعاب الأبولونية *Apollinaires*، بعد ذلك قامت الدولة الرومانية ببناء منصة *Scène* غير ثابتة، وفي عام 145ق.م بنى لوكيوس موميوس *Lucius Mummius* مسرحًا كاملاً بصفوف من المقاعد الخشبية[2]، وتحولت تلك المسارح المؤقتة إلى أمكنة تحظى بالبذخ ومقتنيات الترفيه[3]، وكانت تلك المنصات تنقل من مكان إلى آخر أينما وجدت المهرجانات والألعاب.[4]

وفي عام 55ق.م تم بناء أول مسرح ثابت من الحجر[5] في عهد بومبيوس *Pompeius* (106-48ق.م)، وخصص فيه قاعة كبيرة لمجلس الشيوخ *Les Sénateurs* والفرسان *Les Chevaliers*[6]، كان يتسع لحوالي 18000 متفرج.[7]

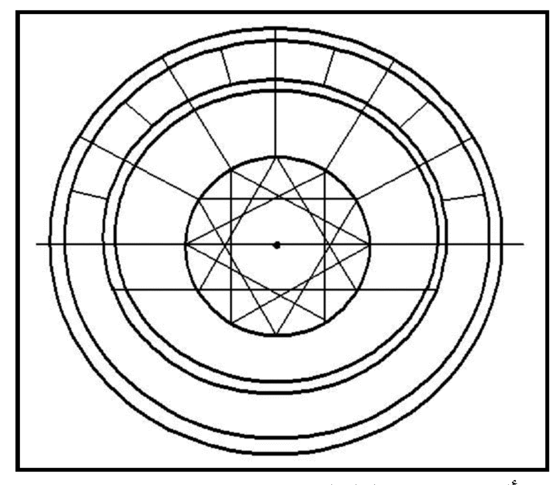
وقد عرضت على تلك المنصات الخشبية المؤقتة مسرحيات أشهر كتاب الأدب المسرحي الروماني وذوي الثقافة الرومانية منهم: "بلاوتوس *Plautus*" (254ق.م-184ق.م) و"تيرنس *Terence*" (195ق.م-159ق.م)[8] و"كوينتوس إينيوس *Quintus Ennius*" (239ق.م-169ق.م) وغيرهم، كما عرضت في الساحات العمومية وأمام المعابد.[9]

ولقد قدم لنا المهندس المعماري الروماني "فيتروفيوس *Vitruvius*" (70-25ق.م) في كتابه "الهندسة المعمارية *De l'Architecture*"، وصفًا واضحًا حول بناية المسرح الروماني (أنظر الشكل رقم 01، ص 5)؛ فمن خلال مخطط للمسرح، يحدد المركز لرسم

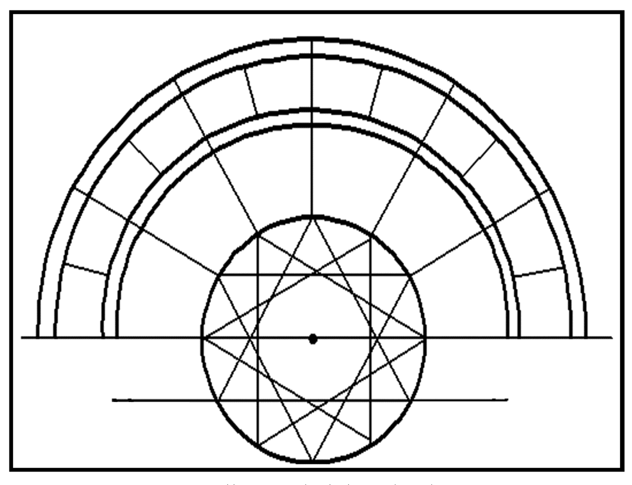
1- Terence: Œuvres complètes, Introduction, trad.: Henri Clouard-Garnier, édition d'Émile Littré, site de: L'antiquité grecque et latine Du moyen âge de Philippe Remacle, Philippe Renault, François-Dominique Fournier, J. P. Murcia, Thierry Vebr, Caroline Carrat, URL: *http://remacle.org*.
2- Ibid.
3- طامر أنوال: مرجع سابق، ص 96.
4- أحمد عتمان: مرجع سابق، ص 20.
5- Terence : Introduction, Op.cit.
6- طامر أنوال: مرجع سابق، ص 97. Albert Paul: Histoire de la littérature romaine, T.I, C. Delagrave, 1871, P.49.
7- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 197.
8- عمر الدسوقي: المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ت)، ص 9.
9- طامر أنوال: مرجع سابق، ص 96. أحمد عتمان: مرجع سابق، ص 20. د. ول ديورانت: مرجع سابق، ص 204.

دائرة حيث يكون المحيط بحجم أسفل المسرح، وترسم أربعة مثلثات في هذه الدائرة متساوية الأضلاع وبزوايا متساوية المسافات، وتلامس المحيط. في جهة من هذه المثلثات تحدد خشبة المسرح والواجهة، ثم يرسم خط يمر عبر مركز الدائرة ويكون موازيًا للخط الذي حدد خشبة المسرح والواجهة، ويفصل مقدمة الخشبة عن الأركسترا *l'Orchestra*، وبهذه الطريقة تكون خشبة المسرح أكثر اتساعًا على عكس ما كان عند اليونانيين.[1]

ارتفاع المنصة (الخشبة) *La Scène* يجب أن لا يتعدى ارتفاعها أكثر من خمسة أقدام، لكي يتمكن الجالسون في الأركسترا *l'Orchestra* من مشاهدة كل ما يحدث على منصة المسرح، وهي مخصصة لأعضاء مجلس الشيوخ *Les Sénateurs*، تكون المدرجات مرتبة على شكل مجموعات وفقًا لزوايا المثلثات، وتكون بين تلك المجموعات سلالم، ويجب وضع مسافة تفصل المدرجات إلى مدرجات عليا عن سفلى، أمام رأس المثلث الذي في الوسط تكون البوابة الملكية. زاويتا جهة اليمين واليسار تشير إلى أبواب العامة، والمتبقيتين تكون مخصصتين للخروج؛ مدرجات المدرج التي تحمل مقاعد الجلوس لا يجب أن تكون أقل من قدم في الارتفاع، ولا يزيد عن قدم واحد وستة أصابع، وعرضهم لا يجب أن يكون أكثر من قدمين ونصف، ولا أقل من قدمين.[2]



(أ): وضع مخطط المسرح حسب ما ورد عن فيتروف



(ب): المخطط النهائي للمسرح

الشكل رقم (01): مخطط المسرح الروماني حسب فيتروفيوس (رسم الطالب)

1- Vitruve: De l'architecture, L'architecture de Vitruve, livre VI, trad. nouvelle par M. Ch.-L. Maufras, C.L.F. Panckoucke, 1847, URL: *http://remacle.org*.
2- Ibid.

كما أشار فيتروف أنه يجب أن لا تكون بناية المسرح معرضة لأشعة الشمس والرياح، لأن ذلك يكون له تأثير سلبي على صحة كل الحاضرين من المتفرجين والممثلين، فلا بد من اختيار موضع صحي له.(1)

أما في بلاد المغرب القديم فأول ظهور للمسرح كان في مدينة أوتيكا(*) قبل عام 49ق.م حينما كانت هذه المدينة عاصمة الولاية الرومانية من سنة 146ق.م إلى أن خلفتها قرطاجة كعاصمة للمقاطعة الأفريقية سنة 39م، بالإضافة على تكليف يوبا الثاني لأنتيوس أمفيو ببناء مسرح مدينة يول مع بداية القرن الأول للميلاد.(2)

والمسرح الروماني في مدن بلاد المغرب من أهم المراكز الثقافية، ومظهر من مظاهر الرومنة الثقافية والتي أدت دورًا ثقافيًا ترفيهيًا؛ لذا احتوت معظم المدن المغاربية على هذه المسارح مهما كانت أهميتها، وتقل كثافتها كلما اتجهنا غربًا مشكلة مثلث يتقلص بتقلص النفوذ الروماني. ونموذج المسرح الروماني قد يعمم على كل النماذج الموجودة في بلاد المغرب إلا في حالات، كالمنحوتة على ربوة أو منحدر مثل النموذج اليوناني(3)، وامتازت تلك المسارح بالضخامة وبأشكالها الهندسية الرائعة(4)، فكانت تفوق من حيث العدد الملاعب المدرجة وحلبات السباق في بلاد المغرب القديم(5)، وقُدمت على خشبتها أعمالاً أدبية كثيرة تمثيلاً وغناءً بشكل حر مما ساهم في نشر الثقافة الرومانية، من روايات التراجيديا *Tragédies* والكوميدية *Comédies*.(6)

1- Vitruve: Op.cit., Livre VI.

*- **أوتيكا:** مدينة قديمة شمال قرطاجة، أسسها الفينيقيون القادمون من صور حوالي 1100ق.م. انضمت إلى روما ضد قرطاجة في الحرب البونية الثالثة. أصبحت فيما بعد عاصمة ولاية أفريقية الرومانية. قضي عليها قضاءً مبرمًا، عندما دمرها الفاتحون المسلمون حوالي 700م. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج7، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 448.

2- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 177.

3- Picard (G.CH.), Baillon (M.): "Le théâtre de Carthage", - Afrique du nord antique et médiévale- spectacles, vie portuaire, V^{ème} colloque international, réuni dans le cadre du 115ème congrès des travaux historiques et société savantes, Avignon 09-13 avril 1990, Editions du comité des travaux historiques et scientifiques 1992, P.P.19-20.

4- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة علمية دورية محكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، العدد الثاني، جوان 2009م/جمادى الثانية 1430هـ، ص.ص 302-303.

5- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ج1، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، النشرة الرابعة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983م، ص 242.

6- أحمد صفر: مدنية المغرب العربي في التاريخ، عشرون قرناً من تاريخ إفريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي، ج1، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959م، ص 345.

كما شهدت تنظيم احتفالات عديدة في مناسبات مختلفة، منها الاحتفال بالشخصيات النافذة السياسية أو الدينية، أو بمناسبات دينية أخرى كالاحتفاء بإله؛ حيث أن التقليد الروماني يقضي بأن تكون الألعاب المسرحية جزءًا من الاحتفال الرسمي بأحد الآلهة.[1]

وفي بلاد المغرب القديم نجد بقايا للمسارح في مدن: فيليب فيل *Philippeville* (سكيكدة) وجميلة *Djemila* وقالمة *Guelma* وخميسة *Khamissa* وتيمقاد *Timgad* وتيبازة *Tipasa*[2]، وقرطاجة *Carthage* وقيصرية *Caesarea* وليكسوس *Lixus* ولبتيس ماقنا *Leptis Magna* وصبراتة وغيرها، وسندرس نماذج من تلك المسارح:

1- مسرح مدينة قرطاجة: (أنظر الشكل رقم 02، ص 8)، المدينة التي أعاد بناءها الإمبراطور تراجانوس *Trajanus*[3] (98-117م)[4] والتي أصبحت نموذجًا مثاليًا للمدينة الرومانية في بلاد المغرب القديم[5]، يقع هذا المسرح في الطرف الغربي من قرطاجة، بني في القرن الثاني للميلاد بالقرب من هضبة الأوديون *Odeon*، في عهد الإمبراطور هادريانوس *Hadrienus* (117-138م).

يتكون المسرح من منصة ومدرج نصف دائري يفصل بينهما فضاء لمتفرجي الدرجة الأولى، ويتميز هذا المعلم بجمال الهندسة والزخرفة، ويفوق قطره حوالي 100 متر، تتخللها أعمدة متوجة من الرخام المزركش، كما زين المسرح بتماثيل لعل أهمها تمثال أبولون *Apollon*، إضافة إلى تمثال فينوس *Vénus*، وتمثال آخر للإمبراطور هادريان *Hadrien*، والإلهة جونون *Junon* العائد إلى القرن الثالث للميلاد، وتمثال آخر ضخم لجوبيتر *Jupiter* محفوظ اليوم في متحف باردو بتونس[6]، كان هذا المسرح يضم ما بين حوالي 60 ألف إلى 75 ألف متفرج[7] لحوالي مليون ساكن.[8]

1- بلقاسم رحماني: مرجع سابق، ص 303.

2- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, éditeur, ancienne librairie Thorine et fils Albert fontemoing, Paris, 1901, P.186.

3- Ennabli (A.): "L'Art Romain en Afrique du Nord Son avenir", R.P.M., 16 Septembre 2000, UNESCO-San, Marcos, URL: *http://whc.unesco.org/ documents/publi_review_16_fr_1.pdf*, Vue le: 09/07/2014, P.20.

4- Roman (D.), Roman (Y.): Rome de la République à l'Empire (IIIe s. av. J-C.- IIIe s. ap. J.-C.), 2e édition mise à jour, édition ellipses Marketing S.A., Paris, 2006, P.244.

5- Ennabli (A.): "L'Art Romain en Afrique du Nord Son avenir", Op.cit., P.20.

6- Cretot (M.): "Les jeux et les spectacles de l'Afrique romaine (3)", Cercler Algérianiste Association culturel des français d'Afrique du nord, URL: *http://www.cerclea lgerianiste.fr*, Vu le: 09/07/ 2014. Roman (D.), Roman (Y.), Op.cit., P.246.

7- بلقاسم رحماني، مرجع سابق، ص 303.

8- Cretot (M.): Op.cit.

لقد شكل مسرح قرطاجة فضاءً ثقافيًا هامًا في تلك الفترة للقرطاجيين الذين كانوا مولاعين بالعروض المسرحية والموسيقية وفن المحاكاة والفلسفة، مما ساهم في إشعاع الثقافة الرومانية، حيث أُلقيت فيه العديد من الخطابات الشهيرة، كخطابات الأديب "أبوليوس المادوري *Apuleius de Madaure*". يوجد بالقرب منه مسرح آخر يعود إلى نفس الفترة وكان بمثابة قاعة طرب تُجرى فيه الحفلات الموسيقية، وقد تعرضت هذه المسارح للهدم والتخريب العديد من المرات مثل: ما حدث على إثر الغزو الوندالي *Vandales* في القرن الخامس الميلادي، وتحولت قرطاجة بعدهم إلى منجم للحجارة طيلة 1200 سنة[1]، ما أثر سلبًا على المعالم الحضارية للمدينة.



(أ)



(ب)

الشكل رقم (02): مسرح قرطاجة *Carthage*، **نقلا عن:**

(أ)، (ب): Agence de mis en valeur du patrimoine et de promotion culturel, monument: Le théâtre romain de Carthage, URL: *http://www.patrimoinedetunisie.com.tn*, télé. le:14/09/2014.

أستنتج أنه كان بمدينة قرطاجة مسرحين، مسرح مخصص للألعاب المسرحية والآخر مخصص لحفلات الطرب والغناء، ما يشير إلى انتشار الفن المسرحي في أوساط المجتمع القرطاجي، خصوصًا أن مقاطعة أفريقية المقاطعة الأولى التي خضعت للاحتلال الروماني المبكر، والأولى التي تأثرت بسياسة الرومنة الثقافية.

2- مسرح لبتيس ماقنا: (أنظر الشكل رقم 03، ص 9) شيد المسرح بفضل الإعانات والمنح المالية المقدمة من قبل أحد أثرياء المدينة، هو أنّوبال روفوس *Annobal Rufus*، ويتكون المسرح من مدرج *La Cavea* نصف دائري، حيث توجد مقاعد الجلوس، وتتخلله فتحات الدخول والخروج، موزعة بطريقة هندسية منتظمة، وهناك مدخلان على جانبي المدرج

1- Cretot (M.): Op.cit.

جهة خشبة المسرح *Scène* يؤديان بواسطة رواق معقود إلى مكان الأركسترا *L'Orchestra* ذات الشكل النصف الدائري، ويحيط بها منصات منخفضة كانت مخصصة لجلوس وجهاء المدينة.(1)

أما على جانبي المنصة يوجد جداران نصب عليهما تماثيل للإلهين هركول *Hercule* وديونيسوس *Dionysos* الآلهة حامية المدينة، وخلفية المنصة عبارة عن جدار مزخرف فيه أعمدة مدمجة في الجدار مشكلة ثلاثة فتحات كبيرة شبه دائرية، في كل منها مدخل يؤدي إلى رواق ذو أعمدة، يقوم خلف المسرح رواق رباعي الشكل تقريبًا، يوجد بداخله معبد مخصص لعبادة الإمبراطور، بني هذا المعبد عام 43 ميلادي على نفقات أحد الأثرياء المدعو أدي بال تابيوس من أسرة روفوس *Rufus*.(2)



الشكل رقم (03): مسرح لبتيس ماقنا *Leptis Magna*، **نقلا عن:**

- Site archéologique de Leptis Magna, **Date:** 01/01/2003, **Copyright:** UNESCO, **Auteur:** G. Boccardi, URL: *http://whc.unesco.org/fr/list/183/gallery/*, télé. le: 15/08/2014.

كان المسرح في تلك الفترة يستعمل لسماع الموسيقى، مع مشاهدة مشاهد التمثيل الصامت، وعادة ما يقوم شخص واحد بالتمثيل مؤديًا أدوارًا مختلفة مع ارتداء القناع المناسب لكل دور يؤديه، ويصحب حركاته موسيقى ترانيم فرقة الإنشاد الخاصة بالمسرح.(3)

استخلصتُ أن مسرح لبتيس ماقنا شكل فضاءًا ترفيهيًا جميلاً لسكان المدينة، مثلت على خشبته التمثيليات والفنون المسرحية والاستماع للموسيقى، وكان أثرياء المدينة لا يبخلون على دعم هذه المنشآت الثقافية، ما يدل على ولع هؤلاء بالحضارة الرومانية وثقافتها، والمساهمة في نشرها في وسط المجتمع الذي ينتمون إليه.

1- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مصلحة الآثار، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، 1386هـ/1967م، ص.ص 45-46.
2- المرجع نفسه، ص.ص 45-46.
3- المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

3- مسرح تيمقاد (ثاموقادي *Thamugadi*): (أنظر الشكل رقم 04، ص 11) يوجد مجاورًا للساحة العمومية *Le Forum*[1]، وقد نحت في ربوة بقطر 62 متر[2]، وتشكل هذه الربوة أعلى نقطة في المدينة، إذ يمكن عن طريقها رؤية المدينة بكاملها (رؤية طرق المدينة وقوس تراجان ومعبد الإله جوبيتر وغيرها)[3]، وتشير الدراسات أنه تم تشيّده في حولي 162م؛ هناك نقوش وجدت من خلال الحفريات تسمح للباحث معرفة أن مسرح ثاموقادي *Thamugadi* شيد من قبل أنطونيوس بيوس *Antonin le Pieux* (138-161م) وماركوس أوريليوس *Marc-Aurèle* (161-180م)، وذكر ستيفان قزال أن المسرح يمكن أن يستوعب حوالي 3500-4000 متفرج[4] أمام حوالي عشرين ألف قاطن بالمدينة، إضافة إلى عدد الوافدين إليها من الضواحي والقرى المجاورة لمشاهدة العروض المسرحية المقدمة.[5]

يمكن الدخول إلى المسرح من الطريق العريض الذي يفصل بين المسرح والفوروم، ويوجد بالجهة الشمالية للمسرح ستة أبواب تؤدي إلى المسرح المتكون من ثلاثة أقسام هي: المدرج *Cavea* ذو الشكل النصف دائري ويحتوي على مدرجات مخصصة للمتفرجين[6]، وتتكون من ستة أجزاء مفصولة بواسطة خمسة سلالم، الأركسترا على شكل نصف دائرة يفصل بينها وبين مكان جلوس العامة جدار البوديوم *Podium*، وهي مخصصة للشخصيات النافذة وذوي الرتب العليا وأعيان المجتمع من حكام *les Magistrats* وأعضاء مجلس أعيان المدينة *les Sénats* وغيرهم.

أما خشبة المسرح *La Scène* فهي مخصصة للممثلين، وخلفها يوجد جدار يسمى البوستسكينيوم *Postscenium* الذي يحتوي على ثلاثة عشرة عمود[7]، ويفصل بينهما وبين

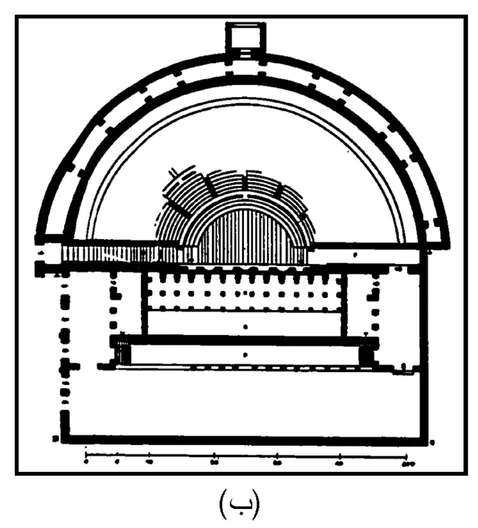
1- Bouchareb (A.): Cirta ou le substratum urbain de Constantine, La région, la ville et l'architecture dans l'antiquité (Une étude en archéologie urbaine), thèse pour l'obtention du diplôme de doctorat d'état option: urbanisme, Sous la Direction du Proféssseur M. H. Larouk, université Mentouri - Constantine faculté des sciences de la terre, de la géographie et de l'aménagement du territoire département d'architecture et d'urbanisme, 2006, P.250.
2- Boeswillwald (E.), Cagnat (R.): Timgad une cité africaine sous l'empire Romain, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1905, P.P.95.
3- محمد العيد مطمر: رحلة إلى تيمقاد، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ص 17.
4- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.197.
5- طامر أنوال: مرجع سابق، ص.ص 100، 102.
6- دليل آثار تيمقاد (تاموقادي)، جمعية المعالم الأثرية لولاية باتنة، عين التوتة، باتنة، 2001م، ص.ص 17-18.
7- Violle (M.): Thamugas, ses fouilles et ses découvertes avec plan et gravures, imprimerie typographique et lithographique F, Soldati, Batna, 1894, P.44.

الأركسترا جدار يسمى بولبيتوم *Pulpitum* وهو من الآجر، حفرت فيه كوات أو مقصورات نصف دائرية ومربعة ومزخرفة بأفاريز، توضع فيها تماثيل للآلهة.[1]

يعتبر هذا المسرح من أشهر معالم مدينة ثاموقادي *Thamugadi* الذي يجذب الأنظار باعتباره صرحًا ثقافيًا شبيهًا بالمسرح الإغريقي، وهي طريقة غير مكلفة في بناء المسارح، وشكله البيضوي يسمح بانتقال الصوت من أسفل إلى أعلى[2]، كما تساعد النتوءات والمداخل في جدار البولبيتوم *Pulpitum* على ضمان مستوى سمعي جيد وإضعاف الصدى[3]. وعانى هذا المسرح كثيرًا؛ إذ أخذ البيزنطيون في عهد سولومون *Solomon* كثيرًا من حجارته المكونة للمنصة وبعض المقاعد، من أجل بناء القلعة المحاذية للمدينة من الجهة الجنوبية، دون اللجوء إلى إحضارها من مكان آخر[4]، فتضرر أهم معلم من المعالم الحضارية لمدينة ثاموقادي.



(أ)



(ب)

الشكل رقم (04): مسرح ثاموقادي *Thamugadi*، **نقلا عن:**

(أ): الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الرابط: *http://ar.wikipedia.org/wiki*، تاريخ التحميل: 2014/09/14م.

(ب): Boeswillwald (E.), Cagnat (R.): Op.cit., P.433.

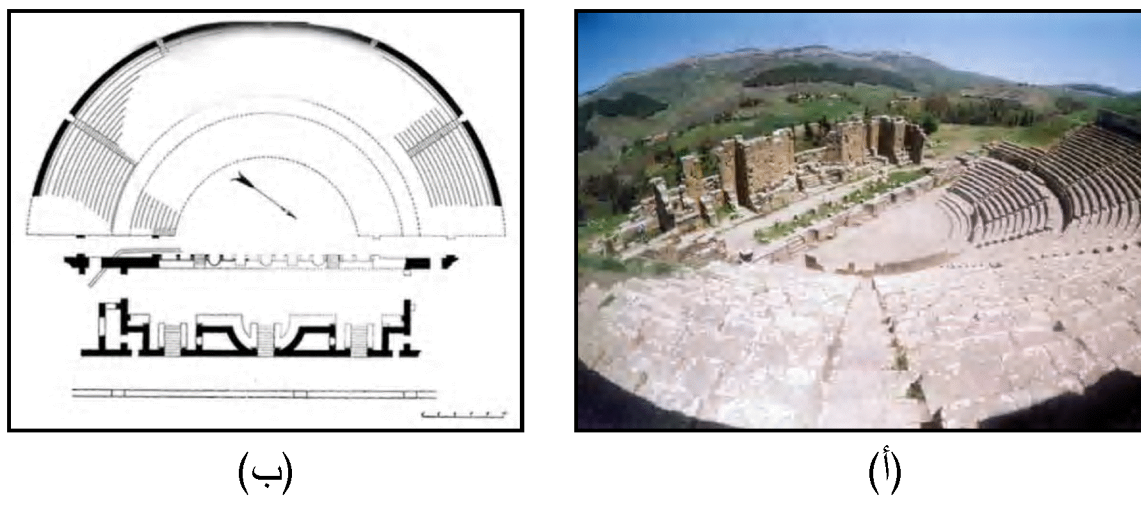
4- **مسرح كويكول *Cuicul*:** (جميلة *Djemila*) (أنظر الشكل رقم 05، ص 12)، وتشير معلوماتنا عن هذا المسرح أنه يقع في الجنوب الشرقي من المدينة، وبني على منحدر[5] حفرت عليه مدرجات جلوس الجمهور وبقطر 62 متر مثل مسرح ثاموقادي[6]،

1- دليل آثار تيمقاد، مرجع سابق، ص.ص 17-18.
2- المرجع نفسه، ص 18.
3- طامر أنوال: مرجع سابق، ص.ص 100، 102.
4 -Ballu (A.): Les ruines de Timgad, antique Thamugadi: sept années de découvertes (1903 -1910), Imprimeurs-Editeurs, Nérudien Frères, Paris, 1911, P.17.
5- Bouchareb (A.): Op.cit., P.250.
6- Boeswillwald (E.), Cagnat (R.): Op.cit., P.97.

يتشكل من خمسة وعشرين مصطبة، قسمت إلى ثلاثة صفوف أمامية *Ima Cavea* في أسفل المبنى، وهي مخصصة للوجهاء والكهنة وأعضاء المجلس البلدي[1]؛ ونجد مباشرة فوق مكان الأركسترا المدرج *Cavea*، المنقسم إلى المصاطب الوسطى *Media Cavea* التي تتكون من تسعة صفوف، أما المقاعد الخلفية *Summa Cavea* فعددها خمسة عشرة، وتنتشر في أعلى المبنى، ارتفاع الواحد منهم أربعين سنتمتر وعرضه ستون سنتمتر، يفصل بينهما فاصل، ويمكن له أن يستوعب حوالي 3500 متفرج.[2]

ويلاحظ أن مكان الأركسترا واسع، ربما أجريت فيه ألعاب المصارعة، لكن لا يوجد ما يؤكد هذا الافتراض.

جدار المسرح الأعلى جهة المدرجات العليا لا يتجاوز ارتفاعه المترين، مزين بقاعدة بارزة وإفريز (كورنيش)، كما نجد هناك سلالم متجهة من هذا الجدار إلى مكان الأركسترا، إضافة على وجود مدخلين ينفتحان جهة يمين ويسار الأركسترا تحت ممرات مقببة.[3]



(أ) (ب)

الشكل رقم (05): مسرح كويكول *Cuicul*، **نقلاً عن:**

(أ): الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الرابط: *http://ar.wikipedia.org/wiki*، تاريخ التحميل: 2014/10/22م.

(ب): Gsell (S.): Les Monuments Antiques De L'Algérie, T.I, Op.cit., P.189.

أما بالنسبة للجدار الواقع أمام خشبة المسرح فهو منخفض بارتفاع 1,28 متر، تحوي منافذ دائرية ومربعة ومزينة بأعمدة كورنيثية، على جانبي هذا الجدار يوجد سلم على اليمين وآخر على اليسار، خشبة المسرح بطول 34,30 متر وبعرض 7,15 متر، والجدار الخلفي للخشبة لا يزال قائمًا وبارتفاع ستة أمتار، فيه ثلاثة تجويفات كبيرة مختلفة الأحجام للحصول

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 258. Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.186.

2- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.186.

3- Ibid., P.188.

على صدى جيد للأصوات، والفتحة التي في الوسط نصف دائرية ينفتح فيها مخرج محاط باثنين من الأعمدة وبعتبة قياسها 2,20 متر، أما المساحات الجانبية يمين ويسار المسرح فهي أجزاء غير منقب عنها.(1)

خلف هذا الجدار نجد قاعدة طويلة موازية له، ومتوج بإفريز ربما كان يحمل أعمدة كانت عبارة عن واجهة للمسرح، وهي على هيئة غُرف – ربما عبارة عن محلات تجارية. جهة الأركسترا نرى بقايا لمجاري مائية مصممة لجمع مياه الأمطار، تجري في ممرات مقوسة تحت الأرض. ومسرح كويكول من المسارح التي لم تتضرر كثيرًا مقارنة بمسارح أخرى، ولا توجد أي نقيشة تحدد لنا بدقة تاريخ بناء هذا المسرح، وربما لم يكن ينتمي إلى الحقبة الأنطونية، لأن البناء والقوالب وتيجان الأعمدة منجزة بشكل جيد.(2)

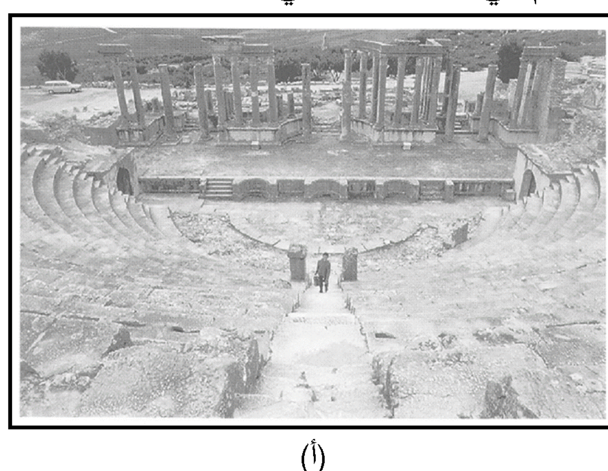
أستنتجت من هذا أن مكان وطريقة بناء هذا المسرح، يدل على أن أعضاء المجلس البلدي، اختاروا المكان الأنسب لتشييد هذا المرفق، حتى يشكل معلمًا مهماً في المدينة، وقد يخرج ذلك عن إطار النموذج الروماني إلى النموذج اليوناني كمسرحي تيمڤاد وجميلة، بالإضافة إلى عناصر الجمال من تماثيل وتيجان وأعمدة ونقاء الصوت، ما يسمح للجمهور المشاهد التمتع بشيئين: العروض المسرحية وجمال المنظر.

5- مسرح ثوڤا *Thugga* (دوڤة *Dougga*): (أنظر الشكل رقم 06، ص 14)، أجريت فيه الحفريات من قبل الدكتور كارتون *Carton*(3)، يرتفع المدرج *Cavea* بعلو 15م، ويحتوي على 21 مدرجًا لا تزال حوافها حادة كما كانت، ما يسمح من أن يستوعب حوالي 3500 متفرج. خشبة المسرح مغطاة بفسيفساء طولها 75,36 مترًا وعرضها 50,5 متر، إضافة إلى فتحات الأبواب على الجانبين، ويوجد ثلاثة أبواب في الجدار الخلفي للركح *La Scène*.(4)

شيد هذا المسرح في عهد ماركوس أوريليوس(5)، وكانت له مدرجات ترتفع إلى غاية ستار الخشبة، بنيت من قبل مواطن ثري اسمه كادراتوس *Quadratus*، وكانت العروض الافتتاحية تتم مع ألعاب حركية، مصحوبة بتوزيع النقود وتقديم وجبات طعام.(6)

1- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.P.188-189.
2- Ibid., P.189.
3- Cretot (M.): Op.cit.
4- Camps (G.): "Dougga", in 16|Djalut - Dougga, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», N°16), 1995 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 25 juillet 2014. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/2210*. Vue le: 19/08/2014, P.5.
5- Camps (G.): "Dougga", Op.cit., P.5.
6- Cretot (M.): Op.cit.

إذن يعتبر مسرح دوقة من بين أجمل المسارح التي كانت منتشرة في بلاد المغرب القديم في العهد الروماني حسب ڤابريال كامبس *G. Camps*.[1]



(أ)



(ب)

الشكل رقم (06): مسرح دوڤة *Dougga*، **نقلاً عن:**

(أ): Camps (G.): Op.cit., P.6.

(ب): Agence de mis en valeur du patrimoine et de promotion culturel, monument: Dougga, URL: *http://www.patrimoinedetunisie.com.tn*, Vu le: 14/09/2014.

6- مسرح قيصرية *Caesarea*: (أنظر الشكل رقم 07، ص 16)، يقع هذا المسرح في قلب المدينة جنوب الساحة العمومية *Le Forum*، بني بين عامي 25 و15ق.م في عهد يوبا الثاني *Juba II* (حوالي 52 ق.م توفي حوالي 23م)[2] ملك موريتانيا[*]، الذي نصبه على عرشها الإمبراطور أوكتافيوس *Octavius* الملقب بأغسطس *Auguste*[3]، وقد تم العثور على الكثير من التماثيل في أثناء الحفريات، التي كانت تزين جدار خشبة المسرح، وتمثال ضخم للإمبراطور أغسطس *Auguste*.[4]

1- Camps (G.): "Dougga", Op.cit., P.5.

2- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Études de lettres [En ligne], 1-2|2011, mis en ligne le 15 mai 2014, consulté le 21 juillet 2014. URL: *http://edl.revues.org/113;DOI:10.4000/edl.113*, Vu le: 25/0/2014, P.5, 4.

*- **موريتانيا:** أو بلاد المور *Mauritania* ما بين وادي ملوية *Mulucha* والمحيط الأطلسي. محمد العربي عقون: المؤرخون القدامى (غايوس كريسبوس سالوستيوس (86-35ق.م) وكتابه حرب يوغرطة (*Bellum Jugurtthinum*)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006م، ص 44.

3- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج1، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، إنتاج دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص.ص 260، 273. وكذلك:

Bugnot (J.), De Verneuil: "Esquisses historiques sur la Mauritanie Césarienne et Iol-Caésarea (Cherchell)", Première Partie, R.AF., Vol.14, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1870, P.70.

Pline L'Ancien: Histoire naturelle, livre cinq (V.16), Texte français, édition d'Émile Littré, Dubochet, Paris, 1848-1850, URL: *http://remacle.org*.

4- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Études de lettres [En ligne], 1-2|2011, mis en ligne le 15 mai 2014, consulté le 21 juillet 2014. URL: *http://edl.revues.org/113;DOI:10.4000/edl.113*, Vu le: 25/0/2014, P.5, 4.

بني هذا المسرح بطريقة توحي إلى التأثر بتقنيات البناء اليونانية، وهو ما يدفع إلى تبني نظرية ستيفان قزال القائلة باعتماد يوبا الثاني على المدعو أنتيوس أمفيو في تشيّد مسرح قيصرية، ويبدو أنه أُسند إلى تلّ للاقتصاد في مصاريف البناء[1]، ويذكر أدلين بيشوت أنه بني على النموذج الإيطالي، مستوحى في عمارته عن مسرح بومبي في إيطاليا، وربما كان أكثر تأثرًا بمسرح مارسيلوس *Marcellus* الذي بني في عهد يوليوس قيصر *César* (101ق.م-44ق.م)[2]، كان قطر المسرح لا يتجاوز 33م، في حين كان يتألف من سبعة وعشرين مصطبة، مما يدفع إلى الاعتقاد أنه لم يكن بمقدوره استقبال أكثر من حوالي 3000 متفرج[3]، ويظهر الساكيلوم *Sacellum* فوق المدرج، ما يؤكد أن الإمبراطورية الرومانية قد استخدمت المسارح كأداة للدعاية بالإمبراطورية والتسلية ونشر ثقافتها.[4]

وقد أجريت عليه تعديلات في القرن الثاني أو الثالث الميلادي أمام ازدياد عدد القاطنين في المدينة، بهدف تحديد مكان لألعاب المصارعة *Gladiateurs*، التي كانت محبوبة لدى الجمهور المغاربي، وقد اجتهد المهندسون المعماريون على ما يبدو لإدخال التعديلات بغرض تهيئة المسرح، لذا فقد اختفى مكان العرض والأركسترا والجزء السفلي من المدرج، أمام الساحة *L'Arène* وصارت أبعادها تساوي (33 × 26 متر)[5]، وأصبح يستوعب حوالي 14400 متفرج أو ما بين حوالي 20 إلى 22 ألف متفرج.[6]

ومن خلال دراسة مسرح قيصرية، توصلت إلى أنه تقليد مباشر لنموذج المسرح الروماني، لأن الملك يوبا الثاني من الملوك أو الأمراء *les Princes Clients* الذين كانوا متأثرين بالثقافة اليونانية والرومانية، فكانوا يعملون على نشر تلك الثقافات في أوساط مجتمعهم، من خلال تقليد الحضارة الرومانية في عمارتها وثقافتها، كما يظهر لنا أن المسارح كانت لها أدوار دعائية.

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 257.

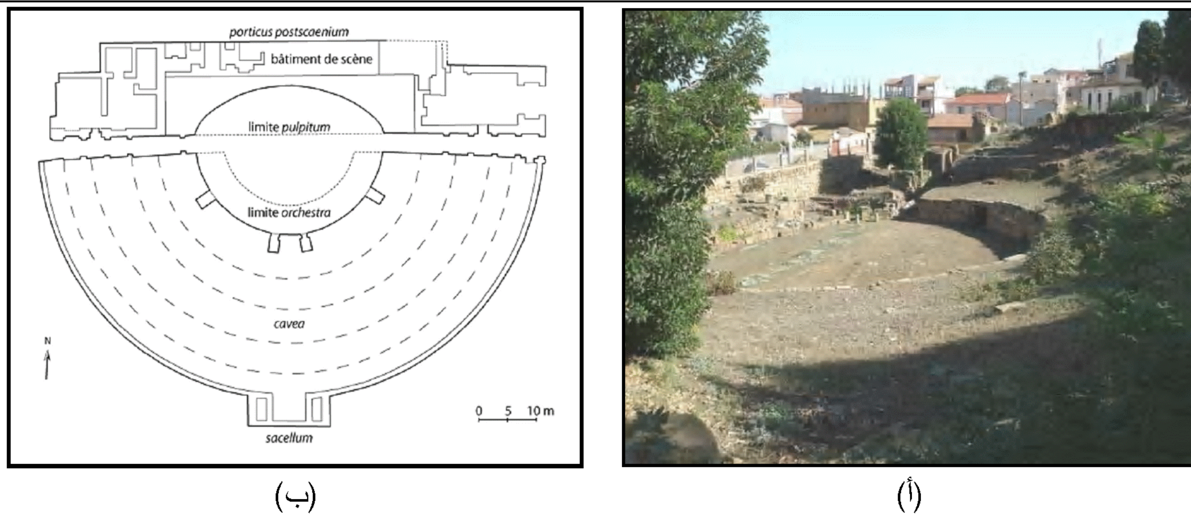
2- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.4.

3- Gsell (S.): Promenades archéologique aux environs d'Alger (Cherchel, Tipaza, Tombeau de la Chrétienne), Les belles Lettres, Paris, 1926, P.P.69-70.

4- Pichot (A.): "Amphithéâtres et cirques des Maurétanies romaines", Op.cit., P.262.

5- Ibid., P.262.

6- بلقاسم رحماني: مرجع سابق، ص 303. طامر أنوال: مرجع سابق، ص 100.



(أ) (ب)

الشكل رقم (07): مسرح قيصرية *Caesarea*، **نقلاً عن:**

(أ): الموسوعة الحرة ويكيبيديا، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2014/06/12م.

(ب): Pichot (A.): "Amphithéâtres et cirques des Maurétanies romaines", <u>L'Africa Romana</u>, Vol. Primo, Le ricchezze dell'Africa. Risorse, produzioni, scambi, 2008, URL: *http://www.sefarim.fr/hamore/pdf/Les_colonies_juives_dans_l'Afrique_romaine.axd?action*, Vu le: 09/07/2014, P.26.

7- مسرح تيبازة *Tipasa*: (أنظر الشكل رقم 08، ص 17) يعود تاريخ بناء هذا المسرح إلى أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي[1]، بعد أن أطلق الإمبراطور فسباسيان *Vespasien* (69-79م) لقب مستعمرة *Colonie* على مدينة تيبازة[2]، كان قطره 64 متر، يمكنه استيعاب حوالي 3500 متفرج؛ يتألف مخططه من العناصر الكلاسيكية للمسرح اللاتيني ذو التأثير الشرقي، إذ يبرز جدار خلف خشبة المسرح (البوستسكاينيوم *Postscaenium*) بالمقارنة مع الغرفتين الجانبيتين *Les Foyers*، مع وجود 15 تجويفًا على الجدار الفاصل بين الأركسترا والركح (البولبيتوم *Pulpitum*) وغياب السلم المؤدي إلى الأركسترا.[3]

وذكر أدلين بيشوت *Adeline Pichot* أن إيدمون فريزول *E. Frézouls* الذي أجرى مقارنة بين مخطط هذا المسرح مع ما ورد عند فيتروف *Vitruve* في كتابه: الهندسة المعمارية، فوجد أن الأركسترا ذات شكل نصف دائري وعرض الركح يتوافق مع ما ورد عند

1- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.8.
2- Pline L'Ancien: Op.cit., livre cinq (Vol.16).
3- Pichot (A.): "Amphithéâtres et cirques des Maurétanies romaines", Op.cit., P.P.264-265.

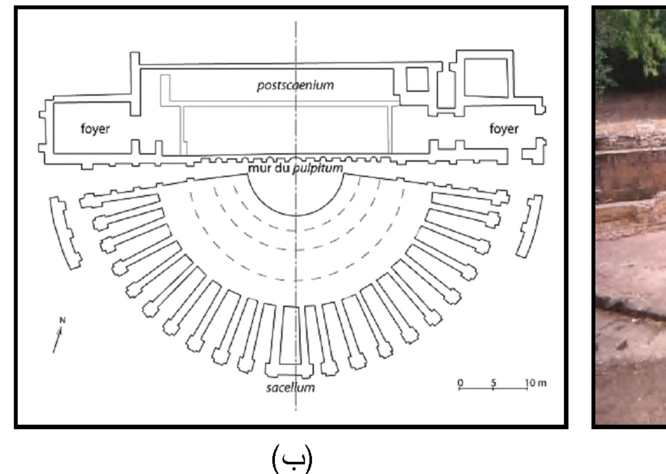
فيتروف، غير أن المنصة تمتد على حساب جدارها بعرض 6,30 متر[1]، كما أن عملية توسيع هذه الخشبة موافق لاستخداماتها، لأن العروض لا تُجرى على الأركسترا.

والظاهر أن أهالي تيبازة خالفوا التقنيات الهندسية اليونانية في تشييد المسارح، وحذوا حذوا سكان مادوروس وصبراتة من حيت اعتمادهم على البناء في الأراضي السهلية.[2]

ويعد هذا المسرح من ضمن الأعمال العمرانية التي عرفتها مدينة تيبازة خلال الحقبة الرومانية، إلا أنه قد تضرر كثيرًا عام 1847م بعد أن أزيلت منه معظم المدرجات التي كانت بقياس 58 متر وجدار الركح لبناء مستشفى[3]، مع بدايات الاحتلال الفرنسي للجزائر.



(أ)



(ب)

الشكل رقم (08): مسرح تيبازة *Tipasa*، **نقلا عن:**

(أ): الموسوعة الحرة ويكيبيديا، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2014/06/12م.

(ب): Pichot (A.): "Amphithéâtres et cirques des Maurétanies romaines", Op.cit., P.264.

8- مسرح قالمة *Guelma* (كالاما *Calama*): (أنظر الشكل رقم 09، ص 18) وهو بقطر 58,05 متر، وقد تم حفر منحدر للحصول على هذا البناء وهو متجه جهة الشمال، وبني بواسطة حجارة صغيرة مرصوفة ومرتبة، واستخدمت كمية قليلة من الحجارة الكبيرة التي في زوايا الجدران أو عند الأبواب، ويتخذ شكل نصف دائرة، ويحتوي على منصات في الأركسترا خصصت لجلوس الأعيان وكبار موظفي الدولة، ومدرجات علوية مخصصة لعامة

1- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.8. Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.199.

2- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 258.

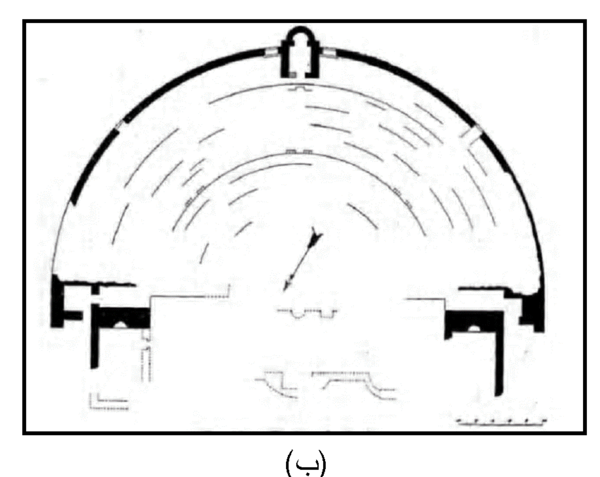
3- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.8.

الشعب، بالإضافة إلى منصة واسعة يعتقد أنها كانت مخصصة للمصارعة مع الحيوانات المفترسة، وتتسع مدرجاته لأكثر من حوالي 5000 متفرج.[1]

ويذكر ستيفان ڤزال *Stephan Gsell* بأن بناء المسرح تم بفضل تبرع امرأة رومانية تسمى "أنّيا أيليا ريستيتوتا *Annia Aelia Restituta*"، إذ تبرعت بـ 400.000 سيسترس *Sesterces*[*]، وعرفاناً بجميل هذه المرأة شيّد المجلس البلدي للمدينة لها خمسة تماثيل، وكانت هذه المرأة الرومانية كاهنة للأوغسطسين *flam(inica)) deux Augustes* (*Augg.*)، وهذين الأوغسطسين ربما هما ماركوس أوريليوس *Marc-Aurèle* ولوكيوس فيروس *Lucius Verus*، أو سبتيموس سيفيروس *Septime Sévère* (193-211م) وكاركالا *Caracalla* (211-218م)، ومن هنا فإن المبنى يعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني أو السنوات الأولى للقرن الثالث.[2]



(أ)



(ب)

الشكل رقم (09): مسرح ڤالمة *Guelma*، نقلاً عن:

(أ): الموسوعة الحرة ويكيبيديا، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2014/06/12م.

(ب): Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, Op.cit., P.195.

يعد مسرح ڤالمة تحفة فنية معمارية ممتازة، وهو أصغر من مسرح فيليب فيل (سكيكدة)؛ إذ لا يزال محافظاً على شكله بفضل أشغال الترميم التي عرفها لأكثر من مرة.[3]

أستنتج من خلال دراسة هذه النماذج من المسارح، أنه حدث تغيير في تقنيات البناء، إذ أستعملت التقنية الأفريقية في ذلك، المعتمدة على الأحجار الصغير للبناء بينما الأحجار

1- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.P.194-196.

*- ما يعادل 107.000 فرنك فرنسي زمن ستيفان ڤزال. Ibid., P.196

2- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.196. Roman (D.), Roman (Y.), Op.cit., P.P.280-285.

3- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.P.194-196.

الكبيرة استعملت كدعامات للمنشأة، وقد ساهم المستوطنين الرومان في تشييد هذه المسارح، وما "أنّيا أيليا ريستيتوتا" إلا نموذجًا عن هؤلاء، وسواءٌ كانت من المستوطنين الرومان أو من الأهالي المترومنين فقد ساهموا في نشر الثقافة الرومانية أو توفير الوسائل التي تسهل انتشار وترسيخ الحضارة الرومانية.

9- مسرح روسيكاد *Rusicade*: الذي كان من أهم مسارح بلاد المغرب القديم وأجملها، ولا تزال بقاياه في فناء مدرسة النهضة الثانوية تدلّ على فخامته، بني على منحدر مواجه لجهة الشمال الشرقي، وكان على غرار المسارح الأخرى يتكون من الشرفات بقياس 914م، والردهة بقياس 611م والمدرجات بقياس 51,215م، أما خشبة المسرح فكانت بقياس 2,160م. كان يتسع لحوالي 3300 متفرج وهو عدد مناسب لحجم المدينة وحاجياتها الترفيهية.[1]

وقدمت لنا الكتابات الأثرية معلومات عن تزيينه بالتماثيل والزخارف، منها: أن أحد الأشخاص يسمى أيميليوس بالاتور *Aemilius Ballator* من أعيان المدينة، ساهم بعشرة آلاف ستسرس لتزيين المسرح، كما أقام على نفقته نُصْبَين الأول للجن حامي الأنّونة لمدينة روسيكاد والثاني للجن حامي المستعمرة، وقد أنفق بسخاء على تنظيم الألعاب المسرحية، وخلالها وزّع الهدايا ونثر النقود على الشعب.

بالإضافة إلى شخصية كيرتية وهي: فابيوس فرونطون *Fabius Fronton* من عائلة فرونطون الكيرتية المرموقة، عبر عن حبه للمدينة بتنظيم ألعاب مسرحية أزيح فيها الستار على اللوحة التذكارية لتمثال الإمبراطور ألكسندر سيفيروس.[2]

هذه دراسة لبعض المسارح الرومانية في بلاد المغرب القديم، إضافة إلى مسارح أخرى أشارت إليها المصادر الأدبية والنقوش اللاتينية والتي اختفت مظاهرها الصخرية أثريًا[3]، مثل: مسرح تيفست (تبسة) الذي شيّد في عهد الإمبراطور فسباسيان *Vespasien*، الذي كان يتسع لحوالي 8000 متفرج[4]، ومسرح مدينة هيبون *Hippone* المشيد في القرن

1- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، تحت إشراف الدكتور محمد غانم الصغير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005م، ص.ص 239-240.
2- المرجع نفسه، الصفحات نفسها.
3- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 258.
4- Picard (G.CH.), Baillon (M.): Op.cit., P.19.

الأول للميلاد على منوال مسرح آثينا، والذي طالما حاربه سانت أوغسطين(*) أسقف المدينة (395-430م)، كان يضم ما بين حوالي 5000 إلى 6000 مقعد، واكتشفت لوحة من المرمر تشير على ما يبدو إلى اسم مسرحية عرضت على خشبة هذا المسرح كتب عليها باللغة اللاتينية: (*em maritum*...)، لعل الأحرف الأولى حذفت من كلمة (*infelicem*) لتصبح الجملة عنوانًا لمسرحية كوميدية بعنوان: "الزوج المخدوع *infelicem maritum*"[1]، ومسرح كيرتا الذي لم يبق منه شيئًا إلا ما أشارت إليه بعض الكتب، مثل الإدريسي الذي أشار إلى وجود مسرح في مدينة كيرتا (قسنطينة)، وقد تم اكتشاف بعض البقايا الأثرية التي تدل على ذلك[2]، فقد أشار نص نقوشي إلى أن أوفيديوس ماكسيموس أصيل كيرتا وتريبون عسكري للفرقة السادسة "فولميناتا *La III^{ème} Fulminata*" أقام على نفقته رواقًا ذا كوى *Corniche* مخصصة للتماثل بجوار المسرح، وتذكر النصوص الأثرية الكيرتية مرارًا عن تنظيم ألعاب مسرحية في مناسبات عديدة أهمها مناسبات إهداء النصب والتماثيل المقامة إجلالاً للآلهة وأخرى احتفاءً بالشخصيات النافذة مدنية ودينية.[3]

كما يمكن القول أن العديد من مسارح بلاد المغرب القديم كانت قد بنيت من الخشب، وكان من الطبيعي أن تتمحي من الوجود[4]، ومنها من امتدت إليها يد النهب والتدمير.

لقد انتشرت المسارح في المدن المغاربية (أنظر الخريطة رقم 01، ص 24) مثل: مدن مادوروس وقرطاجة ولبتيس ماقنا وكويكول وقيصرية وطنجة وليكسوس وثاموقادي وغيرها، وما ذلك إلا دليل على وجود الإنتاج المسرحي والجمهور المولع بالعروض المسرحية والموسيقى، خاصة وأن الإمبراطورية الرومانية كان لها اهتمام واسع بالمسرح أينما حلت[5]، فكان وسيلة من أساليب الدعاية الفعالة للإمبراطورية، سواءٌ من خلال هندسته المعمارية ذات النموذج الروماني وقد يكون إغريقي في بعض الأحيان حسب ما اقتضت إليه الضرورة أو

*- **القديس أوغسطين *Saint Augustin*:** أحد كبار رجال الدين في الكنيسة اللاتينية ومن أبرز مفكريها. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج1، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، (د.ت)، ص 406. أنظر الفصل الثالث.

1- طامر أنوال: مرجع سابق، ص 103.

2- Voir: Vars (CH.): CIRTA, ses monuments, son administration, ses magistrats, Editeur Adolphe Braham, Imprimeur, Constantine, 1895, P.41-42. Bouchareb (A.), Op.cit., P.P.330, 332.

3- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 217.

4- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.P.200-201.

5- نور الدين عمرون: "المسار المسرحي في الجزائر إلى سنة 2000م"، الرابط: *http://al-hakawati.net/arabic/music_art/stage1.pdf*، تاريخ التحميل: 2014/03/12م، ص 11.

من ناحية العروض المقدمة عليه[1]، وكانت هندسته المعمارية تعكس قوة الإمبراطورية الرومانية وقدرتها البنائية، فاختيرت لها مواقع محددة ومهمة في المدينة، وذلك ما قد يظهره كجزء مهم في تكوين تلك المدينة الكلي، فتظهر أهمية هذه الأبنية بالمقارنة مع باقي الأبنية الأخرى.

وصرح القديس سانت أوغسطين أن المسرحيات التي عرضت كانت هلينية ورومانية، رغم وجود الرواية الخطابية لأبوليوس المادوري الكاتب الروائي الشهير، صاحب الرواية الفلسفية الخالدة "الحمار الذهبي"، الذي ألقى بعض خطاباته في بعض هذه المسارح[2]، إضافة إلى العالم فرونطون الكيرتي الذي نال شهرة كبيرة وذاع صيته في ميدان الأدب.[3]

وتكلمت الدراسات الدينية عند أوغسطين وبعض المخطوطات لمؤرخين شاهدة على أن المسرحيات التربوية أو التعبيئية لفلسفة الإمبراطورية الرومانية عرضت في مناطق عدة من المدن المغاربية، خاصة تلك المسرحيات التي اعتُمدت كمنهج تربوي سلوكي للفرد المغاربي وللجندي الروماني، مثل مسرحية أولولاريا *Aulularia* (جرة الذهب) ويوكليو وأهمها مسرحية "ميليس ڤلوريسوس" لمؤلفها بلاوتوس (254–184ق.م)، وهي مسرحية هزلية تدور أحداثها، حول الجندي بيرڤوبولينيس الغبي الذي بسلوكه وأفعاله تحول إلى ذيل.[4]

كما عُرِضَت مسرحيات "تيرنس"، كمسرحية "فورميون" التي مُثلت سنة 161ق.م و"الأخوان" تم تمثيلها سنة 160ق.م، وهذه الأخيرة التي تتمتع باهتمام خاص كمنهجية تهذيبية سلوكية لتربية الأطفال، وتروي هذه المسرحية أن أب اسمه "ديميا *Déméa*" له طفلان اسمَاهُما "كتسيفون *Ctésiphon*" و"أسخينوس *Eschine*"، حيث نشأ الأول في البادية مع أبيه "ديميا" في محيطها الخشن والقاسي والقمع والعنف أحيانًا.

أما الثاني فقد نشأ في المدينة مع عمه "مڤيون" المتمدن والمتحضر الليّن المتساهل، يحب الأول عازفة قيثارة *Joueuse de lyre* يختطفها الأخ الثاني لحسابه من تاجر جَوَار اسمه "صنّيون"، علمًا أنه كان يحب فتاة فقيرة حرة من أثينا واغتصبها ووعدها بالزواج، وغضب الأب من سلوك ابنه "أسخينوس"، الذي تزوج في الأخير من الفتاة، بينما تزوج أخوه

1- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.4.
2- Cretot (M.), Op.cit.
3- نور الدين عمرون: مرجع سابق، ص 13.
4- المرجع نفسه، ص 12.

"كتسيفون" من العازفة[1]، ويؤكد "تيرنس" أن العطف والتفاهم والحب والحوار والتسامح خير تربية للأطفال، وعندما تظهر القسوة والعنف والعدوان سوف يخرج الأبناء على طاعة الأب وينقلبون عليه.[2]

إضافة إلى مسرحيات "سينيكا *Seneca*"، أستاذ ومربي الإمبراطور الروماني "نيرون *Néron* (54-68م)"[3]، التي تضمنت القوة والمتعة، ومن مسرحياته: فيدرا، أجاممنون، ميديا، وكان هذا المؤلف متأثرًا بالمسرح اليوناني الذي كان مصدر إلهامه وخياله، وقدم الكثير من الموضوعات والمعطيات الرومانية، وكان يمتاز بقوة الأسلوب الدرامي وما يتخلله من كلمات وعبارات ومهارة الخيال في مؤلفاته.[4]

وهكذا كانت بلاد المغرب القديم كغيرها من مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، قد شهدت انتشارًا واسعًا للمسارح، التي احتضنت ركوحها مسرحيات، تعود لمؤلفين رومان أو ذوي ثقافة لاتينية أمثال: "بلاوتوس" وتيرنس" و"إينيوس" و"باكيفيوس" وغيرهم، وإن تلك المسارح والمسرحيات كانت تهدف إلى نشر الثقافة الرومانية في أوساط المجتمع المغاربي، سواء من ناحية طبيعة العمارة الهندسية لتلك البنايات، التي اعتمدت على الأبهة والزخرفة البديعة، كأسلوب للجذب والتأثير في نفوس المغاربة، كي يحسوا بعظمة الإمبراطورية الرومانية، أو كوسيلة ثقافية للمحتلين الرومان وجزءًا من حياتهم الثقافية.

ويمكنني القول أن العروض المسرحية التي عُرِضَت على منصات تلك المسارح، كانت تعود بالدرجة الأولى لمؤلفين وأدباء رومان أو ذوي ثقافة لاتينية، من المندمجين والمتبنين لثقافة الرومان، حتى تنجح الإمبراطورية الرومانية في تحقيق مشروعها الثقافي (الرومنة)، المتمثل في نشر ثقافتها في الوسط الاجتماعي المغاربي، وتكوين أفراد تتولد لديهم شيئًا فشيئًا قابلية الارتماء في أحضان الحضارة الرومانية المحتلة لبلادهم وهذه جزء من سياستهم الثقافية، ولعل مسرحية تيرنس السالفة الذكر تلمح إلى تفسير آخر، والمتمثل في أن الفرد الذي يعيش في المدينة في ظل أحضان الحضارة الرومانية وثقافتها، يكون ذو سلوك وطباع الإنسان المتمدن والمتحضر وصفات اللين وحسن الخلق، وكأن المسرحية

1- ترنس الإفريقي: الأعمال المسرحية الكاملة لترنس الإفريقي، ج6، الأخوان، تر.: عمار الجلاصي، أعده للنشر موحند أومادي، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، 2001م، ص.ص 6، 8. أنظر كذلك: Terence: Œuvres complètes, Les Adelphes, trad.: Henri Clouard-Garnier, édition d'Émile Littré, URl: *http://remacle.org*.

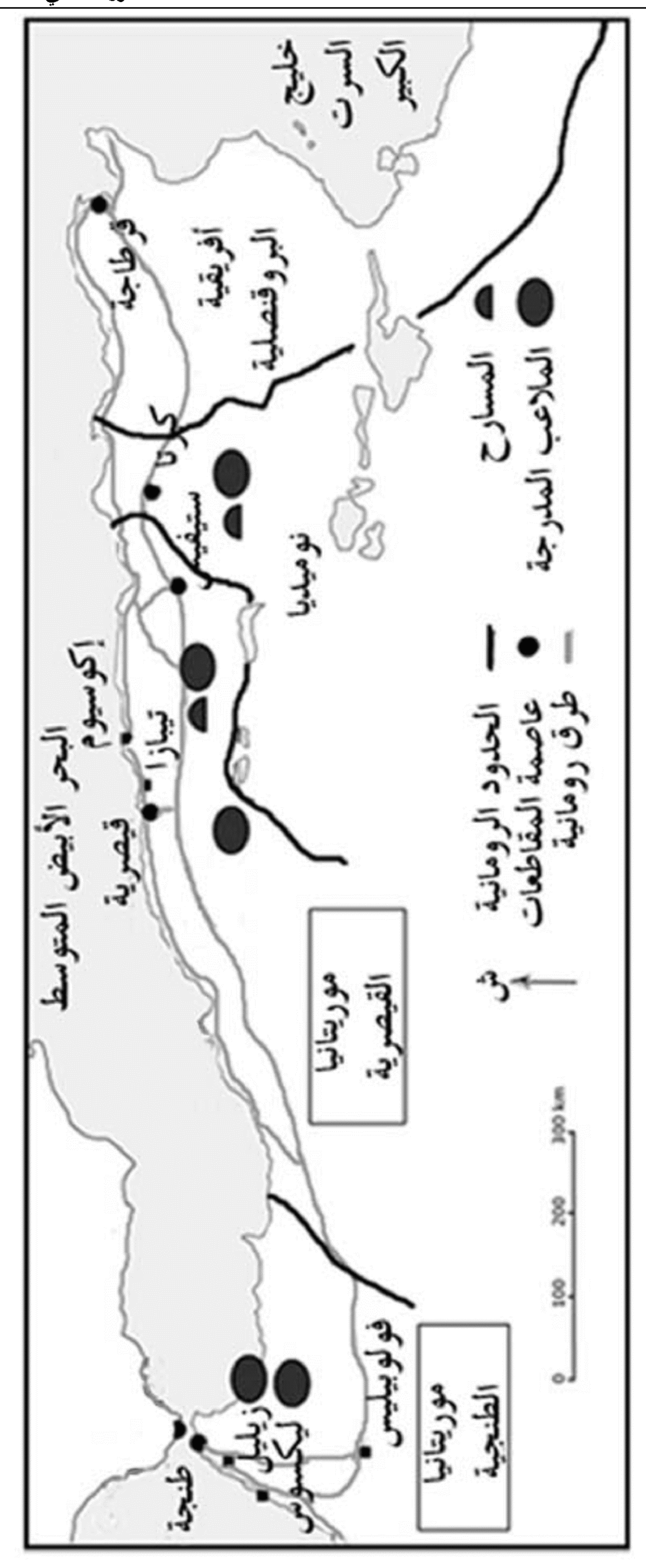
2- نور الدين عمرون: مرجع سابق، ص 11.

3- عمر الدسوقي: مرجع سابق، ص 10. Roman (D.), Roman (Y.), Op.cit., P.222.

4- نور الدين عمرون: مرجع سابق، ص 12.

تحمل رسالة إلى أفراد المجتمع المدني والريفي تدعوهم إلى الارتماء في أحضان الحضارة الرومانية من أجل حياة أفضل.

كما أشير إلى أن الحضارة الرومانية قد أدخلت ظاهرة الطبقية الاجتماعية إلى المجتمع المغاربي، وذلك ما أستنتجه من خلال وضعية جلوس الجمهور في المسارح، حيث كانت منصات الأركسترا مخصصة لوجهاء وأعيان المدينة، بينما يجلس العامة في المدرجات الأعلى، كما ربط الرومان معبوداتهم بالبنايات المسرحية كنوع من الدعاية لمعتقداتهم، كما نلاحظ الأعداد التي ترتاد المسارح تشير إلى أن المغاربة كانوا إما من الذين تقبلوا مظاهر الثقافة الرومانية أو أنه كانت تستهويهم عروضها المسرحية.



الخريطة رقم (01): خريطة بلاد المغرب القديم توضح توزيع بعض المسارح والملاعب المدرجة (تعريب وتصرف الطالب). **نقلا عن:**

- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.2.

المطلب الثاني: العروض المسرحية

لقد كان المشاهدون يرتادون المسارح في العهد الإمبراطوري دون الحاجة إلى تسديد حقوق الدخول، لأن الدولة هي التي كانت تتحمل مصاريف إقامة الألعاب، فكانت تعمد إلى تعيين قيم (*Aedies*) يتحمل نفقات الاحتفال، في حين كان على الشخص الذي كان يترأس الألعاب (*Dator ludi*) استخدام رئيس فرقة مسرحية (*Dominus gregis*)، وعادة ما كان يقوم هذا الأخير بشراء حقوق التأليف من أحد كتاب المسرحية.

وإذا ما وضعنا في الاعتبار النقوش اللاتينية الكثيرة التي تزخر بها بلاد المغرب، التي تشير إلى إحياء فعاليات المسرح في مختلف مدن وبلدات مقاطعات المغرب القديم، التي كان ينظمها أعيان ووجهاء القبائل، فإنه باستطاعتنا أن نجعل من هذه الألعاب العروض الأكثر رواجًا في بلاد المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني.(1)

وتشير أحد النقوش التي تعود إلى النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد (139-161م)، إقبال أحد أعيان قبيلة ببيريا *Papiria* المدعو ماركوس فانيوس فيتاليس *M.Fannius vitalis* ابن ماركوس *Marcus*، على وهب مواطني ثوبوربو الكبرى *Thuburbo Majus*(*)، يوماً من الألعاب المسرحية ووجبة غداء نظير انتخابه كاهنًا للإمبراطور المؤله.(2)

ويشيد نقش مدينة تبسة بتنظيم عضو المجلس البلدي (*Duumvir*) المعروف باسم كورنيليوس سابينوس سلفيانوس *C. Sabinus Salvianus*، ألعاب المسرح بتموين مالي من أبيه المدعو سلفيانوس، بينما وهب في عيد ميلاده كافة مواطني المدينة وجبة غداء ومكيال من ماله الخاص. ويفيدنا نقش كيرتا العائد إلى زمن الإمبراطور كمودوس بمعلومات عن وهب المدعو ماركوس روكيوس فليكس *M. Roccius Felix* مواطني المدينة هدايا ودينار واحد لكل فرد بالإضافة إلى عروض المسرح، احتفالاً بإقامة تمثال كان قد نذره إلى مواطني المدينة نظير تزكيتهم لتولي منصب المسؤولية في تمثيل الحكم الثلاثي (*Triumvirat*)(3). ونقش أخر يعود إلى عام 198م، يشير إلى تنظيم أحد الأعيان وهو كايوس سيتيوس

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 167-177.
*- تقع جنوب قرطاجة بنحو 65 كلم. المرجع نفسه، ص 177.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- المرجع نفسه، ص 178.

فلافيانوس *C. Sittius Flavianus* ابن كوينتوس *Quintus* من قبيلة كرينا عروض مسرحية جراء توليه نفس المسؤولية، مع دفعه كهبة 40.000 سيسترس للخزينة العمومية.[1]

كما احتفظت لنا اللوحات الفسيفسائية والرسومات المنجزة على جدران بيوت الأثرياء المكتشفة في المقاطعات المغاربية بمشاهد ألعاب المسرح، منها رسم أنجز بألوان زاهية محفوظ بمتحف مدينة صبراتة بليبيا، اكتشف في بيت أحد الأثرياء، يمثل ممثل تراجيدي عاري وعلى رأسه شعر مستعار، ويصور رجل يقدم طبقًا إلى وحش أسطوري مجنح، في حين يلاحظ خلف الرجل صورة الإله ديونيسوس تعلوه أوراق العنب (أنظر الشكل رقم 10، ص 26).

كانت تستعمل في العروض المسرحية الكثير من الأقنعة (أنظر الشكل رقم 11، ص 27)، فقد تم اكتشاف فسيفساء تعود إلى العهد الإمبراطوري، منها لوحة فسيفساء من مدينة سوسة في تونس إلى التعرف على ممثل تراجيدي وآخر هزلي يبدو أنهما ينتميان إلى نفس الفرقة المسرحية (أنظر الشكل رقم 12، ص 27).[2]

وهناك لوحة أخرى مكتشفة بنفس المدينة، توضح مشهد مسرحي يبين إقدام سيّد على معاقبة عبده، ويظهر لنا المشهد طلب العبد العفو من سيّده برفع إحدى يديه وانحنائه أمامه، كما يلاحظ وجود شخص مجهول يحمل قناعًا أحمر، وهو يحاول تهدئته (أنظر الشكل رقم 13، ص 27).[3]



الشكل (10): ممثل مسرحي تراجيدي، متحف صبراتة (ليبيا)، **نقلاً:**
- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 179.

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 178.
2- المرجع نفسه، ص 181.
3- المرجع نفسه، ص 186.



الشكل رقم (11): فسيفساء لثلاث أقنعة لشخصيات هزلية (امرأة بدينة ورجل فاتح فمه ويتوسطهما عجوز)، منتصف القرن 3م، **نقلاً عن:**

(أ)، (ب): متحف سوسة، الرابط السابق، تاريخ التحميل: 2015/08/25م.



الشكل رقم (12): نموذج عرض مسرحي، فسيفساء ذات زخرفة هندسية دائرية متعددة الألوان توهم بالدوران تجسد مشهد مسرحي فيه شاعر جالس وبيده اليسرى ورق على يمينه قناع شخصية درامية وممثل يتكئ على عمود وبيده اليسرى قناع، منتصف القرن 3م، **نقلاً عن:**

(أ)، (ب): متحف سوسة، الرابط: *http://www.inp.rnrt.tn*، تاريخ التحميل: 2015/08/25م.



الشكل رقم (13): مشهد مسرحي على لوحة فسيفساء، سوسة (تونس)، **نقلاً عن:**

- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 185.

أما بالنسبة لطبيعة العروض المسرحية التي كانت تجرى على خشبات المسارح، فإنه يتوافد الجمهور إلى المسرح الذي يتكون من مدرجات للجلوس *Cavea*، ومنصة خاصة للتمثيل *Scène*، ومكان جلوس الشخصيات الرسمية المسمى بالأركسترا، وهو مغطى بغطاء الفيلاريوم *Velarium* لحماية الجمهور من أشعة الشمس[1] يوم الإعلان عن تنظيم الألعاب والتمثيليات المسرحية[2]، وقد كانت هناك فرق تمثيلية كثيرة كوميدية وتراجيدية، إما تروي روايات تاريخية للتذكير ببطولات الأمجاد، أو اجتماعية غرضها تربية المجتمع، أو كوميديا للترفيه عن النفس[3]، وكلها موجهة لخدمة ثقافة المستعمر.

وكانت تستعمل الأقنعة في التمثيل وهي متنوعة، وذلك حسب طبيعة العمل المسرحي، فقد كان القناع التراجيدي يجسد تقاسيم الألم والمعاناة وبفم شاغر، أما القناع الكوميدي فكان بتقاسيم منبسطة، وكانت هذه الأقنعة معروفة لأن الرومان قد أخذها عن اليونانيين فلم يجد المتفرج المغاربي صعوبة في التأقلم بالتدريج على هذا النوع من الإكسسوارات.[4]

وتتم الألعاب المسرحية، التي كثيرًا ما ذكرتها النصوص الأدبية، والتي كان الإنفاق عليها وتنظيمها مجالاً للتنافس بين أعضاء الهيئات البلدية للمدن المغاربية آنذاك؛ فيتوافد الناس إلى المسرح ويأخذون أماكنهم، ويُعلن مُنادُون عموميون *Héraults* عن بداية الألعاب العمومية، بإطلاق عبارات الفرح والإشادة بسخاء عضو المجلس البلدي (الأوردو *Ordo*)، الذي تبرع بنفقات من أجل تنظيم الألعاب[5]، وكانت العروض الافتتاحية تتم مع ألعاب حركية، مصحوبة بتوزيع النقود وتقديم وجبات طعام بمناسبة تنصيبه.[6]

تمتلئ سلالم مدرج المسرح بالجمهور، كلٌ يبحث عن مكان مناسب له، حسب تذكرة المسرح *Tessera Theatralis* التي يحملها؛ وهي عبارة عن قرص صغير نقش عليه رقم

1- Vars (CH.): CIRTA, Op.cit., P.365.

2- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008م، ص.ص 263-264.

3- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج4، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، 2010م، ص 322.

4- طامر أنوال: مرجع سابق، ص.ص 142- 143.

5- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص.ص 263-264.
Vars (CH.): CIRTA, Op.cit., P.365.

6- Cretot (M.): Op.cit.

مكان وصَف الجلوس *Cuneus*، وهناك شخص مكلف *Dissignator* يرشد كل من يصل إلى موقع جلوسه المطابق لرقم التذكرة المسجل على مدرجات الجلوس.[1]

تخصص المدرجات العليا لجلوس النساء وهن يرتدين لباسًا محتشمًا *Calyptra* يغطي أعلى الجسم، وفستانًا فضفاضاً *Palla* بأكمام تجعل اليد حرّة الحركة، وإذا كان الجو حار يستعملن المراوح *Flabella* المصنوعة من ورق اللوتس *Lotus* أو ريش الطاووس *Plumes de Paon*، أما الرجال فيجلسون في المدرجات السفلى وأغلبهم يرتدي التوجه *Toge* (الحلة الرومانية).[2]

أما أعضاء المجلس البلدي (الديكوريون *Décurion*)، فلهم مجلس خاص ما بين الخشبة والأركسترا، يتقدمهم أعضاء الهيئة التنفيذية وهم أعضاء الحكم الثلاثي *Illvirs* والإيديليّن *Deux Ediles* والكستور والكهنة وسامي شخصيات المدينة، ويتوسط هذا المجلس مُنظم الألعاب جالس على كرسي فخم مصنوع من العاج، وإلى جانبه رخامية نقش عليها بعناية النص المخلد لمساره المهني المشرف *Cursus Honorum*، والتي ستنصب في الساحة العمومية فيما بعد.[3]

ثم يسود فجأة هدوء تام ويبدأ بإزاحة الستار، ثم يدخل الممثلون على ثلاثة أبواب؛ إذ يدخل البطل من الباب الأوسط العالي قليلاً والمزخرف أكثر من البابين الآخرين ثم يلحقه باقي الممثلين الثانويين من البابين الآخرين، وتظهر لوحة رخامية *Album* مقابل الجمهور على الجهة اليمنى للبروسكنيوم *Proscenium*، منقوش عليها بحروف كبيرة، عنوان مسرحية من إحدى مسرحيات بلاوتوس *Plautus* وهي مسرحية الحبل *Le Câble*[4]، التي تعد من أحسن المسرحيات الكوميدية والأكثر متعة، يجري أحداثها على الساحل الصخري لقورينة *Cyrène* ببلاد المغرب القديم (بليبيا حاليًا)[5] بالقرب من معبد فينوس *Vénus*.[6]

يبدأ العرض المسرحي، حيث يستهل أركتوروس *Arcture* المسرحية بما يلي: "**أنا في مملكة الآلهة السماوية، أنا مواطنٌ وصديقٌ للذي يتحكم في حركة كل الأمم، في البحار**

1- Vars (CH.): CIRTA, Op.cit., P.365.
2- Ibid., P.365.
3- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 264.
4- Vars (CH.): CIRTA, Op.cit., P.366.
5- Plaute: Les comédies de Plaute, LE CÂBLE (RUDENS), CAB, T.II, trad. en française par E. Sommer, 1865, URL: *http://remacle.org*.
6- أحمد عتمان: مرجع سابق، ص 43.

والقارات، أنا كما ترون النجم الأبيض الساطع، بل مجموعة من النجوم التي تبزغ في وقتها...".[1]

ثم يبدأ العرض بدخول بطلة المسرحية وهي فتاة حسناء من الباب الأوسط، ترتدي فستانًا أنيقًا (البالا *Palla*)، وباكيةً لأن عجوزًا آثمًا قد أسرها وترثي مصيرها البائس بعبارات حزن مؤلم وببراءة، ثم يظهر مختطفها وهو عجوز شنيع يرتدي لباساً غاية في القذارة وعلى وجهه قناع بشع يثير اشمئزاز المتفرجين، ثم تنطلق مشاهد وتفاصيل المسرحية بفصولها الدرامية والكوميدية تتخللها مغامرات وفضائح يؤديها ذلك العجوز، وكيف انتقمت منه الطبيعة وهو في طريقه إلى صقلية لبيع أسيرته حيث تحاصره عاصفة هوجاء تحطم سفينته، فتتمكن الفتاة من الهرب وتلتقي بشيخ يحُنُو عليها، ويتبين أنه أبوها فيسود الرضا والفرح ويصفق الجمهور لذلك بحرارة.[2]

ويتخلل العرض المسرحي فاصل ترفيهي فيه مشاهد مضحكة قصيرة، تكون عبارة عن حركات إيمائية وأقنعة مكشرة وتهريج وغيرها، ما يجعل الجمهور في حالة انشراح، ثم يسدل الستار ليتم التحضير لعرض آخر ومع ممثلين آخرين، والمشاهدين في غاية الترقب والانتظار لمتابعة العروض الجديدة.

فجأة يرفع الستار ويظهر ممثلون وهم يلبسون لباسًا فضفاضًا من أجود الأقمشة الشرقية، ثم تندفع فتاة جميلة إلى وسط منصة المسرح وهي مرتدية لباسًا شفافًا ينزل على تفاصيل جسمها بشكل مثير، هذه الفتاة هي أشهر غانية *Diva* جلبتها المدينة من روما وسرعان ما تلحقها مجموعة من الفتيات بنفس اللباس، وهذه حفلة غناء راقص على أنغام عذبة ترسلها فرقة موسيقية تتخذ مكانًا لها في الجزء الخلفي من خشبة المسرح، ومع الأنغام الموسيقية يظهر صف من الراقصات وهن يتمايلن ويتفاعل معهن الجمهور، هنا يقوم منظم الألعاب بنثر النقود على جمهور الشعب *Missilia*، ويدعو أعضاء المجلس البلدي *Décurion* إلى وليمة في قاعة الإيبولوم *Epulum* بعد نهاية العرض.[3]

استخلصت من هذا أن المسرح والعروض المسرحية تحمل نوع من الدعاية الإعلامية للتأثير في المجتمع، من خلال إبراز بعض مظاهر الثقافة الرومانية على خشبات

1- Plaute: Op.cit., T.II.

2- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص.ص 265-266.

3- المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

المسارح وتفاعل الجمهور معها، ويلاحظ من خلال النص المذكور آنفًا استحضار المعتقد الروماني وتعظيم الآلهة الرومانية.

المبحث الثاني: منشآت الرياضة والألعاب

عند التفكير في الرياضة والألعاب الرومانية يتبادر إلى الذهن المصارعة الوحشية بين السجناء والعبيد والحيوانات في مدرجات الألعاب، وسباق العربات في السيرك، والتي كانت تمثل للرومان نوع من التدريب الجيد للأمة من المحاربين، وقد تركت الحضارة الرومانية في البلاد المغاربية الكثير من الآثار المخصصة لتلك الألعاب، وتعتبر سلاحًا فعالاً لنشر الثقافة الرومانية في بلاد المغرب القديم[1]، كانت منتشرة في المدن الثرية كقيصرية ولبتيس ماقنا، والمدن المتجاورة تتفق فيما بينهما فتوزع المرافق الترفيهية فيما بينها من أجل التقليل من الأعباء المادية حيث تنجز مدينة مسرحًا وأخرى مدرجًا، لذلك شيدت تيمقاد مسرحًا ولمباز مدرجًا، كما نجد مدرجًا في ثيسدروس ولا نجد مسرحًا، ونجد مسرحًا في دوقة ولا نجد مدرجًا[2]، ففيما تتمثل هذه المنشآت وما أثرها على الحياة الاجتماعية المغاربية؟.

المطلب الأول: الملاعب المدرجة وميادين سباق العربات

سأتناول في هذا المطلب الملاعب المدرجة وميادين سباق العربات (السيرك) في بلاد المغرب القديم.

1- الملاعب المدرجة *Les Amphithéâtres*:

وهو نمط معماري جديد ازدهر مع نهاية العهد الجمهوري وخلال العهد الإمبراطوري، مثلته تلك المباني المعروفة بالمدرجات، التي احتضنت فعاليات المصارعة ومواجهة الحيوانات، وأقل ما يقال عن هذا النمط المعماري أنه إبداع روماني، جاء نتيجة التكيف الضروري ووفقًا للتقاليد القومية التي ما فتأت تساير عادات المجتمع الروماني على الرغم من بعض التأثيرات اليونانية عليها.[3]

مصطلح أمفثياتر *Amphithéâtre* مشتق من الكلمة اليونانية *Amphitheatron* وكلمة *Amphi* تعني بالإنقليزية *Around* أي من الجانبين، وكلمة *Theatron* تعني مكان

1- Pichot (A.): "Jeux et spectacles en Afrique romaine", archéologie provinciale, URL: *http://wp.unil.ch/chronozones/files/2013/07/pichot2005.pdf*, Vue le: 09/07/2014.

2- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، (د.ت)، ص.ص 216-217. شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 219.

3- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 209.

العرض[1]، وهي عبارة عن مبنى ضخم يتكون من قاعدة بيضاوية الشكل وقمة مخروطية، وله جداران داخلي وخارجي يبعدان عن بعضهما بحوالي 4,30 متر.[2]

وهو كذلك عبارة مبنى ضخم ذو شكل إهليليجي تحتل دكانه كامل محيط الدائرة، وفي الوسط يكون الميدان، وهو معد للمصارعة والملاكمة، والعراك بين المصارعين والحيوانات الضارية ويحيط بالميدان جدار قصير يفصل بينه وبين المتفرجين ويعرف بالحاجز *Podium*.[3]

شيدت الملاعب المدرجة في القرن الأول قبل الميلاد من الخشب، وتم تصميمها بواسطة أعمدة دورية واثنين من المسارح بمعني مسرح مزدوج، وتقع في كل ركن من أركان الإمبراطورية.

والمدرجات نوع من العمارة التي شاعت في عهد الإمبراطورية الرومانية، لأن الرومان كان شعبًا دمويًا يركز على فكرة روما العظيمة وشعب محارب، يرى متعة في مشاهدة المباريات الدامية المعروفة بألعاب المصارعة *Gladiateurs*[*]، ويعتبرها نوعًا من التسلية والترفيه، ومثل هذه المباريات الدامية كانت معروفة لدى الأثروريين وأهالي كامبانيا القاطنين في الجنوب الإيطالي من غير اليونانيين قبل روما، وأجريت تلك المباريات في ساحات الفوروم بدون ترتيبات لجلوس الناس، حتى إن فتروفيوس لم تكن ألعاب المصارعة معروفة في عهده، فنصح المهندسين بأن يدخلوا في تقديراتهم مثل هذه المباريات الدامية قبل تصميم الفوروم للمدينة الرومانية.[4]

ظهرت ألعاب المصارعة مع نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس قبل الميلاد، وكانت تقام فوق قبور الموتى من وجهاء كمبانيا (جنوب إيطاليا)، قبل أن تنتقل إلى باقي المدن الإيطالية، ثم تطورت وأصبحت تقام في فوروم المدينة، وتعود ألعاب المصارعة الأولى إلى عام 264ق.م في روما، حين أقدم ابني أحد الوجهاء وهو برتوس بيره *Brutus*

1- محمود عبد الرازق مسعد: "الأمفثياتر *Amphithéâtre*"، مجلة الآثار الإلكترونية، الرابط: *http://archaeologic.net/cmds.php?action=newsopen&id=3879*، تاريخ النشر: 2012/10/09م، تاريخ الإطلاع: 2014/07/09م.

2- بلقاسم رحماني: مرجع سابق، ص.ص 303- 304.

3- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 216.

*- **ألعاب المصارعة *Gladiateurs***: كانت منتشرة عند شعب السامنيت *Samnium*، وهو شعب إيطالي قديم انتشر جنوب إيطاليا في كامبانيا وبوليا العليا ومول‍يزي وأبروتسو السفلى وبازيليكاتا العليا، أدخل هذه المصارعة إلى روما في 264ق.م وتم التخلي عنها في 404م، كان الذين يشاركون في هذه اللعاب من العبيد والمحكوم عليهم كالمسيحيين. Dominique et Michel Frémy: Quid 2001 (tout sur tout et un peu plus que tout), éd. Robert Laffont, France, P.1118.

4- محمود عبد الرازق مسعد: مرجع سابق.

Pera (كان قد توفي في فترة سابقة)، على تكريم ذكرى والديهما بتنظيم ألعاب المصارعة التي جمعوا لها مجموعة من أسرى الحرب البونية الأولى، ثم جعلوهم يتصارعون في فوروم المدينة، وقد استمرت هذه العادة الدينية في تكريم موتى طبقة الأرستقراطيين الرومان، على ما يذكر تيتوس ليفيوس، طوال القرون الثلاثة قبل الميلاد، وقد دفعت هذه الألعاب بالساسة الرومان إلى التفكير في إيجاد مباني خاصة بذلك.[1]

لذلك فقد كانت الساحات العمومية تستقبل هذا النوع من عروض المصارعة، فقد كانت تُركب حول الساحة مقاعد خشبية لتمكين المشاهدين من تتبع فعليات الاحتفال، فإنها سرعان ما يتم تفكيكها بمجرد انتهاء العروض، ويعود الفضل في إنشاء أول المقاعد الخشبية في روما إلى المحاسبماينيوس *C. Maenius* الذي ركب تلك المقاعد حول الفوروم الروماني سنة 339ق.م.

كانت أقدم الملاعب المدرجة من الخشب، كالذي بناه يوليوس قيصر في مدينة روما سنة 46ق.م والمعروف في النصوص القديمة بالملعب الصيديّ *Stade Cynégétique*[2]، ومن ثم تم بناء ملعب ستاتيلوس تاوروس *Statilus Taurus* 30ق.م في الكامبوس مارتيوس، وكان جزء منه من الحجر، وأشهرها مدرج الكولوسيوم *Colosseum* في روما[3]، بدأ بناؤه الإمبراطور فسباسيان من سلالة فلافيان في عام 72م وأنهى بناءه ابنه تيتوس عام 80م[4]، والمدرج يتسع لاستيعاب حوالي 50.000 متفرج وبه 80 مدخل وتمت حماية المتفرجين من المطر وأشعة الشمس بواسطة الأشرعة التي تسمى فيلاريوم *Velarium*.[5]

وإذا ما أردنا رسم خريطة انتشار المدرجات التي تم اكتشافها في بلاد المغرب القديم، فإننا سنجد أنفسنا أمام عدم تكافئها في المقاطعات المغاربية أثناء الاحتلال الروماني، حيث نجدها تكثر في مقاطعة البروقنصلية ونوميديا، وتتضاءل كلما اتجهنا نحو الغرب[6] (أنظر الخريطة رقم 01، ص 24).

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 210.
2- المرجع نفسه، ص 211.
3- محمود عبد الرازق مسعد: مرجع سابق.
4- Roman (D.), Roman (Y.): Op.cit., P.349.
5- محمود عبد الرازق مسعد: مرجع سابق.
6- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 216.

وعلى العموم لم تتوان المدن المغاربية عن تشيّد هذه الملاعب المدرجة وتنظيم المباريات بين المتصارعين[1]، ومع القرن الثالث للميلاد أصبحت تلك المدن قد تجهزت بعمارة الألعاب التي تعتبر من بين مميزات الثقافة الرومانية وذلك في محاولة من روما لتثبيت دعائم النظام البلدي[2]، وهي قليلة مقارنة بعدد المسارح منها: مدرج لمباز *Lambèse* ومدرج ثيسدروس *Thysdrus* وقيصرية *Caesarea* وتيبازة *Tipasa* وليكسوس *Lixus* وغيرها، وسنتناول بعض النماذج منها:

أولاً- مدرج ثيسدروس *Thysdrus*: (أنظر الشكل رقم 14، ص 35)، يقع قرب مدينة الجم الحديثة، لذلك سمي مدرج الجم *Amphithéâtre El Djem*، واسمه الروماني كولسيوم ثيسدروس *Colosseum Thysdrus*، كما سمي بقصر الكاهنة في بعض الكتابات الإسلامية.[3]

قبل أن ينقضي القرن الأول للميلاد، كانت مدينة ثيسدروس قد تجهزت بمدرج يعد من بين المدرجات العشر الأكبر في الإمبراطورية الرومانية، تشير الدراسات إلى أن تشييد المدرج يعود إلى عهد الإمبراطور ماركوس أنطونيوس ڤورديانوس الثالث الأفريقي في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد، ويدلنا بناءه في أرض سهلية[4] بفضل التطور الزراعي والإنتاج الغزير من زيت الزيتون[5]، وأصبح – منذ ذلك اليوم – يحتضن الألعاب والمهرجانات، تراوحت سعته بين حوالي 30 ألف و40 ألف متفرج، واحتوى على شرفات خصصت للشخصيات وكبار الموظفين وعائلاتهم، كما بُني فيه جدار يفصل بين المدرجات عن الحلبة لحماية المتفرجين من خطر الحيوانات المفترسة والمستعملة في مختلف الألعاب[6]، وهو على حالة جيدة تبلغ أبعاده الخارجية (148 × 122 متر)، وأبعاد حلبته (65 × 39 متر)، يقع تحت حلبته رِوَاقَان يصلهما الضوء من الفتحة الوسطى في الحلبة،

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 242. Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.201

2- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 217.

3- Tissot (Ch.): "Inscriptions de l'amphithéâtre d'El-Djem", R.AF., Vol. 1, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1856, P.17.

4- بلقاسم رحماني: مرجع سابق، ص.ص 303-304. رضا بن علال: رجع سابق، ص 230. Tissot (Ch.): "Inscriptions de l'amphithéâtre d'El-Djem", Op.cit., P.17

5- Hédi (S.): "Nouveaux témoignages sur la vie économique a Thysdrus", histoire et archéologie de l'Afrique du nord, II^{e} colloque international (Grenoble, 5-9 avril 1983), Congrès des sociétés savantes, 108^{è}, Grenoble, 1983, P.64.

6- بلقاسم رحماني: مرجع سابق، ص.ص 303- 304. رضا بن علال: مرجع سابق، ص 230.

إضافة إلى فتحتان من جانبي الحلبة لرفع الحيوانات الضارية والمصارعين وأسرى الحرب[1]، استعمل المعماريون صخور سهلة النحت، كانت متوفرة في محاجر قريبة من موقع البناء.[2]

وتدل ضخامة سعته على أنه أقيم ليباهي به هذا الإمبراطور الأفريقي أبناء المدينة، وسائر مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، وكذلك لتنظيم مهرجانات وألعاب يفد إليها كل أبناء بلاد المغرب القديم.[3]

وكانت تقام فيه ألعاب الفروسية والمصارعة، كسباق الخيل والعربات والقفز، ومصارعة الحيوانات، وكل فنون القتال وغيرها، حيث يفد إليها الجمهور أيام الأعياد والعطل لمشاهدتها، لما لها من تأثير، إذ تذكي الشجاعة في القلوب والقوة في النفوس.[4]


(أ)


(ب)

الشكل رقم (14): الملعب المدرج في ثيسدروس *Thysdrus*، **نقلاً عن:**

(أ)، (ب): Agence de mis en valeur du patrimoine et de promotion culturel, monument: Amphithéâtre d'El Jem, URL: *http://www.patrimoinedetunisie.com.tn*, Vue le: 12/06/2014

ولا يمكن للباحث أن يشير إلى مدرج ثيسدروس دون أن يجد نفسه مضطرًا إلى ذكر مميزات وخصائصه العامة؛ حيث يتشكل هذا المدرج من ثلاث طبقات من الأقواس منضدة بعضها فوق بعض، تلتصق بأنصاف أعمدة مستوحاة من طرائق معمارية متعددة، كان يحتوي على دهاليز وقاعات تحت الحلبة، استخدم البعض منها كأقفاص لإيواء الحيوانات المفترسة، وقد وضع القائمون على تسيير المدرج ممرين يربط كلاهما المدرج بالمحيط الخارجي للمبنى، استُخدمَا في إدخال الحيوانات إلى تلك القاعات التي كانت تنتشر تحت المبنى، وأقام المعماريون نظام صرف مياه الأمطار، التي كانت تتجمع في حلبة المدرج

1- Hédi (S.): Op.cit., P.64.

2- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 230.

3- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 262.

4- محمد علي دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج1، مرجع سابق، ص 322.

وتوجه إلى خزانات قريبة، واستعمل فيه المهندسون آلات ميكانيكية ساهمت في رفع الديكور والوحوش إلى الحلبة، أما المصارعون كانوا يدخلون ميدان الحلبة عبر باب الانتصارات، الذي يقع مقابلاً لباب ثاني يستعمل في إخراج جثث قتلى المصارعين، ويوجد كلا البابين على أطراف المحور الكبير للمدرج، بالإضافة إلى وجود دعائم تثبيت الشراع *Velum* الخاص بحماية المشاهدين من حر الشمس.[1]

ويعود السبب في اختفاء قطع مهمة من آثار المبنى، إلى العوامل الطبيعية والنهب الذي تعرض له المبنى عبر العصور، فضلاً عن التخريب الذي أحدثته مدافع حاكم تونس في المدرج ما بين القرنين السابع عشر والتاسع عشر، لمنع المعارضين من اتخاذه حصنًا منيعًا.[2]

ثانيًا- الملعب المدرج في قيصرية: (أنظر الشكل رقم 15، ص 37)، تشير الأبحاث إلى أن هذا المدرج بني في النصف الأول من القرن الأول للميلاد، ويعتبر النموذج الوحيد من نوعه في الإمبراطورية الرومانية[3]، يقع في الجهة الشرقية للمدينة على بعد 800 متر من الفوروم، بني بالقرب من مقبرة قديمة *Nécropole*، وله شكل مميز إذ تتكون الساحة *L'Arène* من منطقة مركزية مستطيلة الشكل ممتدة على جانبيها بمسافة نصف دائرية، وهي بقياس 101 متر طولاً و44 متر عرضًا، مساحتها 4082م^2[4]، وهو بذلك يخالف الشكل الإهليليجي الذي ما فتئ يميز جميع المدرجات التي كانت منتشرة في ربوع الإمبراطورية[5]، كان لهذا الملعب طابق سفلي يقع في مركز الساحة يعمل من خلال نظام سراديب، وله مدخلين على الجانبين خلف جدار البوديوم *Podium*.[6]

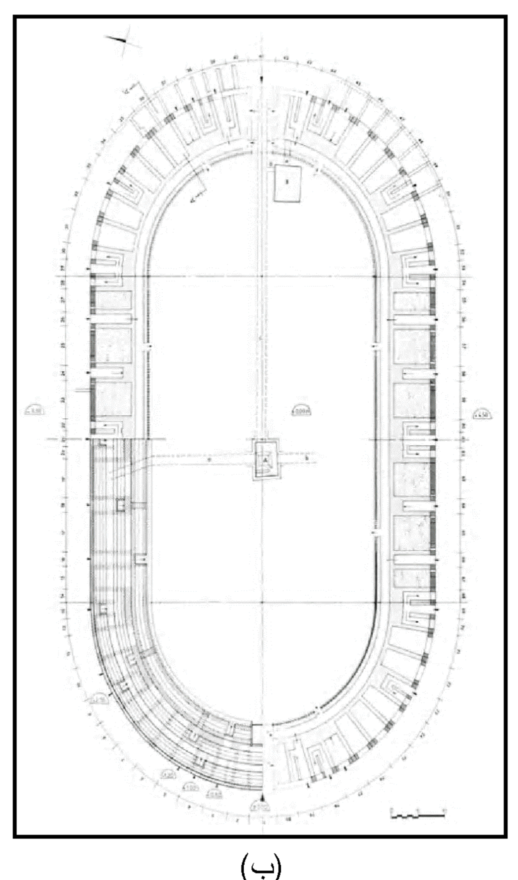
وقد كان قياس مدرجات الجلوس *Cavea* 11,45 متر، وتم توسيعها حيث أُضِيف لها خمسة أمتار أخرى فأصبحت بقياس 16,45 متر، لتستوعب من حوالي 9900 إلى 14400 متفرج.[7]

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص.ص 229-230.
2- المرجع نفسه، ص 230.
3- المرجع نفسه، ص 219.
4- Leveau (Ph.): "Caesarea de Maurétanie, Une ville romaine et ses campagnes, Rome", École Française de Rome, URL: *http://www.persee.fr*, Vue le: 20/05/2014, P.P. 36, 38.
5- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 219.
6- Leveau (Ph.): "Caesarea de Maurétanie, Une ville romaine et ses campagnes, Rome", Op.cit., P.P. 36, 38.
7- Ibid., P.P. 38-39.

يعود تاريخ هذه البناية إلى فترة حكم يوبا الثاني *Juba II* وبطليموس *Ptolémée*، وهو مبنى ضخم يستجيب لطموحات يوبا الثاني في تقليد روما بإيجاد بناء لألعاب التسلية والترفيه، يظهر في مظهر الأبهة والفخامة[1]، بالإضافة إلى مسرحها الذي أجريت عليه تغييرات وتوسيعات ليصبح مسرحًا ومدرجًا في نفس الوقت، وتم ذلك في القرن الثاني للميلاد فأصبح يستوعب حوالي 15000 متفرج.[2]



(أ)



(ب)

الشكل رقم (15): الملعب المدرج لقيصرية *Caesarea*، **نقلاً عن:**

(أ): Leveau (Ph.): "Caesarea de Maurétanie, Une ville romaine et ses campagnes, Rome", Op.cit., P.37.

(ب): بن علال، رضا: مرجع سابق، ص 220.

لقد كان يوبا الثاني يشارك في فترة شبابه في الألعاب المنظمة على المدرجات المؤقتة *Spectacula* في روما، ويبدو أنه رغب في أن يجعل في عاصمته مدرجًا مماثلاً في خصائص ومميزات هذا النمط المعماري، ويذكر كل من ڤولفن *Golvin* وك.أ. ولش *K.E.Welch*، أن المدرجات المؤقتة لها شكل مماثل للمدرجات المبنية بالطوب، ومتأثرة

1- Leveau (Ph.): "Caesarea de Maurétanie, Une ville romaine et ses campagnes, Rome", Op.cit., P.P.38-39.

2- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.6.

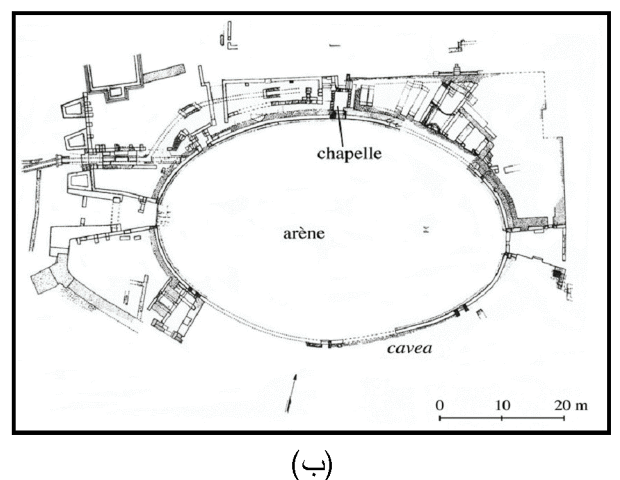
بالملاعـب *Stade* الإغريقيـة، والهندسـة المعماريـة لقيصـرية متـأثرة بالطـابع الهلينـي *Hellénisé* في عهد يوبا الثاني.(1)

ثالثًا- مدرج تيبازة *Tipasa*: (أنظر الشكل رقم 16، ص 38) قام أهالي تيبازة ببناء هذا مـدرج فـي القرن الثالـث للميلاد، لـه خصـائص المـدرج المسـتطيل الملاحـظ فـي مـدرج قيصرية(2)، ويمكن أن يكون المهندس المعماري قد تأثر بعمارة هذا الأخير وقرر أن يمنحه شكلاً بيضويًا ممدودًا.

وقد كانت حلبته *Arène* بقياس (57 × 35 متر)، التي يحدها جدار فيه ستة أبواب، والبوابة الواقعة في شمال الساحة تنفتح على معبد أو غرفة للعبادة *Chapelle*، بها مقاعد حجريـة وثلاثـة منافذ فـي الجدار المقابـل للبـاب المشـكل للسـاكيلوم *Sacellum*، مـا يمكـن المقاتلين من تكريم آلهتهم قبل الدخول إلـى سـاحة المصـارعة، ويمكن الوصـول إلـى قاعـة العبادة *Chapelle* تلك من الشارع عبر سلالم صغيرة.(3)



(أ)



(ب)

الشكل رقم (16): مدرج تيبازة *Tipasa*، **نقلاً عن:**

(أ): الموسوعة الحرة ويكيبيديا، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2014/06/12م.

(ب): Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.7.

كما زود المعماريون هذا المبنى بقناة كانت تستعمل في نقل المياه إلى داخل الحلبة، كان الغرض منها إعطاء المشاهدين عروض المعارك البحرية الصورية، وتوجد مقبرة قديمة

1- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.6.

2- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 222.

3- Pichot (A.): "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Op.cit., P.8.

Nécropole بجانبه، وليس هناك ما يدل على أن هذه المقبرة ملحقة به، لكننا نعتقد أنها استعملت في دفن جثث المصارعين(1)، وقد بدأت فيه الحفريات في عام 1948م.(2)

رابعًا- مدرج لبتيس ماقنا: (أنظر الشكل رقم 17، ص 39) قد شيّد هذا المدرج في عام 65م، وبني على منحدر طبيعي من الحجر الرملي الهش، وذلك في فترة إزدهار مدينة لبتيس ماقنا خاصة خلال فترة حكم آل سيفيروس، الذين ساهموا في نموها الاقتصادي والثقافي، وطرأت عليه تغييرات في العهدين الأنطوني والسيفيري خلال القرن الثاني للميلاد، بسبب التجديدات والتوسيعات.

ساحة الألعاب بيضوية الشكل بقياس (100 × 80 متر)، وهي محاطة بمدرج الجلوس *Cavea*، الذي يتخلله سلالم حجرية تؤدي إلى الأماكن العليا، وهناك مداخل معقودة للدخول والخروج *Vomitori*، ويمكن أن تستوعب الكافيا حوالي 15000 متفرج، وهناك مدخلان كبيران في الجانب الشمالي منه.(3)



الشكل رقم (17): الملعب المدرج للبتيس ماقنا *Leptis Magna*، **نقلاً عن:**
- Site archéologique de Leptis Magna, **Date:** 01/01/2003, **Copyright:** UNESCO, **Auteur:** G. Boccardi, URL: *http://whc.unesco.org/fr/list/183/gallery/*, Télé. le: 15/08/2014.

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 222.

2- Baradez (J.): "Quatorze années de recherches archéologiques à Tipasa (1948-1961), méthode er bilan", R.AF., Vol.105, Constantine, A. Rnolet, imprimeur-libraire, Alger, 1961, P.220.

3- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مرجع سابق، ص 49-50. رضا بن علال: مرجع سابق، ص 233.

كما أن هناك غرف مبنية بالحجر مغلقة بواسطة شبابيك كانت مستعملة لانتظار الحيوانات المتوحشة وآليات المصارعة الآتية إلى الساحة، من دون أن يلاحظ الجمهور ذلك.[1]

خامسًا- مدرج روسيكاد: الذي كان يقع في مدخل المدينة الجنوبي (باب قسنطينة) بجوار "شعبة الزعرورة"، كانت أنقاضه لا تزال قائمة في بداية الاحتلال الفرنسي، وقد عسكر فيه الجنرال نيڤريي *Négrier* عام 1838م، وتعرض للإزالة من قبل الهندسة العسكرية الفرنسية، ولم يبقى له اليوم أي أثر لأن المباني الحديثة قد غطته تمامًا[2]، ولقد هيأ المعماريون هذا المبنى لاستقبال المعارك البحرية الصورية، وهذا بإنجاز نظام ميكانيكي يعتمد على مضختين وضعت كلاهما على طرفي الحلبة (78 × 59 متر)؛ ففي الوقت الذي تقوم فيه المضخة الأولى بتسريب مياه الأودية القريبة إلى حلبة المدرج بتحويلها إلى حوض مائي، تقوم فيه الثانية بصرف تلك المياه بعد الانتهاء من الألعاب، خصصت فيه الصفوف الثمانية الأولى من المدرج لجلوس أعضاء المجلس البلدي والكهنة وأعيان المدينة، والصفوف الخمسة الأخيرة استعملت من طرف أهالي المدينة وزوارها.[3]

سادسًا- مدرج لمباز *Lambaesis*: كان يقع بين مدينة لمباز ومخيّم الفرقة الأوغسطية الثامنة التي كانت ترابط بالقرب من هذه المدينة[4]، تشير المعطيات الأثرية أن هذا المدرج كان ذو أبعاد (104.60 × 94 متر)، وكان يتسع لحوالي 10 آلاف أو 12 ألف متفرج، وألقيَ فيه الكثير من المسيحيين أمام الحيوانات الضارية[5]، ويصف ستيفان ڤزال طريقة بناء هذا المدرج، ويصفها بأنها غير معقدة، فقد نحت المعماريون جزء منه في ربوة صغيرة قريبة من المخيم العسكري، في حين استعانوا لإنجاز القسم الثاني منه بأتربة قاموا بتدعيمها بحائط كم الدبش ودعائم بارزة، والهدف هو خلق قوة دفع معاكسة لتلك التي تمارسها الأتربة.[6]

شيّد هذا المبنى في الجهة الجنوبية الغربية من مدينة تيمڤاد في القرن الثالث للميلاد، يوحي إلى أن المنطقة عرفت استقراراً مكنها من الازدهار والرقي، ويبدو أن الوضع في لمباز

1- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مرجع سابق، ص 49-50.
2- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 245.
3- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 224.
4- Gsell (S.): Les monuments antiques de L’Algérie, Op.cit., P.202.
5- هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غربي أفريقيا، ج3، تر.: أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م، ص.ص 86-87. رضا بن علال: مرجع سابق، ص 225.
6- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 225. Gsell (S.): Les monuments antiques de L’Algérie, Op.cit., P.202.

قد ذلل العقبات في سبيل تشييد ميدان المصارعة، في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس في النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد أي سنة 169م.(1)

سابعًا- مدرج قرطاجة: يقع هذا المدرج غرب بيرصا، لقد كان يضم خمسين طابقًا، بنيت فوقها خمس طبقات من الأقواس بعضها فوق بعض، وفي أعلى كل نافذة أو قوس عقد مستدير مزين برسوم تمثل أشخاصًا أو حيوانات أو سفن منقوشة بإتقان، وحاليًا لم يبقى منه شيء ما عدى الميدان والبناء السفلي(2)، استخدم المدرج في عمليات إعدام المخالفين للديانة الرسمية من شهداء العقيدة المسيحية، بإلقائهم إلى الحيوانات الضارية، ولعل أهم ما يمكن الإشارة إليه في هذا الصدد هو إلقاء السلطة الرومانية الحاكمة في قرطاجة القبض على مجموعة من المسيحيين في سنة 203م أي زمن حكم ألكسندر سيفيروس، وقد أعدموا جميعًا بإلقائهم إلى الوحوش المفترسة.(3)

كانت أبعاده (178 × 150 متر)، وهي أبعاد تجعله يحتل المرتبة الأولى بين مدرجات بلاد المغرب القديم، وتتربع منصات المشاهدين على مساحة 13770م^2 ما يسمح باستقبال حوالي 36 ألف متفرج.(4)

وقد وصف البكري في القرن الحادي عشر للميلاد هذا المدرج، وسماه دار الملعب، كانت أعجب ما بقرطاجة ويطلق عليها أهالي المنطقة اسم طياطر(*)، كانت تتشكل من بناء دائري أقيم على أقواس تحملها مجموعة من الأعمدة، فوقها طبقة أخرى من الأعمدة بنيت عليها أقواس كتلك التي في الطبقة السفلى من البناء، وكانت جدرانه زينت بصور ومشاهد من الحياة اليومية في قرطاجة تصور أشخاصًا يمارسون مختلف المهن وحيوانات كثيرة ومتنوعة(5)، وكذا وصفه الإدريسي في القرن الثاني عشر للميلاد، بأنه يتألف من خمسين قوسًا تحملها مجموعة من الأعمدة شيدت فوقها خمس طبقات من الأقواس منضدة بعضها فوق بعض بنفس التقنية المستعملة في الطبقة الدنيا، واستخدمت الأحجار الصلبة في تشييد هذا البناء.(6)

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 225.
2- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 216.
3- المرجع نفسه، ص 216. رضا بن علال: مرجع سابق، ص 229.
4- المرجع نفسه، ص 228.
*- طياطر تحريف لكلمة تياتر *Théatre*.
5- أبي عبيد الله البكري: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت)، ص 43.
6- أحمد صفر: مرجع سابق، ص 346.

بالإضافة إلى مدرجات أخرى ولكنها قليلة، والكثير منها قد زال نهائيًا أو لم يبقى منه إلا القليل، مثل مدرج ستيفيس الذي بني في العقود المتأخرة من القرن الثالث للميلاد، وقد دلنا عليه نقش يعود إلى سنتي 297-298م، وهي الفترة التي شهدت ميلاد مقاطعة موريتانيا السطيفية على يد الإمبراطور ديوكليتيانوس ما بين سنوات 297-303م.[1]

ومدرج كيرتا الذي لم يبق منه شيء، ويحتمل أنّه كان يتسع لحوالي 30 ألف إلى 40 ألف متفرج[2]، ودلت عليه النقوش اللاتينية لهذه المدينة، ومكن المدعو لوكيوس سكانتيوس يوليانوس *Lucius Scantius Iulianus* من تنظيم ألعاب المصارعة *Munus* في سنة 193م أو 194م[3]، ولا يمكن أن نتصور مدينة في مثل مكانة كيرتا أن لا تحتوي على ملعب مدرج واحد على الأقل.

كانت بلاد المغرب القديم تمثل الأرض الكلاسيكية للحيوانات البرية، ما ذكره المؤرخون القدماء أمثال هيرودوت *Hérodote* وبلين القديم *Pline L'ancein* وسترابون *Strabon* وسالوستيوس[*] *Salluste* وبوليبيوس *Polybe* وغيرهم، والتي تعرضت للصيد الجائر، لأنها كانت تمثل بالنسبة للرومان خطرًا يهدد توسيع مجالات الخريطة الزراعية والعمرانية في المقاطعات الأفريقية أو تخصص لتمويل الألعاب[**].[4]

ويبدوا أن استيراد الرومان للحيوانات المتوحشة من بلاد المغرب القديم يعود إلى فترة الاستقلال السياسي للمالك المغاربية (نوميديا وموريتانيا)، فنستشف من التاريخ الطبيعي لبلينوس القديم إرسال بوخوس ملك موريتانيا لحليفه الروماني سولا *Sulla* مائة أسد، الذي قام باستغلالها في احتفال سنة 93ق.م بمناسبة حاكميته في روما.[5]

ولقد مثلت الحيوانات المتوحشة في بلاد المغرب القديم أكبر نسبة من تلك الحيوانات التي استخدمها الرومان في عروض الصيد في روما[6]، فقد حازت الأسود والفهود شهرة

1- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 222.

2- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 262.

3- رضا بن علال: مرجع سابق، ص 222.

*- **سالوستيوس:** هو كايوس كريسبوس سالوستيوس *Caius crispus Sallustius*، مؤرخ روماني ولد في إقليم السابين في أميترنوم سنة 86ق.م، ينتمي إلى عائلة من العامة، ولكنها موسرة وعاش حياة مترفة، عين حاكمًا على أفريقيا الجديدة *Africa Nova* بعد سقوط مملكة نوميديا (يوبا الأول) (46-45ق.م)، توفي في 13 ماي 35ق.م. أنظر: محمد العربي عقون: المؤرخون القدامى، مرجع سابق، ص.ص 24-26.

**- حول موضع الحيوانات أنظر: Pline L'Ancien: Op.cit., livre VIII.

4- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، (د.ت)، ص 292.

5- رضا بن علال: "ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات المجسدة على مواد مختلفة في المغرب القديم"، مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب، العدد رقم 09، الإتحاد العام للأثريين العرب، 2008م، ص 41.

6- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

كبيرة في حفلات التسلية والترفيه التي كانت تقام في المدن المغاربية، فتزهق أرواح الآلاف منها، لكي يتلذذ بمشاهدتها الجماهير المتعطشة لسفك الدماء، وقد سيقت الآلاف من الحيوانات الضارية إلى المدن التي كانت تحتوي على الملاعب، فقد ذكر ستيفان قزال أنه تم صرع أكثر من 3500 حيوان مفترس في 26 احتفال أقيم بروما ومدن أخرى سخاءً من الإمبراطور أوكتافيوس(*).[1]

ولعل من بين المناطق التي كان يتم اصطياد تلك الحيوانات البرية منها منطقة تيفست، فبعد الصيد تنقل من هناك إلى هيبوريجيوس ثم إلى روسيكاد، ويتم تسويقها إلى مدينة أستي *Asti* الإيطالية، ومنها يتم توزيعها حسب احتياجات الملاعب.[2]

لقد تركت لنا المشاهد التي صورتها اللوحات الفسيفسائية مشاهد الصيد، فتصور لنا فسيفساء مدينة جميلة المحفوظة بمتحف المدينة، من مقاطعة نوميديا، والتي تعود إلى القرن الخامس للميلاد، وتنقسم إلى سجلين متباينين، يمثل السجل العلوي صيد الحيوانات في الطبيعة، ويظهر فيها الفنان النمط المعيشي للوجيه صاحب اللوحة، في حين ينقلنا السجل السفلي إلى حلبة المدرج حيث يصارع مجموعة من مصارعي الحيوانات المفترسة، وإذا ما أمعن النظر نلاحظ الجهد المبذول من قبل القائمين على تنظيم هذه الألعاب من حيث أنهم أعادوا تهيئة حلبة المدرج فأعطوا لنا الانطباع بأنها بيئة غابية، ويبين المشهد صيادين في مواجهة الوحوش، فالأول محاط بأسدين رافعًا يده لتحية الجمهور، بينما يبدوا الثاني وقد قضى على أسد، واخترقت حربته جسد أسد آخر، وهو جاثم على ركبته من التعب بسبب مواجهته للوحوش التي من ضمنها فهد، ويرتدي كل مصارع منهما سترة قصيرة ذات لون أبيض تستر ساقًا وتظهر الأخر، مزينة بشارة مربعة على مستوى الصدر (أنظر الشكل رقم 18، ص 45).[3]

---

*- **أوكتافيوس** ***Octavius Augustus***: (63ق.م-14م)، أول إمبراطور روماني، اسمه الأصلي ڤايوس أوكتافيوس من مواليد روما، وقد لفتت مواهبه أنظار قريبه يوليوس قيصر الذي تبناه وسماه خليفته له عام 45ق.م، سيطر على إيطاليا بعد موت قيصر عام 44ق.م، وذلك بمساعدة شيشرون. للمزيد أنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج1، مرجع سابق، ص 412.

1- Gautier (E.-F.): Le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, Nouvelle édition, petite bibliothèque Payot, Paris, 1952, P.168. Gsell (S.): H.A.A.N, T. I, librairie hachette, Paris, 1918, P.110. Camps (G.): Africanae, Encyclopédie Berbère, II Ad-Ağuh-n-Tahlé, EDISUD, La Calade, 13090, Aix-en-Provence, France, 1985, P.P.218, 220.

2- مها عيساوي: "مدينة تبسة في العصور القديمة"، التراث مجلة تاريخية أثرية، تصدرها دوريًا جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد 09، مطابع عمار قرفي، باتنة، رجب 1418هـ/ نوفمبر 1997م، ص 34.

3- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 93.

أما فسيفساء هيبوريجيوس تظهر صيادين مصطفين متازحمين على شكل دائري يحمل كل منهم ترسه مع جعل جميع الدروع متراكبة ومتداخلة لتشكل حاجزًا يصعب اجتيازه من طرف الحيوانات، وبأيديهم مشاعل، والحيوانات تبدوا في حالة ارتباك، وكان يصاحب عمليات الصيد هذه نفخ للأبواق وقرع للطبول، إلى أن تقع الحيوانات في الشرك الذي نصب لها (أنظر الشكل رقم 19، ص 45).(1)

وهكذا فقد تم اكتشاف ما يزيد عن خمسين مدرجًا في المغرب القديم، موزعة على مقاطعاته، وليس ثمة دليل على عدم وجود مثل هذه العمارة في بقية المدن المغاربية، كما لا يمكن لنا أن نثبت من خلال الأدلة الأثرية مدى كثافة هذه المباني وطريقة انتشارها، غير أن الأبحاث الأثرية المستقبلية كفيلة بمدنا معلومات متعلقة بهذه المرافق.(2)

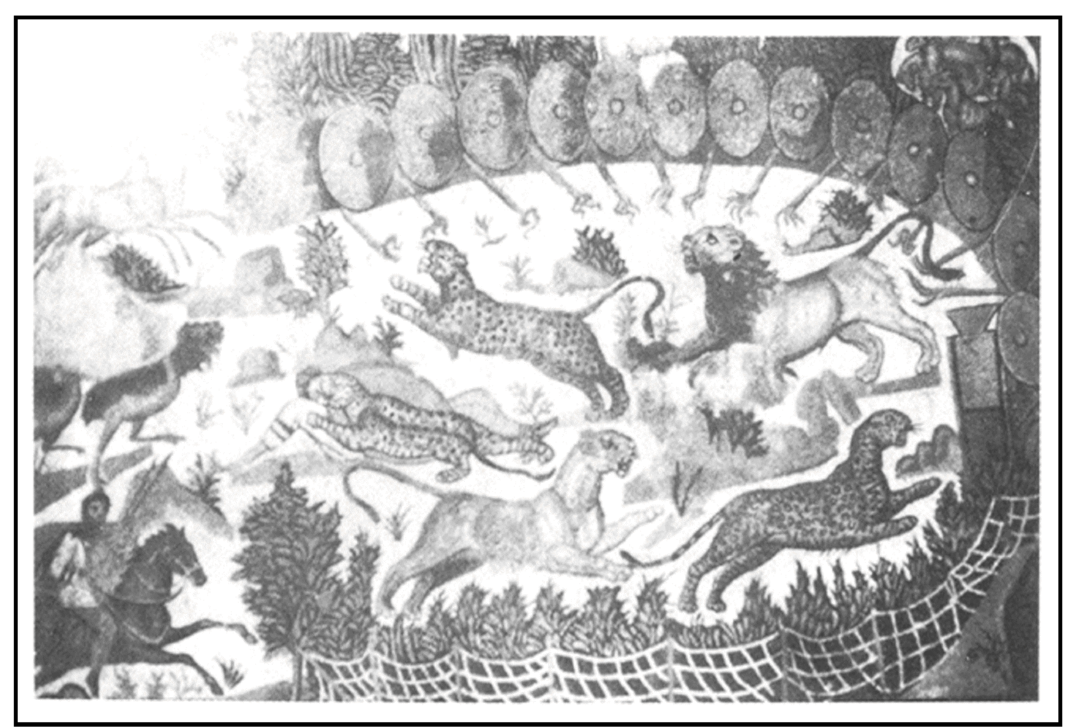
والحق لقد انتشرت هذه الوسائل الترفيهية في مدن بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني، القائمة على الاستمتاع بمناظر العنف وسفك الدماء، إذ بُنيت الملاعب المدرجة لنشر هذا النوع من الثقافة الرومانية في المجتمع المغاربي، حيث كان الشعب، والنبلاء يجلسون لمشاهدة تلك الاستعراضات، ويتلذذون برؤية ألوان المصارعة بين قوتين سواء كانتا متكافئتين أو غير متكافئتين تنتهي بموت أحد الأطراف المتصارعة، وكثيراً ما كانت تتم المصارعة بين إنسان حكم عليه بالإعدام وحيوان مفترس، وقد يرمى به أمام حيوان متوحش يكون جائعًا في حاجة إلى الأكل. وبتلك الملاعب انتقلت هذه المظاهر إلى مختلف المدن المغاربية التي خضعت للسيطرة الرومانية.

1- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 87.
2- المرجع نفسه، ص 233.



الشكل رقم (18): فسيفساء الصيد جميلة، **نقلا عن:**

– رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 94.

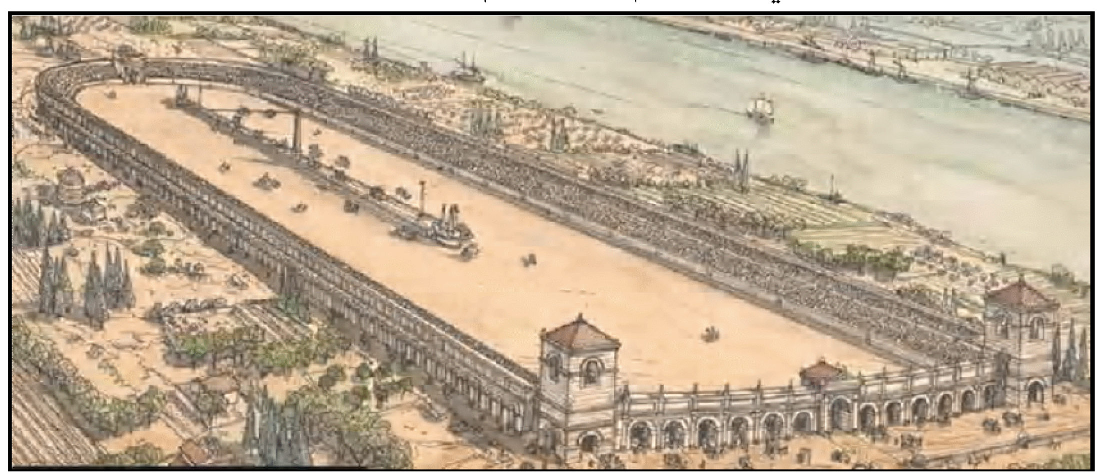


الشكل رقم (19): فسيفساء الصيد من هيبون *Hippone*، **نقلاً عن:**

- Camps (G.): Africanae, Encyclopédie Berbère, II Ad-Ağuh-n-Tahlé, EDISUD, La Calade, 13090, Aix-en-Provence, France, 1985, P.219.

2- ميادين سباق العربات (السيرك):

السيرك *Cirque* (سيركوس *Circus*) (أنظر الشكل رقم 20، ص 46) هو الحلبة التي تجرى عليها سباقات الخيول والعربات ثنائية العجلات والمنازلات الرياضية المعروفة في روما القديمة باسم ألعاب سيركونسيان *Circensian*، ويعود أصل التسمية لكلمة الدائرة باللغة اللاتينية (*Circle*)، وأشهرها سيرك ماكسيموس *Maximus* الذي بني في عهد تاركوين *Tarquin* بين عامي 616ق.م و578ق.م.(1)



الشكل رقم (20): صورة تخيلية عن السيرك الروماني (آرل *Arls*)، **نقلاً عن:**
-*http://www.arles-antique.cg13.fr/docs/dossiers_enseignants/Urbanisme_romanisation/toutes_les_fichesUR.pdf*, Télé. le: 09/07/2014.

ومن خلال بقايا أطلال ميادين السباق المنتشرة عبر مقاطعات الإمبراطورية الرومانية، أنها تتشكل من مبنى مستطيل الشكل وممدد، ويبلغ طول ميدان السباق الكبير سيركوس ماكسيموس في روما 600 متر، و461 متر في ميدان ماكسانس *Maxence*، واقترب طول ميدان مدينة آرل *Arles* بفرنسا حاليًا من عتبة 450م(*).(2)

وفي الحديث عن ميادين السباق في بلاد المغرب القديم، فهي قليلة بالمقارنة مع المسارح والملاعب المدرجة، فقد ذهب الباحثون في النصف الأول من القرن الماضي إلى تأكيد وجود ستة ميادين استخدمت في سباق العربات بالمغرب القديم، غير أن العدد سرعان ما ارتفع إلى 13 ميدانًا بفعل أعمال التنقيب التي قام بها الباحثون الأثريون، فضلاً عن ذلك

1- الموسوعة العربية: السيرك (*Circus, Cirque*)، مج.11، التربية والفنون، تربية وعلم نفس، السيرك، الرابط: *http://www.arab-ency.com*، تاريخ الاطلاع: 2014/08/06م.

*- القياس الخارجي لسيركوس ماكسيموس (645 × 124 متر) يمكن له استيعاب حوالي 190 ألف متفرج، وميدان ماكسانس (469 × 185 متر). Dominique et Michel Frémy: Quid 2001, Op.cit., P.1117.

2- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 234.

فقد أعيد تفسير النقوش اللاتينية التي أشارت إلى تلك الميادين التي لم يعثر عليها الأثريون، وأضحت دليلاً على وجودها.(1)

ويتضح من خلال الدراسات التي أنجزت عن تلك الميادين أن المغاربة إنما بدءوا في بناء هذه المرافق خلال العهد الإمبراطوري، وعلى الرغم من استحالة تقديم تاريخ دقيق لبناء ميدان قرطاجة، إلا أن قطع الفخار المكتشفة هناك، عرفنا أنها تعود إلى تاريخ يتراوح ما بين 90م أو 100م، كما تجهزت هادروميتوم ولبتيس ماقنا بهذه الميادين ابتداءً من القرن الثاني للميلاد، بينما يرجع تاريخ بناء ميدان أوتيكا إلى القرن الأول للميلاد، حينما كانت هذه الأخيرة مقرًا لحاكم المقاطعة الأفريقية.(2)

وكان ميدان سباق العربات في قرطاجة (أنظر الشكل رقم 21، ص 47)، الذي يقع في الحواف الغربية للمدينة، بأبعاد تساوي (570 × 129 متر)، وقد احتفظت لنا إحدى لوحات الفسيفساء التي تعود إلى بداية القرن الثالث للميلاد بمشاهد تخلد سباق العربات في ميدان قرطاجة، فهي تظهر تنافس أربع عربات كل واحدة مقرونة إلى أربعة خيول، يقودها حوذيون(*) تزينهم ألوان فرق السباق، ونتعرف من مشاهدة الفسيفساء على الواجهة الخارجية للمبنى، فهي تتشكل من قاعدة متينة تعلوها طوابق مزينة بأقواس عديدة، في حين يلاحظ تغطية شراع *Velum*، كان الغرض منه حماية الجمهور من حرارة الشمس، لثلاث واجهات من المبنى الداخلي، أما الواجهة الرابعة المقابلة للنطاق الخارجي فتبدو غير محمية، ومنصاتها خالية من الجمهور.(3)

1- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 248.
2- المرجع نفسه، ص 249.
*- حوذيون جمع مفرده حوذي وهو سائق عَرَبَةِ الخَيْلِ.
3- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 249.



الشكل رقم (21): فسيفساء ميدان سباق العربات من قرطاجة، **نقلاً عن:**
- Geneviève Nihoul: "la colonisation romaine en Afrique: un succès?",
URL: *http://pul.uclouvain.be/html/WYSIWYGfiles/ files/CataloguePUL2013.pdf*, P.17.

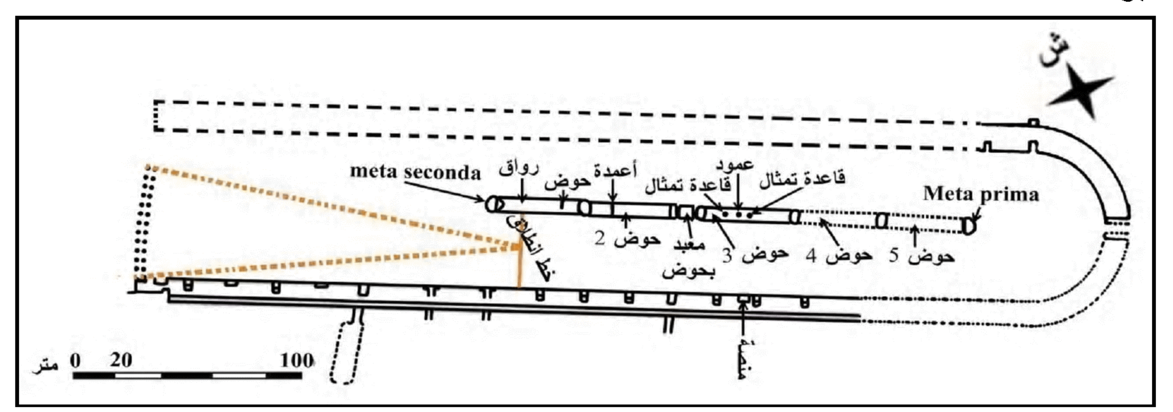
والمرجح أن بناء ميدان سباق مدينة لبتيس ماقنا (أنظر الشكل رقم 22، ص 49)، كان قد بدأ أثناء حكم الإمبراطور تراجانوس في سنة 112م[1]، وانتهى المعماريون من تشييده في عام 162م في عهد مركوس أوريليوس *Marcus Aurelius*، وقد شهد تجديدات وإضافات كثيرة في العهود التالية وخاصة في العهد السيفيري مع مطلع القرن الثالث الميلادي.[2]

ويعد هذا المرفق الرياضي، بأبعاد حلبته (475 × 100 متر) من بين الحلبات الكبرى في الإمبراطورية الرومانية، والذي يقع في الجهة الشمالية للملعب المدرج، إذ كان باستطاعته استقبال حوالي 25000 متفرج.[3]

يوجد في الجزء الجنوبي الغربي منه أماكن انطلاق الخيول للسباق *Carcerea* وهي ذات مداخل معقودة بالأقواس، وفي الطرف الشمالي الشرقي مدخل كبير هو باب النصر *Porta Triumphalis* أو السباق، أما مقاعد جلوس الجمهور فكانت في الطرفين الجنوبي والشمالي من ساحة الحلبة؛ والتي في الطرف الجنوبي أقيمت على منحدر طبيعي أما

1- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 249.
2- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مرجع سابق، ص.ص 48-49.
3- المرجع نفسه، الصفحات نفسها. رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 250.

الأخرى فبينت بالحجارة، وفي مدرجات الجلوس توجد منافذ وممرات تؤدي إلى خارج السيرك.(1)



الشكل رقم (22): مخطط ميدان سباق العربات في مدينة لبتيس ماڤنا (ليبيا)، **نقلاً عن:**

– رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 235. (تصرف الطالب)

أما القسم الأوسط (سبينا *Spina*) الذي يفصل ساحة السيرك، فكان يتكون من صف فيه خمسة أحواض ماء مستطيلة الشكل، مقامة على قواعد مرتفعة، كان هذا الفاصل مزين بالتماثيل المنحوتة وبمختلف أنواع الزخارف، وينتهي من الجانبين بموضع الاستدارة للمتسابقين *Meta*، وهي على هيئة نصف دائرة.(2)

ومن المعروف أن الحواضر المغاربية كانت تجهزت بميادين سباق العربات في القرن الثالث أو الرابع للميلاد، كما يمكن أن نشير إلى أنه يمكن لقطعة أرض مسطحة يتوسطها ساتر ترابي قليل الارتفاع ومنصة خشبية كانت تقام عليها صفوف مقاعد المشاهدين، أن تؤدي دور ميدان سباق العربات.(3)

وعن الدلائل التي تتحدث عن تحويل بعض الحقول إلى ميادين سباق العربات فهي قليلة، فهذا نقش من مدينة دوقة ينوه بوصية، تنازل بموجبها أحد الأعيان عن حقل سخره لسباق العربات، في حين سعى أعضاء مجلس المدينة للمساهمة في تهيئة هذا الحقل، فأقاموا له حاجز فصل. كما حذا حذوه أحد أثرياء أوزيا *Auzia* (سور الغزلان) في مقاطعة موريتانيا القيصرية، فقد هيأ المدعو دكيموس كلاوديوس يوفيناليس سارديكوس *D.Claudius Juvenalis Sardicus*، حقلاً زوده بمنصة شرفية للحكام، كما زود الميدان بحاجز فصل أقام له حدين وأنشب عليها بيضات العد.(4)

1- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مرجع سابق، ص.ص 48-49.
2- المرجع نفسه، الصفحات نفسها.
3- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 249.
4- المرجع نفسه، ص 251.

هذا يعني أن هذه النقوش تشير إلى وجود ميادين سباق تنظم المباريات في العراء، ولم تكن هذه الهياكل صلبة، إذ كان يتدرب فيها الحوذيون على قيادة العربات المقرونة إلى ثلاثة خيول، فيشير نقش مكتشف في تبسة، يشيد بممارسة المدعو يوليوس كماروس تدريب خيول سباق مقرونة إلى ثلاثة خيول، إلى وجود ميدان سابق، كما يلمح نقش آخر مكتشف بحمامات تيمقاد إلى وجود ميدان سباق العربات بضواحي هذه المدينة.(1)

وفي ذكر ميادين سباق العربات في المقاطعات الرومانية في بلاد المغرب القديم نجد أنفسنا مضطرين لمقارنتها ببعضها من ناحية قياسات ميادينها، فميدان ثيسدروس بطول 516 متر، ويقارب 400 متر في مدينة هادروميتوم *Hadrumetum*، أما دوقة 393م، ولم يتجاوز ميدان أوتيكا 275م، وقارب ميدان قيصرية 470 متر.(2)

لذلك فقد أسس سكان مدينة قيصرية الألعاب الكمودية والألعاب السيفيرية للاحتفال بالإمبراطورين كمودوس وأنطونيوس وسبتيموس سيفيروس، بينما كرم سكان قرطاجة الإله أبولون بالمنافسات البيثية وإله الطب إسكولابيوس بالألعاب الإسكولابية، وأسهم سكان مدينة أوتيكا في إحياء ألعاب سنوية خصصوها لإحياء منافسات مشابهة لتلك التي احتفل بها القرطاجيون وسكان مدينة شرشال.

ومهما يكن من أمر، فإنه لم ينقضي القرن الثالث للميلاد، حتى كانت حظوظ عواصم المقاطعات الرومانية والمدن الإمبراطورية قد ارتفعت من حيث تزويدها بالملاعب وميادين سباق العربات، لاسيما أن السلطة الحاكمة في روما عملت كل ما بوسعها من أجل نشر ثقافة الألعاب بين أهالي تلك الأقاليم من ضمنها بلاد المغرب القديم.(3)

وأستخلص هنا أن السيرك أو ميادين السباق كانت ذات شكل مُمَدّد وضيّق، فكانت جهة من جهاتها ذات شكل نصف دائري أما الجهة المقابلة لها ذات شكل معتدل، واعتمدت كوسيلة من وسائل تجسيد الثقافة الرومانية في المدن المغاربية، من خلال ألعاب السباق، وهي الأخرى بنيت بشكل يعتمد على الأبهة والجمال، وبدون شك من خلال تزينها بالتماثيل والفسيفساء، ولها قدرة كبيرة في استيعاب أعداد كثيرة من المتفرجين المولعين بتلك الألعاب. ويعود سبب قلتها إلى أنها تحتاج في تشيّدها إلى مساحة واسعة وتكاليف مادية باهضة،

1- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 251.
2- Pichot (A.): "Jeux et spectacles en Afrique romaine", Op.cit., P.6.
3- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 252.

ووجود الملاعب التي كانت تقام فيها مختلف الألعاب من مصارعة وسباقات الخيول وغيرها، بالإضافة إلى تحويل بعض المسارح حتى تستوعب هذا النوع من الألعاب كمسرح قيصرية.

المطلب الثالث: ألعاب الرياضة والمصارعة

أعالج في هذا المطلب نماذج عن ألعاب الرياضة والمصارعة التي كانت تقام في المدرجات وميادين السباق.

أولاً- ألعاب الرياضية والمصارعة في الملاعب: كانت ألعاب الرياضة والمصارعة تقام لمجرد التسلية من خلال استعراضات مثيرة تشمل المصارعين وهم يحملون السيوف، ومصارعي الوحوش المفترسة، وكلما كانت الوحوش المفترسة غير مألوفة كلما ازداد سرور الجمهور، وترك لنا الشاعر الروماني مارتيال *Martial* أخبار تلك الاستعراضات من خلال أشعاره الكثيرة التي تمتاز بالمبالغة، لكن تلك الأخبار خير دليل على حياة اللهو والترفيه المروعة التي كانت تعيشها مجتمعات مقاطعات بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، فقد أشار إلى استعراضات استمرت حوالي 100 يوم وكانت غريبة ومليئة بالعنف والقسوة.[1]

ويتحتم في دراسة موضوع استعراضات الألعاب، الاحتكام إلى النصوص الأدبية والنقوش ولوحات الفسيفساء، لاحتوائها على معلومات تتعلق بهذه الألعاب، وتكثر في الجهة الشرقية وتشح كلما اتجهنا غربًا، بالإضافة إلى كون هذه الدعائم الأثرية هي أعمال تشهر بأسماء الوجهاء ممن نظموا ألعابًا على نفقاتهم الخاصة، فهي من دون شك مشاهد صادقة للألعاب الرومانية في مدرجات بلاد المغرب القديم.[2]

ويمكن أن تصور مشاهد الحياة اليومية لمواطني وأهالي المدن والبلديات الرومانية في بلاد المغرب القديم أيام الألعاب، من خلال المشاهد المجسدة على مختلف المواد، فكانت وتيرة الألعاب تتسارع بمجرد الإعلان عن تنظيم أحد الأعيان ألعابًا في المصارعة والصيد، فيتم إلصاق برنامج الفعاليات على جدران الأماكن العامة والأسواق والفوروم ومدرج البلدة بمثابة إشهار، حتى يتمكن الناس من مختلف المناطق الحضور، وكان واهب الألعاب

1- عيسى محمد علي: "الحياة العامة في المدن الليبية القديمة أثناء الاستعمار الروماني من خلال بعض نماذج الفسيفساء"، مجلة آثار العرب، مجلة إلكترونية، الرابط: *http://www.wata.cc/forums/showthread.php*، تاريخ الاطلاع: 2014/05/18م.

2- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 57.

يستعرض في الليلة التي تسبق الاحتفال لياقة المصارعين البدنية بحضور أعيان وأهالي البلدة وسكان المناطق المجاورة.[1]

وفي صبيحة يوم الاحتفال يصطف مواطنو المدينة وضيوفها أما أبواب المدرج، على حسب رتبهم الاجتماعية، فيتخذ الوجهاء والأثرياء والميسورين الصفوف الأمامية ويجلس العامة في الأماكن العليا. ويتخذ حاكم المدينة مكانًا يعلو إحدى بوابات المدرج المؤدية إلى الحلبة *Vomitoire* يقابله في الجهة المقابلة واهب الألعاب.

كان الإعلان الرسمي لانطلاق الألعاب يتم بناءًا على إشارة منظم الألعاب، إذ يلوح بقطعة قماش بيضاء اللون سرعان ما يتركها تتهاوى من موقعه لتقع على أرضية الحلبة، وتلك هي إشارة إيذان انطلاق الألعاب.[2]

ويبدأ الاحتفال باستعراض موكب المشاركين في الألعاب *Pompa* متكون من المصارعين والصيادين *Venatores* يرافقهم مروضوا الحيوانات *Mansuetarii* بحيواناتهم وأقفاص الوحوش، يدخل هذا الموكب من إحدى البوابات وسط عزف فرقة موسيقية ألحانًا صاخبة، مع حركات بهلوانية وألعاب الخفة التي يؤديها أشخاص معينين، ويخرجون من جهة البوابة التالية.

وتبدأ الألعاب الصباحية المتمثلة في ألعاب الخفة والفروسية وترويض الحيوانات، وهي ألعاب مسلية، ثم بعدها تبدأ الألعاب الدموية تحت طلب الجمهور، ويبدأ مدربي المجموعتين المشاركتين في الألعاب بإدخال مصارعيها إلى الحلبة.[3]

وقد احتفظت لوحات الفسيفساء المكتشفة في بلاد المغرب بمشاهد عن تلك الألعاب التي برع في أدائها أبطال المصارعة، نذكر: فسيفساء وجدت في فيلا *Villa* "داربوك عميرة" قرب زليتن *Zliten* بليبيا (أنظر الشكل رقم 23، ص 54)، التي تمثل تلك الألعاب التي كانت تقام بالملاعب المدرجة *Amphithéâtre*، وتصور عملية صيد الحيوانات البرية، ويظهر الصيادون مع كلابهم وهم يجهزون على غزال وبقر وحشي وحمار وحشي وعدد من طيور النعام، بينما يظهر دب وثور رُبطا ببعضهما وهما يقتتلان حتى الموت.[4]

1- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 59.
2- المرجع نفسه، ص 60.
3- المرجع نفسه، ص 62.
4- عبد اللطيف محمد البرغوثي: التاريخ الليبي القديم، من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج7، أعده للنشر تامنغست، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، (د.ت)، ص 316.

كما تظهر أيضًا منظرًا لإعدام مجرمين قدموا للوحوش المفترسة، فنرى أحدهم قد رُبط إلى أعمدة خشبية مثبتة إلى عربة يد، وأجهز عليه أحد النمور، وعربة أخرى يدفعها حارس نحو وحش آخر، بينما يجر شخص أخر من شعره ليرمي به إلى أسد ضار؛ وقد فسرت بأنهم من الجرامنتيين *Garamantes* الذين أعدموا بعد حملة فاليريوس فستوس *Valerius Festus*.[1]

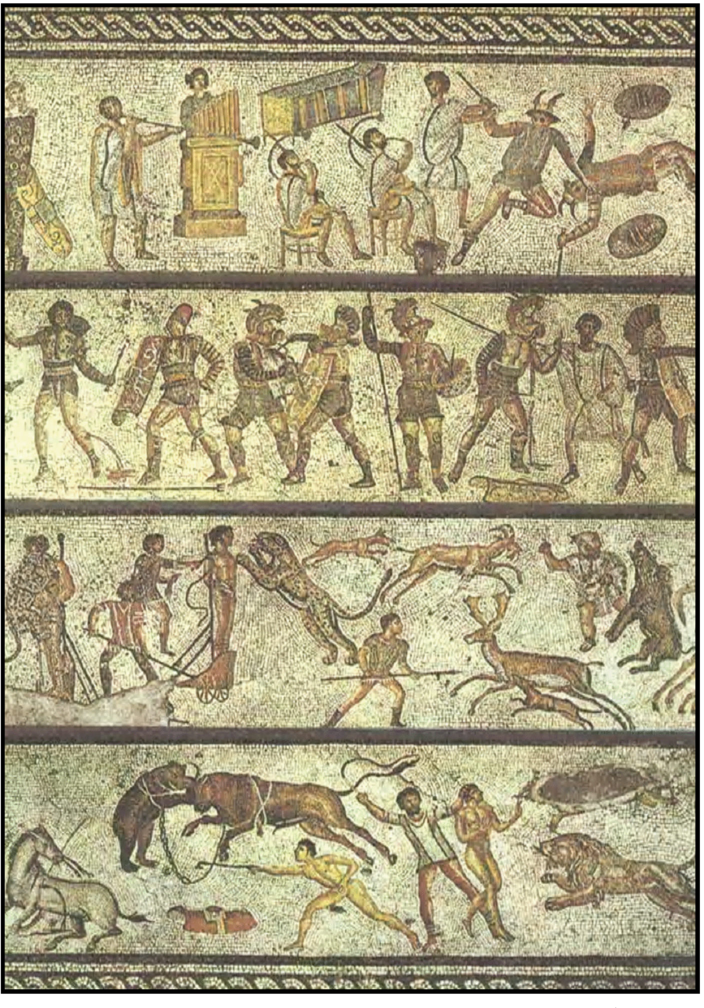
ولم تكن تلك الفسيفساء تمثل تلك المبارزات المروعة مع الوحوش فحسب، بل إنها كانت تصور الصراع بين الآدميين أيضًا[2]، ويظهرون مسلحين بأنواع مختلفة من الأسلحة التقليدية، وفي هذا المشهد تجري المصارعة على أنغام فرقة موسيقية، ويظهر أن المصارع المغلوب يرفع ذراعه اليسرى إشارة لاستسلامه، هناك ينظر الحَكَمُ إلى القاضي الذي يترأس تلك الألعاب مسترشدًا بقراره الذي كان كثيرًا ما يُعطى وفقًا لرغبة المتفرجين، فإذا أشار القاضي بإبهامه إلى أسفل فمعنى ذلك أن على المنتصر أن يجهز على خصمه المغلوب بضربة الرحمة، وإذا رفع إبهامه الأيمن إلى أعلى يعني ذلك الإبقاء على حياة المهزوم[3]، وكان القانون في مدرجات الألعاب يفرض أن يستمر القتال إلى أن يرفع أحد المصارعين أصبعه الكثير من المرات.[4]

1- عبد اللطيف محمد البرغوثي: مرجع سابق، ص 317. رضا بن علال: "ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات المجسدة على مواد مختلفة في المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 42. Camps (G.): Africanae, Encyclopédie Berbère, II Ad-Ağuh-n-Tahlé, EDISUD, La Calade, 13090, Aix-en-Provence, France, 1985, P.218.

2- عيسى محمد علي: مرجع سابق.

3- المرجع نفسه. وكذلك: عبد اللطيف محمد البرغوثي: مرجع سابق، ص 317.

4- Martial: Œuvres Complètes, Spectacles, petit livre sur les spectacles, XXIX, URL: *http://remacle.org*.



الشكل رقم (23): فسيفساء زليتن *Mosaïque de Zliten*، **نقلا عن:**
- La mosaïque de l'amphithéâtre de Zliten, Venatio et damnatio ad bestias, URL: *http://www.mediterranees.net/art_antique/oeuvr es/zliten/venatio.html*, Télé. le: 29/09/2014.

وحسب ذات الفسيفساء، يتشكل فنانو تلك الفرقة الموسيقية من امرأة أنيقة تعزف على أرغن هيدروليكي، ورجلين لكل منهما صُور وثالث يعزف على بوق، أما محمل القتلى الذي يلاحظ بالقرب من الفرقة الموسيقية، فكان يستخدم من طرف أتباع الإله مركوريوس *Mercurius*، إذ كان هؤلاء الرجال المتنكرين بأقنعة الإله يحملون القتلى والجرحى على المحمل وينصرفون بهم إلى حجرة سفلية *Spoliarium* سالكين إحدى أبواب حاجز الحلبة يعرف باسم إلهة الطقوس الجنائزية ليبيتينا *Porta Libitina*.(1)

وفي الحقيقة تمثل هذه الفسيفساء صور لمشاهد متتالية، تبدأ بقتال زوج أو زوجين من المصارعين وتنتهي بتلاحم مجموعة منهم، وهي الطريقة التي عادة ما كانت تُنتهج في تسيير ألعاب المصارعة، وكان يفصل بين مبارزة وأخرى رشّ الجمهور بالماء المعطر.(2)

1- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص.ص 63-64.
2- المرجع نفسه، ص 64.

كما تصور لنا فسيفساء محفوظة في متحف سوسة تعود إلى القرن الثالث للميلاد، مشهد من جزئين لمصارعة بين حيوانات الملعب المدرج، تجمع بين ثور ودب وبين خنزير ومهر (أنظر الشكل رقم 24، ص 55).

واكتشفت لوحة أخرى عائدة إلى القرن الثالث الميلادي، في بيت أحد أعيان مدينة لبتيس ماقنا، وهي محفوظة بمتحف المدينة، ويمثل العمل الفني مصارع صاحب السيف منهك يتأمل في جثة خصمه صاحب الشبكة؛ ويظهر لنا المصارع المنتصر من خلال اللوحة بعضلات مفتولة وشعر مسترسل، ملامحه متوسطية، يبدو من خلال عدّته أن ينتمي إلى فريق أصحاب السيوف، مع بروز علامات الإعياء والتعب الشديد جرّاء مصارعته لخصمه صاحب الشبكة، ومن دون شك فإن هذا العمل الفني الذي يتربع على مساحة 60م^2 من الفسيفساء يكون قد كلف صاحبه قدرًا معتبرًا من المال، وهو ما يدّل على شغف أهالي المغرب بمتابعة فعاليات هذه الألعاب (أنظر الشكل رقم 25، ص 56).[1]

وقد تستمر المصارعة عدة أيام متتالية، فقد اكتشف نقش يرجع إلى حوالي عام 200م، يذكر أن عرض مصارعة استمرّ خمسة أيام متتالية في صبراتة، لكنه يضيف أن ذلك العرض كان أول عرض بهذا الطول يُجرى هناك.[2]

ويذكر بلين القديم مصارعات بين الفيلة والثيران وبين الفيلة والإنسان كالجيتول، إذ يصور لنا أن الفيل الغاضب الذي كان يهاجم هؤلاء الجيتول فيدهس بعضهم وبعضهم يرمي به في الهواء ويمزق دروعهم، ومنهم من يجثو عليه بركبته وكانت أصوات الحيوان الغاضب تثير الحماس لدى المشاهدين.[3]



الشكل رقم (24): مشهد من جزئين لمصارعة بين حيوانات الملعب المدرج، تجمع بين ثور ودب وبين خنزير ومهر، أواخر القرن 3م، **نقلاً عن:**
- متحف سوسة، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/25م.

1- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص.ص 64، 66.
2- عبد اللطيف محمد البرغوثي: مرجع سابق، ص 317.
3- Pline L'Ancien: Op.cit., livre VIII, (VII. 1).

الشكل رقم (25): فسيفساء المصارع المنتصر لبدة (ليبيا)، **نقلاً عن:**
- تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، تاريخ التحميل: 2015/09/10م

ولا يمكن أن تكون كل المباريات التي كانت تقام في الملاعب المدرجة كلها تمتاز بالدموية، على مر التاريخ الروماني، فقد ذكر ديون كاسيوس أن الإمبراطور ماركوس أنطونينس لم يكن يسر بإراقة الدماء، فكان قتال المصارعين يخلو من المخاطر وكأنه مصارعة رياضيين. لكن على الإجمال فإن الألعاب كانت دموية، ويصف لنا نفس المؤرخ أن ألعاب المصارعة التي أجريت زمن كومود *Commode* كانت دموية بشكل كبير، فقد قتل في إحدى المباريات التي دامت أربعة عشرة يومًا مائة دب رميًا بالسهام، وهلك جراءها الكثير من الناس، وكان بعض المتصارعين يرتادون تلك المدرجات مقابل أجر زهيد.[1]

ثانيًا- الألعاب في ميادين سباق العربات: خصصت حلبات السباق (السيرك) التي شاعت في الإمبراطورية الرومانية لسباق العربات (أنظر الشكل رقم 26، ص 57)، وهي من الرياضات التي أصبحت محبوبة لدى المجتمع المغاربي، واشتهرت فيها الخيول الأفريقية، وكانت العربات المستعملة في السباقات تختلف حسب المناسبات فقد تصل إلى اثني عشرة عربة تدخل السباق في آن واحد، وكان السباق يتكون من سبعة أشواط تدور بعكس عقارب الساعة، ولضبط تلك الأشواط، يوضع في مركز الحلبة صف من سبعة بيضات أو سبع مواسير أو فسقيات بهيئة الدولفين[2]، ومع نهاية كل دورة حول الملعب كانت تؤخذ بيضة أو تكسر نافورة لإعلام الجمهور بعدد الدورات التي انتهت وعدد الدورات الباقية، وكثيرًا ما كانت الحوادث تقع أثناء السباق فتصطدم عربة بأخرى فتحطمها وتتحطم هي عليها صُدفةً أو عمدًا.[3]

1- ديون كاسيوس: التاريخ الروماني، ج10، الكتب: *LXXX-LXXI*، تر.: مصطفى غطيس، ط1، مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، 2013م، ص.ص 34-56.
2- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مرجع سابق، ص 49.
3- عبد اللطيف محمد البرغوثي: مرجع سابق، ص 318.

وذلك ما تظهره لوحة فسيفسائية معروضة حاليًا بفيلا سلين غرب مدينة لبدة، إذ تصور سباق عربات داخل إحدى حلبات السباق – ربما تكون حلبة سباق مدينة لبتيس ماقنا–، يبدو فيها مشهد لمجموعة من العربات كل عربة تجر بواسطة مجموعة من الخيول، وكل عربة تتميز بلون معين يختلف عن الأخرى، عادة تكون باللون الأزرق، والأبيض، والأخضر، والأحمر؛ ويلاحظ فيها وجود أكثر من أربع عربات ووجود الكثير من الفرسان الذين يمتطون الخيول الفردية، ووجود الكثير من الرجال ينتشرون داخل حلبة السباق، هذا ما يجعلنا نفترض أن السباق وصل إلى نهايته ولذلك كثر الخارجين والداخلين إلى حلبة السباق.[1]



الشكل رقم (26): صورة تخيلية عن سباق العربات في العصر الروماني، **نقلاً عن:**
ماري بيرد وجون جراهام هندرسون: التراث الكلاسيكي، تر.: محمد فتحي خضر، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014م، ص 118.

وما كان يزيد في حماس المشاهدين للسباق أن الرهان كان مسموحًا به، ولا نخطئ إذا افترضنا أن الحال في لبتيس ماقنا كان مشابهاً لما كان في روما والمدن الكبرى الأخرى من حيث أن المتسابقين كانوا يحملون ألوانًا مميزة هي: الأحمر أو الأبيض أو الأزرق أو الأخضر، ومن حيث أن الجمهور المشاهد كان ينقسم في حماسه وتشجيعه تبعًا لتلك الألوان (أنظر الشكل رقم 27، ص 58).[2]

1- عيسى محمد علي: مرجع سابق.
2- عبد اللطيف محمد البرغوثي: مرجع سابق، ص 318.



الشكل رقم (27): فسيفساء في جزئين تصور مشهدًا من ملعب سباق الخيل أربعة خيول منتصرة تحمل أسماء وتنتمي إلى أربع جمعيات مختلفة مشرفة على سباقات الخيول وتعرف كل واحدة بلون متميز وتظهر هذه اللوحة أن الحصان بوبيلوس يمثل الأزرق وكوبيدو الأبيض ويمثل أماتور الأخضر وأورا الأحمر، بداية ق3م، سوسة، **نقلاً عن:**
– متحف سوسة، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/25م.

وكان سباق العربات في تلك العهود يثير روح الانفعال والحماسة لدى المتفرجين، الذين كانوا ينقسمون إلى أربع مجموعات من المشجعين يأخذون ألوان العربات المتسابقة؛ ووضحت هذه اللوحة الجميلة التفاصيل المختلفة التي تتكون منها حلبة سباق مدينة لبتيس ماقنا، وعلى طريقة البناء والأجزاء المختلفة التي تتكون منها حلبات السباق التي شيدت في بلاد المغرب القديم خلال العهد الروماني.

وتوجد أيضًا لوحة فسيفسائية أخرى تمثل سباق العربات عثر عليها في مدينة قرطاجة (أنظر الشكل رقم 21، ص 48) وهي معروضة حالياً بمتحف باردو بتونس، ولوحة أخرى مرسومة عن طريق "الفرسكو" تمثل سباق العربات، توجد حالياً بمقبرة "ألبا اريسوت" (غوط الشعال) بطرابلس.[1]

لقد كان الرومان في بلاد المغرب القديم شغوفين بالبناءات الفخمة، لذا أكثروا منها وتفننوا في وضعها، فبنوا المسارح والملاعب والحمامات وحلبات السباق وغيرها[2] بهدف فتح المجال لانتشار الثقافة الرومانية، حيث كان المترومنين من المجتمع المغاربي وخاصة الطبقة الأرستقراطية، يمارسون ويشاهدون ألعاب التسلية، التي كانت تضم مختلف العروض

1- عيسى محمد علي: مرجع سابق.
2- محمد محي الدين المشرفي: بلاد المغرب القديم في العصر القديم، ط4، دار الكتب العربية، لبنان، 1389هـ/1969م، ص 85.

المسرحية وألعاب المصارعة بين أفراد المجتمع ومصارعة الحيوانات المختلفة التي تتم في الملاعب المدرجة، وسباق العربات في ميادين السباق.(1)

علاوة على تنظم الاحتفالات من قبل الأباطرة أو بعض القناصل والموظفين الساميين الذين كانوا يقيمون الاحتفالات على حسابهم الخاص إلى جانب التظاهرات الرسمية، التي وصلت إلى ستة وستين حفلاً في بداية العهد الإمبراطوري، وتجاوز عددها المائة سنويًا خلال القرن الثاني الميلادي.(2)

والحقيقة من خلال هذا، أن ألعاب المصارعة والسباقات والألعاب المسرحية جزءً لا يتجزأ من طقوس الحياة في بلاد المغرب القديم مثله مثل باقي أقاليم الإمبراطورية وأحاطها الأباطرة بالعناية اللازمة، وكانت المسارح والمدرجات منتشرة في معظم المدن الكبرى، فأصبح الناس من مختلف الطبقات الاجتماعية يداومون الذهاب لمشاهدة تلك العروض التي كانت تعتبر جزءًا من الترفيه آنذاك، كما أن أعيان المدن كانوا يُرَوجُون لتلك العروض من أجل استغلالها في الدعاية لهم وفتح المجال لانتشار الثقافة الرومانية لبسط سيطرت الرومان على بلاد المغرب القديم.

والمصارعة الرومانية بكل ما فيها من وسائل ترفيهية وطقوس دموية متوحشة تُحل قتل الإنسان والحيوانات في ساحات الملاعب المدرجة وحلبات السباق الممتدة عبر الأقاليم المغاربية الخاضعة للإمبراطورية الرومانية، كما كانت تلك المصارعات والمنافسات الدامية بمثابة صمام الأمان الذي ينفس ما يختلج في نفوس أفراد المجتمع المغاربي، فكانت الإثارة التي تصاحب المشاهد الدموية تخفف من البؤس الذي يعانون منه في حياتهم اليومية، الوضع الذي سيؤدي إلى حدوث ثورات في بلاد المغرب القديم وسنتطرق لها في الفصل الرابع من هذا البحث.

لذا نجد الساسة الرومان وأعيان المدن المغاربية من أعضاء المجلس البلدي وغيرهم من الأعيان يسارعون لتنظيم تلك العروض، وأنفقت أموال كثيرة عليها، فأفرغوا غابات بلاد المغرب القديم من الحيوانات البرية، التي كانت تُصطاد ثم تُساق لتذبح في ساحات الملاعب وميادين السباق لغرض التسلية والترفيه.

1- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد غانم الصغير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010م، ص 429.
2- Homo (L): le siècle d’or de l’Empire Romain, Paris, 1947, P.374.

المبحث الثالث: الحمامات وطقوس الاستحمام

تعتبر الحمامات من الأماكن التي انتشرت الثقافة الرومانية عبرها في بلاد المغرب، وسأتناولها في هذا المبحث إلى جانب طقوس الاستحمام.

المطلب الأول: الحمامات

تعد الحمامات *Les Thèrmes* من المنشآت الضخمة التي تميّز بها الرومان، إذ يكاد يجمع الأثريون على أنها اختراع روماني محض، فلا تخلوا مدينة من مدن بلاد المغرب القديم من الحمامات الفسيحة الفاخرة وخاصة المدن الكبرى التي كانت تحتوي على أكثر من حمام واحد، ولم تكن للاستحمام فقط بل كانت مركزًا للتدريب الرياضي والاجتماعات العامة والخاصة والمحاضرات والقراءة العامة[1] بمعنى التثقيف الجسدي والفكري والسياسي.[2]

والحمامات الرومانية كانت حصيلة لتطور هذا المؤشر الحضاري المرتبط بالصحة العامة واللياقة البدنية، الذي ظهر عند الشعوب القديمة خاصة اليونان[3]، لذلك يعود أصلها إلى الحضارة اليونانية، وقد أدخل الرومان في بناياتها عناصر جديدة، جعلت الحمامات تحمل خصائص رومانية، وتركوا عليها لمسات تبرز قدراتهم المعمارية في إنجاز هذه المنشآت، كتوفير وسائل الراحة.[4]

وهكذا نجد أن الرومان قد أخذوا عن اليونان كلمة ترموس *Thermos*، التي تعني حار وأطلقوها على الأماكن التي استخدمت للاستحمام وللعناية بالجسد[5]، لذلك فمصطلح ثارم *Therme* يعني المؤسسة الاستحمامية[6]، ومن بين الأسماء اللاتينية الأصيلة الدالة على لفظ الحمام *Lavatories*، *Lavation*، *Lavatrina*، أما التقسيمات الاصطلاحية الأخرى المتعلقة بهذا اللفظ فهي: *Balneae*، *Balnea*، *Balneum*، وأصلها: *Balneria*، *Balneolum*، *Balneala*.[7]

1- رشيد الناضوري: تاريخ المغرب الكبير، المغرب الكبير 1، العصور القديمة أسسها التاريخية والحضارية والسياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م، ص 335. Albertini (E.): L'Afrique Romaine, éd. Imprimerie officielle, Alger, 1955, P.85.

2- Lichiheb (H.): "Modélisation architecturologique des thermes impériaux romains de Tunisie", URL: *http://dspace.univ-biskra.dz:8080/jspui/bitstream/123456789/653/1/19h.lichiheb%20-.pdf*, Vue le: 09/07/2014, P.145.

3- منى يونس نخلة: علم الآثار في الوطن العربي، منشورات جروس يونس، لبنان، (د.ت)، ص.ص 165-166.

4- Commaille (A.): Les aqueducs des bains et des Thermes dans L'antiquité, Paris, P.22.

5- منى يونس نخلة: مرجع سابق، ص 166.

6- يحي الشهباني: معجم المصطلحات الأثرية، فرنسي عربي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م، ص 138.

7- وفاء بوغرارة: الحياة الثقافية في المغرب القديم بين الأصالة وتأثير الثقافات الوافدة 146ق.م-431م، تحت إشراف الأستاذ الدكتور ذراع الطاهر، مذكرة ماجستير في التاريخ الثقافي والاجتماعي المغاربي عبر العصور، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أدرار، 2013/2014م، ص 170.

وقد أطلق مصطلح (بالنيا *Balnea*) على الحمامات الخاصة بالمنازل، أما (بالناي فيريليا *Balnea Virilia*) فأطلق على الحمام الخاص بالرجال و(بالنيا موليبيريا *Balnea Muliebria*) أطلق على الحمام الخاص بالنساء، أما مصطلح (ثارم *Thermes*) أطلق على (بالنيا *Balnea*) الأكثر تطورًا وهو بمثابة منشأة استحمام تؤدي عدة وظائف متنوعة، ومقسم إلى حجرات وأحواض.[1]

والظاهر أن المغاربة كان لهم اهتمام بنظافة البدن واللباس قبل الاحتلال الروماني، غير أن غياب الشواهد التاريخية التي تشير إلى وجود منشآت خاصة لذلك الغرض قبل مطلع القرن الثاني للميلاد، لأن ظهور أولى الحمامات ببلاد المغرب القديم تعود إلى القرن الثاني للميلاد، ومن بين الحمامات التي عثر عليها وتعود إلى تلك الفترة حمامات أكولا *Acholla*[*] وكيرتا *Cirta*، ومع حلول منتصف القرن الثاني للميلاد عرفت هذه المنشآت انتشارًا واسعًا، وأحسن ما يشير إلى اهتمام المغاربة بالنظافة النقيشة التي عثر عليها في الساحة العمومية بثاموقادي والتي تقول[2]: **"القنص أو الصيد، والسباحة واللعب، والضحك هذه هي الحياة".**[3]

لقد بنيت هذه الحمامات بشكل منتظم، إذ استخدمت الحجارة المشذبة الكبيرة الحجم لتقوية الزوايا وأحيطت بالفتحات وتشكيل الشرفات المقوسة، بينما استعملت اللبنات من الآجر والملاط في بناء باقي أجزاء الحمامات، كما استخدم الإسمنت لتشكيل القبب؛ وطريقة البناء هذه كانت لها ميزتين: سرعة البناء والصلابة.[4]

ولعل أهم المدن التي كانت تحتوي على الحمامات نذكر منها: الحمامات الكبرى لأنطونيوس في قرطاجة، حمامات كاراكالا بدوقة، الحمامات الكبرى الجنوبية ببولا ريجيا،

1- وفاء بوغرارة: مرجع سابق، ص 170.

*- ***أكولا Acholla***: تقع بالقرب من قرية بُطرية *Botria*، على بعد 45 كم شمال شرق مدينة صفاقس، وهي موقع أثري ساحلي تونسي مهم، أجريت فيها التنقيبات عام 1947م وتم اكتشاف نقيشة فيها تتحدث عن مجتمع أكولا: " *populus felicis achollitanus/e(x pol) licitatione / a. ter(enti)i*"، تم تأسيس مدينة أكولا من طرف مهاجرين قدموا من جزيرة مالطة، اعتمد سكانها على اللغة والعادات والتقاليد الفينيقية، وخلال الحرب البونيقية الثالثة (149-146ق.م) وقفت المدينة إلى جانب روما في حربها ضد قرطاج، وبعد تحطيم هذه الأخيرة أصبحت أكولا مدينة مستقلة، وقد اكتشفت فيها نقود تحمل صورة رأس الإله القرطاجي بعل حمون يحمل تاجًا من الريش، إلى جانب العثور على نصب تذكارية للإلهة تانيت. كما تحالف سكانها مع الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر عند نزوله بشمال أفريقيا. أنظر: Gilbert (C. P.): Acholla, In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 91e année, N.3, 1947, URL: *http://www.persee.fr*, P.P.557-558.

2- خديجة منصوري: الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري قسنطينة، 2001م، ص 69.

3- دليل آثار تيمقاد، مرجع سابق، ص 16.

4- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.212.

والحمامات الكبرى بشرشال، وحمامات تيبازة والحمامات الجنوبية في تيمقاد[1]، وحمامات في لمباز[2] وحمامات ڤالينوس *Galinus* بوليلي *Volubilis*[3] وحمامات كيرتا وروسيكاد وتبسة وغيرها، وسأكتفي بتناول نماذج عن هذه الحمامات:

أولاً– حمامات تيمقاد: يوجد في مدينة تيمقاد ستة منشآت الاستحمام مختلفة الأهمية، فالحمامات الشمالية الصغرى الواقعة بالقرب من بوابة كيرتا، على الشارع الرئيسي *Cardo-Maximus*[4]، والحمامات الشرقية الصغرى، وتحتوي على جميع المرافق من قاعات الانتظار والراحة، وقاعات باردة وأخرى حارة وخزائن الملابس وأحواض ومراحيض وغرف التسخين وإشعال الوقود وغيرها، والحمامات الشرقية الكبرى التي بنيت في النصف الأول من القرن الثاني وتم توسيعها سنة 167م، وتبلغ مساحتها 1500م^2[5]، الواقعة في نهاية الشارع الشرقي الغربي بالقرب من البوابة الشرقية أو بوابة ماسكولا (خنشلة)، وكانت تحتوي على قاعة الانتظار والراحة وقاعة حارة بخارية وقاعة لحفظ الملابس، ومراحيض، ومراقد وخزانات المياه[6]، وأما الحمامات الصغرى الواقعة في وسط المدينة فهي قليلة الأهمية مقارنة بباقي الحمامات إذ تبلغ مساحتها 484م^2، وهي معروفة باسم الحمامات الصغرى الوسطى.[7]

بالإضافة إلى الحمامات الكبرى الشمالية والجنوبية[8]، فالحمامات الشمالية الكبرى تقع جهة قوس تراجان خارج المدينة، بـ 40 متر، شمالاً و12 متر، جهة الحائط الذي يحد المدينة، والتي تبدوا أنها قد توسعت في وقت لاحق[9]، ولا يزال يمكن للباحث أن يرها بشكل جلي على الرغم من تأثير عامل الزمن عليها، حيث الركائز التي كانت تحمل الصفائح وأجزاء من القنوات الفخارية التي كان يمر بها الهواء الساخن، وجانبًا من أحواض الاستحمام، وقد احتلت الحمامات مساحات واسعة بلغت 4000م^2 في تيمقاد[10]، ولا تزال

1- Gsell (S.): Les monuments antiques de l'Algérie, T.I, Op.cit., P.P.213, 217, 220. Lichiheb (H.): "Modélisation architecturologique des thermes impériaux romains de Tunisie", Op.cit., P.145.

2- Barnéond: "Chronique", R.AF., Vol.07, Constantine, A. Rnolet, imprimeur-libraire, Alger, 1863, P.474.

3- أحمد صفر: مرجع سابق، ص 358. Dominique et Michel Frémy: Quid 2001, Op.cit., P.1117.

4- Ballu (A.): Les ruines de Timgad antique Thamugadi, nouvelles découvertes, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1903, P.36.

5- أحمد صفر: مرجع سابق، ص 348، 349.

6- دليل آثار تيمقاد، مرجع سابق، ص 14. Ballu (A.): Les ruines de Timgad, Op.cit., P.54

7- Ballu (A.): Les ruines de Timgad, Op.cit., P.54.

8- Leveau (Ph.): "Caesarea de Maurétanie, Une ville romaine et ses campagnes, Rome", Op.cit., P.51.

9- Ballu (A.): Les ruines de Timgad, Op.cit., P.54.

10- شارل أندري جوليان: المرجع سابق، ص 244.

تحتفظ تلك الحمامات بأجزاء من اللوحات الفسيفسائية على الأرضية، التي كانت تزين قاعات تلك الحمامات.[1]

وتقع الحمامات الجنوبية الكبرى (أنظر الشكل رقم 28، ص 65) خارج المخطط الأصلي للمدينة في الجهة الجنوبية من المسرح على حافة الشارع الرئيسي الشمالي الجنوبي[2]، وتبعد بحوالي 80 متر جنوب المسرح، وتعود إلى القرن الثاني للميلاد، تم توسيعها في سنة 198م، وتشهد على ذلك أحد النقائش، وهناك نقيشة أخرى توضح لنا أنه مع بداية القرن الثالث تمت ترميمات لهذه المنشأة على تكاليف مواطني ثاموقادي، تتربع هذه الحمامات على مساحة 2000م².[3]

ولهذه الحمامات حسب المخطط أربعة مداخل، فهناك بابين مخصصين للخدمات وهما (S وT)، ويؤديان إلى الطابق السفلي، وبابين آخرين وهما (B وA) ينفتحان عبر رواق إلى الهواء الطلق، وهناك غرفة على جانب الباب B ربما كانت مخصصة لحارس المنشأة. على الجانب الشرقي لهذا الرواق يوجد غرفتين: فكانت الغرفة الأول E عبارة عن مرحاض عام واسع ذو شكل نصف دائري، ويحتوي على 28 مقعد ومبلط بفسيفساء في الوسط تصور مشاهد حيوانية. أما الغرفة الثانية D فهي عبارة عن غرفة واسعة نصف دائرية الشكل، يفصل بينها وبين الرواق أعمدة، وكانت هي الأخرى مزينة بفسيفساء، وهي من دون شك غرفة الاجتماعات والترفيه.[4]

من الجهة الغربية لهذا الرواق، نجد ثلاثة نوافذ تسمح للرواق أن يطل على غرفة مستطيلة[*] F، بقياس 24 متر طولاً و9 أمتار عرضًا، وكانت مغطاة بالقرميد، وربما كانت صالة مخصصة للتمارين البدنية، واحتوت على أربعة تماثيل لإمبراطور فاليريان *Valérien* وابنته وولديه الصغيرين.[5]

كما تؤدي أيضًا إلى الغرفة G، والتي كانت على ما يبدو قاعة خلع الملابس *Apodyterium*، وإلى الغرفة H للحمام البارد *frigidarium*، وهذه الأخيرة ذات شكل مستطيل، تغطيها قبة وعلى جناحيها مسبحين I وJ. وضعت في وسط هذه القاعة مزهرية

1- محمد العيد مطمر: مرجع سابق، ص 69.
2- دليل آثار تيمڤاد، مرجع سابق، ص 18.
3- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.222.
4- Ibid, P.222.
*- تشكل هذه القاعة فناءًا واسعًا. دليل آثار تيمڤاد، مرجع سابق، ص 19.
5- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.P.222-223.

حجرية كبيرة مزينة بنقش بارز *bas-reliefs* يصور مشهد لتقديم قربان (أنظر الشكل رقم 29، ص 65)، مع وجود العديد من التماثيل، وفوق المسبح J زين بفسيفساء وفيه تمثال لحورية تمسك بمحار (أنظر الشكل رقم 30، ص 65)، وقد زينت كذلك الغرف F وG وH بفسيفساء كبيرة بيضاء، كما زينت كذلك أحواض الاستحمام.

أما الغرفة L فدورها غير واضح، وربما تكون هي الأخرى غرفة لخلع الملابس، ونرى في الغرفة M محرابين ربما كانا يحويان خزانات، وقد استعملت الغرفتين N وO كممر بين القاعة الباردة والأقسام الساخنة من الحمام.(1)

والغرف K، P، R، Q، تعطي الحرارة بنظام التدفئة *hypocaustes*(*) (أنظر الشكل رقم 31، ص 66)، أما القاعة K فهي غرفة الاستحمام بالفاتر *tepidarium*، ويوجد قاعتين من هذا النوع (الاستحمام بالفاتر)، فالأولى P وهي عبارة عن قبو محدب وفيه حوضين نصف دائريين، والحوض الذي يقع شمال هذه القاعة يحتوي على أربعة تماثيل وضعت في زواياها، أما الثانية Q ففيها ثلاثة أحواض للماء، حوضين على الجوانب والثالث في العمق، وكانت القاعة R مخصصة للتعرق *Laconicum*.

الطابق السفلي لهذه الحمامات لا يزال على حال جيد، يتم النزول إليها عبر سُلّم، والتي تسمح بالوصول إلى مكان التدفئة وغرفة تخزين الوقود.(2)

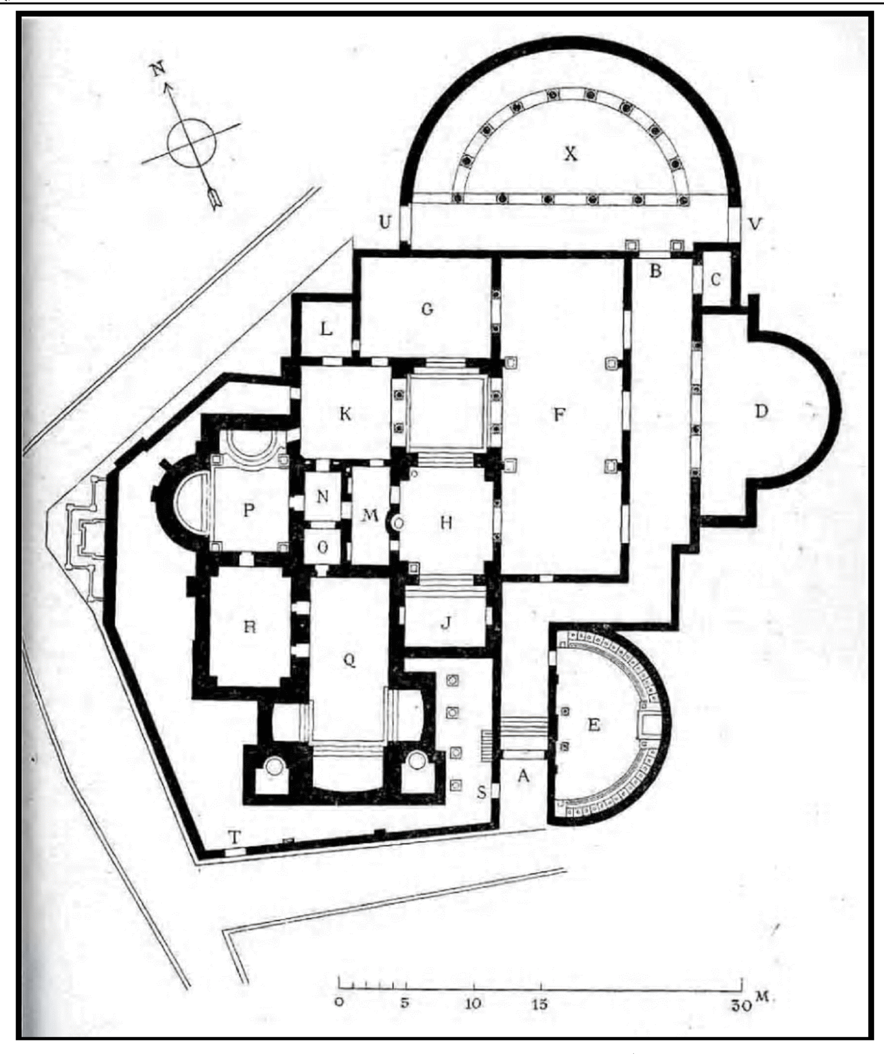
أما في الشمال الشرقي لهذه الحمامات هناك ممر V وU ينفتح إليه الباب B، هناك قاعة كبيرة X مفتوحة ذات شكل نصف دائري بقطر 8.15 متر، وهي عبارة عن قاعة للترفيه يحيط بها رواق يفصله عنها مجموعة أعمدة.(3)

1- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.223.

*- وهو نظام خاص لإرسال التهوية الساخنة بين ركائز صغيرة ترتكز عليها قاعات التسخين. دليل آثار تيمقاد، مرجع سابق، ص 19.

2- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, Op.cit., P.P.223-224.

3- Ibid., P.224.



الشكل رقم (28): الحمامات الجنوبية بتيمقاد، **نقلا عن:**

- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, Op.cit., P.221.



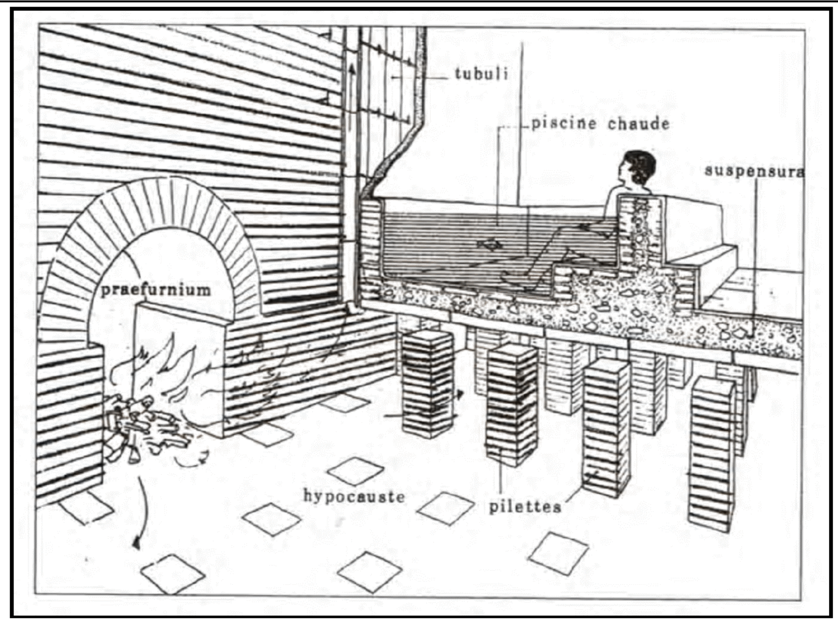
الشكل رقم (29): مزهرية الفريجيداريوم، **نقلا عن:**

Ballu (A.): Musée de Lambèse, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1903, P.63.



الشكل رقم (30): حورية تمسك بمحار، **نقلا عن:**

Ballu (A.): Ibid., P.48.



الشكل رقم (31): نظام التدفئة في الحمامات الرومانية، **نقلا عن:**
- Roman (D.), Roman (Y.): Op.cit., P.350.

ثانيًا- حمامات لبتيس ماقنا: (أنظر الشكل رقم 32، ص 67) يرجع تاريخ إنشاءها إلى نهاية القرن الثاني الميلادي أو مطلع القرن الثالث[1]، في عهد هدريان *Hadrien* (117-138م)[2]، وتعتبر من أحسن الحمامات في بلاد المغرب القديم، تحتل إلى جانب توابعها ما يقرب ثلاثة هكتارات[3]، وقد أجريت فيها كثيرًا من التغييرات والإضافات، كانت بقايا هذه الحمامات وقت استظهارها من الحفريات بحالة جيدة، وهي أحسن مثال للحمامات الرومانية بأجزائها المختلفة ومادة بناءها[4]، وقد جمّلها سبتيموس سيفيروس (193-211م)، يوجد في قاعتها الرئيسية أعمدة ضخمة من مادة السيبولين بارتفاع ثمانية أمتار للواحد، يقوم عليها قبو وفيها مشاك تحتوي منحوتة من المرمر اليوناني، وحافظت الرمال على جدّة بلاطات الغرف وصفائح المرمر التي تغطي الجدران وقرابة الثلاثين تمثال للآلهة، بالإضافة إلى أن هناك حمامات أخرى تسمى بحمامات هدريان *Thermes d'Hadrien*.[5]

وعرفت بتسمية حمامات الصيد *Thermes des Chasseurs*، لأن جدرانها زينت بمشاهد صيد الحيوانات، وهي اللوحة الجدارية التي تزيّن أعلى الحائط الغربي للقاعة الباردة *Frigidarium* من هذه الحمامات (أنظر الشكل رقم 33، ص 67)، وهي تمثل صيد

1- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مرجع سابق، ص.ص 47-48.
2- محمد العربي عقون: مرجع سابق، ص 266.
3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 244.
4- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مرجع سابق، ص.ص 47-48.
5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص.ص 243-244.

الفهود في المدرج، ويمدنا المشهد بمعلومات تتعلق أساساً بأسماء الصيادين وأسماء الفهود (الصيادون: *Ibentius*، *Nuber*، *Bictor*، *Inginus*، أما الفهود: السريع *Rapidus*، البرق *Fulgentus*).(1)



الشكل رقم (32): منظر من حمامات لبتيس ماقنا، **نقلا عن:**

- Site archéologique de Leptis Magna, **Auteur:** Federica Leone, URL: *http://whc.unesco.org/include/tool_image.cfm?src=/uploads/sites/gallery/original/site_0183_0021.jpg&id_site=183*, **Date:** 08/01/2011, Télé. le: 14/02/2015.



الشكل رقم (33): مشهد صيد الحيوانات المفترسة في حمامات الصيد بلبتيس ماقنا، **نقلا عن:**

- رضا بن علال: "ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات المجسدة على مواد مختلفة في المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 42.

1- رضا بن علال: "ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات المجسدة على مواد مختلفة في المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 46.

ثالثًا- حمامات قيصرية: هناك ثلاثة منشآت للاستحمام في قيصرية *Caesarea*، فالحمامات الموجود في غرب المدينة أطلق عليها اسم "قصر السلطان" وهي من أهم آثار قيصرية، أجريت عليها الحفريات خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر (19م) من قبل "لوتلري *Lhottelerie*" و"ف. وايل *V. Waille*"، أما حديثًا هناك دراسة حول حمامات أفريقيا لـ: "أ. ليزين *A. Lezine*".

هذه الحمامات بقياس 115م من الشمال إلى الجنوب و70م من الشرق إلى الغرب، وهي أضخم من حمامات لبتيس ماقنا، وكانت تحتوي على كل مرافق الحمامات الرومانية، وبنيت باستعمال الحجارة الكبيرة المشذبة والآجر، وكانت الجدران مغلفة بألواح رخامية، والأعمدة كانت من حجر القرانيت *Granit*، كما زينت بالفسيفساء، واكتشفت فيها الكثير من التماثيل والنقوش.[1]

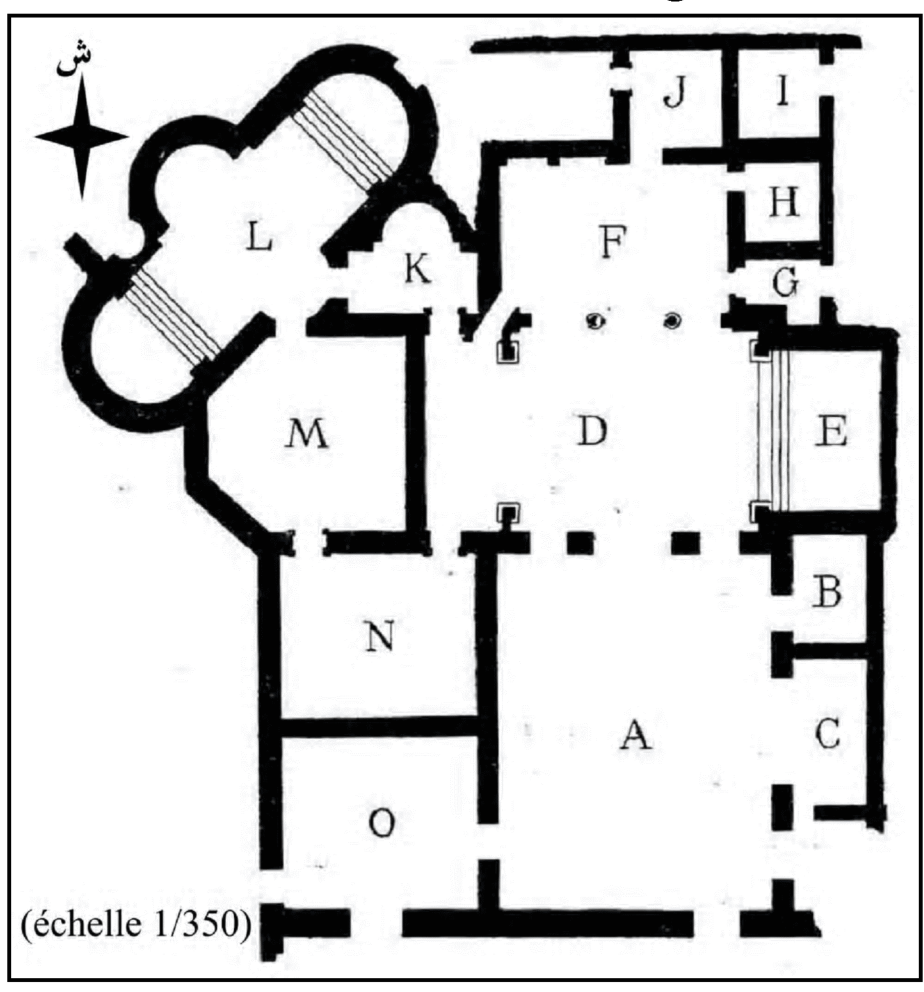
رابعًا- حمامات لمباز: يوجد في لمباز ثلاثة منشآت للاستحمام، فهناك حمامات جهة المخيم العسكري، وأخرى تقع بين ذات المخيم والمدينة، جنوب شرق قوس كومود *Commode*، ولم يبقى منها سوى أثار قليلة، ولا تظهر على أنها كانت كبيرة، وقد اكتشفت فسيفساء كانت تزينها[2]، بقياس (13 × 11 متر) رسوماتها يونانية، يعجب بها كل المسافرين الذين يمرون على لمباز، وتبعد هذه الحمامات بحوالي 150 متر جنوب مبنى المحكمة (البرتوريوم *Pretorium*).[3]

أما أكبر حمامات مدينة لمباز الأثرية المعروفة بحمامات الصيادين *les thermes des Chasseurs*[*] (أنظر الشكل رقم 34، ص 69)، تقع شمال شرق مبنى الكابيتول[4]، بينت هذه الحمامات من طرف جنود الفيلق الثالث الأوغسطي، وذلك ما يثبته ختم هذا الفيلق على الكثير من الطوب الذي استعمل في البناء.[5]

1- Leveau (Ph.): "Caesarea de Maurétanie, Une ville romaine et ses campagnes, Rome", Op.cit., P.52.
2- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, Op.cit., P.218.
3- Barnéond: R.AF., VII, Op.cit, P.472.
*- les Bains des Chasseurs.
4- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, Op.cit., P.218.
5- Janon (M.): "Lambèse", in 28-29/Kirtēsii - Lutte, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», no 28-29), 2008 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2013, consulté le 25 septembre 2014. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/305*, P.3. Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, T. I, Op.cit., P.P.218-219.

يقع المدخل الرئيسي لهذه الحمامات في جهتها الجنوبية، الذي يطل على الفناء A المربع والذي يتوسطه نافورة، كما ينفتح على عدة غرف (B، C، O)، وعبر هذا الفناء يمكن المرور إلى القاعة D المزينة بفسيفساء، ويقع الحوض E على الجانب الأيمن وفي العمق تقع الغرفة F، تنفتح على القاعة D بواسطة ثلاثة منافذ مفصولة عن طريق أعمدة، وتنفتح الغرف (G، H، I، J) على الغرفة F من الجهة الشرقية والشمالية.(1)

والأماكن التي منها يسخن الحمام تقع في الجهة الغربية منه، ويمكن أن تكون الغرفة K التي تحوي مكان نصف دائري مكان الموقد، بينما القاعة L التي تمنح الحرارة (تعمل وفقًا لنظام التدفئة *Hypocaustes*) احتوت على حواجز من الطوب، وهي المعروفة بقاعة الاستحمام بالحار *caldarium*، طولها 15,50 متر تتخذ شكلاً مشابه للصليب ومقوس على نهايته، فيها حوضين على الطرفين الرئيسيين.(2)



الشكل رقم (34): حمامات الصيد بلمباز، **نقلا عن:**

- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, Op.cit., P.219.

1- Gsell (S.): Les monuments antiques de L'Algérie, Op.cit., P.218.
2- Ibid., P.218-219.

خامسًا- حمامات كيرتا: كانت مدينة كيرتا تحتوي على حمامين، فهناك حمامات أريوس باكاتوس *Arius Pacatus*، اكتشفت بقاياها من قبل السيد كريسبان *Crespin* في عام 1862م، وهي عبارة عن مدخل وقاعة كبيرة ذات سقف مقبب ثم قاعة الاستحمام البخاري المتصلة بفرن الحمام. كانت هذه الحمامات تتوسط المدينة، ويدل اتساع مساحتها على أنها كانت تستقبل جمهور كبير من المدينة.

أما الحمامات الثانية فهي حمامات خارج المدينة *Extra-Muros*، حيث اكتشفت بقاياها بالقرب من وادي الرمال بعد حوالي كيلومتر واحد من التقاء وادي الرمال ببومرزوق، وقد عثر هنالك على لوحة فسيفسائية رائعة تم نقلها إلى متحف اللوفر، وربما كانت تزين هذه الحمامات، ويمكن أن يكون هذا المرفق الضخم ملكية خاصة لعائلة نافذة، كما كانت الينابيع الحارة مكانًا استشفائيًا هامًا.[1]

سادسًا- حمامات صبراتة: وهي حمامات أوكيانوس *Oceanus* في صبراتة *Sabratha*، تتميز بأن تقسيماتها الهندسية ما تزال بحالة جيدة، وهي تعطي انطباعاً حياً عن الأساليب التي كانت تُتبع في عملية البناء، فيها غرفة كبيرة في الجهة الشرقية من المبنى وقد تكون غرفة الحمام البارد (الفريجيداريوم *Frigidarium*) أو الدافئ (تبيداريوم *Tapidarium*)، ونلاحظ أن في هذه الغرفة يوجد حوضين للماء البارد. وتزدان أرضية هاتين الغرفتين بفسيفساء من النوعية العالية، وقد نقلت قطعة منها تمثل رأس إله البحر الذي سميت هذه الحمامات حاليًا باسمه إلى متحف صبراتة.[2]

وفي الزاوية الشمالية الغربية لهذه الغرفة باب صغير زينت عتبته بالفسيفساء التي تصور نظام الاستحمام (صورة صندل وزجاجة زيت)، وهو يؤدي إلى غرفة الحمام الساخن كالداريوم *Caldarium* التي كانت تتمتع بجهاز تسخين المتمثل في دورة هواء ساخن كان يمر خلال آجر مجوف[3]، وتُعدّ هذه الحمامات من مراكز الترفيه التي كان لها أهمية كبرى في حياة المجتمع الصبراتي خلال العهد الروماني، إذ كانت مركزاً تجتمع فيها مختلف الفعاليات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

1- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص.ص 204-205.
2- عبد اللطيف محمد البرغوثي: مرجع سابق، ج7، ص 457.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

بالإضافة إلى كثير من الحمامات الأخرى التي كانت منتشرة في مدن بلاد المغرب القديم، إذا احتوت تقريبًا كل الحواضر على هذا النوع من المنشآت، فقد بنيت الحمامات الكبرى لأنطونيوس *Grands thermes d'Antonin* بقرطاجة في نصف القرن الثاني للميلاد بين سنتي 154 و162م وأُنشئت على شاطئ البحر، وقد كانت مغمورة بالتّراب حتى تمّ الكشف عنها عام 1945م لتشكّل اكتشافًا هامًا؛ وهي بناية فسيحة يبلغ طولها 500م تقريبًا، كان بها قسم مخصص للرجال وآخر للنساء، وتحتل مساحة 2000م^2 (هكتارين)[1]، لم يتبقّ من حمّامات أنطونيوس إلّا الطّابق السفلي (أنظر الشكل رقم 35، ص 71).

كانت هذه الحمامات تحتوي على غرف مقبّبة تمثّل القاعات الفخمة، وفي الوسط توجد القاعة الباردة تحملها ثمانيّة أعمدة من القرانيت، كما يحتوي هذا الطّابق الأجنحة المكوّنة من غرف منتصبة بانتظام حول الباحة المكشوفة في الوسط.[2]



الشكل رقم (35): الحمامات الكبرى لأنطونيو في قرطاجة، **نقلاً عن:**

- Rapport de la mission conjointe de suivi reactif centre du patrimoine mondial - icomos site archeologique de carthage (tunisie), (24 –28 janvier 2012), URL: *whc.unesco.org/document/116958*, P.56.

كما كانت في بولا ريجيا *Bulla Regia* حمامات معروفة باسم الحمامات الكبرى الجنوبية *Grands Thermes Sud*، أو حمامات ممّيانس *Thermes Memmiens*، لها منظر جميل بعد أن أزيل عنها الردم[3]، وحمامات كاراكالا *Thermes de Caracalla* بدوقة *Dougga*، كان يطلق عليها اسم حمامات ليسينيان *Liciniens*، وهذه التسمية

1- أحمد صفر: مرجع سابق، ص 348. Décret (F.), Fantar (M.): L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au V siècle, éd. Payot, Paris, 1981, P.253.

2- مادلين هورس: تاريخ قرطاج، تر.: إبراهيم بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1981، ص.ص 131-132.

3- Thébert (Y.): "Bulla Regia", in 11|Bracelets-Caprarienses, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», N° 11), 1992 [Enligne], mis en ligne le 01 mars 2013, consulté le 01 février 2015. URL : *http://encyclopedieberbere.revues.org/1878*, P.5.

استبعدها ميشال كرستول *M.Christol*، الذي أعادها إلى عهد الإمبراطور كاراكالا (211-217م)[1]، بنيت في الجهة الجنوبية الشرقية لمدينة دوقة على أرضية ذات انحدار 6 متر وعلى مساحة 1700م²[2]، بالإضافة إلى الحمامات العامة في تيفست[3] المبنية بشكل جيد، يعود تاريخ بنائها إلى القرن الثاني للميلاد، من الحجارة والآجر المرصوف، وقد تم اكتشافها عام 1886م من قبل ألّوت دي لافوي *Allotte de la Füye*، ويحتوي على غرف ومسابح وأرضية مبلطة بفسيفساء ذات تركيبة جميلة تدخل في دورة الآلهة وصور حيوانات[4]، وقد اتسمت بالفخامة والضخامة.[5]

ودلت المعطيات الأثرية على وجود العديد من الحمامات في روسيكاد، وأهمها الحمامات الواقعة في الشمال الغربي من المدينة في اتجاه "باب أسْطورة"، غير بعيد عن الصهاريج الكبرى الواقعة في منحدر بويعلي، وتكون قد أنشئت منذ القرن الأول للميلاد، وتحتل موقعًا مهماً لأنها تشرف على شاطئ روسيكاد، لتوفر لمرتاديها الاستحمام والترفيه والمنظر الجميل، كانت تتكون من عدة قاعات غاية في الجمال بهندستها المعمارية المتناسقة ومنحوتاتها وزخارفها ولوحاتها الفسيفسائية الجميلة.[6]

بالإضافة إلى وجود حمامين في ديانا فيتيرانوروم، الحمامات الغربية الواقعة على بعد حوالي 400 أو 500م عن قوس النصر للإمبراطور ماكرين *Macrin* (211-218م)، وتشير الدراسات الأثرية على وجود فسيفساء تغطيها الأتربة. والحمامات الجنوبية الواقعة على بعد 500م عن ذات القوس، وجد فيها حوض بعمق واحد متر وكانت به فسيفساء.[7]

تتكون تلك الحمامات من قاعات ذات هندسة معمارية متناسقة، تزينها المنحوتات المزخرفة، ولوحات الفسيفساء الجدارية والأرضية، وفي أَسْقُف القاعات، وتضم كائنات بحرية خرافية[8]، ومن أمثلة ذلك قاعة الحمام البارد *Frigidarium* في حمام روسيكاد الآنف

1- Lichiheb (H.): "Modélisation architecturologique des thermes impériaux romains de Tunisie", Op.cit., P.147. Camps (G.): "Dougga", Op.cit., P.5.
2- Ibid., P.147.
3- مها عيساوي: "مدينة تبسة في العصور القديمة"، مرجع سابق، ص 35.
4- De la Füye (A.): "Note sur quelques découvertes archéologiques faites à Tébessa pendant les années 1886-1887", R.N.M.S.A.C., P.P.201, 211, 233.
5- مها عيساوي: "مدينة تبسة في العصور القديمة"، مرجع سابق، ص 35.
6- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 247.
7- فريد طاطا: مدينة زانة "ديانا فيتيرانوروم" تاريخها ومعالمها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، تحت إشراف الدكتور محمد المصطفي فيلاح، معهد الآثار، جماعة الجزائر 2، 2011-2012م، ص.ص 32-33.
8- بلقاسم رحماني: مرجع سابق، ص 304.

الذكر، المزينة بفسيفساء تصور أربعة كائنات بحرية خرافية *Néréides* تمتطي حيوانات خرافية، وهي التنين والسمك الخرافي وحصان البحر، إضافة إلى الفسيفساء البلاطية والألواح الرخامية التي تغلف جدرانها، وكذلك حمامات لبتيس ماقنا التي كان يوجد في قاعتها الوسطى ذات ثمانية أعمدة كورنيثية ارتفاع كل واحد منها ثمانية أمتار رخامية تعلوها ثلاثة عقود ولها مسبح في الهواء الطلق بجانبه ميدان فسيح ينتهي بمنصتين.(1)

وقد كانت أعداد كثيرة من المغاربة يرتادونها بعد الظهر، محققين لأنفسهم غايتين: الاجتماعية والصحية، وكان الروتين المتبع في الاستحمام هو: حمام بارد وفاتر ثم البارد، وكان كل حمام في غرفة منفصلة فالحمام الحار في غرفة تسمى كالداريوم *Caldarium* والفاتر في عرفة تسمى تابيداريوم *Tapidarium* ثم يأتي الحمام الثالث وهو البارد المسمى فريجيداريوم *Frigidarium*، وفيه بركة للسباحة وأماكن للاستراحة يجلس فيها بعض الوقت الخارجون من الغرف الأخرى للحمام قبل الخروج من الحمام إلى الشارع، وكان يتصل بالحمامات عدد من المراحيض العامة المعروفة باسم فوريكا *Forica*، والتي لا تزال بقاياها قائمة في آثار مدن بلاد المغرب القديم.(2)

ومن هنا يتضح أن إنشاء المرافق المذكورة في مختلف المدن المغاربية دليل على رفاهية الحضر في مدن بلاد المغرب القديم خلال فترة الاحتلال الروماني، مما أدى إلى ازدياد تأثير الحضارة الرومانية على المجتمعات الحضرية المغاربية التي اندمجت في الحضارة الرومانية.(3)

وستنتجت من خلال دراسة الحمامات، أنها من الميزات الخاصة للحضارة الرومانية، فقد أصبحت شائعة ومنتشرة في معظم مدن بلاد المغرب القديم. كانت من أجمل المباني تزييناً، زين الجزء الرئيسي منها الذي يحتوي على القاعات الساخنة والدافئة والباردة، كما ألحقت بها قاعات للمطالعة إضافة إلى الحدائق المزينة بأعمال فنية مثل: الرخام المتعدد الألوان والأرضيات المزخرفة بالفسيفساء والجص الملون، وكوات للتماثيل.

وكانت الحمامات تؤدي العديد من الوظائف المهمة في المجتمع المغاربي، فلا تمثل مكان الاستحمام فقط، وإنما كانت مكان لسماع الأخبار وإجراء الأحاديث والمقابلات الاجتماعية وسماع المحاضرات، فهي سجل الحياة اليومية لمجتمع المدينة المغاربية خلال

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 266.
2- عبد اللطيف محمد البرغوثي: مرجع سابق، ج5، ص.ص 315-316.
3- بلقاسم رحماني: مرجع سابق، ص 304.

الفترة الرومانية، ومكان مهم لنشر الثقافة الرومانية، لذلك كان بناء الحمامات من المنشآت التي أولت لها الإمبراطورية الرومانية الأهمية البالغة في بلاد المغرب القديم، وكانت ذات طراز معماري يمتاز بالأبهة والجمال البديع للتأثير في النفوس.

وقد وصل حب المجتمع المغاربي لهذه الحمامات إلى حد أنه كان يقضي جل أوقات فراغه فيها.

المطلب الثاني: طقوس الاستحمام

يعتبر الاستحمام جزء أساسي في الحياة اليومية للفرد الروماني والمغاربي، لتعلقه بعامل النظافة، فقد عُرف الاستحمام كضرورة للصحة الجيدة وراحة البال، لذا أصبح مظهرًا اجتماعيًا وحضاريًا في المدن المغاربية، ليصبح أحد أهم تفاصيل الثقافة الرومانية في بلاد المغرب القديم.

كان الإيديليس هو الذي يشرف على السير الحسن لهذه المرافق وعلى صونها، وهو دليل على حرص الهيئة الديكوريونية على توفير شروط الرقي الاجتماعي والحضاري لمواطنيها في الحواضر المغاربية، بل إن الكثير من أعيان تلك المدن ينفقون من أموالهم لترميم وتزيين المرافق العمومية والعناية بها، لأن المجتمع الحضري شديد التعلق بها.[1]

فكان الاستحمام طقسًا من طقوس المجتمع الحضري، إذ ينقسم يوم المواطن إلى ثلاثة أقسام: فالصباح للعمل ثم العودة إلى المنزل لتناول الغداء، والمساء بعد الزوال للتسلية والترفيه، فكانت الحمامات من بين أماكن التسلية والترفيه، أما باقي اليوم فهو للنوم، فبعد يوم عمل متعب يبدأ مع بدايات النهار الأولى تكون العودة إلى المنزل لتناول وجبة الغداء، وبعد الزوال يتوجه نحو الحمامات لقضاء وقت يستمر إلى آخر النهار (موعد تناول وجبة العشاء *Cena*).[2]

واحتوت الحمامات في حواضر بلاد المغرب القديم على العديد من القاعات، وكل قاعة كانت تؤدي دورًا معينًا، وهي:

1- قاعة خلع الملابس *Apodyterium*.

2- قاعة الاستحمام بالفاتر *Tepiderium*.

1- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 248.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 267.

3- قاعة التعرق *Laconicum*.

4- قاعة الاستحمام بالحار *Caldarium*.

5- قاعة الاستحمام بالبارد *Frigidarium*، وهي الأكثر بذخًا، تكون مسبوقة في الغالب بقاعة الحركات الرياضية *Palaestrum*.

6- قاعة الدلك بالزيت *Elaeothesium*.(1)

أما عملية الاغتسال فهي تمر على مراحل، إذ يبدأ المستحم بالدخول إلى قاعة ذات حرارة مرتفعة جدًا أي الحمام البخاري المعروف باسم لاكونيكوم *Laconicum*(2)، ليتعرق الجسم كفاية، ثم يليه الدخول إلى قاعة الاستحمام بالماء الحار جدًا لغرض إزالة العرق، ثم قاعة الماء البارد لشد العضلات وتقويتها، ثم تليه قاعة التدليك، والذي يتم بزيت الزيتون لغرض جمالي(3)، وكان الأثرياء يُحضِرون عبيدهم معهم أو يستأجرون خدم الحمامات لتدليكهم وتجفيف الزيت عن أجسامهم.(4)

بعد الانتهاء من ذلك يتوجه المستحم، حسب هواياته إلى النشاط الترفيهي الذي يميل إليه، كالمطالعة أو الاستماع إلى أحد الخطباء أو حضور نِقَاش في السياسة أو الفلسفة أو التمتع بمشاهدة التحف الفنية، أو حضور مراسيم إتمام الخطوبة، التي خصصت لها قاعات خاصة تتوفر على أسباب الراحة.(5)

كانت هذه صورة قلمية موجزة عن الأنشطة التي تتم داخل الحمامات على غرار ما أوردناه بالنسبة للألعاب المسرحية وألعاب المصارعة والسباقات في ميادين السباق، خصوصًا أن البلديات كان لها دور فعال في إنعاش الحياة الحضرية في المدن المغاربية مدنًا كبرى كانت أم صغرى، فضلاً من أن الأثرياء قد نقلوا تلك الرفاهية إلى قصورهم الريفية وأقاموا بها مرافق تضاهي مرافق المدن مثل بومبيانوس *Pompeianus* الذي أقام حمامات رائعة بفسيفسائها وبذخها بجوار قصره.(6)

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 267.
2- عبد اللطيف محمد البرغوثي: مرجع سابق، ج5، ص.ص 315-316.
3- محمد العربي عقون: مرجع سابق، ص.ص 267- 268.
4- عبد اللطيف محمد البرغوثي: مرجع سابق، ج5، ص.ص 315-316.
5- محمد العربي عقون: مرجع سابق، ص.ص 267-268.
6- غير بعيد عن وادي عثمانية الحالية باتجاه الجنوب الغربي. محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 249.

أستنتج من خلال هذا العرض حول طقوس الاستحمام اليومي، أن مدن بلاد المغرب القديم بلغت درجة عالية من الرقي الحضاري، الذي كانت ترعاه الهيئات البلدية، ونقل المستوطنون الرومان إلى حماماتها طقوس الاستحمام اليومية من روما، فأصبح المواطن الحضري يعيش وفقًا لحياة المجتمع الروماني، ومن دون شك فإن ذلك كان لا ينطبق على سائر الطبقات الاجتماعية خاصة الكادحة منها، التي كانت تكد من أجل الحصول على لقمة العيش، فليس لها الوقت للانغماس في حياة البذخ والراحة، التي كانت تتمتع بها فئة معينة من المجتمع المغاربي، ما جعلها تنظر إليها بعين السخط؛ تلك الطبقات التي ستكون وقودًا للمقاومات التي ستشهدها المنطقة، والتي ستثور على أوضاعها المزرية وكدحها الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وكخلاصة عامة فإن حياة الفرد المغاربي في مدن بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، كانت تميل إلى حياة البذخ والرفاهية أكثر من الحياة العملية، ما يشير إلى تغيير القيّم الاجتماعية في المجتمع الروماني وحتى المغاربي، ويمكن أن نلخص ذلك في العبارة التي نقشت في الساحة العمومية *Forum* لمدينة تيمقاد، تلك العبارة التي تتكون من ست كلمات وكل كلمة من ست حروف، ما نصها: *Venari Lavari, Ludere Ridere, Occet Vivere*، ومعناها: القنص أو الصيد، والسباحة واللعب، والضحك هذه هي الحياة.[1]

1- أنظر: دليل آثار تيمقاد، مرجع سابق، ص 16. بن مرزوق عبد الرحمان: "مدينة تيمقاد أو تاموقادي قديمًا"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية، تصدرها جمعية التاريخ والتراث الأثري بولاية باتنة، العدد: 2، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 1408هـ/1987م، ص 47.

الفصل الثاني

السياسة الثقافية الرومانية في المجال الديني والاجتماعي

المبحث الأول: السياسة الثقافية في المجال الديني

المطلب الأول: الديانة الوثنية

المطلب الثاني: الديانة المسيحية

المبحث الثاني: السياسة الثقافية في المجال الاجتماعي

المطلب الأول: المواطنة وسياسة الدمج

المطلب الثاني: وضعية المجتمع المغاربي

الفصل الثاني: السياسة الثقافية الرومانية في المجال الديني والاجتماعي

عرف المجتمع المغاربي تفتحًا على ثقافات وديانات الشعوب المجاورة، وتعامل معها بكل احترام إن لم تفرض عليه بالقوة، وذلك ما ينطبق على المعتقدات الفينيقية والمصرية وحتى الإغريقية، والتي أخذت مكانًا لها إلى جانب المعبودات المحلية التي كان قد آمن بها منذ زمن موغل في القدم، غير أن ذلك قد اختلف بالنسبة للمعبودات الرومانية التي صاحبت الاحتلال الروماني، لأنها ارتبطت في ذهن الإنسان المغاربي بسياسة الرومنة الثقافية المنتهجة من قبل السلطة الرومانية، التي مست المجال الديني وتعدت إلى المجال الاجتماعي، فقدمت لمن أراد من المغاربة الجنسية الرومانية، بهدف رومنة المجتمع المغاربي، ما أدى إلى تغيّر في نظمه الاجتماعية، وسأتناول ذلك في هذا الفصل:

المبحث الأول: السياسة الثقافية في المجال الديني

سأعالج في هذا المبحث سياسة روما الثقافية في المجال الديني، بدراسة الديانة الوثنية ثم الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني.

المطلب الأول: الديانة الوثنية(*)

أشار هيرودوت(*) إلى أن المغاربة القدماء قد قدسوا الظواهر الطبيعية وخاصة الشمس والقمر والمياه والكهوف والمغارات والجبال[1]، كما عبدوا الحيوانات كالثور والأسد والكبش واتخذوا لها التماثيل والأشكال[2]، فمثلا الكبش أعتبر إلهاً مقدسًا تحت اسم "أمون"،

---

*- **الديانة الوثنية:** ذهب هوميروس أن الآلهة كانت من أبناء آدم، ولكن مع مرور الأيام والأجيال كبّر همتهم ورفع شأنها إلى درجة الآلهة، كما ذهب الفيلسوف سبنسر إن عبادة النسل هي أساس الأديان جميعًا. وقد كان بنو شيث يأتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه فقال رجل من بني قابيل بن آدم: يا بني قابيل يا بني قابيل إن لبني شيث دوارًا يدورون حوله ويعظمونه وليس لكم شيء، فنحت لهم صنمًا وكان أول من عملها، وكذلك ما حدث مع **"ودًا وسواع ويعوق ويغوث ونسرا"**. للمزيد أنظر: حسين نعمة: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م، ص 21.

*- **هيردوت:** هيردوتس أو عطية الربة هيرا، مواطن من هاليكارنيساس، يرجح أن ولد عام 484ق.م، وأمضى حياته الأولى في بلدته، وخلال سبعة عشر عامًا طاف العالم فزار ما مقداره (24° عرضًا و31° طولاً)، طاف بلاد اليونان وجزر بحر إيجه وبلاد ما بين النهرين، وأقاصي سواحل البحر الأسود، وسوريا وفلسطين ومصر وقورينا وليبيا، ثم استقر في أثينا عام 447ق.م وكتب تاريخه الشهير، وافته المنية سنة 424ق.م. علي فهمي خشيم: نصوص ليبية، ج6، أعده للنشر تامنغاست، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، (د.ت)، ص 10. وأنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج7، مرجع سابق، ص 223.

1- هيرودوت: تاريخ هيرودوت، تر.: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، (د.ب)، 2001م، ص 366. مصطفى أعشي: أحاديث هيردوت عن الليبيين (الأمازيغ)، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، سلسلة الترجمة رقم: 13، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2009م، ص 12. Basset (R.): Recherches sur les Religions des Berbères, éd. Ernest Leroux, Paris, 1910, P.11. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, P.P.136, 141-142.

2- روبين دانيال: أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا، دراسة تاريخية عن القرنين الأولين، تر.: سمير مالك، دار منهل الحياة، بيروت، لبنان، 1999م، ص 34.

ويحتمل أن عبادته كانت منتشرة في بلاد المغرب القديم قبل جفاف الصحراء[1]، وقد ذكر أبو عبيد الله البكري أن قبيلة عاشت في المغرب الأقصى كانت تعبد الكبش خلال القرن العاشر الميلادي.[2]

أما بالنسبة لعبادة الشمس فقد ذكر شيشرون *Cicéron* إن الملك ماسينيسا عندما قابل سكيبيو الروماني في القرن الثاني قبل الميلاد صلى إلى الشمس قائلاً لها: "**إني أقدم شكري العميق لك أيتها الشمس المرتفعة ولسائر الآلهة أيضًا في السماء، بسبب إتاحة الفرصة لي وقبل انتقالي من هذه الحياة أن أرى في مملكتي وتحت سقفي بيتي كرنيليوس سكيبيو**"[3]. كما عبد المغاربة القمر في المنطقة الممتدة بين بحيرة تريتونيس (شط لجريد) إلى مصر.[4]

وتأثر مجتمع بلاد المغرب القديم بالديانة المصرية، فعبدوا معبوداتهم، لاسيما الإله أمون الذي يتخذ شكل الكبش المتوج والربة إيزيس، فذكر هيرودوت أن نساء قورينة يعتبرون أكل لحم البقرة نوعًا من الإثم احترامًا لإيزيس التي يكرمنها بالصيام والاحتفالات.[5]

كما عبدوا الآلهة الإغريقية وعلى رأسها الإله زيوس وتريتونيس وأثينا وبوصيدون[6]، وهذا الأخير الذي أشار هيرودوت أن اليونانيون قد اقتبسوه عن الليبيين، لأن اسم الرب بوصيدون لم يكن موجودًا، عند أي شعب من الشعوب غير الليبيين الذين ظلوا على الدوام يعظمونه[7]، والآلهة البونية وعلى رأسها بعل حامون وتانيت بني بعل، وهما المعبودان

1- مهران محمد بيومي: المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1410هـ/1990م، ص 205.
2- مها عيساوي: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، دارسة تاريخية لغوية حول الواقع الثقافي قبيل الاحتلال الروماني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430هـ/2009م، ص 194.
3- رابح لحسن: أضرحة الملوك النوميد والمور دراسة أثرية وتاريخية، دار هومة للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 255.
4- Basset (R.): Op.cit., P.14.
5- هيرودوت: أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، تر.: مصطفى أعشي، ط1، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، دار المعارف، الرباط، 2009م، ص 30. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, P.P.150-153. أنظر: محمد الهادي حارش: "في أصول عبادة آمون في المغرب القديم"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد: 04، 1988م، ص.ص 11-18. مها عيساوي: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، مرجع سابق، ص 57.
6- Olivier (M. G.): Recherches sur l'Origine des Berbères, Imprimerie Dagand, Bone, 1867, P.19.
7- هيرودوت: أحاديث هيرودوت عن الليبيين (الأمازيغ)، مصدر سابق، ص 30.

الرئيسيان المميزان عند قدماء المغاربة وبعل إيدير، وتفانوا في عبادتهم[1]، وقد اعتبر المغاربة أن الإلهة تانيت زوجة لبعل حامون.[2]

لذلك فقد قال ابن خلدون عن ديانة قدماء المغاربة: "**وكان دينهم دين المجوسية شأن الأعاجم كلهم بالمشرق والمغرب إلاّ في بعض الأحايين يدينون بدين من غلب عليهم من الأمم**".[3]

أما عن الرومان، فقد عبدوا تقريبًا كل الآلهة التي يجدونها في مستعمراتهم، وكانوا يقتبسون كثيرًا من عقائد الأمم الأخرى[4]، فقلدوا في ذلك الإغريق، فأضحت آلهتهم صورة طبق الأصل لتلك الآلهة والفرق بينهما في التسمية؛ فحل جوبيتر محل زيوس، ومارس محل آريس، وجونون بدل هيرا، ومينرفا بدل أثينا، كما أنهم لمّا سيطروا على الشرق، أدخلوا إلى روما العبادة الشرقية منها الإلهة إيزيس المصرية[5]، وميترا[*] الذي نشأ في بلاد فارس[6]، وسيبل *Cybèle* التي دخلت إلى روما عام 205ق.م زمن كلوديوس *Claude* (41-54م)، التي وجدت لها نقيشة في موقع بناسا *Banassa* الأثري[7]، كما كانوا أيضًا متمسكين بمعتقداتهم الوثنية، وظلوا أوفياء لها في بلاد المغرب، فأنشئوا الهياكل الضخمة لعبادتها، حيث كان في كل مدينة هيكل أو هياكل كثيرة، منها: معبد فينوس في سبيطلة، وهيكل مدينة دوقة الشهير.[8]

ولما كان الرومان متسامحين إزاء جميع الديانات، فقد امتازت خريطة المعتقدات الدينية في بلاد المغرب خلال تلك الفترة بالتعقد والتداخل، أين تعايشت عدة معتقدات متباينة في أصولها وطقوسها، وتنوعت المعبودات. فتضمنت تلك الخريطة إلى جانب الديانة

1- محمد الهادي حارش: مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص 101.

2- للمزيد أنظر: مصطفى أعشي: "الربة تانيت بين الأصل الأمازيغي والامتداد الشرقي"، مجلة المؤرخ الإلكترونية، العدد: 09، مجلة تاريخية دورية تصدر عن جمعية ليون الأفريقي للتنمية والتقارب الثقافي، 2011م، الرابط: *http://magazin-histoire.blogspot.com*، ص 35.

3- عبد الرحمان ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج.6، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ص 125.

4- حسين نعمة: مرجع سابق، ص 80. محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 338.

5- لبيب عبد الساتر: الحضارات، ط16، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2003م، ص.ص 198، 200. أنظر: Dominique et Michèle Frémy: quid 2001, Op.cit., P.561.

*- عرف بأنه إله الشمس ثم ظهر في روما على أنه الشمس التي لا تقهر، ولاقت عبادته رواجًا كبيرًا بين الرومانيين وخاصة الجنود العسكريين. أحمد علي عجيبة: موسوعة العقيدة والأديان، الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ج6، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1994م، ص 190.

6- voir: Mac Carthy (O.): Monuments du culte de Mithra, R.N.M.S.A.P.C., Alessi et Arnolet, Libraires éditeurs, Constantine, Alger, 1863, P.257-260.

7- سيدي محمد العيوض: "موقع بناصا الأثري من الأصول إلى الجلاء الروماني"، مجلة كان الإلكترونية، العدد: 13، سبتمبر 2011م، الرابط: *www.kanhistorique.org*، ص 112. Danièle (R.), Yves (R.): Op.cit., P.274.

8- محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 322.

الرومانية[1]، المعتقدات البونية التي اعتنقها البسطاء في المدن، والمعتقدات الليبية المنتشرة خارج حدود النفوذ الروماني.

لكن ورغم ذلك فقد عملت الإدارة الرومانية في بلاد المغرب على الجمع بين السلطة الإمبراطورية والسياسة الروحية، فأقامت جهازًا رسميًا يتكون من مجلس الكهان الأعلى المقيم في عاصمة المقاطعة الأفريقية، والذي يجتمع مرة في السنة لاختيار الكاهن الأعظم، وكان هذا الكاهن يرأس هذا المجلس[2]، وهو مسؤول أمام الإمبراطور عن حسن سير الديانة الرومانية، وقد بالغت الدولة في إبراز أهمية الجهاز الديني حتى أصبح مماثلاً لمجلس البلدية في الأهمية أو يفوقه، وكان للكهان في المجلس البلدي مكانة مرموقة نتيجة للدور الذي يلعبونه في المنطقة[3]، كما أوسدت لهذا الجهاز مهمة الإشراف على الشؤون الدينية في بلاد المغرب القديم، بمختلف شعائرها المتمثلة في إقامة الاحتفالات والمآدب والمهرجانات.[4]

لذلك تطلع أعضاء مجلس الأعيان *Ordo Decurionum* الذين بلغوا قمة المناصب البلدية إلى منصب الكهانة *Flamen* لمدى الحياة.

إن تقديس المجتمع المغاربي لمعبوداته المحلية كان بدافع الحاجة، وخاصة الظواهر الطبيعية – كما أشرت إلى ذلك سابقًا –؛ فلما عرف الفائدة التي كانت تقدمها له، أقبل على عبادتها وتفانى في ذلك، عن طريق تقديم الأضاحي والقرابين.[5]

وكان ذلك على عكس سياسة الرومان، الذين لم يتوقفوا إلى حد الاستيلاء على الأرض فقط بل حاولوا الاستيلاء على الأرواح أيضًا[6]، فحاولوا فرض ديانتهم ومعتقداتهم على المجتمع المغاربي، وعلى رأسها عبادة الإمبراطور، وهي عبادة تعود إلى عهد أوكتافيوس الذي أعطي لقب أغسطس، وهو لقب لا يعطى إلا للآلهة؛ ولم تكن تلك الصفة بالجديدة فيوليوس قيصر أعتبر إلهًا من قبل، كما أن هناك أباطرة طالبوا بأن يُعبدوا في حياتهم أمثال كاليڤولا (37–41م) ونيرون (54–68م) ودوميتيان (81–96م)[7]، هذه العبادة

1- محمد الصالح العود: التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م، ط1، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2010م، ص 40.

2- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص.ص 226-227.

3- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 1433هـ/2012م، ص 315.

4- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 225.

5- المرجع نفسه، ص.ص 226، 227.

6- Gsell (S.): L'Algérie dans l’antiquité, typographie Adolphe Jourdan, imprimeur libraire éditeur, Alger, 1903, P.88.

7- جفري براندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر.: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، الكويت، 1993م، ص 79-80. التواريخ من كتاب: Roman (D.), Roman (Y.): Op.cit., P.382.

التي فرضت على المغاربة إكراهًا كان يرى فيها تبعيتها للجهاز السياسي الذي دمر حياته فحمّل السلطة الرومانية مسؤولية تدهور أوضاعه الاقتصادية والاجتماعية[1] والثقافية.

وكان ذلك صعبًا، لكون المغاربة كانوا أكثر تمسكًا بآلهتهم المحلية وعلى رأسها الإلهة تانيت والإله بعل أمون[2]، ويذكر ستيفان ڤزال على أن عبادة الإمبراطور وتقديسه هي الديانة الرسمية في البلديات المغاربية لما لها من دور لدعم تعلُّق الرعية بالإمبراطور[3]، ومكنته من مراقبة حكام مقاطعات بلاد المغرب القديم مراقبة أشد حزمًا، فكانت تقام في كل مدينة مغاربية قداسًا دينيًا للإمبراطور، ليس لتقديس شخصه بل لتقديس الرمز الموجود في وظيفته السامية ذات الصبغة الإلهية المقدسة؛ حيث كان في كل عاصمة ولاية يجتمع الشيوخ ومندوبو المدن المختلفة لإقامة ذاك القداس الإمبريالي.[4]

كانت الجماهير تحضُر الحفلات المقامة عبادةً للإمبراطور من طواف وأضاح ومآدب مقدسة، فذكر شارل أندري جوليان أنه كانت توضع بهذه المناسبة المواقد وأسِرّة الطعام في الساحة العمومية، وتقام المآدب في كل مدينة وفي كل حي[5]، وتتحول المدينة إلى حانة أو خمارة، وينهمك الناس في الفساد والفحشاء والتجاوزات اللا أخلاقية نتيجة الإكثار من شرب الخمور[6]، ويذكر محمد البشير شنيتي أنها بهذه الصفة مناسبة للتأثير على نفسية الجمهور الجائع وإقناعه بجلال الإمبراطور العطوف الجدير بالحب والتقدير.[7]

في حين لم تحظ الآلهة الرومانية برضا المغاربة وقبولهم، إلا عندما استمدت الديانة الرومانية روحها وجوهرها من الآلهة المحلية، كالإله ساتورنوس الذي استمد روحه من بعل حامون، والإلهة كايلستيس التي استمدت روحها من الإلهة تانيت، لذلك كانت عبادة هذين الإلهين من العبادات الأكثر انتشارًا في بلاد المغرب في الفترة الرومانية وتحولا إلى إلهين ذوي شأن معتبر في بلاد المغرب القديم وهو أسلوب اتبعته روما في سياستها برومنة الآلهة المغاربية لما فشلت في الفرض التام لمعتقداتها[8]، وانتشرت هذه العبادة في ضواحي لبدة

1- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 226.

2- رشيد الناضوري: مرجع سابق، ص.ص 341-342.

3- Gsell (S.): L'Algérie dans l'antiquité, Op.cit., P.87-88.

4- أحمد صفر: مرجع سابق، ص 320. وشارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 253.

5- شارل أندري جوليان: المرجع نفسه، ص 253.

6- أحمد صفر: مرجع سابق، ص 361.

7- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 315.

8- Basset (H.): Les influences puniques chez les Berbères, R.AF., A. Jourdan, Libraire -éditeur, Alger, 1921, P.P.367-368.

إلـى يول (شرشـال)، ومـن السـواحل الشـمالية إلـى مشـارف الصـحراء جنوبًـا، ويعتبـر تمسـك الأهالي بآلهتهم مظهر من مظاهر المقاومة الصامتة للرومان.[1]

وعلـى رأس خريطـة المعبـودات المحليـة المرومنـة والرومانيـة المنتشـرة فـي بـلاد المغـرب القديم نجد الإله ساتورن *Saturne*، وهو نفس الإله بعل حامون[*] الذي لم تكن لتتزعزع مكانته فـي الفتـرة الرومانيـة، ولكن بتغييرات ظاهريـة طفيفة تتمثل فـي وضـع تسمية لاتينيـة جديـدة لـه: "سـاتورنيوس الأفريقـي" (أنظـر الشـكل رقـم 36، ص 83)[2]، ويقـول محمـد غـانم الصـغير أن: "**عبادته في المنطقة تبدو استنساخاً للإلـه البونـي بعـل حـامون**"، وقد وجدت لـه ثلاثـة نصب تحمل رمزه قرب مدينة كويكول (جميلة) الأثرية، ويُؤرخ لها بالقرن الثالث الميلادي، وتدل علـى مدى رومنة الديانة الليبو – بونية[3]، ويذكر محمد العربي عقون أن في العهد الروماني اقتضـى التعبير باللاتينية ترجمة اسم هذا الإله إلى ساتورن.[4]

ومن جهـة أخرى يظهر الإلـه سـاتورن فـي شـكل شيخ ملتح لـه رأس غطـاء فـي شـكل تـاج، وفـي بعض النصـب يحمل بيده غطـاء رأسـه، وفـي اليد الأخـرى يحمل حربـة[5]، كانـت تقدم له القرابين البشرية في الفترة البونية؛ وبسبب تحريم تقديم الأطفال كأضـاحي لهذا الإلـه، منذ فترة حكم تيبر *Tibère*، تم تعويضـها بقرابين حيوانيـة مثل الكبش والثور وهو ما عرف عند البـاحثين بطقوس الاستبدال (مولخومورو *Molchomoro*)[6]، وقد مكن ذلك البـاحثين التأكد من هذا التحول في الأضـاحي بفضل اكتشاف ودراسة النصب الرومانية بموقـع نقاوس التي تعود إلى القرن الثالث الميلادي: استبدال خروف، نفس بنفس (*anima pro anima*)

1- محمد الهـادي حـارش: التـاريخ المغـاربي القديم السياسـي والحضـاري منذ فجـر التـاريخ إلـى الفتح الإسـلامي، المؤسسـة الجزائرية للطباعة، وحدة بن بولعيد، الجزائر، 1992م، ص.ص 222-223.

*- بعل حمّون إله قرطاجة الأكبر، وتنطبق تسمية بعل مع المعلم أو السيد، أما حمّون والتي يصعب تحديد جذورها فيمكن أن تدل على مذبح العطر (في العبرية التوراتية "حمّان")، أو ربما تدل على الحرارة أو الجمر، وبذلك يكون "سيد الجمر". للمزيد أنظر: فرانسوا دوكريه: قرطـاجـة الحضـارة والتـاريخ، تـر.: يوسـف شـلب الشـام، دار طـلاس، دمشـق، 1994م، ص 116.

2- Leglay (M.): "Saturne africain", Annales Économies, Sociétés, Civilisations, Année 1970, Vol.25, Numéro 5, *http://www.persee.fr*, P.8.

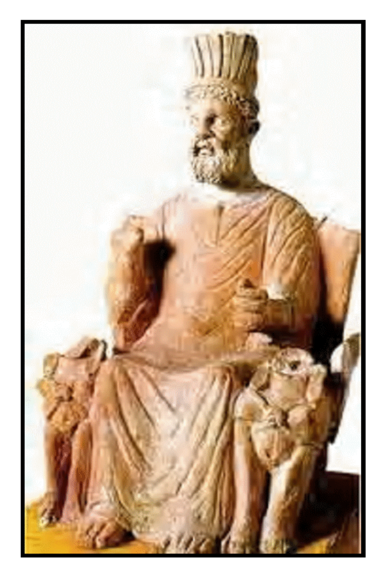
3- محمد الصـغير غـانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيـا، دار الهـدى للطباعـة والنشـر والتوزيـع، عين مليلة، الجزائر، 2005م، ص 110.

4- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 217.

5- Gsell (S.): L'Algérie dans l'antiquité, Op.cit., P.86-87.

6- فرانسـوا دوكريـه: مرجـع سـابق، ص 121-122. Leglay (M.): Saturne africain, Op.cit., P.9.
Picard (CH.G.): Les religions de l'Afrique antique, Paris, 1945, P.P.105-161.

دم بدم (*sanguine pro sanguine*) حياة بحياة (*vita pro vita*)[1]، وتكون العبارة: "روح بروح ودم بدم وحياة بحياة".



(أ): بعل حامون



(ب): تمثال نصفي للإله ساتورن

الشكل رقم (36): ساتورن وبعل حامون، **نقلاً عن:**

(أ): المتحف الوطني بباردو، تونس، الرابط: *http://www.bardomuseum.tn*، تاريخ التحميل: 2014/08/15م.

(ب): محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 112.

كانت عبادته تغطي كل بلاد المغرب القديم إلى غاية طرابلس[2]، وقد بنيت له معابد عند الرومان في نفس الأماكن التي احتلها بعل حامون من قبل، وأهديت له العديد من التماثيل والنصب في المدن المغاربية المرومنة التي في الغالب بنيت على أنقاض مدن محلية الليبو – بونية والنوميدية والموريتانية.[3]

أما الإلهة الثانية فهي الإلهة كايلستيس *Caelestis*، وهي إلهة تعتبر استنساخًا للإلهة تانيت[*]، وقد قدمت على شرفها العديد من النصب والتماثيل، عُبدت على أنها سيدة الكواكب وإلهة الأمومة والخصوبة مثل تانيت، مما جعلها تُدعى بالإلهة العذراء الكبرى، وفكرة عذريتها قد نصت عليها النقوش مثل نقوش ألبولاي بعين تيموشنت (*Dea Magna*

1- ڤابريال كامبس: في أصول بلاد البربر ماسينيسا أو بدايات التاريخ، تعريب وتحقيق: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الأبيار، الجزائر، (د.ت)، ص 266.

2- Leglay (M.): "Caelistis", in 11|Bracelets-Caprarienses, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», n° 11), 1992 [En ligne], mis en ligne le 01 avril 2013, consulté le 13 juin 2015. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/1896*, P.2.

3- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 111.

*- تعتبر إحدى أكثر الآلهة القرطاجية شهرة، وبرزت منذ القرن 5ق.م، محتلة المرتبة الأولى في النصوص النذرية البونية. للمزيد: أنظر: الشاذلي بورونية ومحمد الطاهر: قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر، تونس، 1999م، ص 277.

(*Virgocaelstis*)، وهي من إلهة بونية استمرت عبادتها في الفترة الرومانية، وتم تحويل اسمها فأصبحت تعرف بجونون – كايلستيس *Junon - Caelstis*، وقد عثر على رسوم لها في نصب كل من قرطاجة ودوقة وكيرتا.[1]

والقرابين والطقوس التي كانت تقدم للآلهة الرومانية تقريبًا متشابهة مع تلك التي قدمت للآلهة البونية التي سبقتها، وقد حافظ المغاربة على عبادة هذه الإلهة مع بداية الفترة الرومانية، ذلك أن اسمها وجد منقوشًا بالحروف اللاتينية على جدران الكهوف التي كانوا يسكنونها[2]، مثل: مغارة جبل طاية بقالمة بجانب الإله باكاكس.[3]

بالإضافة إلى إله الطب إسكولاب *Esculape*، ويمكن أن يكون نفسه الإله أشمون الفينيقي، وهو نفسه الإله أسكوليبيوس *Ascolépios* عند اليونان، وقد يساوي في وظيفته الإله الليبي ماكورڤوم *Macurgum*. عثر على العديد من التماثيل لإسكولاب في قرطاجة وحيدرة (قرب تبسة)، ومن خلال تماثيله كان إلهًا ملتحيًا ذو شعر كثيف ويرتكز في وقفته على ثعبان، وهو إله شافي من كل الأمراض وارتبط بالدين والطب، وقد تطورت عبادته في بلاد المغرب القديم من قبل الفرقة الثالثة الأوغسطية، وكانت له ابنة عبدت في لبتيس ماڤنا بليبيا[4]، وقد وجد في لمباز نقشًا واضحًا في معبد هيركليس يشير إلى أن هذا المعبد قد أهدي لإسكولاب وسالوس *Salus* إلهة الصحة كذلك.[5]

أما الإله جوبيتر *Jupiter* الذي أعتبر أقدم وأعظم آلهة رومانية، يكون على رأس البانثيون الروماني (مجمع الآلهة)، واعتبر حامي الدولة الرومانية[6]، والمشرف على القوانين والمعاهدات والمواثيق التي كانت تعقدها روما في الحروب وراعيها وناصر جيوشها، وأقام له الرومان معابد على قمة الكابيتول في المدن الرومانية إلى جانب زوجته جونون وابنته منيرفا، وغالبًا ما يتحد في العبادة مع الإله ساتورن، وورد ذكر اسمه في كثير من النقوش اللاتينية والمشخصات والتماثيل التي عثر عليها في المواقع والمدن الأثرية في بلاد المغرب القديم.[7]

1- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 110، 112. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 221.

2- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 110، 113.

3- Benabou (M.): La résistance Africaine a la romanisation, François Maspero, Paris, 1975, P.289.

4- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 110، 113.

5- هاينريش فون مالتسان: مرجع سابق، ج3، ص 86.

6- جفري براندر: مرجع سابق، ص 74.

7- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 114-115.

وبعده الإلهة جونون *Junon*، وهي أعظم الآلهة الرومانية باعتبارها زوجة الإله جوبيتر وتمثل إلهة الأنوثة[1]، ولعلها هي نفسها الإلهة تانيت التي تحولت إلى كايلستيس، وقد طابق الرومان تانيت من جهة أخرى مع جونون – كايلستيس[2]، وهي واحدة من الثلاثي الذي يكوّن البانثيون الروماني في مدينة روما وبلاد المغرب القديم.

أما الإله أبولون *Apollon* وهو من بين الآلهة الهيلينية الاسم، فيشبه الإله البوني بعل حامون على أساس علاقته بالشمس، وكان له العديد من المعابد مثل معبدي بولا ريجيا ومكثر ثم معبد كونوس الذي كان مشهورًا، حيث يتدخل لمنع نقمة الآلهة عند العبّاد في بلاد المغرب القديم.[3]

الإلهة ديانا *Diana* وهي آلهة الصيد والطبيعة المتقلبة عند الرومان[4]، التي عثر على تماثيل لها في العديد من المواقع الأثرية ببلاد المغرب القديم، مثل وليلي *Volubilis* وبناسا *Banassa* وتمودة *Tamuda* بالمغرب الأقصى، وتبسة وزانا بالجزائر، وهذه الأخيرة المعروفة باسم ديانا فيتيرانوروم[*] *Diana Vetéranorum*، وهو الاسم الذي أطلق عليها عند تأسيسها من قبل جنود الكتيبة الثالثة الأوغسطية[5]، وكانت لها مكانة خاصة في هذه المدينة التي تحمل اسمها، وشيّد لها معبدًا كبيرًا في الجهة الجنوبية للمدينة، الذي أخذ البزنطيون كل حجارته لبناء القلعة ولم يبقى منه سوى البوابة، كما نجد صورتها منقوشة على عقد قوس الإمبراطورين ماركوس أوريليوس (161–180م) ولوكيوس فيروس (161–169م) (أنظر الشكل رقم 37، ص 86).[6]

1- جفري براندر: مرجع سابق، ص 74.

2- فرانسوا دوكريه: مرجع سابق، ص 115.

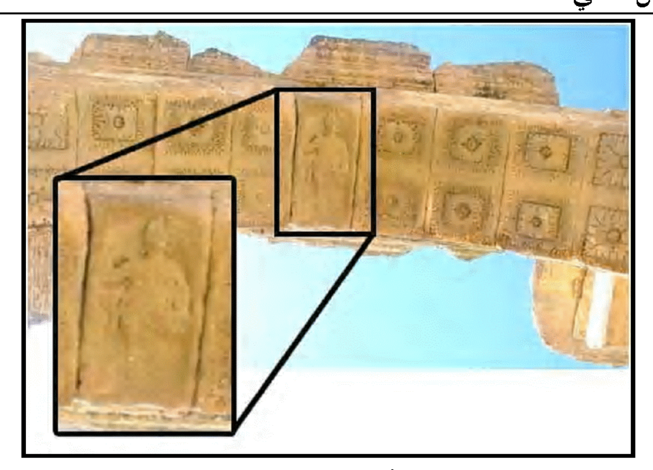
3- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 122-123. Picard (CH.G.): Op.cit., P.101.

4- محمد الصغير غانم: "زانة الأثرية"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا: جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد: 12، شركة باتنيت للمعلومات والخدمات المكتبية، باتنة، 1425هـ/2004م، ها. 1، ص 48.

*- **فيتيرانوروم *Vetéranorum***: يطلق هذا الاسم على الجنود الرومان القدماء الذين كانوا يكونون الكتيبة الثالثة الأوغسطية *Les Vétérans de la III Augusta* وهم الذين أسسوا مدينة ديانة في بداية القرن الثاني للميلاد لأغراض عسكرية دفاعية. محمد الصغير غانم: "زانة الأثرية"، مرجع سابق، أنظر: ها. 2، ص 48.

5- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 116-118.

6- فريد طاطا: مدينة زانة "ديانا فيتيرانوروم" تاريخها ومعالمها، مرجع سابق، ص.ص 16، 35-36.





(أ): الإلهة ديانا (ب): قوس لوكيوس فيروس

الشكل رقم (37): الإلهة ديانا في قوس لوكيوس فيروس، **نقلا عن:**

(أ): فريد طاطا: مرجع سابق، ص 119. (تصرف الطالب)

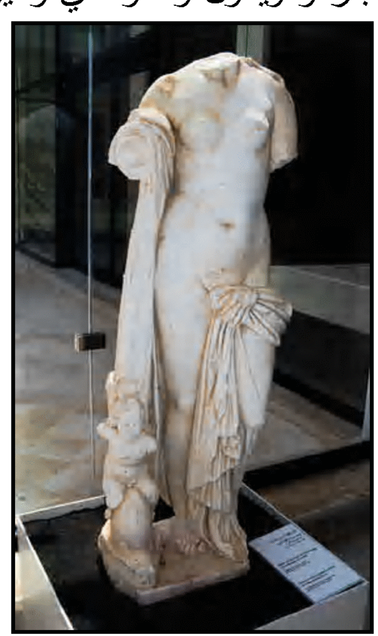
(ب): تصوير الطالب، زانة، بتاريخ 2015/03/18م.

بالإضافة إلى مجموعة من الآلهة مثل الآلهة فينوس *Vénus* (أنظر الشكل رقم 38، ص 87) التي ظهرت عبادتها في القرن الثاني ق.م، والإلهة أفروديت التي تمثل ربة قوى الطبيعة المنتجة والحدائق، وقد ذاع صيتها أكثر عندما جعلها يوليوس قيصر جدة عائلته والشعب الروماني ككل[1]، والإله مارس *Mars* الذي يعتبره الرومان جد الشعب الروماني وحاميه[2]، الذي كان مرتبط بالزراعة والحرث ثم أصبح كإله الحرب عند الرومان[3]. والإلهة مينرفا *Minerve* ترجع جذورها إلى الحضارة الأتروسكية، وهي إلهة الحكمة والذاكرة ثم الصناعات اليدوية، كما تمثل عند الرومان الركيزة التي تقف عليها سلامة روما، وهي أقدم إلهة رومانية منتشرة في كل أنحاء الإمبراطورية، وقد عُبدت في بلاد المغرب القديم على أساس أنها استمرار للإلهة تانيت.[4]

والإله مركور *Mercure* (أنظر الشكل رقم 39، ص 87)، الذي ارتبطت عبادته في بلاد المغرب القديم بأشجار الزيتون والنباتات والغابات وبذلك فهو إله الخصب، ويلتقي في ذلك مع الإله ساتورن، وقد وجد له تمثال عاري وأحيانًا نصف عاري في مدينة قرطاجة وموقع مدينة سطيف، ويقترب من الإله سيلفان *Silvain* المحلي الذي كان يُعبد في أفريقية البروقنصلية من قبل الليبيين أو القرطاجيين.[5]

1- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 117-120.
2- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.253.
3- جفري براندر: مرجع ساق، ص 73.
4- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 117-122.
5- المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

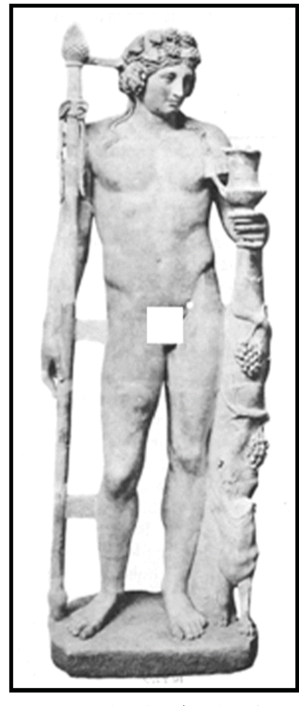
الإله باكوس *Bacchus* (أنظر الشكل رقم 40، ص 87) إله الخمر والعربدة، الذي ساهمت عبادته في تطوير التراجيديا والفن الغنائي والقصائد الحماسية، وجدت له نصب وتماثيل مزخرفة بعناقيد عنب، عثر عليها في كامل المدن المغاربية مثل ماسكولا (خنشلة) ولمباز وكويكول وثاموڤادي وغيرها من المواقع ومدن بلاد المغرب القديم.[1]



الشكل رقم (38): تمثال للإلهة فينوس محتشمة مصحوبة بملاك الحب من الرخام الأبيض القرن 2م، **نقلاً عن:**
– متحف سوسة، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/25م.



الشكل رقم (39): الإله ماركور، **نقلاً عن:**
Gsell (S.): Khamissa, Mdaourouch, Announa, T.II, Op.cit., P.43.



الشكل رقم (40): الإله باكوس، **نقلاً عن:**
Vars (ch.): CIRTA., Op.cit., P.313

أما الإله نبتون فيلتقي مع بوصيدون إله البحار والمحيطات والأنهار وإله الكواكب، عُبد في المناطق الساحلية وبالقرب من ينابيع وعيون الماء[2]، كان يعبد كإله البحر في المدن الساحلية المغاربية مثل: شولو *Chulu* (القل) وصالداي *Saldae* (بجاية) وغيرها، بينما يتحول إلى إله المياه الجارية والينابيع في المناطق الداخلية، ليكون حامي المصادر المائية مثل ما وجد في ڤفصة وبقية المناطق الأخرى ذلك لأن عبادته تكاد تختص ببلاد المغرب القديم.[3]

يضاف إلى هذا العدد من الآلهة الإله ديونيسيوس *Dionysius* إله الخمر والكروم الذي وجدت له تماثيل في المواقع الأثرية بتبسة، ويظهر في القطع النقدية للملك الموريتاني

1- Picard (CH.G.): Op.cit., P.145.
2- Haddadou (M.A): les berbères célèbre, 2éd. Alger, 2003, P.8.
3- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 125-126.

بوخوس[1]، والإله سيراس *Céres* الذي عبد من قبل الإغريق المترومنين في بلاد المغرب القديم وتلتقي عبادته مع الإلهة تانيت في الخصب[2]، أما الإله بلوتون *Pluton* إله الخصب عند الرومان، فقد وجدت له تماثيل في كل من فولوبيليس وقرطاجة ولبتيس ماقنا وقيصرية، فكانت له معابد في مدن بلاد المغرب القديم تقدم له فيها الأضاحي الحيوانية، وقد وقع الخلط بينه في العبادة بين الإلهة تانيت وبعل حامون وساتورن ثم إزيس.[3]

لقد شملت عبادة الآلهة الرومانية (أنظر الشكل رقم 41، ص 90) في بلاد المغرب القديم كل الشرائح الاجتماعية، من المعمرين الرومان أو المترومنين من المغاربة، وكذا الأفارقة الذين تأثروا بسياسة الرومنة، وقد اكتست العبادة والطقوس الدينية الرومانية صبغة روحية وسياسية ذات معطيات نفسية تظهر فيها سيادة السادة على تابعيهم، لأن الديانة الرومانية المتدرجة عن الإله ساتورن وثالوث البانيثيون الروماني[*] وغيرها من الآلهة الأخرى، ما هي في الحقيقة سوى رومنة ثقافية للآلهة الليبية والبونية.[4]

وأمام سياسة الرومنة فكان من الضروري الالتحام بالديانة الرومانية بالنسبة للمترومنين، لأن العبادات والطقوس الرومانية كانت آنذاك عالمية وتفرض في بعض الأحيان في كامل أنحاء الإمبراطورية الرومانية، خصوصًا أن الرومان قد فرضوا سياسة الرومنة التي كان شعارها تثبيت السلم الروماني[5]، فكان في كل مدينة هيكل لعبادة الثالوث جوبيتر وجونون ومينرفا وكل تلك الآلهة، وأقيمت المعابد والتماثيل والمذابح وقُدمت القرابين على شرف هذه الآلهة، وآلهة أخرى مثل السلام *Pax* والوئام *Concordia* والحظ *Fortuna* والروح الحارسة للإمبراطور *Ginius* والروح الحارسة لمجلس الشيوخ الروماني وغيرها من التي أحضرت من روما إلى بلاد المغرب.[6]

ولقد دان معمري بلاد المغرب القديم عمومًا بدين الرومان، وتمذهبوا بمذاهبهم إذ أن الدين جزء متمم للحضارة الرومانية وثقافتها، بالإضافة إلى الآلهة الأخرى، كما نسجل أن الكثير من المغاربة كانوا محافظين على معتقداتهم القديمة، أما الطبقة الأرستقراطية فقد

1- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, P.158.

2- Picard (CH.G.): Op.cit., P.101. Vars (ch.): Cirta, Op.cit., P.317.

3- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص.ص 128-130.

*- **البانيثيون *Panthéon*:** اسم معبد روماني أقيم لتكريم جميع الآلهة الرومانية، تم بناؤه سنة 33ق.م، وهو مستدير الشكل كما أنه يمثل قوة روما وعظمتها وطموحها في ذروة المجد. أنظر: حسين نعمة: مرجع سابق، ص 45.

4- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 130.

5- المرجع نفسه، ص.ص 130-131.

6- Gsell (S.): L'Algérie dans l'antiquité, Op.cit., P.87.

نبذت في الغالب هذه المعتقدات القديمة وعوضتها بالآلهة الرومانية على رأسها الثالوث الكابتولي *Capitoline la triade* (جوبيتر، جونون، مينرفا)، ثم آلهة أخرى مثل مارس وهرمس وغيرها، وما هو مؤكد أنه على رأس هذه العبادات عبادة الإمبراطور[1]، وأقاموا في كل مدينة معبد كابيتولي للثلاثي الشهير: جوبيتر، جونون، مينرفا مثل معبد دوقة المشيّد بين عامي 166-167م (أنظر الشكل رقم 42، ص 91).[2]

من هذا أستنتج أن الرومان حاولوا جاهدين رومنة الديانة الوثنية في بلاد المغرب القديم، ويتضح ذلك من خلال رومنة أسماء الآلهة المحلية، والتي نُحتت لها التماثيل والزخرفة التي كانت لها مسحة رومانية، أدت إلى اختفاء كامل مظاهر الآلهة والعبادة المحلية، وكان ذلك أمر نسبي لأن المغاربة تمسكوا بعباداتهم، وهي نوع من المقاومة الصامتة لسياسة رومنة الديانة المغاربة والتي سأتطرق لها في الفصل الرابع من هذا البحث، يضاف إلى ذلك أن الرومان امتازوا بنوع من التسامح الديني إزاء المعتقدات الأخرى ما عدا الديانة المسيحية والتي سأتناولها في المطلب الآتي.

1- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 229.
2- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 447.



الشكل رقم (41): نماذج من الآلهة الرومانية، **نقلاً عن:**

(أ): متحف باردو، تونس، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/06م.

(ب)، (ج)، (د)، (هـ)، (و): Wikipédia l'encyclopédie libre, URL: Op.cit., Télé. le: 15/08/2015

(ز)، (ح): متحف باردو، تونس، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2014/08/15م.




الشكل رقم (42): معبد الكابتول في دوقة المخصص لعبادة الثلاثي جوبيتر، جونون، مينرفا، **نقلاً عن:**
- معلم معبد الكابيتول، دقة، الجمهوريّة التونسيّة، الرابط: *http://dipmec.unipv.it*، تاريخ التحميل: 2015/09/13م.

المطلب الثاني: الديانة المسيحية

قبل دارسة الديانة المسيحية نجد أنفسنا مضطرين للتطرق إلى الديانة اليهودية باعتبار أنهما جاءتا من فلسطين، فقد رافقت الديانة اليهودية الفينيقيين في أسفارهم إلى الموانئ والمصارف التجارية ببلاد المغرب القديم[1]، ونقل المؤرخ سترابون[*] أن اليهود قد وجدوا طريقهم إلى المدن المغاربية في عهد الإمبراطور أغسطس في قوله: "**أن اليهود على عهده كانوا قد وجدوا طريقهم إلى كل مدينة، ومن العسير ألا تجد في أي مكان من العالم المعمور موطنًا لهذا الشعب الذي كان يشعر بقوته، وقد حدث أن قوريني التي كان يحكمها نفس حكام مصر البطالمة قلدت هذا، في مواطن كثيرة، وخاصة في تشجيع انتشار جماعات اليهود المنظمة *Syntagmata* والتي كانت تحافظ على شرائعها**".[2]

ويظهر أن بعض سكان بلاد المغرب قد تهودوا[**][3]، وتشير إلى ذلك قطعة رخامية وجدت بمنطقة الأوراس بالقرب من لمباز تذكر أن أحد الوثنيين اعتنق الديانة اليهودية؛

1- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 230.

*- **سترابون *Strabon*:** جغرافي إغريقي ولد في حوالي سنة 58ق.م، وتوفي ما بين 21م و25م، قام بوصف جغرافية كل البلدان المعروفة في تلك الفترة، كما قدم دراسة اجتماعية تاريخية للشعوب التي تقطن تلك البلدان، أنظر: Dictionnaire de la lange français, 1993, Nouvelle éd. Hachette, P.1214.

2- مصطفى كمال عبد العليم: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م، ص 171.

**- يذكر ابن خلدون أن بعض البربر دانوا بدين اليهودية أخذوه عن بني إسرائيل عند استفحال ملكهم، وذكر بعض القبائل التي تهودت مثل: قبيلة الكاهنة في أوراس، ونفوسة وقندلاوة ومديونة وبهلولة وغياثة، وبنو فازان من برابرة المغرب الأقصى. أنظر: عبد الرحمان ابن خلدون: مرجع سابق، مج6، ص 126. ولا شك أن تلك القبائل كانت تدين بالدين اليهودي من قبل.

3- Basset (R.): Op.cit., P.35.

ويبدوا أن اليهود قاموا بنشر ديانتهم بين الوثنيين، واستجاب لهم البعض وتحولوا إلى يهود[1]، ويذكر مومسن *Mommsen* أن اليهود مارسوا تأثير ديني على المغاربة وحتى التأثير السياسي[2]، وقد وافق الرومان في استمرار أداء طقوسها وشعائرها الدينية.[3]

أما عن الديانة المسيحية[*] فيذكر د. عبد الحميد عمران أن هناك غموض يكتنف وصول هذه الديانة إلى بلاد المغرب القديم، لكن الأكيد أن الدين المسيحي قد لفه معتنقوه بنوع من التستر والتكتم، خصوصًا أنه كان يحاك حوله في البداية أحقاد ومكائد واضطهادات كبرى[4]، لكن من المحتمل أن نقطة الانطلاق يمكن بحثها في المدن الكبرى وكذا المنازل الأولى التي يلزم أنها كانت للجالية اليهودية، التي تحولت إلى الأساس في الدعوة للديانة المسيحية[5]، ولعبت المعابد اليهودية *Synagogus* أيضًا دورًا هامًا في ذلك، فقد تبلورت فيها حركة التنصير وانطلقت منها[6]، فقد كان لتلك العناصر اليهودية الشرقية الدور في وصول هذه الديانة وانتشارها ببلاد المغرب حسب بول مونصو.[7]

ويخبرنا القديس كيبريانوس النوميدي أن هناك الكثير من اليهود الذين تحولوا إلى الديانة الجديدة[8]، ويقول ابن خلدون أنهم: "**كانوا بما تعبدوهم به من دين النصرانية**[**]"[9]؛ لكن فيما بعد اختلف اليهود مع المسيحيين وناصبوهم العداء، وتحولت العلاقة بينهم إلى

1- عبد الحميد عمران: الديانة المسيحية في المغرب القديم (النشأة والتطور 180-430م)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد غانم الصغير، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010-2011م، ص 70.

2- Gaid (M.): Les Berbères dans l’histoire de la préhistoire à la Kahina, T.I, éd. Mimouni Hichem Rouïba, Alger, 2009, P.138.

3- رشيد الناضوري: مرجع سابق، ص 342.

*- **المسيحية:** لقب المسيحية لم يطلق على أتباع المسيح عليه السلام، وإنما أطلق لأول مرة على الذين اتبعوا بولس من الوثنيين، لأنه حينما ادعى أن المسيح ظهر له (وهو ادعاء باطل) بدأ يدعو بأفكار وتعاليم وعقائد لم يقل بها المسيح ولم يدع إليها، وحين اتبعه بعض الوثنيين من اليونان والرومان وغيرهم دعوا بالمسيحيين، أي أتباع المسيح؛ وهو لقب يعني باليونانية المخلص، بمعنى أن بولس دعاهم إلى الإيمان بالمسيح ابن الله المخلص. للمزيد أنظر: أحمد علي عجيبة: موسوعة العقيدة والأديان الرهبانية المسيحية وموقف الإسلام منها، ج6، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1994م، ص 49.

4- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 70.

5- Basset (R.): Op.cit., P.37.

6- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 321.

7- Monceaux (P.): Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T. II, Saint Cyprien et son Temps, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1902, P.9.

8- Gaid (M.): Op.cit., P.140.

- **النصرانية: نسبة إلى نصرانة قرية المسيح عليه السلام (من أرض الجليل) وقد ورد في إنجيل مرقس: "**وانصرف من هناك وجاء إلى وطنه يتبعه تلاميذه**"، الإصحاح 6، يسوع في وطنه الناصرة، الكتاب المقدس، ط3، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1994م، ص 142، وهي دين النصارى من أتباع المسيح، وهم يسمون أنفسهم بالمسيحيين نسبة إلى المسيح، وأول ما ظهر هذا الاسم (المسيحيين) في أنطاكية سنة 42م. أنظر: الخلف سعد بن عبد العزيز: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1998م، ص 121.

9- عبد الرحمان ابن خلدون: مرجع سابق، ص 125.

علاقة عداء شديد[1]، وساهم اليهود بشكل كبير في الاضطهادات ضد المسيحيين من خلال الوشاية بهم خاصة.

وعلى الرغم من أن المؤرخين لم يعثروا على شواهد مادية أو معنوية عن تاريخ بداية ظهور حركة التنصير في بلاد المغرب القديم، فإن انتشار الديانة المسيحية في المنطقة مر عبر ثلاثة مراحل[2]: فتركزت الأولى في المدن الساحلية ثم انتقلت خلال المرحلة الثانية إلى المدن الداخلية، أما أثناء المرحلة الثالثة فقد تغلغلت المسيحية في الأرياف وهي المرحلة التي عايشها ترتوليانوس.[3]

والمعطيات التاريخية حول هذه الديانة تعود إلى بداية القرن الثاني الميلادي، لما أخذت تظهر المعطيات الموثوقة عنها، وحتى عن موقف السلطة الرومانية والمحيط الاجتماعي، وجاءت من المصادر غير المسيحية مثل بلين القديم[*]، الأمر الذي يدل على أن هؤلاء كانوا قد برزوا على مسرح الأحداث.[4]

أما عن المنافذ التي نفذت عن طريقها الديانة المسيحية إلى بلاد المغرب القديم، فإنها كانت من الناحية الجغرافية مفتوحة على الشرق عبر مصر، وعلى الشمال بحكم العلاقة الاستعمارية التي فرضها الرومان على المنطقة، مع سهولة الاتصال بالشرق عبر البحر الأبيض المتوسط، كما أن المنطقة بدأت تعرف حركة تجارية بعد الاحتلال الروماني، بالإضافة إلى الظروف السياسية التي شهدها القرن الأول الميلادي بعد سياسة الاضطهادات التي مست المسيحيين الأوائل على يد اليهود والحكام الرومان، وما قامت به السلطات

1- Tertullien: Apologie du christianisme écrite en l'an 197 après J.-C., XXXV, trad. J. P. Waltzing, librairie Bloud et Gay, Paris, 1914, URL: *http://remacle.org*.

2- محمد الصالح العود: مرجع سابق، ص.ص 40-41.

3- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 322.

*- بدأ ذكر المسيحيين في المراسلات بين بلين القديم والإمبراطور ترجان، وكان هذا الإمبراطور قد بعث به إلى مقاطعة بثينيا بآسيا الصغرى لفرض النظام ومن بين المسائل التي واجهته هي وجود المسيحيين، وقد قدمت إليه لائحة بأسماء مسيحيين من قبل أحد الوشاة، وقد ذكر بقوله: **"لا يمكن لأي مسيحي حقيقي أن يفعل أي شيء من هذا القبيل"** (حول تقديم الأضاحي للإمبراطور). للمزيد أنظر: إ.س. سفينسيسكا: مرجع سابق، ص 151. وأنظر: محمد ضياء الرحمان الأعظمي: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1424هـ/2003م، ص 319-320.

4- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 151.

الرومانية في عهد الإمبراطور نيرون 70م من اضطهاد كبير في القدس والذي أدى إلى تشتيت سكانها عبر مناطق متفرقة.(1)

إذن تسربت الديانة المسيحية إلى بلاد المغرب القديم عبر الشرق من خلال الرسل والتجارة، وذلك إلى مدينة قورينة وإلى قرطاجة وعبر روما عن طريق التجارة والحركة الاقتصادية وعبر المبشرين؛ وعن طريق الرومان الذين كانوا يسيطرون على المد المسيحي، وأن الأمر لم يستتب إلا بعد سلسلة من الاضطهادات التي تعرض لها المسيحيون، قبل أن تتحول هذه الأخيرة إلى الديانة الرسمية للدولة الرومانية.(2)

وأشهر النصوص التاريخية التي ذكرت مبشري الديانة المسيحية من الحواريين في بلاد المغرب القديم نص ابن خلدون الذي استند فيه على مؤرخين مسيحيين، إذ يقول: "**وعند علماء النصارى أن الذي بُعث من الحواريين إلى رومة بطرس ومعه بولس من الأتباع ولم يكن حواريًا، وإلى أرض السودان والحبشة... متى العشار وأندراوس، إلى أرض بابل والشرق توماس، وأرسل إلى أرض أفريقية فيلبُّس، ... وإلى أرض برقة والبربر شمعون القناني**(*)".(3)

وكان التجار القادمون من الشرق يمرون عمومًا على موانئ بلاد المغرب القديم خلال مراحل أسفارهم البحرية الطويلة، وهم متجهون إلى الغرب نزولاً بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط، وغالبًا ما تكون مراكب الشحن محملة بالبضائع التجارية المستوردة من قبرص والقدس ودمشق والإسكندرية، فضلاً عن نقل عدد كبير من الركاب الذين من ضمنهم المبشرين بالديانة المسيحية.(4)

من خلال نص ابن خلدون فإن بلاد المغرب حل بها اثنان من الحواريين امتثالاً لطلب المسيح الذي قال: "**اذهبوا وتلمذوا سائر الأمم**"(5)، كما ورد أيضًا: "**وقال لهم**

1- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص.ص 75-76. عمار عموره: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م، الجزائر العامة، ج1، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2006م، ص 54.

2- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 86.

*- ورد ذكر شمعون القناني في إنجيل متى باسم "سمعان الغيور"، وفي إنجيل يوحنا "سمعان بن يونا". أنظر: أنجبل متى، الإصحاح 10، الاثنا عشر ووصايا يسوع لهم، ص 63. وإنجيل يوحنا، الإصحاح 42، التلاميذ الأولون، الكتاب المقدس، المصدر نفسه، ص 292.

3- عبد الرحمان ابن خلدون: مرجع سابق، مج2، ص 169.

4- روبين دانيال: مرجع سابق، ص 64.

5- طلب المسيح موجه إلى الحواريين وأتباعه. والتكملة: "**وعمدوهم باسم الأب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا كل ما أوصيتكم به، وها أنا ذا معكم طوال الأيام إلى نهاية العالم**"، أنظر: أنجبل متى، الإصحاح 19، 20، ترائى يسوع لتلاميذه في الجليل، الكتاب المقدس، ص 119. كما ورد في إنجيل مرقس في اختيار الحواريين: "**وصعد الجبل ودعا الذين أرادهم فأقبلوا إليه. فأقام منهم اثني عشر لكي يصحبوه، فيرسلهم يبشرون**"، أنظر إنجيل مرقس، الإصحاح 13، يسوع يختار الاثني عشر، الكتاب المقدس، مصدر سابق، ص 135.

(المسيح): اذهبوا في العالم كله، وأعلنوا البشارة إلى الخلق أجمعين"[1]، وهما: فيلبُّس الذي حل بإقليم قرطاجة الرومانية (البروقنصلية)، وشمعون القناني الذي نزل بليبيا، غير أننا نجهل مصير هذين المبشرين ومدى تأثيرهما في المجتمع المغاربي، مع أن هناك بعض مؤرخي الديانة المسيحية ذهب إلى أن المبشريْن قَامَا بنشر الدعوة في أوساط الجماهير الريفية في المناطق الداخلية وتمكنا من استقطاب أتباع لهما[2]، لذلك ذكر ترتوليانوس أن المسيحية جاءت من أورشليم (القدس) إلى ليبيا وقورينة، وأن الإنجيل جاء من الشرق وليس من روما، لذلك فإن الكنيسة المغاربية تختلف عن الكنيسة في روما.[3]

وهكذا فقد بدأت حركة التبشير انطلاقًا من المدن والمواني، ثم توسعت نحو المناطق الداخلية منذ أواخر القرن الأول الميلادي لكنها لم تبرز إلا في أواخر القرن الثاني للميلادي، وانطلاقًا من مقولة ترتوليان *Tertullien* المشهورة: "**نحن لم نخلق إلا البارحة، ومع ذلك أصبحنا نشكل الأغلبية في كل مدينة**" وهي مقولة من خطابه الذي ألقاه سنة 170م[4]، وما ذكره القديس أوغسطين بأنه يقال عنا أننا كنا الأواخر وسنصير الأوائل، نعم وصل الإنجيل متأخرًا إلى بلاد المغرب القديم. كما أن رسائل الحواريين لم تشر إلى أن المنطقة قد تلقت العقيدة.[5]

هذا ما يؤكد أن الديانة المسيحية قد تقوّت واشتّد ساعدها على الأخص في النصف الثاني من القرن الثاني للميلاد، حيث تمركزت آنذاك في أفريقية البروقنصلية، وجعلت من قرطاجة مركزًا لها، وطبقًا لترتوليانوس الذي عاش في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث، فقد كان يوجد أعداد كثيرة من المسيحيين بالمنطقة في ذلك الوقت ينتمون لكل الطبقات ويمارسون شتى الحرف والمهن، وترتوليانوس بحماسته هذه يغلو كثيرًا في ذلك.[6]

ومنه فإن المجتمعات المسيحية في بلاد المغرب القديم كانت مبعثرة بين عدة مدن مشكلةً ما اعتبرته الإمبراطورية الرومانية خطرًا عظيماً، وكان واضحًا أن المسيحيين كانوا

1- إنجيل مرقس، الإصحاح 15، ترائي يسوع، الكتاب المقدس، مصدر سابق، ص 178.
2- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 322. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 285.
3- Gaid (M.): Op.cit., P.137.
4- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 230. جان توشار: مرجع سابق، ص 150. Gaid (M.):Op.cit., P.141.
5- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 75.
6- أندريه أيمار وجانين أبوايه: تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، تر.: فريد م. داغر وآخر، ط2، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1986م، ص 426.

يرفضون أيديولوجية الإمبراطورية الرومانية وخاصة رفضهم ممارسة عبادة الإمبراطور[1]، لذلك لم يوافق الرومان على الديانة المسيحية، لاعتقادهم أن المغاربة اتخذوها وسيلة للمعارضة، بحكم الطابع السلمي الذي امتازت به هذه الديانة.[2]

وبالرغم من أن الإمبراطورية الرومانية في البداية كانت متسامحة مع الدين الجديد، لكن مع تغيّر نظرة الطبقة الحاكمة والأرستقراطيين اتجاهها، فأصبحت ترى فيها تهديدًا لمصالحهم[3]؛ فما كانت روما أن تتساهل مع طائفة تهدف إلى خلق شبكة واسعة من جماعات تعمل خارج إطار الأنظمة الرسمية، لذلك فرض الرومان عقوبات صارمة على المسيحيين بأمر البروقنصل حاكم ولاية أفريقية[4]، فشهد عام 203م استشهاد مسحيين ألقي بهم إلى الوحوش المفترسة في ساحة ملعب قرطاجة، وعلى رأسهم القديستين بريبيتوا *Perpétua* وفيليستاس *Félicitas*.[5]

وقد عرفنا من كتابات المسيحيين المصير الذي آلت إليه القديستين بريبيتوا وفيليستاس ورفاقهن، ففضلاً عن محاولة إكراههم على ترك الديانة المسيحية والعودة إلى الديانة الرسمية للدولة الرومانية، مع الاعتراف بتأليه الإمبراطور، وهو ما رفضه هؤلاء. فقد حاول القائمون على تنفيذ حكم الإعدام بإلباس ثياب كاهنات الربة كيريس للقديستين، وثياب كهنة الإله ساتورنوس لبقية رجال المجموعة، وهذا ما دفع بترتوليانوس إلى وصف الملاعب المدرجة بمعابد الشياطين، ففي الوقت الذي مزقت فيه النمور والدببة أجساد كل من رفوكاتوس وساتورنينوس وستوروس، لقيت المسيحيتان حتفهما تحت حوافر بقرة مسعورة.[6]

لقد حظي الدين الجديد بإقبال كبير من طرف أفراد الطبقات الاجتماعية الدنيا، والأوساط الاجتماعية الدنيا والمُستغلة، والمضطهدين والمعذبون، والناس الأحرار المدمرون وعلى أبواب فقدان الحرية، وصغار المهنيين البروليتاريين والعبيد[7]، وخاصة الأهالي الذين التمسوا في تعاليم المسيحية غايتهم الروحية وطموحهم الاجتماعي، ما لم يجدوه في الديانة

1- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 230.
2- رشيد الناضوري: مرجع سابق، ص 342.
3- محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص.ص 339-340.
4- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 230.
5- روبين دانيال: مرجع سابق، ص.ص 21-23.
6- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 300.
7- ف. دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ج2، تر.: نسيم واكيم اليازجي، ط1، منشورات علاء الدين، دمشق، 2000م، ص 277.

الرسمية الرومانية ولا في المعتقدات الفلسفية الهلينستية، بل كانت تلك المعتقدات الوثنية أو العقلية مجسدة للتمايز الاجتماعي، وكرست النظام الطبقي في المجتمع المغاربي.(1)

ولما كانت البنية الطبقية للمجتمع المغاربي متباينة، فقد تضرر البسطاء والمضطهدين من قبل الإدارة الرومانية دون سواهم من تردي الأوضاع الاقتصادية، ما جعلهم يَحْلُمُون بِغَد أفضل من خلال اعتناقهم للمسيحية كونها ديانة تدعو إلى التسامح والعدالة والمساواة الاجتماعية، لذلك كان الدين الجديد كأحسن وسيلة عبر بها هؤلاء المضطهدين والبسطاء من المجتمع المغاربي عن رفضهم للسلطة الرومانية وطريق خلاصهم من قبضتها.(2)

كما أشار ترتوليانوس إلى وجود أفراد من طبقة الأثرياء الأرستقراطيين في صفوف المتنصرين(3)، ويبدوا أن الفراغ الروحي الذي كانت تتخبط فيه هذه الطبقة، وكذا الطبقات الأخرى الناتج عن الاختلاف في المعتقدات الدينية، ودعوة الدين الجديد إلى التوحيد، دورًا في انتشار الديانة المسيحية.(4)

أ) موقف السلطة الرومانية من الديانة المسيحية: لقد ظلت الجماعة المسيحية ببلاد المغرب القديم بمنجى عن اضطهاد السلطة الرومانية، والتزمت الصمت والسرية تجنبًا لإثارتها، السلطة التي سخرت كل الوسائل والأساليب المتاحة لفرض عبادة الإمبراطور، وقد مارس المسيحيون الأوائل شعائرهم بحرص(5)، وكانوا يجتمعون يوميًا في أحد المنازل لدراسة الأوضاع والأحداث اليومية المتعلقة بما وصلت إليه حركة التبشير والاعتبار منها، والتذكير بوصايا وتعاليم السيد المسيح.(6)

ورغم أن الاضطهادات، كانت قد نالت المسيحيين في روما منذ عهد الإمبراطور نيرون *Néron* (أنظر الشكل رقم 43، ص 98)، الذي اتهمهم بتدبير عملية حرق روما عام 64م، الحريق الذي التهم جانبًا كبيرًا من المدينة، فسن مرسومًا يحظر اعتناق الديانة

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 322.

2- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 233.

3- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 324.

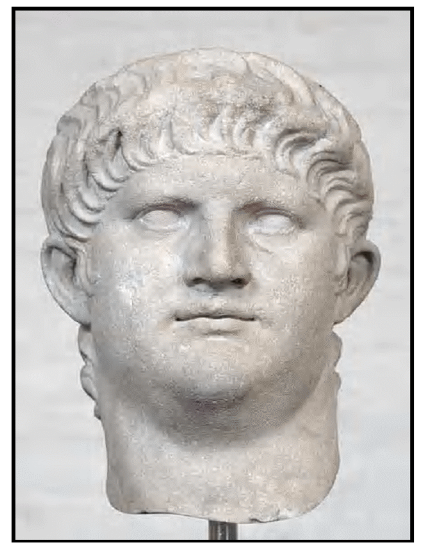
4- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 233.

5- المرجع نفسه، ص 234.

6- Tertullien: Apologie du christianisme, Op.cit., XXXV.

المسيحية أو التبشير لها علانية، واعتبر ذلك كجناية تستوجب القتل[1]، وتفنن هذا الإمبراطور في تعذيبهم، فمثلاً كانوا يوضعون في جلود الحيوانات ويقدمون طعامًا للكلاب، ويلبسونهم جلابيب مطلية بالقار[*] ثم يقدون فيهم النار.[2]

كما كان يزج بهم إلى حلبات المدرجات عراة الأجسام ومجردين من الأسلحة، وكانوا يعدمون مكبلي اليدين في أغلب الأحيان، فكانت تتلقفهم الوحوش وتدوسهم الفيلة والثيران، كما أن صراخ هؤلاء كان ينبعث مدويًا في أرجاء الملاعب المدرجة، وهو ما دفع بالأساقفة والآباء المسيحيين إلى وصف تطبيق حكم الإعدام بهذه الطريقة بالجريمة (أنظر الشكل رقم 44، ص 99).[3]



الشكل رقم (43): الإمبراطور نيرون، **نقلا عن:**
- الموسوعة الحرة ويكيبيديا، رابط سابق،
تاريخ التحميل: 2015/08/15م

ويبدو أن علاقة المسيحيين بالوثنيين واليهود قد تدهورت وامتازت بالتوتر والنزاع في أحيان كثيرة، وقد خافت الطائفة[*] اليهودية على مصالحها ونفوذها المادي، فتحولت إلى عامل ضغط على السلطة الرومانية لقمع المسيحيين، وقد أشار ترتوليانوس إلى الوشاية والأذى الذي تلقاه المسيحيون من هؤلاء.[4]

1- أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص.ص 421-422. باتريك لورو: الإمبراطورية الرومانية، تر.: جورج كتوه، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ليبيا، (د.ت)، ص 109.

*- **القار:** مادة سوداء تستعمل في تعبيد الطرقات (الزفت). الطاهر ذراع: الديانات القديمة في شبه الجزيرة العربية، تم الطبع بمطبعة بغيجة، عين الباي، قسنطينة، 2008م، ص 167.

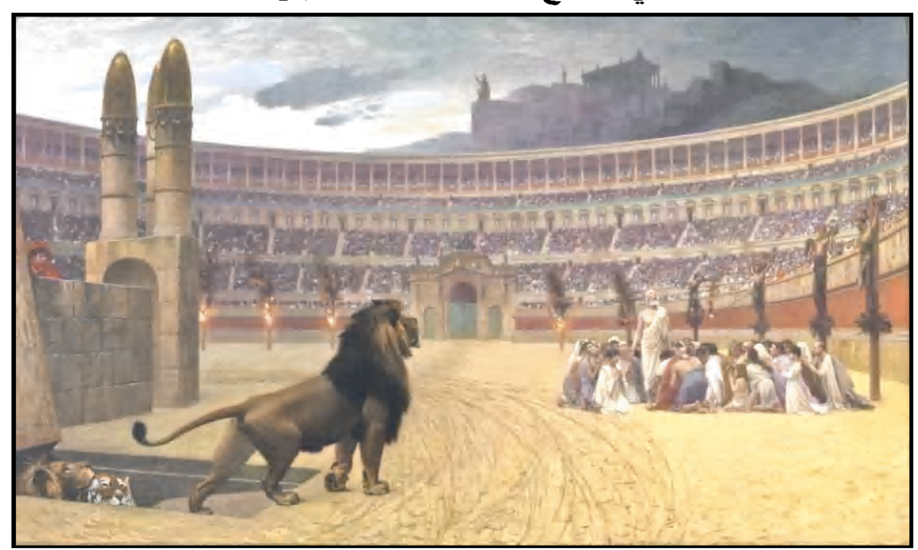
2- المرجع نفسه، ص 154.

3- رضا بن علال: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، مرجع سابق، ص 300.

*- **الطائفة *Communauté*:** باللاتينية *Communitas*، هي الجماعة، وتطلق على جماعة من الناس يجمعهم مذهب واحد، أو رأي واحد، أو مصلحة مشتركة، أو معتقد واحد كالطوائف الدينية. أنظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج2، دار الكتب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982م، ص 7.

4- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 234.

وذكر روبين دانيال أن اليهود والوثنيين(*) والسلطات الرومانية اتحدت بقلب واحد وفكر واحد من أجل قمع وإبادة المسيحيين[1]، لذلك فقد تم تعديل قانون نيرون منذ عهد تراجانوس وهادريانوس ثم ماركوس أوريليوس، وأصبح يمنع تتبع المسيحيين ومحاكمة الموشى بهم، وينص على معاقبة الواشين، لكنه يلح على محاكمة المصرحين منهم بدينهم علانية والمصرّين على التمسك بدينهم، وكذا الذين يدْعُون إلى هذه الديانة، وفي حالة ما إذا أعلن المتهم تخليه عن المسيحية فإنه يبرأ وتسقط عنه العقوبة[2]، كما منع التجمعات واعتبر الصلاة من بين التجمعات التي يعاقب عليها القانون الروماني، ودفع ذلك بالمسيحيين إلى الفرار والاستخفاء بصلاتهم.[3]



الشكل رقم (44): الصلاة الأخيرة لمسيحيين خلال أحد حفلات التعذيب في الكولسيوم بروما، لوحة لجان ليون جيروم سنة 1834م، **نقلا عن:**

– الموسوعة الحرة ويكيبيديا، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/09/11م.

وقد عرفت الديانة المسيحية مرحلة جديدة مع تولي الإمبراطور كومودوس (176-192م) مع منتصف القرن الثاني للميلاد، فتزايد عدد المعتنقين للدين الجديد وجهرهم به، الشيء الذي ترتب عنه ازدياد اضطهاد السلطة الرومانية لهم، فقد تم إعدام عبد يدعى نامفامو *Namphamo* ومعه عدد كبير من رفاقه، الذين رفضوا التخلي عند عقيدتهم، في منطقة مادورا *Madaura* بنوميديا في 05 ديسمبر 188م.[4]

*- ورد في الإنجيل: **"ويبغضكم جميع الوثنيين من أجل اسمي (المسيح) فيعثر أناس كثيرون، ويسلم بعضهم بعضًا ويتباغضون"**. أنظر: إنجيل متى، الإصحاح 9-10، أهوال الاضطهادات، مصدر سابق، ص.ص 102-103.

1- روبين دانيال: مرجع سابق، ص 111.

2- أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص.ص 422-423.

3- الطاهر ذراع: مرجع سابق، ص 155.

4- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 107.

وكانت محاكمة عام 180م التي حكم فيها بالإعدام على اثني عشر مسيحيًا في قرية سكيلي *Scili*، وقد ذكر روبين دانيال أنهم خمسة نساء وسبعة رجال ذوي أصول مغاربية منهم: سبيراتوس *Speratus* كيتّينوس *Cittinus* ونارتزالوس *Nartzalus* ودوناتا *Donata* وفيستيا *Vistia* وسيكوندا *Secunda* وغيرهم، الذين تمسكوا بدينهم، وهي النقطة التي فتحت عصرًا جديدًا من المواجهة والصراع الدامي.(1)

لقد اعتبر مسيحيو بلاد المغرب القديم هذه الحادثة رمزًا خالدًا لقوة نضالهم من أجل عقيدتهم، وقد ضاعفت بعدها السلطة الإمبراطورية إجراءات قمع واسعة النطاق ضد من يعلنون عن اعتناقهم للدين الجديد، ومن ذلك ما حدث زمن الإمبراطور سبتيموس سيفيروس الذي يعده المسيحيون من أكبر جلاديهم بعد ديوكليتيانوس(2)، فقد أصدر مرسومًا في عام 202م يمنع فيه الناس من اعتناق الديانة المسيحية وحتى اليهودية، وقد ألقى بهم إلى الوحوش الضارية في ألعاب السرك والمدرجات، وجرد الكثير منهم من أملاكهم.(3)

وبعد وفاة سبتيموس سيفيروس، عاد خلفه إلى سابق عهدهم بالتعايش مع الديانة المسيحية، وقد شجع ذلك المسيحيين على مضاعفة حركتهم التبشيرية، وأعادوا تنظيم الجهاز الكنسي وأوجدوا أسقفيات جديدة، غير أن مدة التسامح التي ميزت فترة حكم السيفيريين لم تدم طويلاً، فقد آلت الإمبراطورية إلى ترايانوس ديكيوس *Trajan Decius* (201-251م) الذي حمّل المسيحيين مسؤولية تدهور الأوضاع الداخلية للإمبراطورية الرومانية، فأصدر عام 250م قرارًا يجبر كل الموطنين على العودة إلى ممارسة شعائر الديانة الرسمية، وبشكل علني وتُسلم شهادة من المسؤولين المحليين على أنهم قد فعلوا ذلك.(4)

وقد أشار ترتوليانوس على أنه لم يمضي يوم إلا وقد زج بالنصرانيين في السجون، وهم لا يستطيعون تبرئة أنفسهم، وقد حكم على بعضهم بالإعدام والبعض الآخر بالتعذيب(5)، ومنهم من ارتد عن المسيحية، ومنهم من زُجّ بالسجون، ومنهم من لاذ بالفرار، ومنهم من ذُبح وقدم قربانًا للآلهة الرومانية.(6)

1- روبين دانيال: مرجع سابق 1999م، ص.ص 113-115. عمار عموره: مرجع سابق، ص 54. إ.س. سفينسيسكا: مرجع سابق، ص 167.
2- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 331.
3- روبين دانيال: مرجع سابق، ص 116.
4- المرجع نفسه، ص 119. Gaid (M.): Op.cit., P.142.
5- أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص 423.
6- الطاهر ذراع: مرجع سابق، ص 154.

كما أصدر الإمبراطور ل. فاليريانوس[*] *Licinius Valerianus* (حكم ما بين 253–260م) منشورين سنة 257م؛ فقد نص الأول على أنه في حالة رفض الأساقفة والرهبان الردة والعودة إلى عبادة الأوثان، فسيتعرضون إلى النفي، وكذا نص على منع المسيحيين من ممارسة شعائرهم الدينية. أما المنشور الثاني فنص على إعدام رجال الدين الجديد إذا رفضوا اعتناق الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، بالإضافة إلى هذا المرسوم قد أقر تجريد مجلس الشيوخ والفرسان المعتنقين للمسيحية من ألقابهم ومناصبهم وحجز ممتلكاتهم[1]، وكانت نتيجة ذلك أن استدعي أسقف قرطاجة كيبريانوس *Cyprianus* من طرف البروقنصل الجديد ڤاليرينوس ماكسيموس *Galerinus Maximus*، وبعد رفض الأسقف التخلي عن دينه وتقديم القرابين للآلهة، أمر بجز رأسه في 14 سبتمبر 258م، ليكون أول أسقف يستشهد في بلاد المغرب القديم.[2]

لقد اضطر الكثير من المسيحيين جراء شدة الاضطهاد المسلط عليهم – فقد يصلبون على صليب بمسامير حديدية[3] أو يقدمون للحيوانات الضارية في الملاعب المدرجة[4] وغيرها – إلى الارتداد عن دينهم، وعادوا إلى ممارسة شعائر الديانة الرسمية، وقد أثارت مسألة المرتدين علامة استفهام بالنسبة للكنيسة في بلاد المغرب وروما حول كيفية التعامل معهم وكيفية دمجهم من جديد[5]، خصوصًا أنهم أصبحوا يعلنون عن ردتهم قبل المحاكمة، بل كان بعضهم يعلنون الردة في الساحات العمومية[6]، وقد قال عن هؤلاء المرتدين القديس كيبريانوس: **"لقد أضاعوا مصدر الحياة، إنهم رجال لا يغتسلون وأنجاس لذلك وجب تعميدهم بمثل التعميد الأول"**[7] (أنظر الشكل رقم 45، ص 102).

*- **فالريانوس** ***Valerianus***: إمبراطور روماني اشتهر عهده بالاضطهاد الثامن للمسيحيين سنة 257م، حيث قام بنفي الأساقفة والقساوسة بعد أن أعدم الكثير منهم، وجرد المسيحيين من مناصبهم وكل من أصر وتمسك بدينه بتر رأسه، أسر في معركة أديسا من طرف الجيش الفارسي ليموت في الأسر. تشارلز وورث: مرجع سابق، ص 185.

1- Monceaux (P.): H.L.A.C, T.II, Op.cit., P.25.

2- رؤوف شلبي: أضواء على المسيحية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1975، ص 26. Gaid (M.): Op.cit., P.143

3- Tertullien: Apologie, Op.cit., XII.

4- Camps (G.): Africanae, Encyclopédie Berbère, II Ad-Ağuh-n-Tahlé, EDISUD, La Calade, 13090, Aix-en-Provence, France, 1985, P.221.

5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 284.

6- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 236.

7- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 118.



الشكل رقم (45): حوض تعميد عثر عليه بطريقة عفوية داخل إحدى الكنائس سنة 1993 بمقطع حجارة بمنطقة ريفية بين طبلبة والبقالطة، وهو من أهم الشواهد الأثرية المسيحية، وهو ذو شكل مستطيل طوله 2,18م وعرضه 1,96م وعمق 1,37م وقد اتخذ شكل الصليب، **نقلاً عن:**

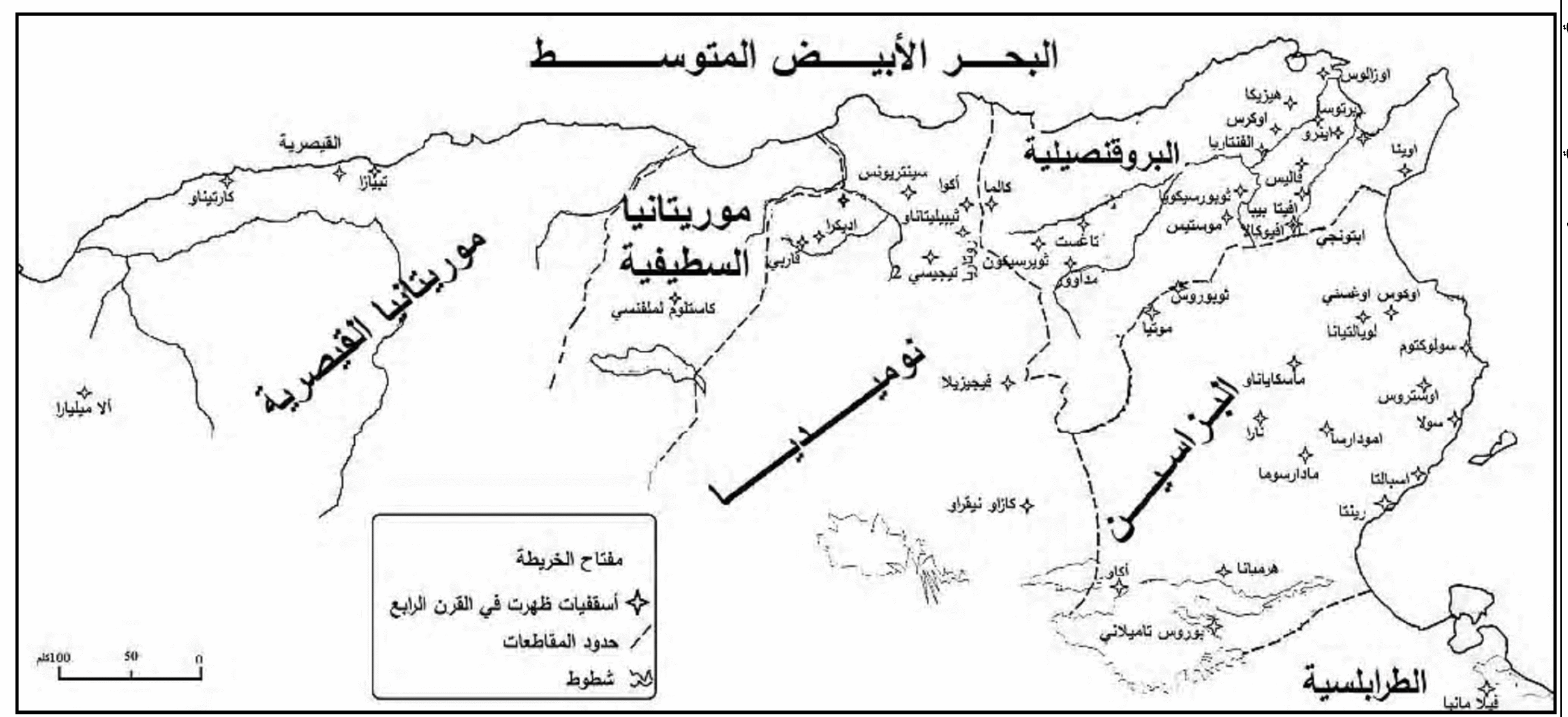
– متحف سوسة، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/25م.

وتمكن المسيحيون في عهد الإمبراطور ليكينيوس إنياسيوس ڤالينوس *Licinius Egnatius Gallienus* (حكم ما بين 260-268 ق م) أن ينعموا بفترة تسامح[1]، طيلة الأربعين سنة التي توفر فيها الوفاق بين الدولة والكنيسة، وتمكن المسيحيون من إقامة شعائرهم في حرية وإنشاء الكنائس الكبرى ونشر معتقداتهم، وأعفت الدولة الرومانية الأشراف المسيحيين من عبادة الإمبراطور واستغلت كفاءاتهم[2]، ونتيجة ذلك فقد ازداد عدد المتنصرين وأخذ عدد الأسقفيات في الارتفاع، فوصل عددها في أواخر القرن الرابع الميلادي إلى حوالي 250 أسقفية منتشرة عبر كامل المقاطعات الرومانية في بلاد المغرب القديم (أنظر الخريطة رقم 02، ص 103).[3]

1- Monceaux (P.): H.L.A.C, T.II, P.26.

2- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 286.

3- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 236.

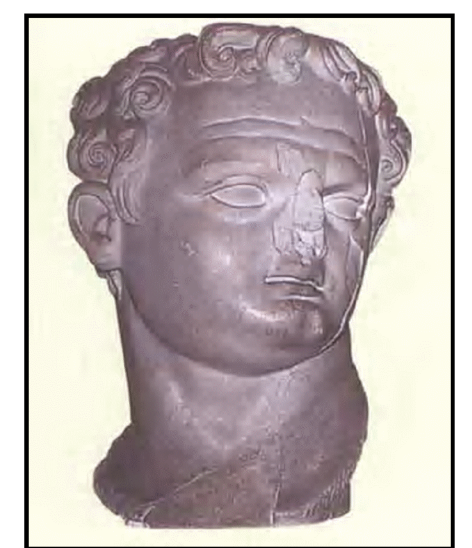


خريطة رقم (02): أسقفيات ظهرت في القرن الرابع الميلادي، **نقلاً عن:**

- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 193.(تصرف الطالب)

لما تولى ديوكليتيانوس *Diocletianus* (244-311م) (أنظر الشكل رقم 46، ص 104) العرش الإمبراطوري عام 284م، امتدت فترة التسامح الديني في عصره مدة أربعين سنة، لكن الأوضاع عادت كما كان عليها المسيحيون فقد ألغى قرار التسامح الذي أصدره ڤالينوس عام 260م، إذ يعتبر أشد الأباطرة تنكيلاً ومحاربة لهم، فقام بأكبر عمليات التصفية الجسدية التي عرفها التاريخ في حقهم(1)، فقد أصدر أربعة مراسيم تتعلق بموقف الإمبراطورية من المسيحية خلال عامي (303-304م)(2)، تضمنت منع الاجتماعات وتأدية الشعائر الدينية وإقرار هدم الكنائس ومصادرة الأملاك العقارية وإحراق الكتب المقدسة وإتلافها وسجن رجال الدين، حرمان المسيحيين من حقوق المواطنة وطردهم من الوظائف الحكومية، والبحث عن المسيحيين ومتابعتهم وتسليمهم للسلطة، وإرغامهم على تقديم الأضاحي في أعياد الإمبراطور، وأمر بإلحاق عقوبات متفاوتة الصرامة تصل إلى حد الإعدام حرقًا ضد كل المخالفين لتلك الأوامر.(3)

وقد بدأت عمليات الاضطهاد في عهده منذ عام 299م أثناء تقديم الأضاحي وفحص العرافون أمعاء الحيوانات لقراءة المستقبل، فأعلنوا فجأة على وجود عناصر غير مؤمنة ما أبطل القداسة المطلوبة، حينها غضب دوكليتيانوس وأصدر أمرًا أنه على الكل تقديم القرابين للآلهة الرومانية ابتداءً من زوجته.(4)



الشكل رقم (46): الإمبراطور ديوكليتيانوس، **نقلا عن:**
- تيم داولي: أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، تر.: الأب يوسف توما، شركة توني كانتيل للتصميمات، (د.ت)، ص 80.

1- سيد أحمد الناصري: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991م، ص 420. أحمد صفر: مرجع سابق، ص 364.
2- أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص.ص 561-562. وشارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص.ص 237-238.
3- Monceaux (P.): H.L.A.C, T.II, P.P.152-153.
4- سيد أحمد الناصري: مرجع سابق، ص 421.

وقد تم تنفيذ مراسيم القمع وتهديد المسيحيين بالسجن أو القتل ما لم يقدموا القرابين للإمبراطور في نوميديا، وقد هدمت الكنائس التي كانت منتشرة فيها، وحطم أثاثها وجمعت الكتب المقدسة وتم إحراقها عام 303م، واستسلم الكثير من القساوسة الذين لم يقاوموا هول العذاب، وقاموا بتسليم الكتب والأواني المقدسة للسلطات الرومانية، وأصبحوا ينعتون بالخونة، وأستشهد الأسقف فيليكس *Felix*، وسقط عدد كبير من الشهداء(*) في زاما *Zama*، وفي كيرتا وتيفست وغيرها.(1)

والظاهر أن الإمبراطور ديوكليتيانوس كان يصبو من خلال إصداره لهذه المراسيم إلى تحقيق وحدة دينية تعضده الوحدة السياسية، ولا يمكن تحقيقه إن بقي التسامح الديني معمولاً في أقاليم الإمبراطورية – وهو الأمر الذي استغلته المسيحية للانتشار – واستبدال ذلك بعبادة الإمبراطور الذي رأى فيها إمكانية استيعاب المعتقدات المختلفة وتوحيدها.(2)

وقد نظر الوثنيون الرومان إلى تلك الخلايا المسيحية على أنها عناصر هدامة لكيان الدولة الرومانية وثقافتها وتراثها الديني(3)، ضف إلى ذلك موقف الديانة المسيحية من ظاهرة العنف، فقد طالبت من معتنقيها باعتبارها ديانة عطف وتسامح وسلام الامتناع عن العنف والتخلي عن الأسلحة، وهو الشيء الذي خلق حالات عصيان لأوامر القادة العسكريين(4)، وقد ذكر شارل أندري جوليان العديد من تلك الحالات: فقد حدث سنة 295م بينما كان البروقنصل يقوم بعملية التجنيد في تبسة أن رفض مكسيميليانوس التجنيد وعلل ذلك بأنه مسيحي، وكان نتيجة ذلك أن قُطع رأسه، كما رفض الجندي القديم تيباسيوس التطوع من جديد وعلل ذلك أمام قائد الجيش بأنه مسيحي ولا يمكن له القتال تحت قيادته، فهلك تحت ضربات السيف.(5)

*- **عصر الشهداء (112-313م):** امتد من أواخر القرن الثاني وخلال القرن الثالث إلى بداية القرن الرابع الميلادي، وأطلق عليه اسم "عصر الشهداء"، وقبِلَ المسيحيون الموت شهداء من أجل عقيدتهم، وخلال قرنين تمت الاضطهادات من قبل ثمانية أباطرة رومان. أنظر: Dominique et Michel Frémy: Quid 2001, Op.cit., P.490

1- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص.ص 122، 125.

2- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 334.

3- سيد أحمد الناصري: مرجع سابق، ص 421.

4- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 334.

5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 287. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 286.

وكان وراء هذه المواقف الجماهيرية خطاب ديني راديكالي يأمر بالتخلي عن السلاح واعتماد التسامح قاعدة في المعاملات بين الناس، وبقدر ما كانت مستمدة من تعاليم الديانة المسيحية بقدر ما كانت تهدد الإمبراطورية الرومانية.[1]

وإن لحركة عصيان الجنود هذه الأثر الواضح لنظرية ترتوليانوس القائلة: "**إن المسيحي لا يدخل الجيش ولا يمكن أن يكون جنديًا، وإن اعتنق جندي الدين المسيحي فإن أفضل ما يمكنه القيام به هو الفرار**"[2]، النظرية التي لم تحبذها الكنيسة المعتدلة، وهي دعوة صريحة للتمرد ومس صارخ لهيبة الإمبراطورية الرومانية، ومن هنا يبدو أن تدخل الإمبراطور كان منطقيًا، ولم يكف عن العبث بالمقدسات المسيحية إلا بعد أن أقر رجال الدين أن فرار الجنود يعتبر ذنبًا تعاقب عليه تعاليم الديانة النصرانية.[3]

وظهرت الخلافات بين رجال الدين المسيحي، خاصة حول مسألة التقية، فقد رأى أسقف قرطاجة على ضرورة ممالقة السلطة الرومانية، بينما رأى أساقفة آخرين في نوميديا أن ذلك تراجع عن المبادئ، ولا يجب الرضوخ للعدو مهما كانت قوته، ونما الخلاف بين الطرفين، واتهم أسقف قرطاجة بالخيانة وتسليمه كتب المسيحيين ومقدساتهم إلى السلطة الرومانية[4]، ونجم عن ذلك ما عرف في تاريخ الكنيسة بالانشقاق الديني، إلا أن موقف السلطة الرومانية أخذ في التغير نتيجة فشلها في القضاء على هذه الديانة، ما دفعها إلى انتهاج سياسة التحالف للاستفادة منها بعدما أيقنت دورها التأثيري في الأوساط الشعبية.[5]

ومن الأسباب التي أدت إلى الاضطهاد الديني ضد المسيحيين؛ بروز الطائفة المسيحية كطائفة جديدة أمام طائفة اليهود التي كانت مجتمعًا قويًا في ظل الحكم الروماني، الذي غض النظر عن بعض تصرفاتهم وسمح لهم بالاستمرار على تقاليدهم وعباداتهم، ولم يسمح للمسيحيين بمثل ذلك، لأنهم باعتناقهم لهذا الدين يكونوا في نظر مواطنيهم قد اقترفوا إثمًا كبيرًا، كما كان لليهود دور في إغراء الحكام الرومان على المسيحيين.[6]

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 286.
2- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 336.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
5- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص.ص 238-239.
6- محمد ضياء الرحمان الأعظمي: مرجع سابق، ص 316-317.

كما قطع المسيحيون الأوائل كل علاقة عن آلهة الرومان وقداسة الإمبراطورية الرومانية، لأن دينهم يدعوهم إلى نبذ كل مظاهر الشرك والوثنية، فثار الوثنيون عليهم، وأصبحوا ينظرون إليهم على أنهم كفرة.[1]

لقد وقعت أخطاء كبيرة من قبل المسيحيين، فلما كانوا يؤمنون بأن نهاية العالم وشيكة الوقوع، أهملوا بذلك واجباتهم اتجاه الإمبراطورية ما أضر بمصالح الدولة الرومانية بصورة واضحة، فمثلاً صارت الخدمة العسكرية بغيضة لديهم، وعدم دفع الضريبة التي كانت الإمبراطورية تفرضها على كل رعاياها.

كان المجتمع الوثني سَاءَهُ عزلة المسيحيين وتعاليمهم وثقافتهم، وهابوا حكامهم الذين يهينون آلهتهم الوثنية ويعيدونهم بالمعاقبة، لذلك كانت المعارضة قد أتت من قبلهم أكثر من الدولة، لأن الحكام في الكثير من الأحيان كانوا رجالاً مثقفين متسامحين. وبهذه الأسباب وغيرها بدأ واستمر اضطهاد المسيحيين عدة قرون.[2]

ب) اعتراف الإمبراطورية الرومانية بالديانة المسيحية: عرفت الديانة المسيحية مرحلة جديدة، بعد اعتناق الإمبراطور قسطنطين[*] *Constantinus* (أنظر الشكل رقم 47، ص 108) الديانة المسيحية عام 312م، إذ قام بإيقاف اضطهاد المسيحيين، وعمل على نصرتهم وشجع حركة التنصير، واختلفت الآراء حول الأسباب التي دفعت بهذا الإمبراطور إلى اعتناق المسيحية، وقد بالغ بعض المؤرخين في إبراز الأثر الذي أحدثه تنصره، خاصة النصر الذي حققه على منافسيه وكان أشدهم بأسًا شريكه ماكسانس *Maxence* يوم 28 أكتوبر 312م، إلى اعتناقه للديانة المسيحية.[3]

بينما يرى البعض الآخر من المؤرخين العلمانيين أن اعتناق قسطنطين للديانة المسيحية، ليست سوى بادرة سياسية رغب من خلالها تغيير الظروف الحرجة التي كانت تعيشها الإمبراطورية الرومانية بعد ظهور هذه الديانة، وما يدعم هذا الرأي أن قسطنطين أخذ يتساهل مع الديانة المسيحية وأتباعها، وقد تفطن إلى ذلك من قبله الإمبراطور ڤاليريوس

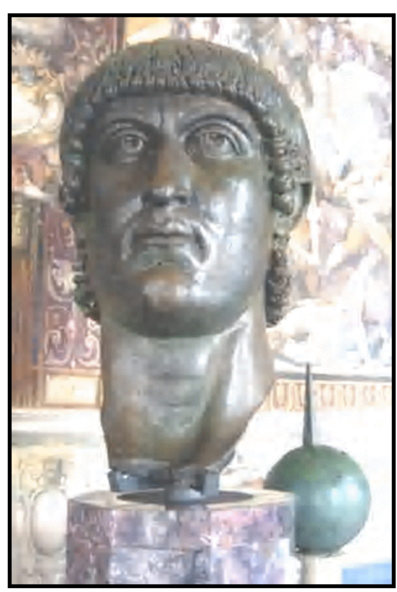
1- محمد ضياء الرحمان الأعظمي: مرجع سابق، ص 316-317.

2- المرجع نفسه، ص 317-319.

*- **قسطنطين الأكبر (بين 270 و288-337م):** اسمه الكامل: *Gaius Flavius Valerius Aurelius Constantinus* ابن القديسة هيلان *Ste Hélène*، تولى العرش الإمبراطوري في سنة 306م، وفي 312/12/10م قبل معركة جسر ميلفيوس *Milvius* رأى في السماء رمز المسيحية. أنظر: Dominique et Michel Frémy: Quid 2001 Op.cit., P.490.

3- أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص.ص 563-564. أنظر: تيم داولي: أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، مرجع سابق، ص 77.

فاليريوس ماكسيميانوس *Galerius Valerius Maximianus* (250-311م) الذي تنبه إلى ضرورة التسامح الديني قبل وفاته عام 311م، فأصدر براءة قال فيها: "**عليهم أن يبادلوا حلمنا بالصلاة لأجل خلاصنا ولأجل الدولة ولأجل نفوسهم، حتى تنعم الدولة بازدهار تام، وحتى يستطيعوا العيش في بلاد بطمأنينة**"[1]، ولم تُلغ هذه البراءة من بعده وبقيت سارية المفعول.[2]



الشكل رقم (47): رأس من البرونز للإمبراطور قسطنطين، **نقلا عن:**
- موسوعة المعرفة، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/11م

وما يؤكد تنصر الإمبراطور قسطنطين تلك القرارات التي أصدرها في حق الديانة المسيحية، فقد دعا هذا الأخير جميع ممثلي الأسقفيات بالغرب الروماني إلى اجتماع عام 313م بمدينة ميلانو الإيطالية، وحضره شريكه في الإمبراطورية ليكينيوس *Licinius* (263-325م)، وكان بمثابة مؤتمر سياسي هيمنت عليه إرادة الدولة الرومانية، وأسفر هذا الاجتماع تعليمات عرفت ببراءة ميلانو، جاء فيها ما يلي: "**بعد البحث بكل عناية فيما يمكن أن يكون نافعًا لخير وسلامة الدولة، وعما يمكن، أن يؤدي خدمة لأكثرية الناس، رأينا قبل كل شيء آخر وجوب تسوية كل ما هو مختص بالاحترام للذات الإلهية، بغية إعطاء المسيحيين وكافة المواطنين من حرية التمشي على الدين الذي يختارونه**".[3]

إذن أفسح مؤتمر ميلانو المجال مكانًا لإله المسيحيين بين آلهة الدولة المعترف بها[4]، وكما يشير هذا النص أيضًا على كفالة الحرية المطلقة للعبادة لجميع مواطني

1- أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص 564.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها. وأنظر: سيد أحمد الناصري: مرجع سابق، ص 434-435. أنظر كذلك: Dominique et Michel Frémy: Quid 2001, Op.cit., P.490.
4- شارل جنيبير: المسيحية نشأتها وتطورها، تر.: عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (د.ت)، ص 173.

الإمبراطورية[1]، وإلغاء كل ما من شأنه أن يلحق الأذى بالمسيحيين، واستمر العمل بقرارات هذا الاتفاق، حتى بعد انتزاعه العرش الإمبراطوري من شريكه سنة 324م، لذلك أمر قسطنطين تطبيقًا لبراءة ميلانو بإعادة ممتلكات الكنيسة والسماح للمسيحيين بممارسة شعائرهم الدينية وتعويضهم عما فقدوه من ممتلكات، كما أمر بتمويل الكنيسة بتخصيص جزء من دخل كل إقليم لفائدتها لمباشرة أعمالها الخيرية لصالح الفقراء واليتامى وتغطية مصاريف رجال الدين، ومنحهم حق الانخراط في المجالس البلدية[2]، وإعفاءهم من أعمال السخرة، ولهم حق ممارسة السلطة القضائية داخل الكنيسة[3]، وكان ذلك بمثابة إجازة لاعتناق المسيحية.[4]

وهذا ما يؤكد على أن الإمبراطور كان حريصًا على وحدة الكنيسة المسيحية، باعتبارها الدعامة الأساسية القوية لجمع كل الرعايا المسيحيين تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية، فتحولت الكنيسة إلى جهاز سياسي قوي التأثير يخدم المصالح العليا للإمبراطورية.

وهكذا يتحول زعماء المسيحية من محايدين أو حتى معارضين للسلطة الإمبراطورية، إلى عناصر مؤيدة لها، ويتضح ذلك من خلال الطلب الذي قدمه قسطنطين إلى الكنيسة لإصدار فتوى تحرم على الجنود المسيحيين التخلي عن السلاح والإحجام عن القتال، واعتباره كافرًا بالمسيحية.[5]

لقد قويت الكنيسة سياسيًا، بسبب اعتراف السلطة الرومانية بها، وتنصر الطبقة الأرستقراطية من المجتمع المغاربي وصار أتباعها كبار الملاك، الذين أخذوا يغدقون عليها بالأموال طلبًا للمغفرة، فقوية اقتصادياً، وظهرت طبقة رجال الدين الذين أخذوا يضطهدون باقي المعتقدات الدينية، ومن هنا برزت بوادر انحراف الكنيسة عن مبادئها الإنسانية التي كانت تنادي بها[6]، ما أدى إلى فقدان قيمتها المعنوية خصوصًا لدى الطبقة المحرومة من المجتمع المغاربي خاصة[7]، طالما كانت هذه الطبقة هي وقود لنيران الاضطهاد من قبل، وأصبحت الكنيسة ورجال الدين مؤيدين للسلطة الرومانية، بينما رفض البعض الآخر ذلك

1- أ.ب تشارلز روث: مرجع سابق، ص 210.
2- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 238-239.
3- محمد الصالح العود: مرجع سابق، ص 43.
4- أ.ب تشارلز روث: مرجع سابق، ص 210.
5- محمد الصالح العود: مرجع سابق، ص.ص 42-43. Gaid (M.): Op.cit., P.145.
6- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص.ص 238-239.
7- محمد الصالح العود: مرجع سابق، ص 43.

التحول الذي عرفته الكنيسة، وهذا ما أدى إلى بروز الانشقاق الديني، وانقسام مسيحي بلاد المغرب القديم إلى قسمين: الأول كان مواليًا للسلطة الرومانية الذي تمثله الكنيسة الكاثوليكية، أما الثاني تزعمته العناصر المنشقة المعروفة في تاريخ الكنيسة بالحركة الدوناتية، كتيار مناهض ومعارض للسلطة الكنسية وأداة كفاح ضد الاستغلال الروماني في بلاد المغرب.(1)

لقد كانت الدوناتية منتشرة في الوسط الاجتماعي المغاربي، بل ونجد أن الدوناتيين في أغلبهم من المغاربة، غير أن قوة الكنيسة الكاثوليكية قد أدت إلى اكتساح المشهد المغاربي، الأمر الذي أدى إلى انتصار سياسة رومنة المعتقد المسيحي.(2)

أستنتج أنه، لما كانت الديانة المسيحية دين يدعوا إلى العدل والمساواة والأخوة، وينهي عن الظلم وعن الأخلاق السيئة، استبشر به المجتمع المغاربي وتحمس له ورأى فيه وسيلة تخفف من ظلم الرومان وجبروتهم، واستحلت قلوبهم هذا الدين الذي يأمر بالعدل والمساواة في الحقوق، وينهي عن الظلم فانتشر في الوسط الحضري بين المغاربة وفي كثير من الرومان.(3)

وأفرزت ردود الفعل الرومانية على انتشار هذه الديانة، المتمثلة في سلسلة الاضطهادات الدموية والعنيفة، إلى ازدياد انتشار الدين الجديد، لذلك تبدلت نظرت الإمبراطورية إليه، ورأت فيه وسيلة من الوسائل التي تضمن لهم التحكم في المجتمع المغاربي وإخضاعه لسلطته التي طالما لجأت إلى الكثير من الوسائل لتحقيق هذه الغاية، فكانت المسيحية أحسن وسيلة، فأدى تبني الرومان لهذه الديانة إلى حدوث الانشقاق الكنسي والمذهبي، وظهور المذاهب الدينية والاجتماعية وعلى رأسها المذهب الكاثوليكي الموالي للسلطة الرومانية والمذهب الدوناتي المناهض للمذهب الكاثوليكي وللسلطة الرومانية، وكانت الدوناتية مظهر من مظاهر المقاومة المغاربية لسياسة رومنة المعتقدات الدينية التي اتبعتها الإدارة الرومانية في بلاد المغرب القديم والتي سأتطرق إلى تفاصيلها في الفصل الرابع من هذا البحث.

1- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص.ص 241-242.

2- روني باصي: أبحاث في دين الأمازيغ، تر.: حمو بوشخار، ط1، نشر: دفاتر وجهة نظر، سحب: مطبعة النجاح الجديدة، (د.ب)، 2012م، ص 25

3- محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 339.

المبحث الثاني: السياسة الثقافية في المجال الاجتماعي

أعالج في هذا المبحث سياسة روما الثقافية في المجال الاجتماعي، بدراسة المواطنة وسياسة الدمج ووضعية المجتمع المغاربي في ظل تلك السياسة.

المطلب الأول: المواطنة وسياسة الدمج

تعدت سياسة روما الثقافية إلى رومنة الديانة والأحوال الشخصية للفرد المغاربي، وقد انصبت جهود الإمبراطورية الرومانية خصوصًا مع النصف الثاني من القرن الثاني على الإسراع برومنة البلاد المغاربية وخاصة المناطق التي تعتبرها رومانية، لحمايتها بكل ثمن ضد أي تهديد، وذلك بمنح المواطنة الرومانية للعديد من الأفراد المغاربة، وللعديد من البلديات.[1]

ويعتبر الرومان أول من استخدم منح لقب المواطن بما يصاحبه من امتيازات وحقوق إلى مجموعة من الأفراد من بين رعاياهم، ولم يعط هذا التنظيم الرَعَايا الأمل في المساواة الاجتماعية فحسب، لكنه نجح في الحصول على كثير من أحسن قوادهم وضمهم إلى جماعة الحكام.[2]

حددت اللجنة التشريعية التي عهد إليها مجلس الشيوخ مهمة تنظيم الولاية الأفريقية عشية سقوط قرطاجة 146ق.م، لحكام الولايات صلاحيات تشريعية بإصدار قوانين لا تتماشى والظروف والمستجدات في المغرب القديم، وذلك ما لم يسمح لهم بأن يطّلعوا على حالة السكان ومن ثم يحددون لكل طبقة قوانين خاصة للتعامل معها؛ وفتح ذلك المجال لحكام الولايات المؤقتين بأن يتصرفوا كما شاءوا وفقًا لما تمليه عليهم المعطيات التي تواجههم في حكم العناصر الأهلية[3]، ولم تكن هناك قوانين خاصة تحدد طبيعة عمل الحاكم، فكان كل قائد روماني غير ملزم بإتباع سياسة من سبقه في حكم الولايات بل له كل الصلاحيات.

كما لم تول التشريعات الرومانية اهتماماً بقضايا المغاربة بقدر ما اهتمت بالشعب الروماني[4]، من حيث تحديد أوضاعهم القانونية وطبقاتهم الاجتماعية ونشاطاتهم الحرفية ولغة المعاملات الرسمية والتجارية، وعلى العكس من ذلك فقد كانت تعتبرهم مستسلمين أرقاء

1- محمد إبراهيمي الميلي: الجزائر في ضوء التاريخ، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1980م، ص 130.

2- رالف لنتون: شجرة الحضارة، ج2، تقديم: محمد سويدي، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2007م، ص.ص 419-420.

3- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VII, Op.cit., P.P.28-30.

4- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص.ص 86-87.

تابعين لها، وأن الموالين لها الذين يحظون بثقة الإدارة الرومانية هم سكان المدن فقط وأولئك إذا ما قورن تعدادهم بسكان الأرياف فقد كانوا يمثلون فئة قليلة من المجتمع المغاربي القديم.[1]

وقد وزع القانون الروماني المجتمع المغاربي إلى فئات بحسب موقفها وعلاقتها بالاحتلال منذ البداية، فنجد فئة المستسلمين الخاضعين *Dédiricci* الذين انهزموا واستسلموا للاحتلال الروماني، وينظر القانون الروماني إلى خضوعهم بأنهم تخلوا عن كل ما يملكون وهم تحت تصرف السلطة الرومانية[2]، وفئة الحلفاء الذين لم يقاوموا الاحتلال الروماني وانضموا إليه وانحازوا له خلال الحرب، وكانوا أقل سوءًا في المعاملة، واحتفظوا بنوع من حق الاستقلال في تصريف شؤونهم والتصرف في ممتلكاتهم، ويخضعون بالمقابل للسيادة الرومانية[3]، بالإضافة إلى فئة الغرباء *Incolae* الذين يُقيمون في مدن تخضع للنظم الرومانية، ولا يتمتعون بحق المدينة ولا يمكن لهم الاحتكام إلى القانون الروماني لأنه يعتبرهم خارج دائرته.[4]

أما فئة الأجانب *Pérégrins* هم الأهالي المقيمون في تجمعات سكانية مدنًا كانت أم قرى، التي يحكمها العرف والتنظيمات الأهلية، وبالتالي فهم ليسوا مواطنين لا رومان ولا لاتين.[5]

وستعاني فئة الغرباء والأجانب جراء ذلك، وبعد تراكم مشاكلها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، لتتولد منها الفئة الثائرة ضد سياسة الرومنة.

وعلى الرغم من ضخامة العمل التشريعي الذي بوأ الرومان مكانة كبيرة في تاريخ التشريعات الإنسانية، فكان حظ الشعب المغاربي منها ضئيل.[6]

1- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 366.

2- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 362.

3- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 213.

4- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 364.

5- Girard (P. F.): Manuel élémentaire de droit romain, Cinquième Edition, librairie nouvelle de droit et de jurisprudence, Paris, 1911, P.P.111-112.

6- بلقاسم رحماني: "روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب نموذجا)"، مجلة البحوث والدراسات، دورية أكاديمية محكمة يصدرها المركز الجامعي بالوادي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، العدد التاسع، السنة السابعة، محرم 1431هـ/ يناير 2010م، جمادى الثانية 1430هـ، ص 33.

فقد كان القانون الزراعي المعروف بقانون ثوريوس *Thorius* الذي صدر في سنة 111ق.م(*)، والذي جاء متزامنًا مع المقاومة اليوغورطية، لم يتعد حدود إعادة توزيع الملكيات الزراعية، وما هو في الحقيقة إلا تصحيح للقوانين الغراكية *Gracques*، ولم يتضمن أي إشارة للتعامل مع المجتمع المغاربي.[1]

وبعد مقاومة تاكفاريناس(**) الذي حمل السلاح لإرغام الرومان على الاعتراف بحق شعبه في الأرض[2]، أخذ المغاربة يخضعون لجملة القوانين الرومانية التعسفية المنظمة لطبيعة سير العلاقة بينهم والرومان[3]، فقدمت الإدارة الرومانية تسهيلات قانونية تضمن التواصل بينها وبين بعض المغاربة من الطبقات الأرستقراطية، وذلك بهدف تشجيعها على الاندماج، وجعلها الأساس المهم في نشر الثقافة الرومانية في المنطقة، ما سمح بظهور طبقة أرستقراطية محلية في مدن بلاد المغرب القديم، التي عرفت بارتباطها المصلحي بروما وبولائها التام للسلطة الرومانية.

بينما بقيت أغلبية فئات المجتمع المغاربي خارج هذا الإطار، والكثير منهم من كان يتوق للالتحاق بتلك الطبقة الأرستقراطية، وذلك ما كانت تسعى إليه روح القوانين الرومانية وقوانين درجة المواطنة(***)، ولقد ميزت هذه الصفة التشريعية الفترة الممتدة من عهد أكتافيوس أغسطس *Octavius Augustus* (حكم من 27ق.م-14م) إلى عهد ماركوس أنطونيوس قورديانوس الثالث *Gordianus III* (حكم بين عامي 238-244م).[4]

---

*- وذكر محمد الصغير غانم قانون آخر صدر بعد مقاومة يوغرطة، وهو قانون ساتورنوس 103ق.م، والذي كان يعطي الحق لقدماء المحاربين الذين وقفوا إلى جانب الرومان في هذه الحرب، للحصول على قطعة أرض تصل مساحتها 25 هكتارًا. أنظر: محمد الصغير غانم: "يوغرطة رائد الكفاح النوميدي ضد الاستعمار الروماني"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا: جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد: 12، شركة باتنيت للمعلومات والخدمات المكتبية، باتنة، 1425هـ/2004م، ص 30.

1- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 254.

**- تعتبر ثورة تاكفاريناس حسب رأي المؤرخين أول ثورة ضد سياسة الرومنة، أنظر الفصل الرابع.

2- Tacite: Annales, Œuvres complètes de tacite, Livre II, LII, traduites en français par J. L. Burnouf, librairie de l. hachette, Paris, 1859, *http://remacle.org*.

3- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 367.

***- **المواطنة:** نما مفهوم المواطنة أول الأمر في دولة المدينة بأثينا، ومن هنالك انتشر إلى روما، فكان الذين يملكون حقوق سياسية ومدنية يسمون مواطنين، والذين لم تكن لهم حقوق فكانوا عبيدًا وغير محررين، لذلك فإن الخاصية الجوهرية للمواطنة تقوم على امتلاك الفرد حقوقاً سياسية ومدنية كاملة، وذلك يعني المشاركة حتى في حكم البلاد. و**المواطن** هو الشخص الذي لا يملك فقط حقوق مدنية (الحق في الحياة، الملكية، التعاقد...)، لكنه يملك حقوقًا سياسية (المشاركة في الانتخابات، الترشح، تولي مناصب عليا في الدولة حسب الكفاءة...)، إذن **فالمواطنة** هي المشاركة النشيطة في حياة الجماعة. أنظر: موسوعة الشروق، مرجع سابق، ص 151.

4- شارن شافية وآخران: المرجع سابق، ص 253.

والواضح أن روح القوانين المتعلقة بدرجات المواطنة كانت أشبه بسلم يفرض على المجتمع المغاربي الخاضع لسلطة الرومان أن يرتقيه وبصعوبة ليجد نفسه في وضعية المترومن[1]، ونجد هناك ثلاثة أنواع من درجات المواطنة:

1- المواطنة الرومانية: وهي أعلى درجات المواطنة، وتسمح لحامليها التمتع بجميع الحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي يتمتع بها مواطنو مدينة روما نفسها، وكانت هذه المواطنة لا تمنح في البداية إلا للمستوطنين الرومان، من معمرين وإداريين وتجار، وغيرهم ممن يعودون في أصلهم إلى روما أو إلى إحدى المدن التي كانت تتمتع بالمواطنة الرومانية في إيطاليا.

2- المواطنة اللاتينية: التي يتمتع حاملوها بحقوق أقل قيمة من حقوق المواطنة الرومانية، والتي كانت قد منحت لبعض الشعوب الحليفة في إيطاليا، ثم عممت على باقي أقاليم الإمبراطورية الرومانية التي استوطنت فيها جماعات لاتينية.[2]

3- المواطنة الإيطالية: التي تعتبر أدنى درجات المواطنة، فلا يحصل مواطن هذه الدرجة على المواطنة الرومانية إلا بعد المرور على المواطنة اللاتينية.[3]

إذن إن تطبيق روما لسياستها الثقافية في هذا الميدان جاء إدراكًا منها أن دوام سيطرتها على البلاد المغاربية، يجب أن يرتكز على سياسة استقطاب العناصر المحلية التي تتمتع بالولاء الراسخ لها[4] وخاصة الطبقة الأرستقراطية المغاربية، التي تلقت عناية هامة من قبل الأباطرة الرومان، وتشجيعها على الاندماج[5]، عن طريق الدمج الثقافي والحضاري، فكانت المواطنة كأفضل وسيلة لتحقيق ذلك الهدف، باعتبارها ترقية اجتماعية وسياسية للأفراد والجماعات، وترسيخًا للوجود الروماني، فقد أشاد بذلك بعض المؤرخين والباحثين[6]

1- بلقاسم رحماني: "روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب نموذجا)"، مرجع سابق، ص 33.
2- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 253. محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، مرجع سابق، ص 88. Girard (P. F.): Op.cit., P.P.108-110.
3- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 216.
4- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص.ص 308- 309.
5- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، مرجع سابق، ص 86. إ.س. سفينسيسكا: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، تر.: حسان ميخائيل اسحق، ط2، دار علاء للنشر والتوزيع الترجمة، دمشق، سوريا، 2007م، ص 148.
6- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 273.

منهم كاركوبينو جيروم *C. Jérôme* بأن روما قد سخرت قوتها العمومية لفرض قانونها الخاص لتتقاسم سيادتها على البلاد المستعمرة.[1]

ونصت القوانين الرومانية على أنه لا فرق بين الروماني بالولادة والرماني بالتجنس، إذ يمكن أن يكون أي فرد مغاربي مواطنًا بكليهما (الولادة أو التجنس)[2]، ولا فرق بينهم في تحمل أعباء المواطنة، منها واجب الخدمة العسكرية في الفيالق الرومانية منذ عهد أغسطس، ودفع القسط العشريني من التركة؛ وبمرور الزمن أصبح الواجب الأول اختياريًا بينما ظل الثاني إلزاميًا، مثلما تسري القوانين الرومانية الأخرى على السواء لكل موطني الإمبراطورية الرومانية بالأصل أو بالتجنس، وحتى ممتلكاتهم خضعت لقواعد الملكية الرومانية، وكذلك يخضع زواجهم للقانون الروماني.[3]

فأضحى الفرد المغاربي في ظل الوضع القانوني الجديد، قد حقق العديد من المكاسب التي أقصِيَ منها سابقاً، وزالت أمامه الكثير من العراقيل.[4]

ومن أهم تلك المكاسب؛ اتخاذ الاسم الثلاثي *Tria Numina*، وهو شرط من شروط المواطنة، وإنه للاندماج التام في الشعب الروماني على المواطن أن يتخذ الاسم الثلاثي الروماني، وفقاً لقانون الحالة المدنية، وقد تعدى ذلك إلى تغيير الزيّ واتخاذ زيّ الرومان، فإلى غاية القرن الثالث الميلادي ظل المواطن لا يخرج إلى الحياة العامة إلا بالتوجا *Toga*[5]، وقد اعتبر القانون الروماني الملابس الغير رومانية ملابس أجنبية.[6]

لقد فرض القانون الروماني على المجتمع المغاربي أن يلبس التوجا، ما عدا العبيد والأجانب والمحكوم عليهم سياسيًا وكذا في قضايا الحق العام فيتعرضون إلى التغريم[7]، والتوجا قطعة قماش ذات شكل شبه دائري بطول 18 قدم وعرض 7 أقدام، كانت تلبس بعد

1- Carcopino (J.): Du droit de cité accordé par les romains aux peuples conquis, extrait des Annales universitaires de l'Algérie, Publication de la Société des amis de l'Université d'Alger, Mars 1915, Typographie Adolf Jourdan, Imprimeur Libraire de l'Université, Alger 1915, P.227.

2- Girard (P. F.): Op.cit., P.106.

3- Ibid., P.107. Carcopino (J.): Op.cit., P.227.

4- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 273.

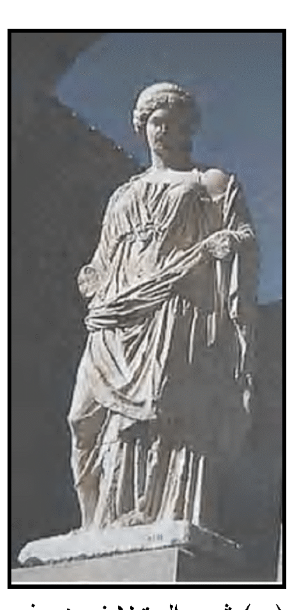
5- Carcopino (J.): Op.cit., P.227.

6- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 310.

7- Mommsen (Th.): Le droit public romain, T. I, trad. par Girard (P. F.), éditeurs Thorin et fils, Paris, 1892, P 250. Carcopino (J.): Op.cit., P.228.

طيها عدة مرات بدءًا من الكتف الأيسر مرتديًا تحتها قميصًا يسمى تونيكا *Tunica*[1]، كما لبست المرأة لباس الستولا *Stola*، وكان ثوبًا طويلاً يغطي كامل الجسم ويبين قوام المرأة ويصل إلى أخمص القدمين وبكمّين قصيرين، ويشد بحزامٍ إلى الخصر، وتحته رداء هو البالا، كما كانوا ينتعلون الصنادل وحذاء الكاكي الذي يغطي كامل القدم (أنظر الشكل رقم 48، ص 116)[2]، وكانت الأثواب الرفيعة مصنوعة من الصوف الذي تتقن النسوة صناعته، وهو من مميزات ربة البيت أن تكون غازلة للصوف، متقنة صناعة النسيج.[3]


(أ) تمثال لشخصية رومانية مرتدية التوجا (مادور)


(ب) ثوب الستولا في نموذج الآلهة مينرفا


(ج) لباس التونيكا (تيمقاد)


(د) لباس التونيكا والبالا (تيمقاد)

الشكل رقم (48): لباس التوجا ولباس الستولا، **نقلاً عن:**

(أ): Gsell (S.): Khamissa, Mdaourouch, Announa, T.II, Op.ct., P.27.

(ب): مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، مرجع سابق، ص 418.

(ج)، (د): Ballu (A.), Cagnat (R.): Musée de Lambèse, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1903, P.59

ومن هنا كانت المواطنة ارتقاء وتحرر من قيود القانون الروماني، وهو من العوامل المهمة التي دفعت سكان المدن خصوصًا إلى السعي للحصول على المواطنة والاندماج القانوني الكلي، للحصول على المساواة أو على الأقل رفع المظالم التي كانت ترتكب في

1- إبراهيم أيوب: التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996م، ص 95. محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 93.
2- علي عكاشة وآخرون: اليونان والرومان، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، 1999م، ص 231.
3- إبراهيم أيوب: مرجع سابق، ص 93.

حقهم، بالأخص أن سكان المدن كانوا تحت سمع وبصر الهيئات الرسمية الرومانية أكثر من سكان الأرياف.[1]

ثم اكتساب المشروعية الزوجية، وهو شرط من شروط المواطنة، وبه يمكن للمواطن أن يشكل أسرة مدنية معترف بها قانونيًا[2]، وقد اعتبر الزواج غير شرعي ما لم تعترف به القوانين الرومانية، ولا تعترف بما يترتب عنه من أبوة وأمومة وقرابة، لذا فالمواطن المترومن يكسب تلك المشروعية وفقًا للقوانين الرومانية، التي تعترف بمشروعية زواجه.[3]

بالإضافة إلى اكتساب كيان وسط المواطنين، أي يكتسب المواطن مكانة وكيانًا في أوساط الرومان بواسطة الاسم الثلاثي، والذي هو عنوان لدرجة رفيعة، وقد ذكر بول فريديريك جيرارد *P.F. Girard* أنه مع نهاية الجمهورية وفي القرون الأولى للإمبراطورية هناك من المواطنين من حمل اسم ماركوس *Marcus* (يختصر بالحرف *M*)، كما حمل اسم العائلة توليوس *Tullius*، وكذا كنية أو لقب كيكرو *Cicero*، التي تشكل الاسم الثلاثي[4]، أي ماركوس توليوس كيكرو *Marcus Tullius Cicero*.

أما المكسب الأخير فهو حق الملكية[5]، لأن الفرد المغاربي في نظر القانون الروماني لا يعتبر مالكًا مادام غير روماني، بل أن هناك استحالة ثنائية في قضية الملكية: بسبب حالته الشخصية كأجنبي، وكون أرضه في حالة غير قانونية، ومن ثم قام المشرعون الرومان في أراضي البلاد المغاربية بمختلف أوجه الاستفادة منها، فلا يمكن تملكها إطلاقًا لأنها ملك للشعب الروماني وأنه لا حق لأي كان فيها سوى الحيازة والاستثمار.

فلم يكن أمام الإنسان المغاربي ما يحقق له رغبته في حق الملكية سوى الحصول على المواطنة الرومانية.

هذه المكاسب هي امتيازات مرموقة لم يكن يتحصل عليها أي فرد مغاربي، مهما بلغت ثروته ومنزلته لدى قومه ما لم يحصل على المواطنة الرومانية، غير أن اكتساب هذه المواطنة لم يكن بالأمر السهل، إذ كانت تتطلب شروطًا صعبة لا تتوفر سوى في القلة

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 274.

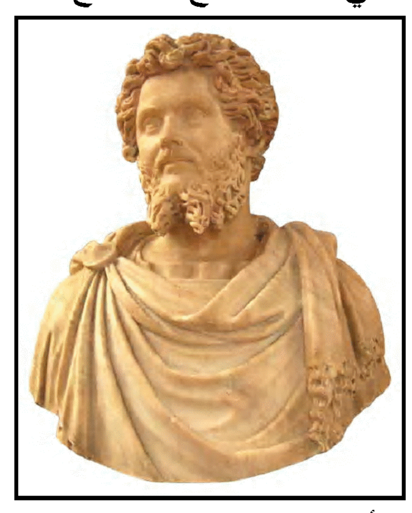
2- Girard (P. F.): Op.cit., P.107.

3- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 367.

4- Girard (P. F.): Op.cit., P.P.107-108.

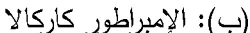
5- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 274.

النادرة من المغاربة[1]، وخاصة شرط وجود الثروة، لكن ذلك سيزول مع الأباطرة السيفيرين وخاصة في عهد كاركالا (211م–217م) الذي انتهج سيرة والده سيبتموس سيفيروس وسياسته في التعامل مع المجتمع المغاربي (أنظر الشكل رقم 49، ص 118).[2]



(أ): الإمبراطور سبتيموس سيفيروس





(ب): الإمبراطور كاركالا

الشكل رقم (49): بعض الأباطرة السفيريين، **نقلا عن:**

(أ): الموسوعة الحرة ويكيبيديا، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/14م.

(ب): موسوعة المعرفة، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/14م.

– رومنة أسماء الأعلام من خلال النقوش: لقد اتخذ المغاربة الذين تحصلوا على المواطنة، أسماء وألقاب العائلات الرومانية الأرستقراطية المشهورة، حسب التقليد الذي كان معمول به آنذاك، فالمدينة لها حام والعائلة لها حام، لذلك هناك صعوبة في التمييز بين الروماني بالأصل والمتجنس؛ وغالبًا ما يعثر الباحثون على مواطن احتفظ بلقبه الأصلي، كما لا يمكن اعتبار كل الأسماء التي خلفتها النقوش هي أسماء رومانية بالأصل، رغم عدم وجود أدلة كافية لإثبات ذلك، غير أنه هناك دراسات مثل: دراسات توتان وبفلوم *Pflaum (H.G)* حسب محمد العربي عقون، ترى أن تلك الأسماء تحمل أسماء بونية نوميدية كانت متداولة ومعروفة قبل الاحتلال الروماني بعد ترجمتها، غير أن هذه الدراسات لا تزال حسب ذات الباحث تحتاج إلى السند القوي لتخرج من دائرة التأويلات والافتراضات.[3]

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص.ص 215-216.

2- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 374.

3- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 367. بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص.ص 310- 311.

كما أفادتنا النقوش اللاتينية بأسماء أعلام متنوعة تعكس مقدار تقبل الفرد المغاربي للمواطنة في كل منطقة، وقد بقي الكثير من الناس مخلصون لنظم حياتهم التقليدية، وظل المجتمع المغاربي قبليًا، وألفت السلطة الرومانية هذا الوضع، فكان لكل قبيلة ضابط روماني.[1]

إن أول ملاحظة يمكن تسجيلها حول النقوش المزدوجة اللوبية – اللاتينية، هي ظاهرة أسماء الأعلام المرومنة في النصوص اللاتينية، واختلافها اختلافًا جذريًا في النصوص اللوبية من حيث المدلول والمعنى، وهي واسعة الانتشار في النقوش المزدوجة، مما يدعم فرضية اكتساب الفرد المغاربي لِإسْمَين، فالمصادر المادية أوحت بذلك دون أن تؤكده[*]، فعلى سبيل المثال: إن النصوص التي تحتوي على إشارات دالة على ترومن الطبقة الأرستقراطية، فإنما تشير بوضوح إلى المرتبة السياسية التي وصل إليها الأثرياء. أما السكان المحليين فإنهم أقبلوا على الرومنة لحل مشاكلهم الإدارية مع السلطة الرومانية، فلم يجدوا ضيرًا من اتخاذ أسماء رومانية.[2]

هكذا تسمى المغاربة القدماء بالأسماء الرومانية، ودونوها في نقوشهم الجنائزية، كما دونوا أسماءهم المحلية ذات الأصل اللوبي، ما يوحي إلى أن لكل فرد اسمين الأول اسم في الوثائق الرسمية والثاني اسمه المتداول في حياته اليومية؛ ومن الواجب الحذر أن ننوه هنا في النقوش عند البحث حول مسألة "الرومنة والترومن" عند الأفراد، للدلالة على التغيرات الحضارية التي عاشها المجتمع إبان الاحتلال الروماني، لأنه لا يمكن معرفة ما إذا كان الشخص قد عاش فعلاً مترومنًا ثقافيًا أو مرومنًا في السجلات الإدارية فقط.

كما أن المفهوم المشار إليه آنفًا لم يكن ليشمل السكان الذين أعلنوا الولاء المطلق للسلطة الرومانية بل شمل أبناء المجتمع المحلي، ففي عهد الأنطونيين كانت الرومنة مقتصرة على منطقة الأوراس، وفي عهد السيفيريين كانت الرومنة متجددة في الأوراس وشاملة باقي الأقاليم المغاربية الخاضعة للسلطة الرومانية.[3]

1- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 474.

*- في إطار رصد المقاربات التاريخية الأنثروبولوجية: لا يزال لحد الآن سكان الأوراس والنمامشة يتخذون اسمين أحدهما يدون في الوثائق الرسمية، والثاني ينادى به من طرف أفراد أسرته ومعارفه المقربين. المرجع نفسه، ص 478.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وهنا فالرومنة كانت حركة إدارية، إذ مثلت من المنظور الروماني صورة عن نمط الحياة البلدية وتطبيق النظام البلدي في المدن، ومنه فإن الاعتقاد بترومن السكان من خلال رصد أسماء الأعلام المترومنة ليس دلالة على الترومن الحضاري.[1]

على كل، فقد حافظ الكثير من المغاربة القدماء ضمن أسمائهم الثلاثية على اسم ذي أصل نوميدي أو جيتولي، ومن خلال إحصاء أسماء الأعلام الواردة في النقوش اللاتينية فإن هناك 300 اسم من أصل لوبي مثل ما كتبت باللاتينية على النحو الآتي: (*Gildo*، *Zautum*، *Aptan*، *Chinidal*، *Massiran*) وتكون الأسماء باللوبية: (كنديل، يفطن، زرتن، جلد، مسيرن) ومن أسماء النسوة الشائعة في البروقنصلية (بيبيا)، كما هناك أسماء ذات أصل بوني مثل: (صفن، بعل)، بالإضافة إلى أنهم تداولوا أسماء ملوكهم مثل: يوبا وجودا وجايا وغلوسن وماسينيسا.[2]

والملاحظ أن المُشَرِع الروماني كان محتاطًا في منح المواطنة لأيّ كان، إلى حد أن الإمبراطور كلوديوس *Claudius* (حكم من 41-54م) منع الأشخاص الأجانب من حمل الأسماء الرومانية[3]، كما تحَفظ أغسطس كثيرًا أثناء ولايته في أمر منح حق المواطنة لغير الرومان، واتخذ قرارات تعرقل تحرير العبيد، ونصح أن يتبع خلفاؤه سياسته هذه[4]، وإن اتخاذ الأسماء الرومانية عفويًا يعد اغتصابًا لأنها عنوان شرف، بالإضافة إلى ارتداء التوجا كما ذكرنا سابقًا؛ وبالتالي فالمواطنة ارتقاء وتحرر وفق التشريع الروماني، وهذا ما دفع الكثير من سكان المدن للعمل على الحصول على المواطنة والاندماج التام في الثقافة والحضارة الرومانية.[5]

بدأت سياسة الدمج في الثقافة والحضارة الرومانية، بفرض القانون المدني والأعباء على الأحرار المغاربة خصوصًا وشعوب الأقاليم الرومانية عمومًا، وإن كان منح المواطنة الرومانية في العهد الجمهوري يمر عبر دراجات المواطنة كما تم شرحها سابقًا، فإن هناك

1- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 478.
2- المرجع نفسه، ص 478-479.
3- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص. ص 311-312.
4- مونتيسكيو: تأملات في تاريخ الرومان (أسباب النهوض والانحطاط)، تر.: عبد الله العروي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2011م، ص 125.
5- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 367.

بعض النخب المغاربية تكون قد نالت المواطنة الرومانية بشكل مباشر، وذلك لحاجة الساسة الرومان إلى سند داخل بعض الأقاليم التي تواجهها بعض التمردات أو الثورات المحتملة ضدهم[1]، مثل الأسر التي وصفتها المصادر التاريخية بالملكية، ولعل أشهرها أسرة نوبيل *Nubel* والد فيرموس *Firmus*[2]، وسأتناول ثورة هذا الأخير في الفصل الرابع.

إن سعي المغاربة للحصول على المواطنة الرومانية والاندماج الكلي في الثقافة الرومانية عنوة، قد فتح المجال لبعض المغاربة التدرج في سلك العمل الرسمي والعسكري وصولاً إلى العرش الإمبراطوري في روما، وتعتبر الأسرة السيفيرية النموذج الحي على ذلك[3]، وارتقاء عدد كبير منهم إلى مجلس الشيوخ ليس في مدن مغاربية فحسب بل حتى في روما عاصمة الإمبراطورية آنذاك خاصة زمن الإمبراطور كومود *Commode* (180-192م)، كما بلغ عدد الضباط الذين يعود أصلهم من مقاطعات بلاد المغرب القديم والذين يشرفون على الشؤون المالية وشؤون المناجم والمقاطعات *Procurateures* في عهد هادريانوس *Hadrianus* (117-138م) أعدادًا كبيرة تكاد تتساوى مع الضباط الإيطاليين البالغ عددهم 53 ضابطًا، بينما بلغ عدد الغاليين والأسبان حوالي 22 ضابطًا و13 ضابطًا مغاربيًا.[4]

وسيصل الحصول على حق المدينة مداه بعد صدور دستور كاركالا *l'édit de Caracalla* سنة 212م، الذي عمم منح المواطنة الرومانية للأحرار في جميع أنحاء الإمبراطورية الذين رضوا بالاندماج في الحضارة الرومانية، وبموجبه أصبح جميع سكان الإمبراطورية سواسية، يخضعون لقانون واحد ضمن الحرية والحقوق الأساسية التي مُنحت لهم.[5]

إلا أن هذا التعميم لم يشمل الأرياف بقدر ما شمل المدن التي كان سكانها قد تأقلموا مع الثقافة والحضارة الرومانية، وقد ظلت قبائل الريف مثل قبيلة الناتابوت *Nattabuta* لم تتحصل على المواطنة إلا في القرن الرابع للميلاد، وبالتالي فصدور هذا الدستور الذي جاء لتعميم المواطنة لم يكن تعميمًا في الأرياف التي تمثل مركز الثقل السكاني ومعقل للقبائل

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 275.

2- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.334.

3- محمد شفيق: ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، أعده للنشر تامنغاست، تاولت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، (د.ت)، ص 41.

4- شارن شافي وآخران: مرجع سابق، ص 268.

5- أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص 601. جان توشار: مرجع سابق، ص 134.

المناهضة للاحتلال، بل كان موجهًا لسكان المدن وما كانت سوى تسوية إدارية لأوضاعهم فقط لا أكثر.[1]

لذلك فالرّومنة لم تتجاوز في الواقع المدن الكبرى ذات التأثير الروماني القوي، والتي يمكن تسميتها بالحضارة الرومانية المغاربية، وحتى نخب المدن الذين نالوا المواطنة الرومانية كانوا يحسون بأنهم مجرد رعايا لروما أكثر من إحساسهم بأنهم مواطنين رومان، ورغم اندماجهم في الثقافة الرومانية واتخاذهم لأسماء رومانية واستيعابهم لآداب وفنون روما، إلا أنها لم تفقد الشعور بجذورها وانتمائها الأصيل[2]، فقد خاطب لوكيوس أبوليوس في بلده مادوروس بقوله: "**أهلي النوميد أهلي الجيتول**"[3]، وفرونطون الذي قال: بأنه "**ليبي من بين الليبيين النوميد**"[4]، كما ذكر مينوكيوس فليكس في أكثر من موقع من تأليفاته بلاد المغرب وماضيها وآلهتها.[5]

وما يمكن قوله عن القوانين الرومانية أنها كانت تنطوي على عنصرية واضحة، بحيث أعطت للإنسان الروماني الاعتبار الأول على حساب الإنسان المغاربي[6]، ثم إن الإنسان الروماني العتيق كان يحتقر الأجنبي المترومن.[7]

أستنتج أن سياسة الرومنة الثقافية التي مست جانب الأحوال الشخصية من تجنس وتغيير أسماء وألقاب وهيئة الإنسان المغاربي، قد كان لها الأثر الكبير على سكان المدن، الذين لم يكن لهم الخيار سوى الخضوع وقبول تلك السياسة للخروج من دائرة تعسف السلطات الرومانية، بينما الأرياف التي كانت تمثل مركز الثقل الديمغرافي في بلاد المغرب

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 275. Carcopino (J.): Op.cit., P.230-231

2- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 367. بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص.ص 310-311.

3- Apulée: Apologie, trad. Par M. Victor Bétolaud, T.II, Garnier Frère, Librairie Editeur, Paris, 1836, URL: *http://remacle.org*.

4- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 349.

5- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة – علوم إنسانية تاريخ وحضارة، العدد: 20، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، الجزائر، جانفي – جوان 2013م، ص 42.

6- بلقاسم رحماني: "روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب نموذجا)"، مرجع سابق، ص 33.

7- جان توشار: تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ج1، تر.: ناجي الدرواشة، ط1، دار التكوين للتأليف الترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 2010م، ص 130.

القديم ظلت مغاربية محضة، وعملية رومنتها كانت نسبية وضعيفة، لبعدهم عن أعين السلطات الرومانية.

المطلب الثاني: وضعية المجتمع المغاربي

لقد كان المجتمع المغاربي في أغلبه مجتمعًا غير طبقي، وحسب د. بلقاسم رحماني فقد استبعد العديد من الدارسين وجود طبقية في فترة ما قبل الاحتلال الروماني وفقًا للتقسيمات المعروفة، لانعدام الأدلة على ذلك، لأن اقتصاد القبيلة ذو صبغة عائلية(*)، ولا يسمح بتراكم الثروة ونمو الفوارق الطبقية، وكان الجاه والنفوذ لا يخرج عن إطار الأبوة، فليس هناك أرباب عمل ونظم استغلالية، بل هناك أعيان وزعماء سلمهم أبناء القبيلة الأمر، ولم تكن ثروتهم وأملاكهم مصدرًا لسلطتهم، غير أن بلاد المغرب القديم ستشهد تغيرًا في النظم الاجتماعية مع الفترة الرومانية، لأن الاستعمار الروماني تأسس على مبدأ وقاعدة غالب ومغلوب، وعليه شرع الرومان معلنين بداية تشريعات جديدة خلقت فوارق اجتماعية في المجتمع المغاربي، وتجلى ذلك في ظهور الطبقية المتميزة.[1]

ولقد تفاوتت تأثيرات مظاهر الثقافة الرومانية على المجتمع الحضري والمجتمع القبلي:

أولاً- المجتمع الحضري: ازدهرت الحياة المدنية في العهد البوني والممالك المغاربية المعاصرة لهم، وخاصة على الشريط الساحلي، وعرفت الحياة الحضرية المتسمة بالارتفاع في المدن المغاربية تغيرًا واضحًا بعد الاحتلال الروماني، والتي أخذت تتلون بالثقافة الرومانية منذ أن حلت جموع المهاجرين الرومان بالحواضر المغاربية أواخر العهد الجمهوري وأثناء العهد الإمبراطوري الأول، وكان من الطبيعي أن يعمل الوافدون على تنظيم حياتهم على الطراز الروماني الذي ألفوه، ثم ما لبثت الطبقة المتمدنة من الأهالي أن أخذت تقلد أصحاب السلطة الرومانيين.[2]

*- صحيح أن طبيعة المجتمع القبلي ذي التجارب البسيطة في تقسيم العمل، وذي القاعدة الاجتماعية الصلبة والقائمة على مبدأ التضامن، توحي إلى غياب التدرج الهرمي، وتوحي بالمساواة بمعناها العام، وذلك لا يُخفي عدم وجود تفاوت في توزيع الثروة والسلطة، وبالتالي الجاه، وإن العلاقات القائمة على رابطة الدم تمثل غشاء أيديولوجي يحجب التفاوت والفوارق. أنظر: محمد نجيب بوطالب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه (41)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2002م، ص 105.

1- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص.ص 314-315. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 277.

2- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 267.

وقد شجع الأباطرة هذه النزعة الحضارية وأحاطوها بالرعاية، والذين كانوا يرغبون أن تسود أساليب الثقافة والحياة الرومانية في المدن المغاربية، لأن ذلك تعزيزًا لسيادة السلطة الرومانية، وتجلت تلك العناية من خلال منح حقوق البلدة *Minicipia* أو المستعمرة *Coloniae* الرومانية للمدن التي تعم فيها مظاهر الثقافة الرومانية.[1]

وكانت فئة الحضر متكونة من عديد الفئات الاجتماعية التي أنتجها انتشار الثقافة الرومانية في الحواضر المغاربية:

أ) طبقة الوافدين: كما أشرنا سابقًا أن المدن المغاربية قد شهدت استيطان روماني، تمثلت في فئة الوافدين من مختلف أقاليم البحر الأبيض المتوسط، وفي مقدمتهم الإيطاليون، الذين كانوا يشكلون نخبة المجتمع المدني وعنصر الزعامة فيه، وخاصة الوافدين من مدينة روما.[2]

ب) طبقة كبار الملاك: ثم تليها طبقة كبار الملاك، التي تصنف ضمن الذين نالوا رضا الرومان[3]، لتعاونهم معهم في بداية الاحتلال، وكذلك المندمجين الجدد من المجندين وكبار الموظفين، الذين كافأتهم الإمبراطورية الرومانية نتيجةً للخدمات التي قدموها لها، لذلك ارتفع عدد المغاربة في دواليب الإدارة الرومانية، إلى درجة أن نسبتهم في مجلس الشيوخ الروماني في القرن الثالث بلغت الثلث[4]، وإن أول عضو في مجلس الشيوخ الروماني من أصل أفريقي كان من كيرتا في عهد فسباسيان *Vespasien* (69–79م)، وبعد قرن أي حوالي 180م ارتفع أعضاء مجلس الشيوخ الأفريقيين إلى حوالي مئة، مكونين ثاني أكبر مجموعة بعد الإيطاليين[5]، وقد توجت هذه السياسة بوصول بعض أعضاء العائلات المغاربية إلى العرش الإمبراطوري الروماني كالعائلة السيفيرية، ولكن عدد هذه الفئات النخبوية يعد قليلاً مقارنة بوزن المنطقة الإستراتيجي وعدد سكانها الأفارقة.[6]

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 267.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص.ص 314-315.

4- المرجع نفسه، ص 315. ومحمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 277.

5- جمال مختار وآخرون: تاريخ إفريقيا العام، مج2، تر.: السيد أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون، دار جون أفريك، باريس، 1985م، ص 505.

6- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 315. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 277.

ج) الطبقة البورجوازية: أما الطبقة البورجوازية فهي من الأهالي المتمتعين بالمواطنة الرومانية، وبقيت من العناصر المنتفعة بالرعوية الرومانية[1]، وقد شكلت الحواضر المغاربية بيئة انصهار حقيقي بين الأفريقيين والرومان الذين تجمعهم الموّاطنة، فظهر مجتمع جديد في تلك الحواضر، يدين بالولاء لروما وثقافتها، ولا نستغرب أن يكون القديس أوغسطين أكبر مدافع عن روما لأنه من عائلة تنتمي إلى هذه الطبقة[2]، وبدون شك قد كانت هذه الطبقة تشكل الطبقة الوسطى من سكان المدن المغاربية، وأُدمج أعضاء هذه الطبقة البارزون، وهم أعضاء مجالس أعيان البلديات ومنهم من شغل مناصب رئيسية.

كانت هذه الفئة تمثل العمود الفقري للمجتمعات ذات الصبغة الرومانية في بلاد المغرب القديم، ولكي يكتسب أفراد هذه الطبقة اسمًا في المدينة ويحصلون على عرفان رجال مدينتهم كان عليهم أن يمنحوا الهدايا بسخاء، وكانوا ينظمون المباريات المحلية في الملاعب وميادين السباق والعروض المسرحية، ويقدمون الصدقات من الطعام والأموال للفقراء أو يبنون ويصونون المباني العامة[3] والثقافية، من حمامات ومسارح ومكتبات ومدارس ومعابد وغيرها.

وقد تزايد عدد هذه الفئة عندما استتب الأمن نسبيًا في الولايات الرومانية بالبلاد وثُبتت الأنظمة الإدارية والاقتصادية فيها، وأتاحت التشريعات الجديدة فرصًا أوسع أمام سكان الولايات ليُقبلوا على الذوبان في الثقافة والحضارة الرومانية.[4]

د) طبقة الأحرار: أما طبقة الأحرار فتمثل بقية الأهالي من أغلبية الجماهير المغاربية التي ظلت تعيش على هامش الحياة عيشة المتفرج على مجتمع يفوته منزلة ويعلوه شأنًا[5]، وصنفهم القانون الروماني على أنهم أجانب *Pérégrins*، رأسمالهم قوة سواعدهم وحريتهم، وقد أُنْتُزِعَت منهم أملاكهم في بدايات الاحتلال، ونُزِلوا إلى أدنى الدرجات الاجتماعية، وأضحوا يد عاملة لدى كبار الملاك، وازدادت أوضاعهم سوءً بمرور الزمن، مما جعلهم يشكلون قوة ثائرة ضد الرومان، خاصة بعد أن أصبح وضعهم أقرب إلى وضعية العبيد، بل

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 267.
2- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 277.
3- جمال مختار وآخرون: مرجع سابق، ص 505.
4- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، مرجع سابق، ص 95.
5- المرجع نفسه، ص 86.

قد يأمل العبد في تحرير نفسه والحصول على المواطنة الرومانية بمساعدة سيده، أما هؤلاء الأحرار فهم محل استياء من قبل الأسياد الذين يشتغلون في أملاكهم.[1]

هـ) طبقة العبيد: بالنسبة لطبقة العبيد فكانت تمثل عصب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم خلال الوجود الروماني[2]، وهم من الذين وقفوا ضد الاحتلال الروماني ففقدوا حريتهم، ومارسوا مختلف الأنشطة والأعمال لصالح كبار الملاك[3]، فعملوا في المناجم ومقالع الحجارة وفي الصناعة والزيوت، وفي الطواحين وفي ورشات السيراميك وفي تجارة الطحين والأفران[4] ومنها أفران تسخين الحمامات.

وانقسموا إلى عبيد الأرض، الذين عهد إليهم كبار الملاك بجانب كبير من العمل تحت تسيير العتقاء منهم. وعبيد الخدمة في القصور، الذين تم استقدامهم من الشرق ومن بلاد الإغريق، ومن بيئة حضرية أو أكثر تحضرًا، أو لها تقاليد خاصة بهذا الشأن[5]، وقد عُمِلُوا معاملة سيئة، إذا علمنا أن بعض السادة من الرومان كان يُصر على أن يقف خدمه حول المائدة صامتين، وكان يعاقب كل من يعطس بالجلد.[6]

أما العبيد المغاربة فيكرهون هذا النوع من العمل، ويرونها تمس بكرامتهم التي لم يبق منها غيرها، لذلك توجهوا للعمل في المزارع[7]، ولم تكن حياتهم أرقى من حياة البهائم على حد تعبير الدكتور عبد المجيد حمدان.[8]

ثانيًا- المجتمع القبلي: النظام القبلي في بلاد المغرب قديم جدًا، فقد أشارت النصوص الكلاسيكية الإغريقية واللاتينية إلى الجماعات القبلية في هذه المنطقة، فقد سجل هيرودوت

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص.ص 277-278.

2- رستوفتزف. م: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ج1، تر.: زكي علي ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م، ص 154.

3- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 317. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 278.

4- عبد المجيد حمدان: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، مجلة دراسات تاريخية، العددان: 117-118، كانون الثاني – حزيران، عام 2012، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 2012م، ص 66.

5- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 317. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 278.

6- عبد المجيد حمدان: مرجع سابق، ص 67.

7- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 317. محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 278.

8- عبد المجيد حمدان: مرجع سابق، ص 67.

في تاريخه عدد كثير من القبائل الليبية القديمة، وأشار إلى تقاليدها وأعرافها، ويقدم تاريخه صورة عن جوانب هامة من واقع الحياة الاجتماعية التي كانت القبيلة إطارًا لها.[1]

ويتمثل المجتمع القبلي في سكان الأرياف من المزارعين وأنصاف البدو، التي تشملها الحدود الرومانية؛ تميزت وضعيتهم بكونهم في وضع الأعداء الخاضعين والمحاطين بمنشآت عسكرية رومانية والحصون والقلاع كالليمس ومستعمرات قدماء الجنود، عمل بعضهم في أراضي المعمرين الرومان، في حين انعزل بعضهم عن المؤسسات الرومانية في المناطق الجبلية، رافضين الاندماج في الثقافة الرومانية، واعتبرت تلك المناطق معاقل للمقاومة ضد الرومان.[2]

إن سكان الحضر من الذين لم يقاوموا الرومان، قد نالوا المؤاطنة الرومانية واندمجوا، ونالوا صفة المواطن الجيد *Le Bon Citoyen*. أما عن وضع سكان الأرياف، فإن التشريع الروماني قد سنّ إجراءات مكنت الرومان من ترسيخ الاستعمار، ثم السيطرة على ثروات المنطقة ومصادرها بصورة خاصة، وهي نظام الكنطنة *Cantonnement*، والتي تتمثل في عزل قبيلة وحشدها داخل إقليم محدود بموجب تشريعات قانونية وبناءً على إجراءات مِسَاحية قانونية *Cadastral et Juridique*، ويكون هذا بعد تجريد القبيلة من أراضيها الخصبة أو ترحيلها إلى أراضي جبلية أو شبه صحراوية، أي أنها إجراءات لا تبقي للقبيلة إلاّ خط الانتجاع والأراضي الأقل خصوبة، وقد قاومت قبيلة الموسولام هذا الإجراء أكثر من سبع سنوات من الحرب.[3]

وقد تم نظام الكنطنة وفقًا لسلسة من الإجراءات، تبدأ بإجراءات نزع الملكية؛ إذ تقوم مصالح المساحة أثناء إجراءات نزع الملكية، بدراسة شاملة لإقليم القبيلة التي ستطبق عليها إجراءات الكنطنة على أساسين: الخصائص الطبيعية من ناحية خصوبة الأراضي، ووجود الينابيع، ومناطق الانتجاع والمراعي، وأن الأرض ملكية عمومية للشعب الروماني.

وبهذا تكون الإدارة الرومانية قد طبقت نظرية السيطرة الازدواجية على الأرض والإنسان، واعتبرت أن الكنطنة ما هي إلا تنازل منها على منطقة تعيش فيها القبيلة، وما اعتبر نزعًا للملكية يراه القانوني الروماني أمرًا مشروعًا.[4]

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 168. أنظر حول القبائل الليبية: مصطفى أعشي: أحاديث هيردوت عن الليبيين (الأمازيغ)، مرجع سابق.
2- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 256.
3- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 279.
4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

تُضَم الأراضي المنزوعة إلى أراضي المستعمرة المجاورة أو إلى كبار الملاك أو تُضَم إلى أملاك الإمبراطور[1]، وكان الأباطرة وعائلاتهم من بين المستفيدين من هذه الأراضي، ويصعب في الوقت الحاضر رسم خريطة دقيقة للأراضي التي كانت بحوزتهم، وتقتصر المعلومات المستخلصة من المصادر على أن أراضيهم منتشرة بالسهول العليا السطيفية، ولا يتوفر حاليًا سوى نقيشة عثر عليها بأربال (ريجياي *Regiae*)[*] تشير إلى إشراف بترونيوس كلر *Petronius Celer* سنة 137م على رسم الحدود الفاصلة بين أراضي قبيلة الرخياس وإحدى البراري التابعة للإمبراطور، بالإضافة إلى أن أرستقراطية المدن استفادت من الأراضي التابعة للمدن.[2]

وبغية استغلال تلك الأراضي فإن جزء من مالكيها الحقيقيين يبقون فيها كَيَد عاملة، ما أثر بمرور الزمن على الإنسان الريفي، فالذين احتكوا بالرومان نالوا حق المواطنة واندمجوا في المجتمع الروماني، أما الباقي من الذين ألزمهم القانون بالعيش في حدود مناطق العزل *Limitation*، فبقوا بعيدين عن التأثيرات، حيث بقيت القبيلة تعيش وفق أعرافها وتقاليدها وعلى موارد قليلة بعد أن جردت من أراضيها.[3]

لقد تضررت قبائل الرحل والقبائل المزارعة جراء هذه السياسة، ذلك بعد أن استولت السلطة الرومانية على قسم واسع من أراضيها، وحولت إلى مساحات شاسعة من مراعيها إلى أراضي زراعية ألحقت بأراضي الأباطرة أو وزعت على المستوطنين الرومان أو على الجنود المسرحين، زيادة على ذلك حددت حدود الأراضي التي تركت لها للانتفاع منها، ثم طوقتها بسلسلة من الحصون والطرق الإستراتيجية كالطريق الذي أنشأ زمن الأباطرة السيفيريين (193-235م)، يربط عددًا كثيرًا من المراكز العسكرية تراقب القبائل وتمنعها من اجتياز الحدود التي حددت لها.[4]

1- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 319.

*- **ريجياي *Regiae*:** اسم لمدينة رومانية قديمة تابعة لموريتانيا القيصرية، وأثارها تقع في منطقة أربال التابعة لبلدية تامزورة، كانت بها أسقفية قديمة. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الرابط: *https://fr.wikipedia.org*، تاريخ الاطلاع: 2015/09/12م.

2- خديجة منصوري: "التطورات الاقتصادية لموريتانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا، جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد: 12، شركة باتنيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، 1425هـ/2004م، ص 35-36.

3- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 319.

4- خديجة منصوري: "التطورات الاقتصادية لموريتانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني"، مرجع سابق، ص 36.

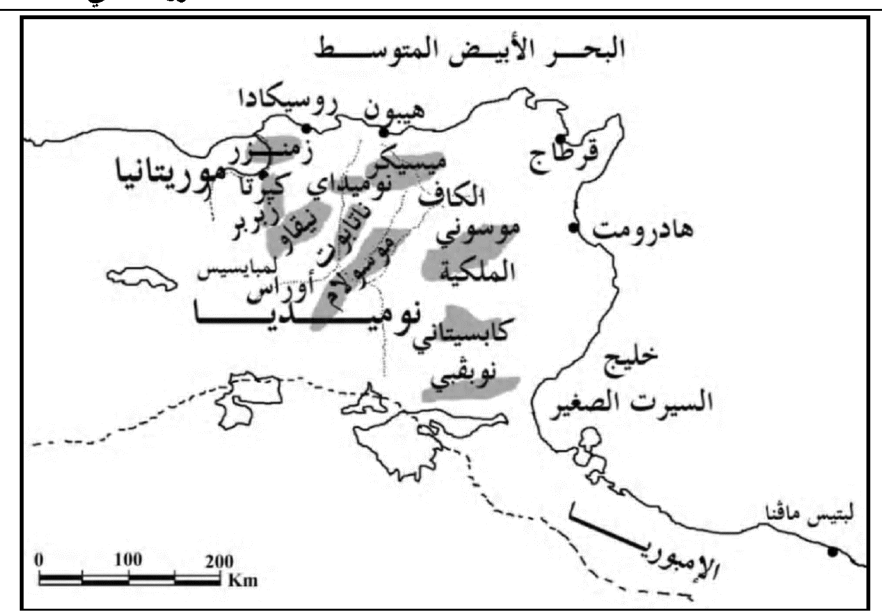
ومن أمثلة ذلك أراضي قبائل الموسولام، إذ أورد محمد العربي عقون أن الباحثين الأثريين وجدوا هذه الحالات: أراضي ضُمت إلى مستعمرة حيدرة *Colonia Ammaedara*، وأراضي ضمت إلى الدومان الإمبراطوري *Domaine de l'Empireur*، وأخرى ضمت إلى أحد كبار الملاك وهو سالتوس ميسيبيانوس *Saltus Missipianus*.[1]

إضافة إلى قبيلة نوبقني *Nybgenii* الواقعة إلى الجنوب الشرقي من قبيلة الموسولام، حيث بعد نهاية حرب هذه الأخيرة، قام البروقنصل ويبوس مارسوس *Vibus Marsus* بكنطنة أراضيها في إقليم القبيلة الواقع ما بين تاكابس *Tacaps* (قابس) إلى شط الفجاج. وذلك ما تعرضت له أيضًا قبيلتي الزبربر *Suburbures* ونيقاوة *Nicives* ناحية تيجيس، حيث تم تثبيت الحدود بين الأملاك الكيرتية وكانطون القبيلتين، من قبل الليقاتوس توليوس بومبيانوس كابيطو موفدًا من قبل الإمبراطور فسباسيان *Vespasien* (أنظر الخريطة رقم 03، ص 130).[2]

أما الإجراء الموالي فيتمثل في تشريع قانون خاص بالقبيلة؛ فبعد انتهاء عملية الكنطنة تتلقى القبيلة قانونها الخاص *Statut*، وبه تصبح كيانًا له وضعه القانوني والديني، ولها مجلسها البلدي، ويمكن أن يكون لها حماة، وتحتفظ بنظامها القبلي، ولعل قبيلة ميسيكير *Misicir* والتي هي عبارة عن اتحاد قبلي، كانت مكنطنة في المنطقة التي بقيت لها في المنطقة الجبلية الغابية الواقعة ما بين مجردة وبوناموسة بمنطقة الشافية، والتي ظلت محتفظة بخصوصياتها[3] التقليدية المحلية.

والملاحظ أن إجراءات الكنطنة الواردة ضمن التشريع الروماني، اعتبرت أن الأرضي التي تركت لهذه القبائل من ناحية القانون، هي للاستغلال فقط *Droit d'usus*، وبالتالي ليس لها الحق في ملكيتها[4]، ويبدوا أن هذا القانون يصنف القبيلة المكنطنة في درجة بلدة غارمة، وبذلك يمكن إقامة مركز عمراني قابل للتوسع.[5]

1- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص.ص 279-280.
2- المرجع نفسه، الصفحات نفسها. شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 182.
3- Camps (G.): Aux Origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'Histoire, Libyca, 1962, P.P.250-252.
4- Benabou (M.): Op.cit., P.439.
5- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 281.



الخريطة رقم (03): خريطة توضح بعض القبائل المكنطنة التي أشارت إليها النصوص الأدبية والأثرية، **نقلا عن:**
– محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 284. (تصرف الطالب)

كما أفرزت سياسة الرومنة دخول عناصر بشرية مختلفة الأصول ومتباينة الأوضاع القانونية في الريف المغاربي، وتختلف نسب تواجد تلك العناصر من إقليم إلى آخر، على حسب الأهمية الاقتصادية ودرجة الخضوع للسلطة الرومانية، حيث تكثر نسبة الوافدين الإيطاليين في أرياف المقاطعة البروقنصلية وفي نوميديا والشريط الساحلي من الموريتانيتين وفي مقاطعة تريبوليتانيا، بينما تقل نسبهم في الأقاليم الداخلية من مقاطعتي موريتانيا وتريبوليتانيا، وتنعدم في المناطق الخاضعة للقبائل والجبال، ما عدا الأقاليم العسكرية التي استوطنت فيها عناصر من قدماء الجنود.(1)

يتضح لي مما سبق أن انتشار الثقافة الرومانية في بلاد المغرب القديم، قد أدت إلى تغيير في النظم الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع المغاربي، فقد أصبح هذا المجتمع يخضع إلى قوانين الثقافة الرومانية وحضارتهم، فبرزت طبقية واضحة مبنية على أساس القانون الذي بني عليه الاستعمار الروماني (غالب ومغلوب)، وفي هذه الحالة فإن المغاربة كانوا إما مهزومين أو محايدون، وفي كلا الحالتين هم من الناحية القانونية لم يظفروا في الأولى بالحقوق المدنية وفي الثانية فهم مجردون من ملكية الأرض التي تسمح لهم بتبوء مرتبة في المدينة.

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 277.

الفصل الثالث

السياسة الثقافية الرومانية في المشهد الثقافي المغاربي

المبحث الأول: السياسة الثقافية الرومانية اللغوية والتعليمية

المطلب الأول: السياسة الثقافية في المجال اللغوي

المطلب الثاني: السياسة الثقافية في التربية والتعليم

المطلب الثالث: المنشآت التعليمية والتثقيفية

المبحث الثاني: الإنتاج الفكري من خلال شخصيات مغاربية

المطلب الثاني: الإنتاج الفكري الوثني

المطلب الثالث: الإنتاج الفكري المسيحي

الفصل الثالث: السياسة الثقافية الرومانية في المظهر الثقافي المغاربي

تعددت وسائل روما للاستيلاء على بلاد المغرب القديم، ففرضت اللغة اللاتينية كلغة رسمية في الأماكن العمومية ومختلف الهيئات الإدارية والمحاكم، ونذكر على الخصوص المدارس التعليمية التي كانت قائمة آنذاك في المدن الكبرى ككيرتا ومادوروس وقيصرية وقرطاجة وليسكوس ولبتيس ماڤنا وتيفست وغيرها، وتعدت إلى رومنة العقل المغاربي، ما أفرز نخبة مثقفة بالثقافة اللاتينية كان لها باع كبير في شتى المجالات الأدبية والعلمية والتاريخية والفلسفية والدينية...، وقد تناولتها في هذا الفصل:

المبحث الأول: السياسة الثقافية الرومانية اللغوية والتعليمية

أتناول في هذا المبحث سياسة روما الثقافية في المجال اللغوي ومجال التربية والتعليم والمنشآت التعليمية والتثقيفية المتمثلة في المدارس والمكتبات التي كانت منتشرة في مدن بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني.

المطلب الأول: السياسة الثقافية في المجال اللغوي

اعتمدت الإمبراطورية الرومانية في سياستها الثقافية في بلاد المغرب القديم، على فرض استعمال اللغة اللاتينية بصورة رسمية في المحاكم والأماكن العمومية والمراكز التعليمية، وأُهملت لغة أهل البلاد.(1)

اللغة(*) اللاتينية هي اللغة القومية للمجتمع الروماني، اللغة الرسمية تقريبًا في كل أنحاء أقاليم الإمبراطورية الرومانية. لم يكن الرومان في بدايات عهدهم مهتمين بالجوانب الأدبية، بسبب ميل الأوائل بصفة عامة إلى الناحية العملية من الحياة على حساب الأدب والفن والخيال، وتميزوا بالصرامة والرزانة والخشونة وكان جل اهتمامهم محصور في الجوانب العسكرية، إضافة إلى ظاهرة عدم الاستقرار اللغوي، إذ كانت اللغة اللاتينية تسير ببطء شديد

1- محمد محي الدين المشرفي: مرجع سابق، ص 98.

*- **اللغة:** عرفها **ابن جني:** على أنها مجموعة **"أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"**. ابن جني، الخصائص، تح.: محمد علي النجار، ط1، دار الكتب، القاهرة، 1956م، ص 33. وعرفها **ابن خلدون:** على أنها **"ملكات في اللّسان للعبارة عن المعاني وجَوّدتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها"**. عبد الرحمان ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج1، مقدمة، ط3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2006م، ص 643. ويعرفها **"أندري مارتيني":** هي أداة تبليغ يحصل على مقياسها تحليل لما يخبره الإنسان على خلاف بين جماعة وأخرى، وينتهي هذا التحليل إلى وحدات ذات مضمون معنوي، وصوت ملفوظ، وهي العناصر الدالة على معنى: (*Monèmes*)، وينقطع هذا الصوت الملفوظ بدوره إلى وحدات مميزة ومتعاقبة وهي العناصر الصوتية: (*Phonèmes*)، ويكون عددًا محصورًا في كل لسان، وتختلف هي أيضًا من حيث ماهيتها، والنسب القائمة بينها باختلاف الألسنة. أنظر: رابح بوحوش: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 1427هـ/2006م، ص 14-15.

وراء الجيوش الرومانية في إيطاليا، ولم يأتي النصر لهذه اللغة إلا بعد وقت طويل أمام اللغات التي كانت منتشرة هناك، وفي وقت متأخر من التاريخ.[1]

واللغة اللاتينية تنتمي إلى عائلة اللغات الهندوأوروبية[*]، وهي لغة سكان سهل اللاتيوم، كانت نواة صغيرة وسط بحر من اللغات الإيطالية أهمها: لغة الأومبري *Ombrien* التي انتشرت شمال روما والأوسك *Osque* التي سادت في كامبانيا وأبوليا ولوكانيا والسامنيوم. وتطورت هذه اللغة تطورًا موازيًا لتطور القوة الرومانية السياسية والعسكرية والاقتصادية، لتتحول إلى لغة كل الشعوب الإيطالية ثم اللغة الرسمية والإدارية للإمبراطورية الرومانية.[2]

غير أن هذه اللغة ونظرًا لمحدودية معجمها اللغوي، الذي انحصر أساسًا في المفردات الفلاحية والعسكرية، دفع برجال الفكر الرومان للتعبير عن أفكارهم، إلى اقتباس الكثير من المفردات والمصطلحات من لغات الشعوب المجاورة التي أخضعها الرومان لسلطتهم، استجابة لمتطلبات التطورات التي شهدتها الحياة اليومية للفرد الروماني، لذلك فقد اقتبسوا كل ما تعلق بالمفردات والمصطلحات السياسية والمسرحية من لغة الأتروسكيين، ومن اللغة الإغريقية كل ما تعلق بالمفردات الفنية والثقافية، وأخيرًا من لغات الشعوب الأخرى ما لم توفره لهم اللغات السابقة، وعليه فإن اللغة اللاتينية تنقسم إلى:

أ- لغة عتيقة، إلى غاية القرن الثاني قبل الميلاد.

ب- لغة كلاسيكية، القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الأول للميلاد.

ج- اللغة اللاتينية المتأخرة، ابتداءً من القرن الثاني للميلاد.[3]

ولما انتقل الرومان إلى احتلال بلاد المغرب القديم منذ عام 146ق.م، وجدوا مقاومة مغاربية قوية بالأخص في المناطق الداخلية[4]، ما دفع بالإمبراطورية الرومانية على ضرورة

1- أحمد عثمان: مرجع سابق، ص 12.

*- **اللغات الهندوأوروبية:** تسمية تطلق على مجموعة اللغات التي تتشابه فيما بينها من حيث التركيب والمفردات، مما يعني أنها تتفرع من أصل واحد ففي آسيا نجد اللغات الحثية واللغة الهندية والفارسية، وفي أوروبا نجد اللغات الإيطالية والإغريقية والسلتية والجرمانية والسلافية، وضع هذا المصطلح من قبل "السير توماس يونغ"، من الهندية + الأوروبية، والسبب هو امتداد هذه اللغات المشتركة في الأصل من غرب أوروبا إلى شرق الهند. محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، هـا. 1، ص 46. أنظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، الرابط: *https://ar.wikipedia.org/wiki*، تاريخ الإطلاع: 2015/06/04م.

2- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 23.

3- المرجع نفسه، ص 23.

4- Derect (F.), Fantar (M.): L'Afrique de Nord dans l'antiquité, histoire et civilisation des origines au V^ème^ Siècle, éd. Payot, Paris, 1991, P.59.

الاهتمام بفرض الثقافة الرومانية عن طريق اللغة اللاتينية على المجتمع المغاربي[1]، وما كانت لترضى أن تعوض لغتها بلغة أخرى، فقد قال القديس سانت أوغسطين ST. *Augustin* من كتاب شارل أندري جوليان: "**أنّ الدولة الرومانية التي تعرف كيف تحكم الشعوب لم تفرض عليها سيطرتها السياسية فحسب، بل لغتها أيضًا**".[2]

ومن قبل ذلك كان الملوك النوميد يعرفون اللغة اللاتينية، من خلال العلاقات التي كانت تربطهم بروما، وعلى رأسهم ماسينيسا *Massinissa*[3] واستمر ذلك طيلة عهد ابنه الملك ميكيبسا *Micipsa*، وجعلت حفيده يوغرطة[*] يقف إلى جانب الرومان في حرب نومانس[*] *Numance*[4]، التي دارت أحداثها في شبه جزيرة أيبيريا ضد النوماسيين *Les Numances* (134–133ق.م)[5]، كما أن آذربال *Adherbal* ألقى خطابًا في مجلس الشيوخ[6]، ورافع فيه أيضًا يوبا الثاني *Juba II* فيما بعد، ولم تشير المصادر إلى وجود مترجمين لهم، وما ذلك إلا دليل على معرفتهم الجيدة للغة اللاتينية.[7]

بالإضافة إلى أن المدن النوميدية شهدت وجود تجار وجالية رومانية خاصة في كيرتا *Cirta*، وضم الجيش النوميدي في صفوفه جنود رومان ضمن فرق الجند المأجور[8]، مما يدل على أن المدن النوميدية كانت تضم جاليات إيطالية مارست مختلف الأنشطة ولها مصالح في كيرتا، وأن بعض من هذه الجالية أشارت على آذربال (أثناء صراعه ضد يوغرطة) بالذهاب إلى روما بنفسه فإنها ستضمن له الحماية.[9]

1- رشيد الناضوري: مرجع سابق، ص 341.

2- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 248.

3- Salluste: La guerre de Jugurtha (Bellum Jugurthinum), Présentation de Kamel Chehrit, 3é édition, éd. grand Alger livre (G.A.L), Alger, 2006, P.9-10.

*- **يوغرطة (156-104ق.م):** ملك نوميديا، حفيد ماسينيسا، تبناه عمه ميكيبسا الذي أوصى بالعرش بعده لابنيه ويوغرطة، وعقب وفاة ميكيبسا (118ق.م) عزل يوغرطة ابني عمه، وبعد حرب طويلة مع الرومان تدخلت فيها الرشوة والغدر، وقع يوغرطة في قبضة الرومان وتوفي سجينًا بروما. عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج7، مرجع سابق، ص 448.

*- **نومانس *Numance*:** مدينة إسبانية تقع في شبه جزيرة أيبيريا استولى عليها الرومان سن 133ق.م، وتحت قيادة سيبيون الأميلي. محمد الصغير غانم: "يوغرطة رائد الكفاح النوميدي ضد الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص 8، ها. 2، ص 11.

4- Salluste: Ibid., P.9-10. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.118.

5- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، مرجع سابق، ص 33.

6- سالوست: حرب يوغرطة، تر.: فيصل الأحمر وفاطمة بريهوم، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2013م، ص 22-28. أنظر كذلك: Salluste: Œuvres complètes de Salluste, trad. Charle Durosoir, Librairie Garnier Frères, Paris, 1865, P.15-18.

7- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.118.

8- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 305.

9- أنظر: محمد العربي عقون: المؤرخون القدامى، مرجع سابق، ص.ص 51-52.

كما كان المغاربة قبل الاحتلال الروماني مزدوجي اللغة، إذ استخدموا اللغة اللوبية واللغة البونية[1]، فقد عبر السكان المغاربة عن أنفسهم بإحدى اللغتين[2] أو كلاهما.

والظاهر أن العقلية العنصرية وعقدة التفوق لدى المجتمع الروماني، التي ظهرت منذ نشأة النظام الجمهوري *Rupoblica*، التي أخذت في الانتشار والنمو المتزايد خلال فترات التوسع العسكري الروماني. ووجدت في تلك الانتصارات التي قهرت الشعوب وأخضعتها للسيادة الرومانية أفضل سند في عقول الشعب الروماني وباتت من المسلمات الغير قابلة للنقاش، ومن الواضح أن الرومان الذين يسودهم الاعتقاد بالتفوق، دفعهم إلى فرض ثقافتهم على المجتمع المغاربي.[3]

لقد حاولت الإمبراطورية الرومانية جاهدة القضاء على الشخصية المعنوية المغاربية، متخذتًا كل وسيلة لرومنة المغاربة، ليُضْمن لها البقاء وخضوع البلاد لها إلى الأبد، فسنت القوانين لذلك، منها ما تجعل اللغة اللاتينية لغة رسمية[4]، كما انتهج الرومان سياسة كان هدفها نشر اللغة اللاتينية في المناطق الريفية، البعيدة عن تأثيرات الحضارة الرومانية، بحكم أنها كانت أكثر الجماعات تمسكًا بثقافتهم (عادات وتقاليد ولغة..)، غير أن الاحتلال الروماني فشل في مد سيطرته اللغوية على تلك الجماعات، ما دفع بالرومان إلى طردها إلى مناطق خارج المدن إلى الجبال والمناطق المعزولة والصحاري، وذلك ما يصطلح عليه بمصطلح "المنجى التاريخي"[5] للغتين الليبية والبونية وأدى بالكثير من المغاربة لجهل لغة الرومان.

أولاً- عوامل انتشار اللغة اللاتينية في الوسط الاجتماعي المغاربي: حاولت الإمبراطورية الرومانية جاهدة القضاء على الشخصية المعنوية المغاربية، متخذتًا كل وسيلة لرومنة المغاربة، ليُضْمن لها البقاء وخضوع البلاد لها إلى الأبد، فسنت القوانين لذلك، منها ما تجعل اللغة اللاتينية لغة رسمية[6]، معتمدتًا في ذلك على:

1- Galand (L.): "Libyque et Berbère", URL: *http://www.persee.fr*, Vue le: 04/04/2015.
2- Camps (G.): "Punica Lingua et épigraphie Libyque dans la Numidie D'Hippone", B.A.C.T.H.S., Vol. 23, (1990-1992), éd. du comité des Travaux hist. et Scient., 1994, P. 34.
3- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، مرجع سابق، ص 51.
4- محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 329.
5- Laraoui (A.): L'histoire du Maghreb, un essai de synthèse, éd. F. Maspro, Paris, 1970, P.6.
6- محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 329.

أ) النظم القانونية الإدارية: فُرضت اللغة اللاتينية في المحاكم والمجالس والقرارات والمراسيم والمذكرات والمناقشات البلدية والمراسلات الإدارية والتجارية والاتفاقيات(1)، فقد ساهمت الإدارة الرومانية في انتشار هذه اللغة في مدن الولايات بتطبيقها النصوص القانونية اللاتينية مما حفز الأهالي على تعلم هذه اللغة لفهم هذه القوانين وللتخاطب بها. ولما كانت هذه الإدارة لم تسعى إلى تعميم التعليم على جميع سكان الولايات فقد تعلم البعض القليل منهم هذه اللغة وأحسنها، وظل أغلبهم إما لا يجيدها أو لا يتقنها أو يجهلها تمامًا، وبقي على لغته الأصلية (الليبية أو البونية).(2)

إذن لما أصبحت اللغة اللاتينية لغة رسمية، تحول المغاربة إلى مزدوجي اللغة، إذ يتكلم الفرد منهم بلسانه اللوبي في حياته الأسرية والعائلية وحتى القبلية، واللاتينية في شؤون الحياة العامة(3)، وتدل على ذلك بعض النقوش(*) المزدوجة اللوبية اللاتينية مثل نقش الشافية (أنظر الشكل رقم 50، ص 140)(4)، بالإضافة إلى اللغة البونية فهناك نقوش مزدوجة بونية لاتينية مثل نقش رأس الحداجة الذي عثر عليه بمنطقة ترهونة ونقوش وادي العامور، وكل هذه النقوش تدل على وجود فئة متعلمة وناطقة بهاتين اللغتين، كما تدل أيضًا على مدى انتشار الثقافة الرومانية.(5)

غير أن الذين تعلموا اللغة اللاتينية كانوا من سكان المدن والمجندون والعمال من أبناء القرى الذين اختلطوا بالرومان أو تعلموا في مدارسهم وهم أقلية مقارنة بالكم الديمغرافي المغاربي، وكان الدافع وراء ذلك تحقيق المنافع المادية والعلمية، فقد كانت لغة الرومان لغة التجارة ولغة العلم والإدارة.(6)

1- Le Bohec (Y.): Histoire de l'Afrique Romaine (146 av. J.C. – 439 ap. J.C.), 1ère éd., éd. Picard, Paris, 2005, P.162.

2- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 263.

3- Le général Faidherbe: Collection complète des inscriptions numidiques (libyques), librairie A. Franck, Paris, 1870, P.15.

*- **النقوش *Epigaraphies*:** مفردها نقش، وهو العلم الذي يهتم بفك الرموز وتفسير الكتابات القديمة المدونة على النصب الحجرية أو المعادن والأصداف والفخار ثم الخشب، وإن تسمية نقوش تشمل كامل الكتبات التي كانت قد نقشت على الصخور والجدران، في حين تدخل الكتابات المنقوشة على العملة في باب علم المسكوكات *Numismatique*، أما النقوش المدونة على الرقوق (الجلود) والأوراق البردية فيهتم بدراستها علم البرديات *Papyrologie*، واشتقت كلمة علم النقوش من الكلمتين اليونانيتين *épi + grapho* بمعنى"أكتب على". للمزيد أنظر: محمد الصغير غانم: نصوص بونية – ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012م، ها. 1، ص 13.

4- Gsell (S.): Inscriptions latines de l'Algérie, Inscriptions de La Proconsulaire, T.I, Librairie Ancienne Honoré Champion Edouard Champion, Paris, 1922, P.14.

5- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص.ص 260-261.

6- محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 344.

ب) الخدمة العسكرية: كانت الخدمة العسكرية من الأسباب الرئيسية التي كانت وراء انتشار اللاتينية بشكل واسع في أوساط المجتمع المغاربي، حيث كانت مفروضة على المجندين من الشباب المغاربة، ما جعلهم يحسنون فهم هذه اللغة والتكلم بها، بعدما كان يقضي الواحد منهم سنوات عديدة في الجيش الروماني.[1]

ج) المرافق الثقافية: ساهمت المرافق الثقافية كالمسارح والمدرجات والحمامات والمدارس والمكتبات في انتشار اللغة اللاتينية، فقد شكلت المسارح الأماكن المهمة في ذلك من خلال التمثيليات المسرحية، وجعلوها لغة المدرسة والتأليف، وكانوا يتسامرون في حماماتهم ونواديهم، وفي الساحات العمومية (الفوروم) بإنشاد الشعر ورواية القصص والتفاوض في المواضيع المهمة وإلقاء الخطب الرسمية، لذلك كانت شرطًا أساسيًا في وظائف الدولة.[2]

وبفعل إلزامية استعمال هذه اللغة في النظم الإدارية والاقتصادية وخاصة القانونية التي أقرت جملة من الشروط للحصول على المواطنة، ومنها الثقافة الرومانية ومفتاحها اللغة اللاتينية، دفع بالمغاربة إلى تعلم هذه اللغة[3]، كما كان الرومان يحتقرون اللغتين اللوبية والبونية، وحتى هَيْأة الإنسان المغاربي وتقاليده، ووصْفهم للذين يتكلمون بلغتهم الأم والمتمسكين بشخصيهم بالجاهلين والمنحطين.[4]

وقد انتشرت هذه اللغة المعروفة ببلاغتها وتأثير خطاباتها وخطبائها، بينما انحسرت اللغة البونية في المعابد بالمحافل والطقوس الدينية، وظل المغاربة محافظين على لغتهم الليبية خاصة خارج المدن.[5]

ونتيجة تبني النخب المغاربية للثقافة الرومانية، أدى إلى التخلي التدريجي عن الثقافة المحلية، وعلى الرغم من أن اللغة البونية قد نجت إلى وقت لاحق إلى زمن سانت أوغسطين، لكنها فقدت مكانتها بعد ترومن تلك النخب التي أصبحت منذ بداية القرن الثاني تربطها علاقات مهمة مع روما، وأدركت أن مصالحها مرتبطة بالسلطة الرومانية مع سياسة

1- Le Bohec (Y.): Op.Cit., P.162.

2- محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 343.

3- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 306.

4- محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 329.

5- الحسن السائح: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986م، ص.ص 102، 113.

الرومنة التي انتهجتها الإمبراطورية الرومانية، فكان إتقان اللغة اللاتينية واعتماد طرق الحياة الرومانية من الوسائل التي عبرت بها هذه النخب عن مدى التزامها بالقيّم الرومانية.[1]

غير أن تلك اللغة التي حرص الرومان على نشرها وانتشارها، بقيت بعيدة عن العامة الذين كانوا يجهلونها، وحتى الذين يتقنونها صبغوها بصبغة مغاربية (يقربونها من لغتهم)، لذلك لم تستطع تلك اللغة أن تحل محل اللغات السائدة.[2]

ورغم أن الاحتلال الروماني كان له الدور الرئيسي في خلخلة الحضارة المغاربية الأصيلة باستضعاف الأفراد المغاربة وتهميش ثقافتهم ولغتهم، فتحولت اللغة الليبية إلى لهجات منطوقة[3]، أما البونية فقد ذكر مبارك بن محمد الميلي أن بيروني قال: "**وفي أيام القديس أوغسطين.. كان الولاة الإداريون والرؤساء الدينيون يحتاجون إلى ترجمان بينهم وبين البربر، وكانت اللغة الفينيقية (البونية) لغة الأكثرية البربرية، حتى أن العظماء الذين تخلقوا بالأخلاق الرومانية كانوا يتكلمون بها**"[4]، ويشير هذا النص إلى أن اللغة البونية بقيت منتشرة في مدن بلاد المغرب القديم.

ثانيًا– التنوع الثقافي واللغوي في المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني: أفرز ذلك الوضع التعدد اللغوي والتنوع الثقافي وذلك ما يبرزه تنوع النقوش المكتشفة والعائدة إلى الحقبة الرومانية، فمنذ أن سقطت قرطاجة 146ق.م وإلى غاية حكم الإمبراطور أغسطس سادت ثلاث ثقافات: الثقافة الليبية والبونية[5] والثقافة الرومانية، وكان تأثيرها على الواقع الثقافي الاجتماعي للمجتمع المغاربي يختلف من طبقة إلى أخرى، فقد انحصر التأثير الثقافي اللاتيني على أبناء الطبقة الأرستقراطية، وفي العهد الإمبراطوري الثالث تجاوزها إلى طبقة العامة، أما التأثير الثقافي البوني فكان سائدًا بين الريفيين من النوميديين، وانحصر التأثير الثقافي الليبي في القبائل الليبية، غير أن الغالب عليها هو المشافهة، كما سادت أيضًا بين بعض الليبيين المستقرين في المناطق الداخلية.[6]

1- Tlili (N.): "Les bibliothèques en Afrique romaine, In: Dialogues d'histoire ancienne". Vol. 26, N°1, 2000, URL: *http://www.persee.fr*, P.167.

2- مبارك بن محمد الميلي: مرجع سابق، ص 292.

3- Derect (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.346.

4- مبارك بن محمد الميلي: مرجع سابق، ص 292. حول نفس الفكرة أنظر: Gautier (E.-F.): Le passé de l’Afrique du nord, Op.cit., P.127.

5- Courtois (Ch.), "Saint Augustin et le problème de la survivance de Punique", Rev.Af., Vol. 94, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1950, P.P. 259-282.

6- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 470-471.

أنتج ذلك التنوع الثقافي حضارة ليبية عرفت بالحضارة الليبية الجديدة(*) وحضارة بونية مطعمة بالتأثيرات الرومانية، بعيدة عن الصورة الليبية القديمة التي عرفت منذ عهد هيرودوت ثم سالوستيوس، وذلك ما تشهد عليه النقوش اللاتينية التي عثر عليها في نوميديا(**)، وكذلك وجود نقوش ليبية صرفة تعود إلى عهد الازدهار الروماني في المناطق الريفية النائية.[1]

هذا وقد درس علماء النقوش(***) ما عثروا عليه في كامل بلاد المغرب القديم متعمقين في قضايا كثيرة في مجال الكتابة والقيم الصوتية للرموز وأسماء الأعلام ومدلولاتها وتنظيم القبائل وديانتهم، فوجدوا أن المجتمع المغاربي المحلي قد حافظ على لغته وعلى تواصلها ولم يسمح بضياعها في مواجهة المد الثقافي اللاتيني[2]، فبرزت ظاهرة سوسيوثقافية جديرة بالدراسة وهي مدن ناطقة بلغة الاستعمار الروماني وأرياف حافظت على لغة البلاد.[3]

ومع سقوط الإمبراطورية الرومانية قل استعمال اللغة اللاتينية، رغم قضائها فترة طويلة تجاوزت الخمسة قرون، خلافًا للغة البونية التي ظلت مستعملة بعد سقوط قرطاجة، والسبب هو حدوث الامتزاج الحضاري بين الفينيقيين والمجتمع المغاربي واختلاط دمائهم، فصارت حضارتهم وليدة شخصيتهم الفينيقية المغاربية أقرب إلى نفوس الأفراد المغاربة، كما أفرزت مزيجًا لغويًا بين الفينيقية والليبية كانت قريبة منهم فانتشرت وحافظ عليها الأهالي مدة طويلة من الزمن.[4]

---

*- **الحضارة اللوبية الجديدة:** استعمل هذا المصطلح المؤرخين الأوروبيين للدلالة على ثقافة المجتمع المغاربي خلال الحقبة الرومانية، وللتمييز بين الملامح الحضارية له وبين الملامح الحضارية اللوبية في الفترة النوميدية، وهو مصطلح مناسب من ناحية دلالته التاريخية للتفريق بين الثانية الخالصة والأولى المتعرضة للتأثيرات الرومانية (ق 2م و6م). مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 471.

- **نوميديا: هي القطر الممتد ما بين حدود القطر القرطاجي شرقًا أي من الخندق الملكي *Fossa Regia* إلى وادي ملوية *Mulucha* غربًا أي الجزائر الحالية. محمد العربي عقون: المؤرخون القدامى، مرجع سابق، ص 44.

1- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 470-471.

***- **علماء النقوش:** يقصد بهم الباحثون الذين حققوا النصوص النقوشية اللوبية والبونية واللاتينية، ويعتبر ستيفان ڤزال وإرنست مارسيي من بين الضلعين بالنقوش اللاتينية، وبيرتي بالنسبة للبونية، وفيردراب وروبو شابو في اللوبية، وقد ساهم هؤلاء مساهمة فعالة في التعريف بالواقع اللغوي لبلاد المغرب القديم عبر فترات تاريخيه الطويل. المرجع نفسه، ص 471.

2- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 471.

3- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 272.

4- وفاء بوغرارة: مرجع سابق، ص 66.

ثالثًا- النقوش اللاتينية: أحصت الدراسات الأثرية خمسون ألف نقش لاتيني في كامل البلاد المغاربية، كلها مرتكزة في المثلث الشمالي الشرقي لبلاد المغرب (البروقنصلية ونوميديا)، وهي ثروة مصدرية مادية قد تضاهي تلك الموجودة في إيطاليا.[1]

أ) أنواع النقوش اللاتينية: اكتشف الباحثون النقوش على نسب متفاوتة في كتابتها بحيث وجدت حسب مستويات مختلفة منها:

1/ نقوش لاتينية متقنة، حيث تم إحصاء ستمائة نقش يحتوي على نصوص كاملة واضحة المعاني ثرية الأفكار جيدة التحرير، استشف المؤرخون منها المستوى اللغوي الذي كانت عليه اللاتينية من حيث مستوى النص ومستوى النقش، وهي ثرية ومتنوعة منها مثلاً: النقوش البلدية بثاموقادي وكويكول ونقوش مادوروس وغيرها.[2]

2/ نقوش ركيكة الأسلوب باللغة اللاتينية، وسيئة الخط مما يدل على عدم تلقي أصحابها القدر الكافي من التعليم فظهرت ضعيفة[3]، وبدأ الفساد يدب في اللغة اللاتينية، وتدل على ذلك الأخطاء اللغوية التي تحتوي عليها تلك النقوش، وذكر هاينريش فون مالتسان *Heinrich Von Maltzan*[*] بعض تلك النقوش المكتشفة في قسنطينة وكمثال على ذلك: "**من دواعي غبطتي أن زوجي لا يخيب لي رجاء، ولا يخاصمني أبدًا. وكل تصرفاته تشهد له بالعفة والاستقامة، وكم من امرأة تتمنى أن يكون لها زوج، مثل زوجي الحبيب، تطمئن وتسكن إليه أبداً**".[4]

3/ نقوش مزدوجة بونية لاتينية داخل المدن الرومانية أو بالقرب منها وهذا يعني حفاظ الأهالي على لغتهم الأصلية.[5]

1- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 472-474.

2- المرجع نفسه، ص 474.

3- وفاء بوغرارة: مرجع سابق، ص 67.

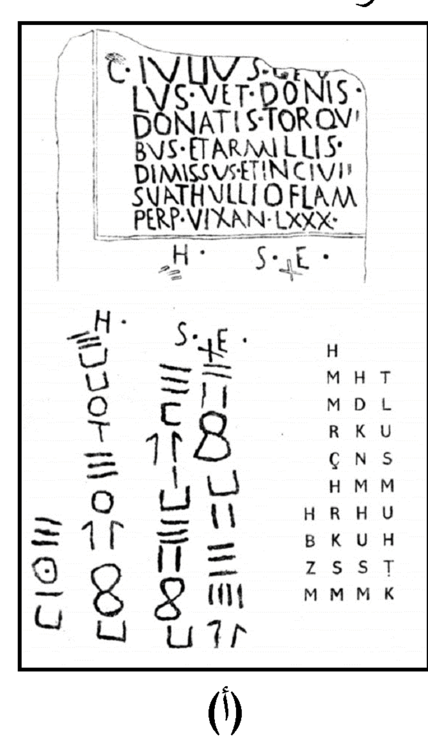
*- **هاينريش فون مالتسان:** وهو هاينريش كارل هيلموت فون مالستان، عالم آثار ورحالة ألماني إهتم بحياة الشعوب الشرقية، من مواليد مدينة دريسدن في 6 سبتمبر 1826م، تعلم في مدارس فيسبادن وهايدلبيرغ ومانهايم، ثم درس الحقوق في جامعات مونشن وهايدلبيرغ وأرلانقن، وتعلم إلى جانب الحقوق اللغات الشرقية، شغل وظيفة حكومية في إمارة ساكسن، ولكنه لم يلبث فيها طويلاً، فقد مات أبوه وترك له ثروة كبيرة سنة 1851م، فبدأ رحلاته منذ سنة 1852م فزار القسم الأكبر من أوروبا، ثم قام برحلة إلى فلسطين وسورية والمغرب والجزائر وتونس وطرابلس، وأقام في الجزائر مدة، تعلم خلالها الدراجة الجزائرية على يد معلم جزائري في بداية الأمر، وزار الكثير من المدن الجزائرية العديد من المرات، أنهى حياته بطلقة مسدس في 22 فيفري 1874م بمدينة بيزا الإيطالية بعد أن عانى مرض الأعصاب. للمزيد أنظر: هاينريش فون مالتسان: ج1، مرجع سابق، ص.ص 7-10.

4- المرجع نفسه، ص 39.

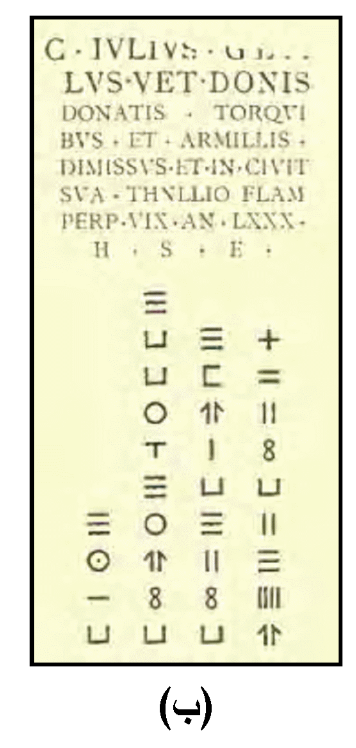
5- وفاء بوغرارة: مرجع سابق، ص 66-67.

ومهما يكن من أمر، فإنه إذا كان بعض المغاربة استطاع تعلم اللغة اللاتينية وإتقانها وتقمص مناصب عليا في الإدارات الرومانية، فإن البعض الآخر تعلمها أو جهلها بنسب متفاوتة.[1]

ومنه توصلت إلى أنه مع خضوع بلاد المغرب القديم للاستعمار الروماني، عرفت معه اللغة اللاتينية انتشارًا واسعًا فيها وبالأخص في المناطق الحضرية وبشكل تدريجي، وهو أمر طبيعي في بلاد استمر الاحتلال الروماني فيها عدة قرون (146ق.م– 430م)، ما يدل على تقبل الكثير من المغاربة للحضارة الرومانية، غير أن الأثر اللغوي اللاتيني لم يكتب له الصمود، وأن اللغة الليبية والبونية ظلتا تكتب أحيانًا إلى جانب اللغة اللاتينية وذلك حسب ما أثبتته النقوش الأثرية، بالإضافة إلى أنهما ظلتا لغتا التعامل لدى الكثير من السكان، فقد ظلت البونية تحتل مكانتها خاصة في الحواضر، والليبية في المناطق الريفية والمعزولة، ما يشير إلى انتشار ظاهرة التعدد اللغوي، الذي هو من الخصوصيات التي ميزت بلاد المغرب في تلك الفترة.



(أ)



(ب)

الشكل رقم (50): نقش الشافية (نقش مزدوج الكتابة لاتيني لوبي)، **نقلا عن:**

(أ): مها عيساوي: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، مرجع سابق، ص 194.

(ب): Gsell (S.): Inscriptions latines de l'Algérie, T.I, Op.cit., P.15

1- وفاء بوغرارة: مرجع سابق، ص 67.

المطلب الثاني: السياسة الثقافية في التربية والتعليم

لما بسط الرومان، سيطرتهم على بلاد اليونان منذ سنة 164ق.م، امتزج منذ ذلك العهد، تاريخ حضارة اليونان بتاريخ حضارة الرومان، وقد شمل هذا الامتزاج والتشابه بين الحضارتين في الجانب التربوي، وبذلك أصبحت التربية الرومانية مظهرًا من مظاهر التربية اليونانية(*)، ورغم ذلك ينبغي أن نشير إلى أن التطبيقات التربوية الرومانية تختلف اختلافًا كبيرًا عن اليونانية.(1)

فقد كان الرومان شعبًا عمليًا، وكان أبرز ما عبروا به عن روحهم العملية تلك الطرقات العظيمة، والقنوات المائية، والمباني الضخمة، وكذا الإدارة الحكومية والعسكرية اللتان تميزتا بالنظام المتقن، وغير ذلك من المظاهر العملية للثقافة والحضارة الرومانية؛ هذه الروح العملية، كانت تسيطر على الشخص الروماني، إذ جعلته يهتم بالوصول إلى نتائج محسوسة ملموسة، موفقًا بين الوسائل والغايات، بدقة وإتقان.(2)

لذلك اقترن مفهوم التربية والتعليم لدى المجتمع الروماني بالإعداد للحياة العملية، وكانت الفضائل أو الصفات التي يحرصون على غرسها في نفوس أبنائهم لتحقيق هذا الهدف العام مصبوغة بالصبغة العملية كالرجولة والشجاعة والتقشف والصبر والثبات وطاعة الوالدين والولاء للدولة، والحشمة والوقار والجدّ في سبيل الحياة، واحترام الحقوق والقيام بالواجبات التي حددها القانون.(3)

كما أولى المجتمع الروماني عناية كبرى بالبيت ويعتبرونها أهم وسائل التربية العملية، إضافة إلى اعتمادهم على التقليد؛ فكان الشباب الرومان يكتسبون الكثير من الصفات العملية عن طريق تقليد الآباء، والشخصيات الرومانية القديمة، والأشخاص الذين يظهرون أمامهم في المسرح أو على منصة الخطابة.(4)

---

*- كانت السياسة التعليمية عند اليونان تعتمد على عدة مسائل؛ أولها تثقيف الفكر وتحصيل العلوم، ثم تهذيب النفس وإرهاف المشاعر بواسطة تعليم الموسيقى، ثم التنمية البدنية والحفاظ على تناسق الجسم من خلال ممارسة الرياضة البدنية، أما التعليم عند الرومان فلا يعني سوى تحصيل العلوم والمعارف، وهذا الاختلاف ربما يرجع إلى ذلك التباين عند كل من اليونان والرومان إلى طبيعة كل من الشعبين، فقد كانت نظرة اليونان للحياة نظرة جمالية وعقلية، بينما كانت نظرة الرومان للحياة عملية يُقيمون الأشياء بمدى نفعها لحياتهم. أنظر: مصطفى محمد قنديل زايد: التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة طنطا، مصر، 1422هـ/2001م، ص و (واو) من التقديم.

1- عمر محمد التومي الشيباني: تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م،ص.ص36-37.

2- المرجع نفسه، الصفحات نفسها.

3- إبراهيم أيوب: مرجع سابق، ص 95. محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 312.

4- عمر محمد التومي الشيباني: مرجع سابق، ص 38.

وفي أوائل عهد الجمهورية، لم يكن هناك مدارس عامة، لذلك كان الأولاد يتعلمون القراءة والكتابة على يد آبائهم، أو على يد العبيد المتعلمين *Paedagogi* الذين هم في العادة ذوي أصول يونانية[1]، خصوصًا أن الكثير من اليونان قد استوطنوا في روما بصفتهم أسرى، وزاولوا فيها حرفهم ومهنهم ومنها مهنة التعليم.[2]

إذن لقد تبدل مفهوم العلم لدى الرومان بعد توسعاتهم الخارجية، ودفعت بهم إلى تأمين التعليم والثقافة للأبناء[3]، وأدركوا أهمية تعليمهم في سن مبكرة لمدى فعالية ذاكرتهم وقدرتها على الاستيعاب[4]، فتم فتح مدارس بسيطة ارتداها العامة، أما الأثرياء فقد اتخذوا مربين خاصين لتعليم أبنائهم.[5]

ولقد أدرك الاستعمار الروماني، منذ البداية الحاجة إلى ضرورة تلقين المغاربة الثقافة الرومانية (نظم الحياة وأساليبها)[6]، والذين كان التعليم لديهم من اختصاص كهنة المعابد[*] ولها علاقة بالعبادة وطقوسها مكرسة لعبادة الإلهة تانيت وبعل حمون[7][**]، غير أن الدولة الرومانية لم تكن تتدخل في مسألة التعليم ونشره إلا نادرًا في بلاد المغرب القديم، فقد تركت هذه المهام لإدارة بلديات المدن، فكانت من الأعمال التي تشرف عليها، فتهتم بإعداد محلات

1- مصطفى محمد قنديل زايد: مرجع سابق، ص 14.

2- شارل سنيوبوس: تاريخ حضارات العالم، تر.: محمود كرد علي، ط1، طباعة دار طيبة للطباعة، الناشر الدار العالمية للكتب والنشر، الجيزة، 2012م، ص 161.

3- زكية حميدو: مصلحة المحضون في القوانين المغاربية للأسرة، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه في القانون الخاص، إشراف الأستاذ الدكتور جيلالي تشوار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005م، ص 37. الأبناء باللاتينية *Infans* (*Enfant* باللغة الفرنسية) الذي يعني في اللغة اللاتينية الذي لا يتكلم. أنظر: نفس المرجع.

4- Quintilien: Institution Oratoire, livre I, (VIII. De la lecture de l'enfant), URL: *http://remacle.org*.

5- لبيب عبد الساتر: مرجع سابق، ص 214.

6- أ.ب تشارلز روث: الإمبراطورية الرومانية، تر.: رمزي عبده جرجس ومحمد صقر خفاجة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهر، 2003م، ص 121.

*- ذكرت النصوص الأدبية والكلاسيكية والوثائق المنقوشة، أن بعض المعابد القرطاجية كانت كمؤسسات دينية وتعليمية في نفس الوقت، غير أنه لا تزال معرفتنا لها تحتاج إلى مادة خبرية تجيب عن مجالات الدراسة المطلوبة، وما هو متوفر من مرجعية لا تزال في حاجة إلى بحث أوسع وأعمق مستقبلاً، كما أن الآثار التي كشفت عنها التنقيبات كانت قليلة العدد، بالإضافة إلى أن الكثير من تلك البقايا الأثرية قد ضاعت بسبب التغيرات المناخية وبناء بنايات جديدة على القديمة والعائدة إلى الفترة الرومانية ما أفقد الباحثين مادة معرفية عن الفترة التي تسبق الوجود الروماني، لذلك برزت دراسات مبنية على أساس تخمينات وفرضيات تفتقر إلى الشواهد الأثرية والدقة العلمية. أنظر: فرانسوا دوكريه: مرجع سابق، ص 144. مادلين هورس: مرجع سابق، ص 67.

7- مها عيساوي: "قراءة في تاريخ تعليم المرأة الجزائرية عبر العصور"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد: 80، 1434هـ/2012م، ص 117.

**- قامت المعابد بنشاطات تربوية وتعليمية، واستوعبت الأطفال وعلمتهم القراءة والكتابة ولقنتهم أسس التربية التي مازلنا نجهل عنها الكثير، فالنصوص التي تم العثور عليها في قرطاجة والمدن البونية الأخرى تختلف من حيث المضمون وقد صعب فك رموزها وفهمها، لكنها تعتبر دليلاً على انتشار القراءة والكتابة في المجتمع القرطاجي والمغاربي على السواء. أنظر: وفاء بوغرارة: مرجع سابق، ص 61.

التعليم وانتداب المعلمين ودفع رواتبهم. وقد يتطوع أحد الأثرياء أو جماعة أفراد بتأسيس مدرسة والقيام بشؤونها وتحمل نفقاتها، إلا أن هذا كان لسكان المدن.[1]

كما كان التعليم حرًا لا يتقيد بمدرسة أو معهد، فكان التلاميذ يتلقون تعليمهم من قبل معلمين متعددين، وكل معلم يُدرس على طريقته الخاصة.[2]

وتأثر التعليم في بلاد المغرب القديم بنموذج مدرسة قورينة الشهيرة؛ وللمدرسة القورينية ومذهبها التقدمي في ذلك الزمان، صيت ذائع وحضور شائع في أوج عصر الفلسفة اليونانية القديمة[3]، لذلك كان يرتادها طلاب من المغرب القديم، وساهمت في قسط وافر في انتشار الثقافة الهلينية، حيث ارتكز اتجاه التعليم نحو إبراز الثقافة اليونانية العريقة وفقاً لما جاء في دستور بطليموس الذي حددت بعض مواده درجات التعليم[4]، فهناك التعليم الأولي الذي تقدم فيه للتلاميذ دروس أشعار هوميروس ويتبعها المعلم بأسئلة، ويصاحبها تدريب أولي على استخدام القوس وركوب الخيل[5]، كما أنه كان هناك محتشدات لتدريب الأولاد الصغار على المصارعة تحت إشراف مدرب[6]، وذلك ما يوضح سبب انتشار اللغة اليونانية في بلاد المغرب القديم.

ثم التعليم المتخصص الذي يتلقاه الشباب الأكبر سناً، ويجمع بين الأخذ بآداب السلوك ومبادئ اللغة والكتابة فكان يتلقى فن الحديث، هذا الفن الأدبي الذي تميز به المدني عن الريفي، وكذا قواعد الإملاء، وبعض المناهج البسيطة في الحساب والجغرافيا والخطابة، وفي المجال البدني كان الشاب يتلقى فنون استخدام السلاح والفنون القتالية.[7]

ومن خلال العديد من الدراسات يمكن تقسيم التعليم في بلاد المغرب القديم خلال الاحتلال الروماني إلى المراحل الآتية:

1- التعليم الابتدائي: كان بوسع الأولياء تحمل نفقات التعليم، فقد تحمل والد سانت أوغسطين نفقات الدراسة والأسفار والمعيشة[8]، فكان يتم إرسال الفتيان وبعض الفتيات بداية من السن السابعة في المرحلة الابتدائية إلى مدرسة خارج المنزل، كان يطلق على المعلم

1- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 260. Gsell (S.), H.A.A.N, Op.cit., T: I, P.160.
2- الحسن السائح: مرجع سابق، ص 105.
3- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 260.
4- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 469.
5- أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، نقلها إلى العربية: الخوري يوحنا الحلو، ط4، دار المشرق، بيروت، 1991م، ص 21-22، ومصطفى محمد قنديل زايد: مرجع سابق، ص 20.
6- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 469.
7- أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 26. أ.ب تشارلز روث: مرجع سابق، ص.ص 121-123.
8- أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 31.

اسم ليتيراطور[*] *Littérator primus magister*، يقوم بتعليم أساسيات القراءة والكتابة والحساب، إلى غاية سن الحادية عشر[1]، ويستعمل في ذلك قلمًا من القصب ولوحًا من خشب أو سنانًا للنقش على لوحة من الشمع.

وكان نظام المدرسة قاسياً جدًا إلى درجة نفور التلاميذ منها، فكان يتم عقاب التلاميذ ضعاف الاهتمام بالدروس والواجبات بالجلد بواسطة عصًا[2]، وقد عبر عن ذلك القديس أوغسطين حينما تحدث عن المراحل الأولى لدراسته، وما ناله من ضرب من معلمه، فمن الذي لا يرعبه أن تُعَاد له طفولته ولا يُؤثِرُ الموتَ إذا هو أتيحت له الحياة من جديد[3]، غير أن المعلم كان في الكثير من الأحيان غير محترم لشخصه لأنه ينتمي إلى طبقة دون طبقة التلاميذ.[4]

وكان التلاميذ يتوجهون إلى المدرسة كل يوم، باستثناء الأعياد الدينية ويوم السبت، كما أن هناك عطلة الصيف أيضًا.[5]

2- التعليم الثانوي: ابتداء من سن الثانية عشر، يتوجه الطلاب إلى المدارس الثانوية، حيث يعلمهم معلم – يطلق عليه اسم قرامّاتيكوس *Grammaticus* – قواعد اللغة اللاتينية، ويتلقوا دروسًا في اللغة الإغريقية ومبادئ الموسيقى والعروض والفلسفة والرياضيات والفلك[6]، ويتعلمون كذلك تفسير نصوص الشعراء والمؤرخين كفرجيل وطاولست، ثم التدريب على الخطابة والبلاغة، والإلقاء والتاريخ والنحو والصرف[7]، وقراءة كتب الرحلات والعقيدة والقوانين والخطابة والقوائم الإمبراطورية التي كانت إرهاصات أولية لتدوين التاريخ، إلى أن يصل الفتى إلى سن السابعة عشرة.[8]

3- التعليم العالي: عندما يبلغ الطالب سن السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من العمر، ويكون قد أتم تحصيله الدراسي عادة في المدينة التي عاش فيها، يقصد المدن الكبرى

---

*- وتعني كلمة ليتيراطور في قاموس اللغة اللاتينية من يعلم الحروف أو مبادئ القراءة والكتابة. مصطفى محمد قنديل زايد: مرجع سابق، ص 8.

1- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

2- Voir: Le Bohec (Y.): Op.cit., P.P.112-114.

3- أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 16.

4- Le Bohec (Y.): Op.cit., P.P.114.

5- مصطفى محمد قنديل زايد: مرجع سابق، ص.ص 8، 22.

6- Marou (H.): ST. Augustin et l'afin de la culture antique, éd. Boccard, Paris, 1937, P.P.255-256.

7- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 261.

8- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 470.

لمواصلة التعليم الجامعي[1]، وكانت البلديات حريصة على جلب أشهر الأساتذة إلى مدارسها التي يمكن أن نسيمها عرضًا جامعة[2]، وخاصة الحواضر الكبرى مثل كيرتا[3] وقرطاجة التي كانت بمثابة جامعة.

والجامعة في تلك الفترة هي مجموع الأساتذة الذين يتلقون رواتبهم من الدولة مقابل القيام بوظيفة التدريس، وكانت تُعلم مختلف العلوم: الحقوق والطب والرياضيات وعلوم الطبيعة والفنون الجميلة، والبلاغة والفلسفة[4]، وكذا تلقين الفصاحة وفن الخطابة من طرف أستاذ يسمى الريتور *Rhetor* ويستشهد بالنصوص الأدبية البليغة ومن الخطب الشهيرة[5]، وتغلب على مختلف تلك العلوم الإنسانية النزعة الخطابية، وللخطيب الدرجة الأرفع في بلاد المغرب القديم آنذاك[6] (أنظر الشكل رقم 51، ص 146)، ولا يواصل هذه الدراسة إلا الأوفر مالاً والأكثر طموحًا وحبًا للعلم، بالإضافة إلى تعليمهم المهن القانونية، التي تتطلب حفظ قوانين روما، ويبدأ الالتحاق بهذه المرحلة عندما يرتدي الشباب زي الرجولة (التوجا *Toga*) وغالبًا ما تنتهي في سن العشرين.[7]

وبالنسبة لسنوات الالتحاق بالدراسة عبر مراحلها المختلفة لم تكن كذلك على الدوام عبر الفترات التاريخية للإمبراطورية الرومانية، فقد كان سن الالتحاق بالمراحل التعليمية قد تتأخر، ولم يكن هناك فواصل محددة وواضحة بين مختلف تلك المراحل التعليمية.[8]

كان الأساتذة المغاربة يُولُون اهتمامًا بالبلاغة، والبحث عن الأساليب والتعابير القديمة، وشعر الشعراء القدامى أمثال: سناك *Sénèque* وبيترون *Pétrone* ومارتيال *Martial*، وبلين الشاب *Piline le Jeune* وفرجيل *Virgile*[9] وأنيوس *Ennius*، ودلت على ذلك نقوش بلاد المغرب، ما يدل على هذا الاعتبار، وهذه العناية بالصيغة واللفظ قد يهمل أحيانًا المعنى والمحتوى، ويعود الفضل إليهم في اختراع بوادر الخط النسخي القديم

1- Monceaux (P.): Les Africains, étude sur la littérature latine d'Afrique, les paiens, lecène, oudin et Cio, éditeurs, Paris, 1894, P.58.

2- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 249.

3- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 261. مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 470.

4- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 350.

5- عمار المحجوبي: ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146ق.م-235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001م، ص 152.

6- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 249.

7- مصطفى محمد قنديل زايد: مرجع سابق، ص 8.

8- المرجع نفسه، ص 10.

9- Monceaux (P.): Les Africains, Op.cit., P.P.51-52.

الذي عوض حروف التاج *Lettres Capitales*، وأدى إلى التخلي عن نظام اللفافات (لف الكتاب القديم) *Volumen*، واستبداله بصفحات الكتاب الحديث *Codesc* الذي رسخ رواجه في نهاية العهد القديم، وذلك ما كشفت عنه الحفريات في كل من مدينة ثاموڤادي ومكثر عن نقائش دلت على التدرج نحو بروز الخط النسخي.[1]



الشكل رقم (51): تمثال فاقد الرأس لخطيب روماني، **نقلا عن:**
– متحف الآثار، الإسكندرية، الرابط: *http://antiquities.bibalex.org*،
تاريخ التحميل: 2015/09/06م.

كان التعليم في بلاد المغرب القديم أثناء العهد الروماني يعكس طبقات المجتمع المدني، فقد اتخذ الأثرياء مربين خاصين لتعليم أبنائهم في منازلهم[2]، وهي ظاهرة كانت شائعة، وقد أشارت بعض النقوش اللاتينية، التي تذكر مساهمة شخصيات اجتماعية مرموقة في عملية إقامة منشآت عامة ثقافية ودينية واقتصادية، وتمثلت تلك المنشآت الثقافية في المدارس[3]. كما أن هناك فسيفساء محفوظة في متحف باردو بتونس، تصور رجلاً يتوسط سيدتين تمسك إحداهما لفافة ورقية مفتوحة يبدو أنها تتلو نصًا أو قصيدة ويراجع لها هذا الرجل الذي يمسك هو الآخر بلفافة ورقية مفتوحة ربما يكون النص الأصلي لما تقرأه هذه السيدة، ولا نستطيع أن نؤكد أن هذا العمل الفني يمثل مشهدًا لتعليم القراءة والكتابة وإنما يمثل على آية حال مشهدًا من الحياة اليومية وربما مشهد درامي يقدم على المسرح حيث تمسك إحدى السيدتين قناعًا بيدها اليسرى، والشاهد هو انتشار اللفافات الورقية في الحياة اليومية، ومن ثم في تعليم القراءة والكتابة (أنظر الشكل رقم 52، ص 147).[4]

1- عمار المحجوبي: مرجع سابق، ص 152.
2- لبيب عبد الساتر: مرجع سابق، ص 214.
3- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 468.
4- مصطفى محمد قنديل زايد: مرجع سابق، ص 102.

أما أبناء الطبقة المتوسطة يلتحقون بالمدارس قريبة كانت أم بعيدة في مدن أخرى[1]، ولا أدل على ذلك من أن القديس أوغسطين قد تلقى تعليمه في مدرسة مادورا[2]، أما سكان الأرياف فكان من الواضح أنهم لم يتلقوا تعليمًا كافيًا.[3]



الشكل رقم (50): فسيفساء تمثل فيرجيل بين ربتي فن (كليو وملبونام)، **نقلا عن:**
– متحف باردو بتونس، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/05/15م.

وبالنسبة لليوم الدراسي؛ فحسب بلاوتوس خلال القرن الثالث قبل الميلاد وبداية القرن الثاني قبل الميلاد في العالم الروماني، يبدأ في الصباح بالتدريب البدني ويستمر طوال الفترة الصباحية، ثم يعود التلميذ ليتناول وجبة الغداء، ثم يذهب إلى المدرسة لتلقي دروس القراءة والكتابة بعد فترة الظهيرة.[4]

على الرغم من أن روما، تركت المجال التعليمي لإدارة البلديات، إلا أنها كانت تشجع تدريس اللاتينية وآدابها في البلاد المغاربية، لما لذلك من دور فعال في ربط المتعلمين بالحضارة الرومانية، حتى يكونوا أكثر تعليمًا واستنارة وأقل بربرية (في نظر الساسة الرومان الذين يعتبرون المغاربة برابرة لأنهم خارج إطار الحضارة الرومانية)، وتكون سهلة

1- Robert (T.), Benabou (M.): "La résistance africaine à la romanisation", In: Revue de l'histoire des religions, T. 193 n°1, 1978, URL: *http://www.persee.fr*, P. 484.

2- أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 31.

3- Robert (T.), Benabou (M.): Op.cit., P. 484.

4- Plaute: les deux Bacchides Bacchis, trad. de J. Naudet, T.II, 1865, URL: *http://remacle.org*

الانقياد[1]، وفتح المجال لتلك النخب للمشاركة في الحياة المدنية، وممارسة التدريس وإلقاء الخطب العامة والمشاركة في الأنشطة البلدية.[2]

وكان الطلاب المغاربة لا يكفي تعلمهم في مدراس بلاد المغرب بل يجب عليهم أن يكملوا تعليمهم في روما.[3]

أما مناهج التعليم، فكانت ترتكز على تعليم اللاتينية واليونانية من القراءة والكتابة والحساب ثم النحو، وكان على التلاميذ أن يحفظوا بعض أمهات الكتب في مرحلة التعليم الأولي[4]، وفي المراحل اللاحقة تمتد الدراسة إلى الفنون والعلوم الأخرى مثل: الشعر والموسيقى والفلسفة والرياضيات[5] والفلك، ولقد تسابقت البلديات والأثرياء في فتح المدارس حتى في القرى[6]. ونظرًا لانتشار مراكز التعليم في الحضر، كان مجتمع المدينة أكثر تأثرًا بالرّومنة اللغوية عن غيره.

وتعد قرطاجة نموذجًا حيًا لهذا التأثير، حيث تحولت في أوج ازدهارها إلى عاصمة للثقافة اللاتينية في بلاد المغرب القديم بمدارسها وطلابها وأساتذتها، فقد أورد بلقاسم رحماني بأن أبوليوس المادوري قد أكد على ذلك في قوله: "**إنك لا ترى في قرطاجة إلا نخبة المثقفين الضليعين في مختلف العلوم، تلاميذ يدرسون، شباب يتباهون بعلومهم، وشيوخ يُدّرسون، إنّ قرطاجة مدرسة معتبرة في منطقتنا، إنها هدية السماء للأفريقيين**"[*][7]، وحسب قول شارل أندري جوليان "**أنها المدرسة المقدسة في المنطقة، وهي عروس الشعر في أفريقية، وهي أخيرًا ملهمة الطبقة التي تلبس الحُلّة**".[8]

1- Boissier (G.): L'Afrique Romaine, promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie, Hachette et Cie, Paris, 1895, P.101.

2- François (T.): Apprendre et enseigner en Afrique proconsulaire, l'éducation classique et la vie municipale africaine, du second siècle a la fin du monde antique, mémoire présente a la faculté des études supérieures de l'université Laval dans le cadre du programme de maitrise en histoire pour l'obtention du grade de maitre et arts (M.A.), département d'histoire, faculté des lettres, université aval, Québec, Canada, 2007, Collection mémoires et thèses électroniques, URL: *www.theses.ulaval.ca/2007/24441 /24441.pdf*, P.49.

3- Boissier (G.): Op.cit., P.100.

4- أوغسطينوس: مصدر سابق، ص 19-20.

5- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 306.

6- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 248.

*- النص باللاتينية هو: *Carthago, provincae nostrae venerabilis, Carthago, africae musa musa Caelistis*، محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 350.

7- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص.ص 306-307.

8- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 249.

يبرز النصين مدى أهمية مدينة قرطاجة في ميدان العلوم، وهو توضيح عن مدى رقي تلك المدينة ثقافيًا، ومدى مساهمتها في انتشار التعليم واللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم، وتمثل نقطة استقطاب للطبقات المترومنة، ويمكن أن تكون المدن الحضارية الكبرى على نفس شاكلة مدينة قرطاجة.

كما وردت نقوش حول التعليم، ففي كالاما *Calama* (قالمة) رجل يتأسف على ولديه اللذين أرسلهما للدراسة لأنهما تُوْفيا، على الرغم من النفقات التي أنفقها عليهما؛ وفي ماكتاريس *Mactaris* (مكثر) شاب يروي أنه كان محبوبًا لدى أساتذته، ومنذ صغره وهو مع التعليم، وآخر يقول أنه أصبح يتقن اللغتين اللاتينية واليونانية.[1]

غير أن الظاهرة الثقافية وحتى الاجتماعية الملفتة للانتباه أكثر من ذلك، هي المدن التي أصبحت ناطقة بلغة المستعمر، في حين حافظ الريف على أصالة لغته[2]، لأن اللغة فرضت بالقوة على الأهالي وكذا طول مدة الاستعمار الروماني في البلاد المغاربية.[3]

أستخلص من هذا أن التعليم في بلاد المغرب القديم عرف انتشارًا في ظل الاحتلال الروماني مستفيدًا من المؤثرات الداخلية المتمثل في الموروث التعليمي المحلي والخارجية المتمثل في تأثير المدرسة القورينية اليونانية، والتطبيقات الرومانية في المجال التربوي والتعليمي، ما مكن السلطة الرومانية من فرض اللغة اللاتينية في هذا المجال وهو أمر نسبي أمام استعمال اليونانية في مختلف علوم ذلك الزمان.

المطلب الثالث: المنشآت التعليمية والتثقيفية

أعالج في هذا المطلب المنشآت التعليمية والتثقيفية المتمثلة في المدارس والمكتبات التي كانت منتشرة في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني.

أولاً– المدارس الرومانية: اهتم الرومان بالعلم والآداب، فلما احتلوا بلاد المغرب القديم قاموا بإنشاء المدارس (أنظر الشكل رقم 53، ص 151)، وأرسلوا إليها أطفالهم يتعلمون فيها اللغة اللاتينية لسان الدولة الرسمي، ويدرسون بها العلوم المنتشرة في وقتهم على يد أساتذة أكفاء، وكان المتخرج منها يذهب إلى معاهد روما العليا ليتم تحصيله العلمي هناك.[4]

1- Boissier (G.): Op.cit., P.100.

2- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 307-306.

3- عمار عموره: مرجع سابق، ص.ص 52-53.

4- محمد بن مسعود: تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر، ج2، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، 2001م، ص.ص 80-81.

فكانت المدرسة(*) وسيلة من وسائل نشر الثقافة الرومانية في بلاد المغرب القديم، وكلمة التعليم المدرسي *Scolarisation* جاءت بمبادرة أفراد مكلفون بالتعليم، وهي ليست فكرة رومانية بل هلينية، وباستمرار الأسر الكبيرة على الاستعانة بمربين خصوصيين أخذ عدد المدارس يزداد ويتسع باطراد، وكان التعليم في معظم هذه المدارس تعين له رسوم وأجور كما يعين للمعلم مرتب لا بأس به، أما أساتذة البيان واللغة فكانوا على الإجمال، من أصحاب المقامات المحترمة.

وكثيرًا ما كان العبء الذي يقع على الوالدين يخف أو يزول من جراء هبة أو تبرع يقدمه أحد أثرياء المدينة لمدرسة قائمة أو لإنشاء مدرسة أو مكتبة، وكان الاهتمام بها وتأمين إدارتها يقع على عاتق المجلس البلدي فيخصص لها من الاعتمادات ما يكفل لها حسن سير العمل، ولذا راحت السلطة المحلية للمدن تضطلع بالإشراف على هذه المدارس، وتختار لها المدرسين الأكفاء.(1)

وكانت المدن الصغرى تضطر أكثر من المدن الكبرى لبذل مجهود أكبر في ذلك، بالنظر لما للأخيرة من عدد السكان وشهرة المعلمين ما يؤمن حاجتها من الأساتذة والمدرسين والطلاب، وهذا الوضع بعينه يفسر لنا كيف أن الإدارة الإمبراطورية لم تتدخل في الأمر إلا في فترة متأخر، فالأباطرة الذين لم يكن ليستطيعوا الاهتمام بكل المدن الصغيرة اقتصر اهتمامهم على شيء بسيط جدًا في المدن التي كانت تدبر شؤونها بنفسها.(2)

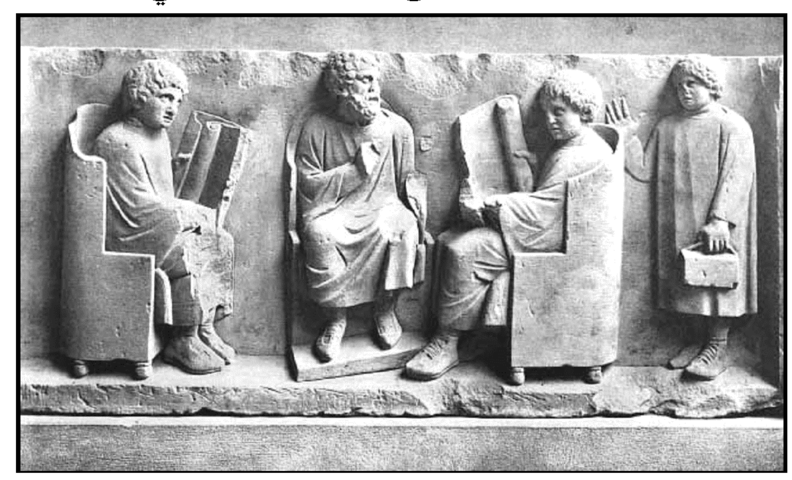
ومن الأمثلة التي يمكن أن ندرجها حول مدى اهتمام الإمبراطورية الرومانية بالمدارس، فقد تم تخصيص مبالغ مالية موجهة للشؤون الثقافية في عهد الدولة الفلافية، فقد خصص الإمبراطور فسباسيانوس *Vespasianus* (69–79م) مرتبات ضخمة لأستاذين من أساتذة البيان والبلاغة في روما، وعمم مكرمته هذه على أساتذة الصرف والنحو والخطابة، كما جعلهم يستفيدون من الإعفاءات التي تمتع بها الأطباء منذ عهد أغسطس. وعلى هذا النهج سار أيضًا أباطرة الأسرة الأنطونية، فقد حمّل الإمبراطور ماركوس أوريليوس *Marc Aurèle* (161–180م) خزينة الدولة مرتبات أربعة من أساتذة الفلسفة ومرتب أستاذ البلاغة

*- ذكر محمد العربي عقون أن مدن: عين البيضاء وخنشلة وتبسة وربما في جهات أخرى يذكرون اسم المدرسة والمعلم بصيغة لاتينية ويسمونها "شْكولا" (السكون على الحرف الأول لأن الطابع المميز في اللغة الأمازيغية تبدأ الكلمات بالسكون، ويمكن أن يلتقي حرفين ساكنين عكس اللغة العربية) وهي من الكلمة اللاتينية: *Scola*، والمعلم اسمه: الميسترو من الكلمة اللاتينية *Magister*. أنظر: محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 272.

1- أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص 458.

2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

والبيان في أثينا، وهذه المرتبات دون المرتبات التي كانت تدفع لأساتذة العاصمة، إذ كان معدلها يتراوح ما بين 60 ألف و30 ألف سسترس(*)، بينما كان يتقاضى الأستاذ في روما حوالي 100 ألف سسترس. وصحيح أن الدولة لم تذهب إلى أبعد من هذا الحد في أمر تمويل التعليم، إلا أنها أخذت تحث المدن على مضاعفة البذل في هذا الحقل.[1]



الشكل رقم (53): مدرسة رومانية *École romain*، **نقلا عن:**

- Lire et écrire dans la Rome antique, URL: *http://latogeetleglaive.blogspot.com*, Télé. le: 22/06/2015.

وفي بلاد المغرب القديم فإن الدولة الرومانية لم تتدخل في مسألة التعليم ونشره إلا في حالات استثنائية نادرة، فكانت البلديات هي التي تهتم بإعداد هياكل التعليم، وانتداب المعلمين، وتعمل على دفع أجورهم، وفي حالة عدم اهتمام البلدية بنشر الثقافة والتعليم، يتطوع أحد الأغنياء أو جماعة من الأفراد بتأسيس مدرسة والقيام بشؤونها وتحمل نفقاتها[2]، ذلك ما أشرنا إليه سابقًا.

أشار القديس أوغسطين أنه تلقى تعليمه الأول في ثاقاست *Thagaste* ثم انتقل إلى مادورا *Madaura* التي ازدهرت فيها المدارس، ثم أكمل دراسته في مدينة قرطاجة؛ ورغم ذلك لم يجد علماء الآثار مباني معينة تمثل مدارس في مدن بلاد المغرب القديم، وقد تكون هذه المدارس متواجدة ضمن بعض البنايات[3]، لذلك أرى أن ما أشار إليه هذا القديس دليل على وجود مدارس كانت منتشرة في البلاد.

---

*- 15-10 آلاف فرنك فرنسي من عملة 1914م. أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص 458.

1- المرجع نفسه، ص.ص 458-459.

2- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 260.

3- Boissier (G.): Op.cit., P.100.

لقد احتلت بعض المدن مكانة مرموقة في المجالات الثقافية والعلمية؛ من بينها المدن التي تشتمل على ما يمكن تسميته بمدارس أو جامعات أو معاهد عليا في تلك المرحلة[1]، والتي يمكن تسميتها بالعواصم الثقافية، حيث نجد في بلاد المغرب القديم كيرتا وقورينة وقرطاجة وقيصرية[2]، وسنذكر هنا نماذج عنها:

1- قورينة[*] *Cyrène*: هي أول مستعمرة يونانية في بلاد المغرب القديم منذ منتصف القرن 7ق.م، وتفاعلت مع مدارس الإسكندرية وأثينا الفلسفية، وظهرت بها مدارس علمية وفلسفية لم يكن لها نظير لا بمصر ولا بقرطاجة ولا بقيصرية ويمكن حصرها في مدرستين؛ فالمدرسة الأولى أسسها أريستبوس القوريني*Aristippus de Cyrène* (435-356ق.م)، وكانت تهتم بسبل تحصيل السعادة ناصرة مذهب اللذة، وازدهرت في القرن 4ق.م، أما الثانية كانت علمية ورياضية بالدرجة الأولى، ومن أهم أعلامها ثيودوروس القوريني[*] *Théodore de Cyrène* (465-398ق م) وإراثوستينوس[*] *Erathostène* (276-194ق.م).[3]

ونشطت الحركة العلمية في قورينة على يد مجموعة من العلماء، فبالإضافة إلى الثلاثة السابقين نذكر منهم: هيجيسيان *Hegesias* (ق. 5ق.م)، أنيسيريس *Anniceris* (ق. 4-3ق.م)، كاليماخوس *Callmachos* (ق. 3ق.م)، أريسطون *Ariston* (ق. 3ق.م)، ليزانياس *Lysanias* (ق. 3ق.م)، أركيسيلاوس *Arkesilaos* (ق. 3ق.م)، كارنياديس *Carneades* (ق. 3-2ق.م).[4]

1- بوزياني الدراجي: ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م، ص.ص 102-103.

2- عبد السلام بن ميّس: مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)، ط2، طبعة إدجل (*IDGL*)، الرباط، 2010م، ص.ص 36، 239. شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 36.

*- **قورينا:** أو قورينائية أو قورين *Cyrénaique*، تتكون من بلاد السيرت بما في ذلك طرابلس وفزان الحالية في الداخل، حيث واحات النخيل والرمال ومنها يمرُّ أقرب طريق نحو أفريقيا الوسطى من البحر المتوسط. محمد العربي عقون: المؤرخون القدامى، مرجع سابق، ص 43.

*- **ثيودورس القوريني:** فيلسوف من شمال أفريقيا ولد قورينا (465ق.م-398ق.م)، ثم رحل إلى أثينا وتتلمذ فيها على يد الفيلسوف اليوناني المعروف بروتاكوراس وكان أستاذًا لأفلاطون في الرياضيات الذي كان يزور قورينا من حين إلى أخرى قصد التذاكر مع ثيودوروس. للمزيد أنظر: عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 39، 239.

*- **إراثوستينوس *Erathostène*:** عالم مغاربي في الرياضيات شهير، من مواليد قورينا (276ق.م-194ق.م)، درس بها ثم انتقل إلى الاسكندرية ثم إلى أثينا، تتلمذ على يد ليزانياس *Lysanias* القوريني والفيلسوف الرواقي أريسطون *Ariston* (ق 3ق.م)، وتتلمذ أيضًا على يد الشاعر كالماخوس *Callmachos* القوريني (315ق.م-240ق.م). للمزيد أنظر: عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص.ص 39-40، 226.

3- المرجع نفسه، ص.ص 36-40، 239. شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 260.

4- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص.ص 40.

وأشير إلى أنه كانت هذه المدرسة بمثابة مدرسة عليا، كانت تهتم بتدريس العلوم باللغة اليونانية، وإرتأيت أن لا بد من ذكرها لما لها من تأثير على ظهور المدارس في منطقة بلاد المغرب القديم.

2- قرطاجة *Carthage*: كانت مدينة قرطاجة سواء في العهد البوني أو العهد القرطاجي عاصمة لبلاد المغرب القديم، وجعلها قربها من الشرق وإيطاليا واحتواؤها على مكتبة قديمة مهمة أحرقها الرومان، العاصمة الثقافية للبلاد المغاربية، وابتداءً من عام 14ق.م بعد إعادة بنائها أصبحت المركز الثقافي لبلاد المغرب القديم المرومن، ونشأت بها جامعة تطورت وأصبحت تنافس الإسكندرية وروما، ودرس بها العديد من أعلام المغرب القديم من أمثال: الفيلسوف والأديب لوكيوس أبوليوس، والشاعر نيمزيانوس *Nemesianus* وترتوليانوس *Tertulianus* ولاكتانتيوس *Lactantius* والقديس أوغسطينوس *Augustinus*[1] وفرونطون الكيرتي وغيرهم، وكانت فيها الحياة العلمية تضاهي مثيلتها في روما، فكانت جامعتها من أشهر جامعات العالم في ذلك العصر، وكانت تعلم مختلف العلوم من فلسفة وحقوق وطب ورياضيات وعلوم طبيعية وفنون وتاريخ وآداب وخاصة البلاغة وغيرها.[2]

كما كانت تدرس فيها أيضًا مختلف الفنون الثقافية المعروفة آنذاك مثل: الهندسة المعمارية والنحت والرسم وصناعة الخزف والمسرح، وكذا مختلف الفنون الأدبية كالشعر والخطابة والنحو والفلسفة والقانون والدين، ودرسوا كذلك العلوم الطبيعية والصورية كالمنطق والرياضيات والفلك والجغرافيا والطب والتاريخ وغيرها.[3]

وكانت تُدرِّس باللغة اللاتينية واليونانية، ويتم استعمال معاجم صغيرة باللغتين ويقال أن أبوليوس المادوري لما كان أستاذًا فيها كان يبدأ محاضراته بإحدى اللغتين وينهيها بالأخرى[4]. وأغلب الطلبة في قرطاجة يزورون روما أو أثينا أو كليهما لإتمام دراستهم، ففي عهد الإمبراطور سيفيروس الليبي كان يمنح منح مدرسية للطلبة المغاربة قصد إتمام دراستهم بالمراكز العلمية المعروفة آنذاك[5]، وكانت جامعة قرطاجة تستقطب على الخصوص الطلبة

1- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 43. François (T.): Op.cit., P.98

2- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 350.

3- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 44.

4- Monceaux (P.): Les Africains, Op.cit., P.P.59, 62-63.

5- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 44.

الذين يرغبون في صقل مواهبهم في الريطوريقا[*] *Rhetorica* وعلم العروض والنحو والطب.[1]

3- مادوروس *Madurus*: مدينة نوميدية قديمة، وفي حوالي نهاية القرن الأول للميلاد تحولت إلى مستوطنة رومانية[2]، كانت مدينة للعلم والفلاسفة والأدباء، معروفة بازدهارها الثقافي، وتعد مدرسة ذات صيت واسع أنجبت مفكرين كبار أشهرهم أبوليوس المادوري، والقديس أوغسطين فرونطونيوس الكيرتي وترتوليانوس[3]، بالإضافة إلى النحويين مكاسيموس *Maximus* ونونيوس *Nonius*، كما تلاحق عليها أساقفة كثيرون وارتقى بعضهم حتى وصل إلى مجلس قرطاجة وشارك بعضهم في مؤتمر قرطاجة عام 411م[4]، وكان الأطفال يأتونها من المناطق البعيدة لمزاولة الدراسة فيها، ويدرس فيها أبناء الطبقة الثرية والمتوسطة.[5]

4- قيصرية *Césarie*: كانت مدينة قيصرية عاصمة مملكة الملك يوبا الثاني، الذي عُرف بتشجيعه للمعارف اليونانية، حيث استقدم منهم الفلاسفة والأدباء والنحويين والعلماء، ورجال المسرح وغيرهم[6]، وتعتبر قيصرية حسب بعض المؤرخين المدينة الوحيدة التي اهتمت منذ القرن الأول قبل الميلاد، بدراسة الفنون والآداب على الطريقة اليونانية[7]، وبفضل اهتمام يوبا الثاني بالفلسفة والعلوم والفنون أصبحت جامعة قيصرية تضاهي جامعة الإسكندرية بمصر، ولا شك أنها كانت هي الأخرى تستقطب الطلبة من مختلف بلاد المغرب القديم.

لكن الرومان في حملتهم الاستعمارية على البلاد المغاربية، قضوا على مدينة قيصرية وقتلوا بطليموس *Ptolémée* ابن الملك يوبا الثاني، وبذلك وضعوا حدًا للتأثير اليوناني على بلاد المغرب القديم في عهد الإمبراطور كاليقولا *Caligula* (37-41م)، ومنذ ذلك الحين بدأت اللغة اللاتينية تحل محل اللغة اليونانية في كل المجالات الثقافية، ومنذ منتصف القرن

---

*- **الريطوريقا:** هي فن الخطابة، لأن الخطباء كانوا يستخدمون الريطوريقا لانتزاع القرار بدلاً من البحث البرهاني على الحقيقة. ينظر: سارة التونسي الزواري: المعجم الفلسفي النقدي، ط1، مطبعة السفير الفني، 2005م، ص 227.

1- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 44.

2- Gsell (S.): Khamissa, Mdaourouch, Announa, T.II, Op.cit., P.9.

3- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص.ص 262-263.

4- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 47. Gsell (S.): Khamissa, Mdaourouch, Announa, T.II,Op.cit, P.52

5- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 469.

6- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 47.

7- Monceaux (P.): Les Africains, Op.cit., P.59.

الأول الميلادي، بدأ المغرب القديم رغم الحروب والاضطرابات السياسية، يصنع لنفسه مكانًا للفكر، وبقيت قيصرية مركزًا للإشعاع الفكري خاصة بجهة موريتانيا.[1]

5- كيرتا *Cirta*: المدينة التي شجع فيها ميكيبسا الملك النوميدي من قبل العلوم والمعارف، وبقيت مركزًا لذلك خلال الفترة الرومانية، ولمع نجمها في نوميديا[2]، بحكم أنها كانت من أكبر المدن آنذاك، كان فيها أساتذة ومدارس ونحاة يُؤمِّنون للتلاميذ تعليمًا ابتدائيًا وثانويًا، وقد تلقى فيها فرونطون تعليمه الأولي والثانوي.[3]

6- هيبوريجيوس *Hippo regius*: مدينة نوميدية قديمة، أصبحت مستوطنة رومانية وازدهرت حتى عام 430م حينما اجتاحها الوندال، مارس فيها القديس أوغسطين نشاطه الديني، وعُقد فيها ثلاثة مؤتمرات دينية (393، 395، 426م)، ونشطت فيها حركة تدريس الفنون المختلفة.[4]

بالإضافة إلى مدارس أخرى كانت منتشرة في مدن أخرى، إذ كانت تلك المدن تشجع أبناءها على التعليم، وتحثهم عليه بجميع الوسائل وتقيم الاحتفالات للناجحين[5]، مثل تيفست *Thevest* القلعة الرومانية ابتداءً من عام 146ق.م، وثاني أكبر مدينة بعد قرطاجة[6]، وعرفت خلال هذه الفترة ازدهاراً كبيرًا أكبر من المرحلة البونية، ويشير المؤرخ الفرنسي ألماند مومسن حسب مها عيساوي في كتابه (الاحتلال الروماني) بقوله: "... **في الوقت الذي كانت تشتعل فيه نيران الحرب البونية، برزت مدينة إلى الوجود إنها تيفست العظيمة**"[7]، كما ذكرها ستيفان قزال أنه في حوالي 250ق.م اهتم الرومان بتوسعاتهم جنوب شرق قرطاجة قاطعين مدينة قابس، ولم يقدم سكانها الولاء للرومان إلا بعد فترة طويلة من الحروب والتمردات[8]، كانت تضم مدارس مشهورة في العهد الروماني.

وثاقاست *Thagaste* المدينة النوميدية ومسقط رأس القديس أوغسطين الذي درس بها، كان لها ثلاثة أساقفة وهم: القديس فيرموس (نهاية القرن 3م) والقديس أليبيوس (القرن 4م) والقديس يانواريوس (القرن 5م)[9]. أما هادروميتوم *Hadrumetum* أصبحت تحت

1- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 41-42.
2- المرجع نفسه، ص 45.
3- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 350.
4- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 46.
5- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 262.
6- De Roch (S.): Op.cit., P.11.
7- مها عيساوي: "مدينة تبسة عبر العصور"، مرجع سابق، ص 32.
8- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
9- Marou (H.): Op.cit., P.269.

الاحتلال الروماني منذ نهاية الحرب البونية الثالثة (149ق.م-146ق.م)، تحصلت على لقب مستوطنة تحت حكم الإمبراطور تراجان (98-117م)، المدينة المشهورة بكونها مركزًا ثقافيًا يقصده طلاب العلم من جهة البيزاسان *Byzacène*.(1)

ومدينة أويا *Oea* (طرابلس *Tripoli*) حكمها الرومان من 146ق.م حتى 450م، وازدهرت معرفيًا في عهدهم، فكانت مركزًا ثقافيًا هامًا حيث ملتقى طلبة تريبوليتانيا بشكل عام، ودرس بها أبوليوس المادوري لمدة ثلاث سنوات لمّا كان في طريقه إلى الإسكندرية، أما صبراتة *Sabrata* من بين أهم مدن تريبوليتانيا، تمتعت بفترة من الاستقلال بعد سقوط قرطاجة، قبل أن تدخل تحت سلطة الرومان، وعرفت فترة ازدهار حضاري عام.(2)

وكذا لبتيس ماقنا *Leptis Magna* التي تمتعت بشبه استقلال ذاتي بعد تحالفها مع الرومان ضد يوغرطة، ثم أصبحت مستوطنة رومانية عام 96ق.م، واكتسبت شهرة كبيرة بعد أن أصبح أحد أبنائها على رأس الإمبراطورية الرومانية وهو الإمبراطور سبتيموس سيفيروس (193-211م)، وبقيت كذلك إلى أن ضربها زلزال عنيف عام 365م.(3)

كانت مركزًا ثقافيًا هامًا يقصده الطلبة من جميع أنحاء تريبوليتانيا، وما زاد كذلك من أهميتها وقوعها على الطريق الرسمي الرابط بين قرطاجة والإسكندرية، وهو طريق كثيرًا ما يستعمله الطلبة والعلماء للتنقل بين مراكز العلم ببلاد المغرب القديم، خاصة بين الإسكندرية وقورينة وقرطاجة وقيصرية.(4)

ولا يمكن أن نستثني مدن غرب موريتانيا مثل: مدينة سلا *Sala* وبناسا *Banasa* ومدينة فولوبيليس هذه الأخيرة التي كانت تعتبر العاصمة الملكية الثانية ليوبا الثاني.(5)

إضافة إلى مدن أخرى كان بها مدارس للمبتدئين، وكانت تلك المدارس كلها خاصة لا علاقة لها بالدولة الرومانية وإنما تتلقى بعض العون من البلديات أو بعض الميسورين من الرومان وغيرهم.(6)

أستنتج أن، المدرسة الرومانية في بلاد المغرب كانت تختلف عن نظيرتها في روما، والدليل على ذلك ما ذكره بلقاسم رحماني أن الشاعر اللاتيني يوفينال *Juvénal* ينصح

1- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 47.
2- المرجع نفسه، ص 48.
3- عبد السلام بن ميّس: مرجع سابق، ص 49.
4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها. شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 249.
5- أحمد السليماني: تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م، ص 186.
6- بوزياني الدراجي: مرجع سابق، ص.ص 102-103.

طالبًا رومانيًا بالذهاب إلى أفريقية طلبًا للعلم، وأن أفريقية هي الأرض التي أنبتت المحامين والفصحاء أمثال سبتيموس سيفيروس وفلوروس، وهنا يتضح لنا مدى أهمية وعمق التأثير الروماني في بلاد المغرب القديم.(1)

كما شهدت المدن الحضارية الكبرى انتشارًا للمدارس بمختلف أطوارها، وتتضاءل في المدن الصغرى وتنعدم في المناطق الريفية، ما يوحي أن فرص الدراسة لم تكن متاحة للكل، إذا ما قارنا ذلك بين مختلف الطبقات والفئات الاجتماعية؛ فالطبقات الأرستقراطية والثرية من أعيان المجتمع وأعضاء المجلس البلدي والمالكين وغيرهم والطبقة المتوسطة، كانوا يعتمدون على إمكانياتهم الذاتية في تدريس أبناءهم، بينما كانت الطبقات الدنيا أقل حظًا في ذلك إلا في القليل النادر.

ومع أن الباحثين لم يجدوا بناية معينة تمثل نموذجًا للمدرسة، لكن مساهمات الأعيان وأثرياء المدن في نشر التعليم ودعمه دليل على أنهم قد أوجدوا أماكن للدراسة في بعض بنايات المدن، أو أنهم بنوا بنايات خاصة بالمدارس ولكنها اندثرت تمامًا، وما يوحي أيضًا بوجود مدارس هو وجود نخبة مثقفة بالثقافة اللاتينية.

ثانيًا– المكتبات: تعلّم الرومان الكتابة والكتاب، لمّا اتصلوا بالأتروسكيين واليونانيين، وبالأخص خلال فترات الحروب البونية، حيث أخذت المؤثرات الثقافية اليونانية تفرض نفسها على العالم الروماني الآخذ في السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط(2)، وقد نشأ مع القرن الثالث قبل الميلاد تقليد الكتابة باللغة اللاتينية (لغة الرومان)، ما كان له أثر في توزيع الكتب عبر المكتبات العامة وحتى الخاصة.(3)

ومنذ أواسط القرن الثاني قبل الميلاد أخذ القواد الرومان يأتون إلى بلادهم بالمكتبات اليونانية فيما يأتون به من غنائم؛ وكان لوكيوس أيميليوس *Lucius Aemilius* أول من فعل ذلك، فقد حمل معه إلى روما مكتبة الحكام المقدونيين سنة 168ق.م بعد معركة بيدنا

1- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص 308. محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 349.

2- Félix (R.): The book trade at the time of the roman empire, The Library Quarterly, VIII, 1838, P.P.40-76.

3- ألكسندر ستيبتشفيتش: تاريخ الكتاب، القسم الأول، تر.: محمد م. الأرناؤوط، عالم المعرفة، الكويت، 1994م، ص 66.

Pydna[1]، ثم حذا حذوه سولا *Sulla*، الذي فتح أثينا سنة 84ق.م إذ ضم إلى غنائمه بقايا مكتبة أرسطو، وكذا لوكوليوس *Luculius* في القرن الثاني.[2]

وما كان القرن الأول قبل الميلاد يقترب من نهايته حتى كان حب الكتب قد انتشر بين الأرستقراطية الرومانية، وكان شيشرون *Cicérone* يعتز بمجموعته اعتزازًا كبيرًا ويعتبرها درة بيته، وكان صديقه أتيكوس *Attecus* أول الناشرين الرومانيين الكبار حتى لقد وجد في نفسه الجرأة لينافس الإسكندرية في تجارة الكتب، وكان أتيكوس على حظ كبير من التعليم واستخدم عدداً من المعاونين الذين يلمون إلمامًا تامًا بفقه اللغة آنذاك.

ومنه فقد احتل الكتاب مكانة لدى هؤلاء القادة العسكريين وفي نظر الشريحة العليا من المجتمع الروماني.

ثم انتشرت المكتبات بشكل واسع في روما، فبعدما رأى يوليوس قيصر *Julius Caesar* (حكم من 49-44ق.م) مكتبة الإسكندرية ذُهل بها فقرر أن يبني في روما مكتبة كبيرة عامة على نمطها، وعهد بذلك إلى أشهر كاتب روماني في عصره ماركوس تيرنتيوس فارو *Marcus Terentius Varro* (116ق.م-27ق.م) الذي وضع رسالة جعل عنوانها (عن المكتبات *de Bibliothecis*)[3]، لكن هذه المكتبة أنجزت بعد اغتيال قيصر على يد ثلة من المتآمرين والمناهضين لحكمه سنة 44ق.م.[4]

ومع العصر الإمبراطوري العهد الذهبي للثقافة الرومانية (ازدهار الإنتاج الأدبي والعلمي)[5]، انصرف الأباطرة إلى تأسيس المكتبات[6]، فقد بنى الإمبراطور أغسطس مكتبتين كبيرتين، الأولى سنة 28ق.م على رابية بلاتينا، والثانية بعدها في سهل مارس على شرف أخته أوكتافيا، وكانتا كغيرهما تضم كل واحدة منهما أقساماً مستقلة للكتب اليونانية

1- Tite-Live: Œuvres de Tite-Live (Histoire Romaine), Trad. française: M. Nisard, Livre XLIV, Firmin Didot, Paris, 1864, URL: http://remacle.org. Plutarque: Vies des hommes illustres, trad. nouvelle en français par Alexis Pierron, T.II, charpentier, libraire-éditeur, Paris, 1854, URL: *http://remacle.org*.
2- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain, Extrait des mémoires de l'Académie des inscriptions et belles-lettres; T. XXXVIII, 1ère partie, Imprimerie nationale, Paris, 1906, P.20.
3- Felix (R.): Op.cit., P.P.40-76.
4- الحسيني الحسيني معدّي: يوليوس قيصر رجل كل العصور (حياة أسطورية ونهاية مأساوية)، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، (د.ت)، ص 147. عبد اللطيف أحمد علي: التاريخ الروماني، عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى أكتافيوس أغسطس ، طبعة منقحة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر، 1988م، ص.ص 338-341.
5- Roman (D.), Roman (Y.): Op.cit., P.P.215-218.
6- أندريه أيمار وجانين أبوايه: مرجع سابق، ص 458.

والكتب اللاتينية كما كانت تزين المكتبات بتماثيل الشعراء والكتاب والعلماء، وبلغ الأدب ذروته في زمنه.[1]

وقد استمر الأباطرة بعد أغسطس في بناء المكتبات، فقد أقيمت مكتبة عامة كبيرة في المعبد الكبير الذي بني تكريماً له ولزوجته ليفيا دروسيلا *Livia Drusilla* (58ق.م-29م)؛ وكذلك بنى الإمبراطور تيبريوس مكتبة تيبر، وبنى الإمبراطور فسباسيان مكتبة في معبد السلام. أما أضخم مكتبة عامة في روما فقد بنيت سنة 113م من قبل الإمبراطور تراجان، كانت تقع في فوروم مركز مدينة روما.

وقد ازدهرت وانتشرت الثقافة اللاتينية في مختلف أرجاء الإمبراطورية الرومانية، ومنها بلاد المغرب القديم، وبالأخص مع ظهور مراكز ثقافية قوية في مختلف مدن المغرب القديم، التي انتشرت فيها المكتبات العامة، وعرفت كيف تحفظ لنفسها مكانة ضمن الإنتاج الأدبي والعلمي[2]، وتقليد مدينة روما – أقوى مركز ثقافي في حوض البحر الأبيض المتوسط آنذاك –. ورغم ذلك فالمكتبات التي كانت في مدن الولايات، كان يتطوع بتأسيسها عادة أحد المحسنين.[3]

ويؤخذ بعين الحسبان في تمويل هذه المكتبات، بالإضافة إلى تكلفة البناء والكتب، تَدْخل فيها تكاليف الصيانة ودفع أجور الموظفين، وترميم المكتبة ومحتوياتها، ولمّا كانت ميزانية المدن محدودة، كانت النخبة الأرستقراطية من مجتمع المدينة تتكفل بالأماكن الثقافية، ويأخذ هذا التمويل بعدين؛ فالبعد الأول يتعلق بدعم الحركة الثقافية ونشر الثقافة الرومانية في المدن، والبعد الثاني ضمان هيمنة هذه الطبقة على المجتمع.[4]

ومن أهم المكتبات العمومية في بلاد المغرب القديم:

أ) مكتبة ثاموڤادي: تعتبر مكتبة ثاموڤادي (أنظر الشكل رقم 54، ص 161)، من أهم وأبرز المكتبات في بلاد المغرب القديم[5]، الواقعة على الجهة اليسرى عند صعود الشارع الشمالي الجنوبي *Cardo-Maximus* قبل تقاطعهما بقليل مع الشارع الرئيسي الشرقي

1- أ.ب تشارلز روث: مرجع سابق، ص.127.
2- ألكسندر ستيبتشفيتش: مرجع سابق، ص.ص 68-69.
3- أ.ب تشارلز روث: مرجع سابق، ص.124.
4- François (T.): Op.cit., P.48.
5- بن مرزوق عبد الرحمان: "مدينة تيمڤاد أو تاموڤادي قديمًا"، مرجع سابق، ص 45.

Decumanus-Maximus، اكتشفت في أواخر سنة 1901م[1]، وقد ورد ذكرها في النقوش والنصوص اللاتينية.

فقد كشفت الحفريات أنقاض مبنى اعتقد أنها مبنى للإله راعي المدينة، ثم اعتبر كمدرسة ومكان تجمع ومناقشة، لكن في عام 1906م تم تحديده على أنه بمثابة مكتبة عامة بعد اكتشاف نقش لاتيني، يعود نص هذا النقش إلى القرن الثالث الميلادي (أنظر الشكل رقم 55، ص 161)، الذي يوضح أن عضو مجلس الشيوخ[2] ماركوس يوليوس كينتيانوس فلافيوس روڤاتيانوس *le sénateur Marcus Iulius Quintianus Flavius Rogatianus* من أغنياء المدينة قد خصص مبلغ 400.000 سيسترس *Sesterces* لبناء هذه المكتبة[3]، المهداة منه لمدينته الأصلية[4]، والمدينة بدورها قد أقامت له تمثالاً اعترافًا بسخائه.[5]

وكانت المقاسات الكلية للمكتبة (26 × 25 متر)، ويحيط بفنائها رواق بأعمدة وبثلاثة جوانب مفتوح ومقابل للشارع الرئيسي *Cardo Maximus*، تربطه به عدة درجات. ويتم الدخول إلى قاعة المطالعة بواسطة باب على شكل نصف دائرة بقياس (15 × 10 متر)، والاتجاه المقابل لباب الدخول إلى هذه القاعة توجد مقصورة محاطة بعمودين من الرخام الأبيض كانت تحتوي على تمثال لآلهة حامية المبنى[6]، الآلهة مينرفا[7]، وتتخذ قاعة المطالعة هذا الشكل النصف الدائري كانت تحتوي على منافذ مخصصة لاستيعاب الكتب. ومن جهة أخرى هناك ستة قاعات إضافية[8]، فيها ثلاثة قاعات تعتبر مستودعات إضافية مشحونة بالمخطوطات[9]، ويوجد في المكتبة ثمانية رفوف للكتب أربعة على اليمين وأربعة على اليسار.[10]

1- دليل آثار تيمڤاد، مرجع سابق، ص.ص 11-12.

2- Tlili (N.): Op.cit., P.P.158-159.

3- دليل آثار تيمڤاد، مرجع سابق، ص 12. François (T.): Op.cit., P.56. Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain, Op.cit., P.3.

4- دليل آثار تيمڤاد، المرجع نفسه، ص 12.

5- Tlili (N.): Op.cit., P.P.158-159.

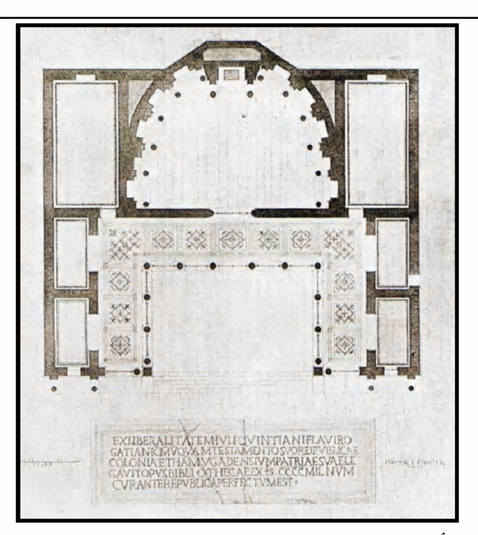
6- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l’Empire romain, Op.cit., P.16-17.

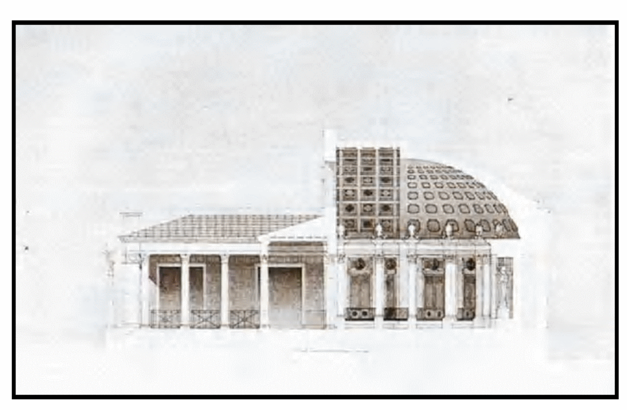
7- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 245.

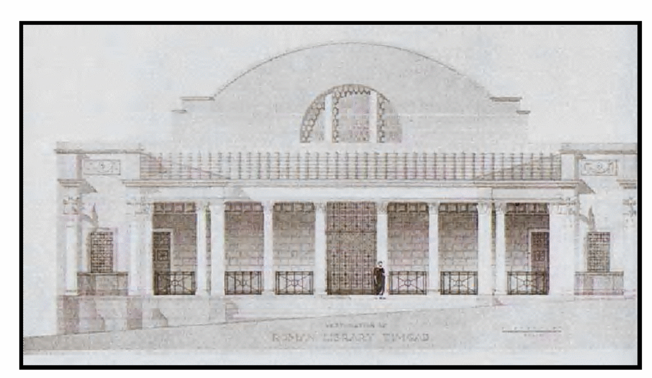
8- Tlili (N.): Op.cit., P.P.158-159.

9- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 245.

10- محمد العيد مطمر: مرجع سابق، ص 52.


(أ): مخطط المكتبة ونصها النقوشي اللاتيني


(ب): مقطع جانبي


(ج): الواجهة الأمامية


(د): أطلال المكتبة

الشكل رقم (54): مكتبة تاموڤادي، **نقلاً عن:**

(أ)، (ب)، (ج): L'Aurès éternel Photothèque, *http://aureschaouia.free.fr/webgallerie/index.php?/categories/flat/start-2235*, Télé. le : 24/06/2015

(د): الأوراس المبهج، *http://aures.meilleurforum.com/t141-topic*، تاريخ التحميل: 2015/06/24م.

EX LIBERALITATE M IVLI QVINTIANI FLAVI RO
GATIANI CMV QVAM TESTAMENTO SVO REIPVBLICAE
COLONIAE THAMVGADENSIVM PATRIAE SVAE LE
GAVIT OPVS BIBLIOTHECAE EX HS CCCC MIL · NVM
CVRANTE REPVBLICA PERFECTVM EST

Ex liberalitate M. juli(i) Quintiani Flavi(i) Rogatiani c(larissimae) m(emoriae) v(iri) qnam testamento suo reipublicae Thamugdensium patriae suae legavit opus bibliothecae ex sestertium CCCC mil(ibus) curante republica perfectum est.

الشكل رقم (55): نص النقش اللاتيني لمكتبة تيمڤاد، **نقلا عن:**

- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain, Op.cit., P.3.
Vois: François (T.): Op.cit., P.56.

وقد حاول الباحثون تحديد عدد الكتب التي كانت تستوعبها المكتبة، إذ تشير التقديرات إلى أن الغرفة الرئيسية يمكن أن تستوعب ستة عشرة خزنة كتب، وبإضافة القاعات الست الأخرى فيمكن أن يصل العدد من حوالي 16000 إلى 28000[1]، وقد ورد في مجلة دليل تيمقاد أنه بإمكان القاعة الداخلية أن تحتوي على حوالي 6800 والقاعات الأخرى حوالي 16200 وسيكون المجموع 23000 مجلد[2]، ومع ذلك أشير إلى أن هذه الأرقام تبقى موضوع تساؤل.

ب) مكتبة قرطاجة[*]: احتوت مدينة قرطاجة على مكتبة وردت الإشارة إليها، عندما أتهم لوكيوس أبوليوس بممارسة السحر، ومعرفة أسماء السحرة، وقد علل أبوليوس ذلك أمام قنصل أفريقية *Proconsul d'Afrique* بأنه وجد أسماءهم في المكتبة العمومية. ولم تحدد البحوث الأثرية موقع مكتبة العاصمة الأفريقية، واقترح بيار ڤروس *Pierre Gros* فرضية لمعرفة مكان هذه المكتبة، هو دراسة البنايات المجاورة من الجهة الشرقية لبزيليك الأنطونية *la basilique* ببيرصا *Byrsa* لمعرفة مكان هذه المكتبة، غير أن ذلك يطرح مجموعة من المشاكل، فتتقصها ما هو متعارف عليه في المكتبات الرومانية زمن العصر الإمبراطوري، وقد تكون منافذ خزائن الكتب مدمجة في الجدران النصف دائرية المركزية، ثانياً فإن قياسات القاعة المركزية (6 متر عرضًا و9 متر طولاً)، ومنه فإن هذه البناية لا تطابق بناية مكتبة عمومية.[3]

ونظرا لأهمية المكتبات العامة في المدن (ويمكن أن نفكر في المحاضرات العامة التي ألقاها أبوليوس في المكتبة القرطاجية)، فإنه من المستحيل أن نتصور أن العاصمة الأفريقية كانت لا تتوفر على الأقل على غرفة صغيرة للقراءة، وأقل اتساعًا بكثير من تلك التي كانت في مستعمرة صغيرة مثل تيمقاد الواقعة على الحدود الجنوبية لنوميديا.[4]

بالمقابل ووفقًا لجون دينوف *Jean Deneauve*، فمبنى المكتبة العمومية كان كبيرًا ومستطيل الشكل على حسب الحفريات، بنيت في الجانب الغربي من فوروم أنطونيوس،

1- Tlili (N.): Op.cit., P.P.158-159.

2- دليل آثار تيمقاد، مرجع سابق، ص 13.

*- كانت قرطاجة تحتوي على مكتبة تعود إلى العصر القرطاجي، فقد ذكر المؤرخون القدامى دور الكتب القرطاجية والتي أطلق عليها بلينيوس الأكبر ببليوتيكا وهو لفظ يعني دار الكتب، وقد أضاف قائلاً: **"لما كان غزو قرطاج قرر مجلس الشيوخ توزيع ما في دور كتبها على ملوك أفريقيا"**. بوغرارة وفاء: مرجع سابق، ص 119.

3- Tlili (N.): Op.cit., P.P.156-157, Voir: François (T.): Op.cit., P.P.98-99.

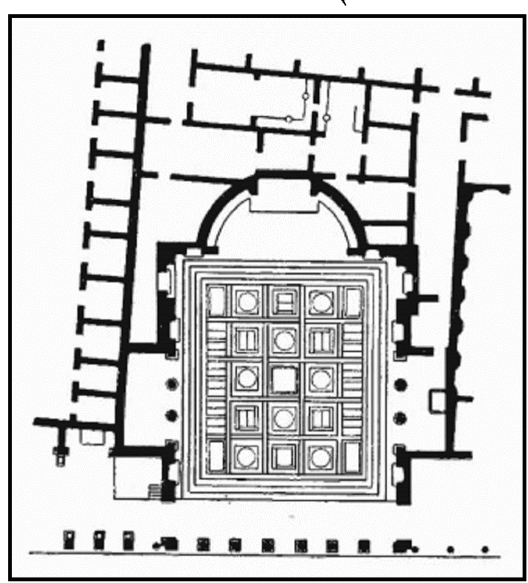
4- Tlili (N.): Op.cit., P.P.156-157.

وأبعادها كانت 65 متر من الشمال إلى الجنوب و22 متر من الشرق إلى الغرب، وتشير الأدلة أن هذا المبنى نجا على الأقل إلى غاية الفترة البيزنطية.

وعلى أية حال، فمن المؤكد أن مدينة قرطاجة كانت تحتوي على الأقل على مكتبة كبيرة، كان يرتادها جمهور من محبي الثقافة وتجذبهم خطابات الشعراء والأدباء.[1]

ج) مكتبة بولا ريجيا: ضمت مدينة بولا ريجيا *Bulla Regia* منشأة مكتبية، فقد حاول الباحث مارسيل لوقلاي *Marcel Leglay*، تحديد مكان هذه المكتبة من خلال مبنى كبير ذو شكل مستطيل (50 × 30 متر)، يعود تاريخ بناءه إلى نهاية القرن الثاني أو بداية القرن الثالث للميلاد؛ تحيط به أروقة على جهات ثلاثة، فيه غرفة نصف دائرية كبيرة، تحيط بها ثمانية أعمدة ربما كانت تحمل رواق أعلى. تحتوي على خمسة تجاويف مرتبة في الجدار الخلفي، غير أن عماليات الترميم لم تؤكد إذا ما كانت هناك تجاويف أخرى على محيط المبنى أو في الرواق العلوي.[2]

كانت هذه المكتبة حسب الباحث مارسيل لوقلاي تشبه من ناحية المخطط بناية مكتبة تيمقاد، وحسب ذات الباحث فنموذج المكتبة مأخوذ عن المكتبة الرومانية في توبلوم باكيس *Templum Pacis* لفاسباسيان ومكتبة بومباي *Pompéi*، وقد اتخذت شكلاً نصف دائري (أنظر الشكل رقم 56، ص 163).[3]



الشكل رقم (56): مكتبة بومبي، **نقلا عن:**

- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l’Empire romain, Op.cit., P.21.

1- Tlili (N.): Op.cit., P.P.156-157.

2- Ibid., P.161.

3- Ibid., P.161. Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l’Empire romain, Op.cit., P.21.

غير أنه هناك اختلاف بين الباحثين حول كون هذا المبنى مكتبة، ومع ذلك فإن مكتبة بولا ريجيا قد لعبت دورًا في نشر الثقافة الرومانية في المنطقة[1]، مثل ما لعبت هذه المدينة دورًا سياسيًا واقتصاديًا واجتماعيًا وثقافيًا ودينيًا، ومثلت مكانًا ملائمًا لهيمنة الأرستقراطية الرومانية. وقد تحولت هذه المدينة مع القرن الثاني للميلاد إلى مدينة مرومنة بالكامل، ودفعت الرغبة في الحصول على مكانة اجتماعية القادة المحليين للمدينة إلى الارتماء في أحضان الثقافة الرومانية[2]، ويمكن أن يكون للكِتَاب دور فعال في ذلك، ما يثبت وجود مكتبة في مدينة بولا ريجيا، التي كانت تمول من قبل الأرستقراطيين.

د) مكتبة هيبون الكنسية: بالإضافة إلى المكتبات السابقة المكتبة الكنسية في هيبون لسانت أوغسطين، ويبدو أن هذه المكتبة استثنائية. وقد أتاح أسقف هيبون مجموعة من الكتب الخاصة للقراء، ولم تكن تفتح المكتبة إلا لضيوف الأسقف أو لأعضاء رجال الدين، أما بمكتبة دير أوغسطين في هيبون، تجمع المتدينين والمتدينات من الرجال والنساء، وتحتوي على بعض المخطوطات المسيحية التي خصصت لها الكثير من الوقت للقراءة.[3]

هـ) مكتبة قيصرية: لا يمكن أن نتصور عدم وجود مكتبة في قيصرية زمن حكم الملك يوبا الثاني، باعتباره كان مهتماً بالجوانب الثقافية والعلمية والفكرية، ومولعًا بالبحث والتنقيب، وعني عناية خاصة بنشر الثقافة اليونانية والرومانية في مملكته، فلا يفتر عن الكتابة والتأليف، والواقع أنه ألّف عدة كتب لها قيمتها في مختلف العلوم والفنون مثل التاريخ والجغرافية والفلسفة والموسيقى، إلا أن يد الإهمال لعبت بهذه الكتب كلها، فلم يصل إلينا ولا كتاب واحد من هذه الثروة الأدبية والعلمية القيمة[4]، لذلك كانت شهرته بخدماته العلمية تفوق شهرته بملكه حسب المؤرخ بلين القديم، ورأى فيه بلوتارك *Plutarque* أحسن مؤرخ من بين الملوك.[5]

لذلك استقطب نحو عاصمته كبار العلماء والأطباء من اليونان والرومان، كما كانت له مكتبة عامرة رائدة، كانت تحتوي على مجموعة كبيرة من المخطوطات والمؤلفات المتميزة في مختلف الفنون والعلوم والآداب، وباللغة اليونانية واللاتينية، بالإضافة إلى كتب باللغة

1- Tlili (N.): Op.cit., P.P.162.
2- Yvon (TH.): "La romanisation d'une cité indigène d'Afrique : Bulla Regia", In: Mélanges de l'Ecole française de Rome. Antiquité, T. 85, N°1. 1973, URL: *http://www.persee.fr*. P.251.
3- Tlili (N.): Op.cit., P.P.263.
4- محمد محي الدين المشرفي: مرجع سابق، ص 81-82. محمد شفيق: مرجع سابق، ص 80.
5- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.251. Gsell (S.): Juba II, savant et écrivain, R.AF., Vol.68, Alger, Année 1927, A. Jourdan, libraire-éditeur, P.169.

البونية التي ورثها عن جده هيمبسال *Hiempsal* والتي تركها الرومان من قبل لأمراء عائلته من مكتبة قرطاجة، وقد كان له حب كبير وميل شديد باقتناء المخطوطات النادرة، فيذكر أنه اشترى مخطوط فيثاغورس اليوناني الشهير بثمن غالٍ جدًا.[1]

واعتمد على مكتبته في إخراج أعمال فكرية وكتابات علمية إلى حيز الوجود، وجند من أجل ذلك مجموعة من الناسخين المساعدين، وسخر أمواله الملكية في سبيل ما كان يصبو إليه من تأليف وإنتاج فكري وعلمي[2]، وسأتناول جانبًا منه في المبحث التالي من هذا البحث.

من الناحية النظرية فإن انتشار المكتبات كان له صلة وثيقة بانتشار المدارس الرومانية، ولم تكن كل المدن المغاربية قد احتوت على مكتبة بلدية.[3]

أما فيما يخص لغة الكتب في المكتبات، فما هو معلوم أن المكتبات كانت تحتوي على كتب الشعر والتاريخ، وكتب هوميروس *Homère* وفرجيل *Virgile* وتيتليف *Tite-Live* وتاسيت *Tacite*، وبشكل عام كتاب العصر الكلاسيكي، باللغة اللاتينية واليونانية.[4]

وفيما يتعلق بكتب اللغة اليونانية، مع أننا نعلم بأن المكتبات في روما منذ أيام قيصر كان باللغتين اليونانية واللاتينية، ومع ذلك الكتب اليونانية في بلاد المغرب القديم عانت انخفاضًا مستمرًا منذ أواخر القرن الثاني للميلاد، لتصبح فيما بعد لغة النخبة المثقفة[5]، وربما يعود ذلك إلى سياسة روما في فرض اللغة اللاتينية في بلاد المغرب القديم، وما هو معلوم أن الإمبراطورية الرومانية كانت لاتينية في الغرب ويونانية في الشرق.

ويبدو أن هناك مكتبات أنشئت في المعابد[6]، كانت تحتوي هي الأخرى على كتب التاريخ، والجغرافيا، والقانون، والطب، والشعر، وربما قد رسمت على خزائن كتبها لوحات، وتماثيل نصفية للكتاب المشهورين على شاكلة مكتبة المعبد الجديد لأغسطس *Augustus*، ومع ذلك فهناك مكتبات تكون أكثر ثراء من الأخرى.[7]

وكما ذكرت في الفصل الأول أن الحمامات الرومانية احتوت هي الأخرى على المكتبات. إذ لم تكن الحمامات للاغتسال والاستحمام فقط، بل كانت أيضاً مكاناً لاجتماعات

1- أحمد السليماني: مرجع سابق، ص.ص 181-182. Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.253.
2- أحمد السليماني: مرجع سابق، ص 181.
3- Tlili (N.): Op.cit., P.173.
4- Ibid., P.166.
5- Ibid., P.168.
6- Cagnat (R.): Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain, Op.cit., P.3.
7- Tlili (N.): Op.cit., P.166-167.

التجار، ثم مارست لاحقاً دوراً مهماً في الحياة الثقافية بعد أن أصبحت مكاناً يجتمع فيه الشعراء لإنشاء قصائدهم والفلاسفة والعلماء الذين يستعرضون أفكارهم ويدافعون عنها.[1]

إن الهدف من إقامة مكتبات في الحمامات العامة، كان محاولة لتوفير الكتاب للقراء، وللشعب في الأماكن التي يوجدون فيها وبهذا الشكل أصبح الكتاب في متناول العامة وانتقل إلى قلب الحياة عوضاً من أن ينتقل الناس إلى مكتبات معزولة ومحجوزة للنخبة المثقفة، وبهذا الشكل صار الكتاب جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية، لتلعب دورًا في تسهيل انتشار الثقافة الرومانية في كل الفئات الاجتماعية للمجتمع المغاربي.

لقد احتلت المكتبات العامة مكانة مرموقة، وكانت تمول من قبل النخبة الرومانية[2]، ولعبت دورًا ثقافيًا وفكريًا في مدن البلاد المغاربية، ودوراً في نشر الثقافة الرومانية في بلاد المغرب القديم، وترمز لمفهوم الرومنة الثقافية التي كان لها أثر قوي على المجتمع المغاربي، ما أدى إلى انحسار الثقافة المحلية التي لم يكن لها أن تجد مكانًا لها في عالم تقريبًا مرومن بنسبة كبيرة.[3]

أما بالنسبة لنوعية الكتابات المسموح بها، فإن الرومان الذين لديهم ميل لإصدار القوانين تمتعوا بالرقابة، فتم إصدار قانون "القوائم الاثني عشرة"[*] التي تعاقب الناس بالجلد إذا ما كتبوا أي شيء يشوه السمعة، وقد تم سجن ثم نفي أحد معاصري بلاوتوس، وكانت عقوبةً أقل رعبًا من عقوبة الموت آنذاك، لأنه كتب مسرحية كان فيها تلميح قليل الاحتشام إلى المقامات الرفيعة. ومدلول هذا الإجراء هو تثبيت الفكرة عما يجب أن يُكتب.[4]

أستنتج أن وجود مثل هذا النوع من المنشآت العمرانية في المدن المغاربية، يدل على اهتمام أعيانها بالمجال الثقافي والتعليمي، وحرصهم على نشر الثقافة الرومانية في وسط المجتمع الحضري والقاطنين في المناطق الريفية، وكذا التحول الواضح للكثير من تلك المدن من معسكرات للجيش الروماني إلى مدن ذات إشعاع حضاري وفكري ساهمت في نشر

1- أ.ب تشارلز روث: مرجع سابق، ص 132.

2- François (T.): Op.cit., P.48.

3- Tlili (N.): Op.cit., P.P.173, 168.

*- **قانون "القوائم الاثني عشرة"**: أو "قوانين الألواح 12" الشهيرة، وهي تشريعات الإمبراطورية الرومانية التي كانت تعدل باستمرار من طرف الأباطرة. مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 367.

4- أديث هاملتون: الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة، تر.: حنا عبود، منشورات وزارة الثقافة، المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، سوريا، 1998م، ص.27. إبراهيم أيوب: مرجع سابق، ص.ص 106-107. مصطفى العبادي: الإمبراطورية الرومانية (النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999م، ص 100.

الثقافة الرومانية وتجسيدها في الحياة اليومية للمجتمع آنذاك. كما تحولت تلك المكتبات إلى أماكن يجتمع فيها الشعراء والفلاسفة والعلماء.

المبحث الثاني: الإنتاج الفكري من خلال شخصيات مغاربية

لقد مست سياسة روما الثقافية الفكر المغاربي، فاشتهرت شخصيات جسدت هذه السياسة، وكانت عَلاَمَة على النخبة المترومنة[1]، من المبدعين والمفكرين والمثقفين المغاربة، فهناك الكثير من هؤلاء المثقفين قد تم إدماجهم في الحضارة الرومانية حتى اختلطت الأسماء والأمور على الباحثين والدارسين في تاريخ بلاد المغرب القديم، وفي هذا الصدد يقول محمد شفيق: "**نتج عن مفعول المثاقفة المفروضة من قبل روما على بلاد المغرب القديم أن نبغ في الكتابة باللاتينية أجيال متتابعة من الأمازيغيين، فأسهموا إسهامًا مهمًا في إغناء الفكر والأدب الرومانيين**".[2]

وإنه يتعذر أن نعرف بالضبط هل أن كتاب بلاد المغرب القديم ينحدرون من معمرين رومان، وأغلب الظن أن أكثرهم كانوا من المغاربة المتأثرين بثقافة وحضارة روما وعبروا باللغة اللاتينية.[3]

ومن المعروف أن لغة التثاقف التي استعملها المفكرون والمبدعون المغاربة بالمدن والمناطق الحضرية في تلك المرحلة التاريخية هي اللغة اللاتينية كما كانوا على معرفة جيدة باللغة اليونانية. زد على ذلك، فكبار المثقفين والمبدعين، ولاسيما المتعلمين الأغنياء والأرستقراطيين، قد تعلموا في المدن المغاربية آنذاك وواصلوا دراستهم في المراكز والعواصم الحضارية الكبرى كروما وأثينا وقرطاجة ومادورا وكيرتا ولبتيس ماقنا ووليلي وغيرها. وهناك الكثير من هؤلاء برزوا في مختلف العلوم اللاهوتية والفلسفية والأدب والمسرح وغيرها وسأتناول البعض من هؤلاء.

المطلب الأول: الإنتاج الفكري الوثني

لقد أفرزت سياسة الرومنة الثقافية مبدعين مغاربة، فمن يتصفح ما كتبه هؤلاء ليندهش بلا ريب لما خلفوه في مجال الشعر والخطابة والبلاغة والقصص والتاريخ والفلسفة وغيرها، ومن أشهر هؤلاء الأعلام نذكر:

1- بلقاسم رحماني: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مرجع سابق، ص.ص 307-308.
2- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 78.
3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 252.

1- لوكيوس أبوليوس *Apuleius*: يعد من أشهر الكتاب المغاربة المولود بمادوروس في حوالي سنة 125م والمتوفى بقرطاجة في حوالي 170م[1]، انحدر من طبقة أرستقراطية[2]، تقلد والده مناصب الأعيان البلديين، تلقى دراسته الأولى فيها وتعلم اللغة اللاتينية، ثم واصل دراسته في جامعة قرطاجة[3] واستكمل ثقافته أثناء رحلاته التي قام بها في إيطاليا واليونان وآسيا الصغرى، وقد تأثر بالأفلاطونية في أثينا.

وبعد قضاء سنوات من الترحال، استقر بقرطاجة حيث بلغ الشهرة والمجد، ومارس مهنة المحاماة والطب فكان فيلسوفًا وعالم وخطيب وشاعر رومانسي[4]، وعرف بقريحته العجيبة ونبوغه وولعه بالنظر إلى الأشياء لمعرفة أسرارها، كان شغوفًا بالفلسفة وبكل مذاهب التصوف[5]، فقد قال عنه بيروني عن مبارك بن محمد الميلي: "**هو أكمل الرجال وأعظمهم فائدة في عصره، وأحسن وصف له وأصدقه أن تقول: هو رجل مخترع مؤسس لمبادئ كثيرة**".[6]

كان شاعرًا متنوع الأغراض والمقاصد يعالج جميع المواضيع وخاصة الفلسفية منها، ولقد احتفظ لنا ديوانه الشعري: "الأزاهير *Florides*" بثلاثة وعشرين قطعة من خطاباته تتفاوت طولاً. ويعترف أبوليوس فيها بأنه يتقن الفنون على اختلافها ومولعًا بكتابة المسرحيات التراجيدية والمسرحيات الكوميدية، معتمدًا في ذلك على اللغتين: الرومانية واليونانية إذ يقول: "**اعترف بأني أوثر من بين الآلات شق القصب البسيط؛ أنظم به القصائد في جميع الأغراض الملائمة لروح الملحمة أو فيض الوجدان؛ لمرح الملهاة، أو جلال المأساة. وكذلك لا أقصر؛ لا في الهجاء، ولا في الأحاجي؛ ولا أعجز عن مختلف الروايات، والخطب يثني عليها البلغاء؛ والحوارات يتذوقها الفلاسفة؛ ثم ماذا بعد هذا كله؟ إني أنشئ في كل شيء؛ سواء باليونانية أم باللاتينية؛ بنفس الأمل، ونفس الحماس، ونفس الأسلوب**".[7]

1- لوكيوس أبوليوس: المرافعة أو دفاع صبراتة، تر.: عمار الجلاصي، الكتاب الأول، أعده للنشر موحمد وُمادي، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، (د.ت)، ص 4.
2- أندري جوليان: مرجع سابق، ص 252.
3- Monceau (P.): Les Africains, Op.cit., P.267. Gsell (S.): Khamissa, Mdaourouch, Announa, T.II, Op.cit., P.34.
4- Ibid., P.26-27.
5- Monceau (P.): Les Africains, Op.cit., P.267-268.
6- مبارك بن محمد الميلي: مرجع سابق، ج1، ص 306.
7- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 252.

وكانت للفلسفة مكانة خاصة في نفسه، فقد ذكر في هذا الشأن في نفس التأليف: "... **هناك كلمة لأحد الحكماء تتعلق بالأدب، يقول فيها القدح الأول للعطش والثاني للمسرة والثالث للذة الجسدية والرابع للهذيان... لقد تعاطيت القدح الأول من عناصر الأدب فرفعني، وتعاطيت القدح الثاني من معلم اللغة فَزَودَني بالمعرفة، وتعاطيت القدح الثالث من معلم الخطابة والبلاغة، وعند هذا الحد يتوقف ما يتعاطاه أغلب الناس، ولكن أنا أفرغت في أثينا أقداحًا أخرى، قدح الشعر الممزوج، وقدح الهندسة الصافي، وقدح الموسيقى العذب وقدح المنطق الحامض إلى حد ما، وتعاطيت قبل كل شيء قدح رحيق الفلسفة العامة الذي لا ينضب معينه**".[1]

كما تباهى بكفاءاته في تنظيم الأشعار من كل نوع وأبيات مصحوبة بالقيثارة مع القوس، وبالربابة مع الأصابع.[2]

لقد كتب أبوليوس النوميدي مرة أخرى، والذي تأثر كثيرًا بالثقافة الرومانية واليونانية، أول رواية في تاريخ الفكر الإنساني، وهي رواية "المسوخ[*] *Métamorphoses*" المعروفة بـ "الحمار الذهبي"، في حوالي سنة 170م بقرطاجة في أحد عشر جزءًا. وتتخذ هذه الرواية طابعًا اجتماعيًا فانطاستيكيًا قائمًا على السخرية والنقد والامتساخ والتحول، والتعريض بممارسة السحر[3]، ويظهر فيها أن أبوليوس قد كتبها في فترة شبابه، حيث يعتذر عن قلة معرفته الجيدة للغة اللاتينية، والتي كانت قليلة الانتشار في المناطق الداخلية حسب رأي بعض الباحثين في تلك الفترة؛ وتروي هذه الرواية قصة شاب يدعى لوكيوس تحول إلى حمار بفعل ساحرة، عاش على إثرها عدة محن بفعل انتقاله من مالك إلى آخر قبل أن يعود إلى صورته البشرية. ونجح في أن يعطينا من خلال هذه الرواية صورة حية عن الحياة اليومية في الإمبراطورية الرومانية خلال القرن الثاني الميلادي، بالخصوص الوجه القبيح منها، كما يظهر لنا اهتمامات ونشاطات مختلف الأوساط الاجتماعية الرومانية.[4]

ويظهر كتابه المشهور: "في السحر *Magicae*" أنه دافع فيه عن نفسه بصلابة بعدما أتهم بممارسة السحر[5]، وهي مرافعة مطولة ألقاها أمام بروقنصل أفريقية كلوديوس

1- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 38.
2- محفوظ قداش: الجزائر في العصور القديمة، تر.: صالح عبّاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م، ص 209.
*- المعروفة بالتحولات كذلك.
3- محمد شفيق: مرجع سابق، ص.ص 83-84.
4- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 39.
5- محمد شفيق: مرجع سابق، ص.ص 83-84.

ماكسموس (حوالي 101-161م) دفاعًا عن نفسه من تهمة السحر التي حاول ورثة زوجته إميليا بودنتلا *Emilia Pudentella* إلصاقها به لكسب موافقة الزواج به، ويبدو من خلالها كخطيب بارع، حيث رد على كل التهم الموجهة إليه ببراعة وذكاء وسخرية في آن واحد، ومن ردوده على اتهامه بالجمال والبلاغة، قوله أن الطبيعة هي التي وهبته ذلك اعترافًا منها بموهبته. وقد حرر خطابه بعد ذلك في صيغة إيجابية، فأصبح يعرف بـ "الأبولوجيا *Apologie*".[1]

ولا يعني هذا أن رواية "الحمار الذهبي" لأبوليوس باعتبارها أول نص سردي ظهر في تاريخ الفكر الإنساني، لم يوجد مثله في الفكر اليوناني. بل إن أبوليوس يشير داخل متنه الروائي إلى مجموعة من النصوص السردية الروائية والقصصية والمستنسخات الحكائية الإغريقية التي تأثر بها. بيد أن تلك النصوص السردية اليونانية ضاعت ولم يصلنا أي شيء منها. لذا، يبقى نص أبوليوس في مجال السرديات بمثابة أول رواية كان لها إشعاع واسع.[2]

إضافة إلى ذلك فإن أبوليوس كانت له مقالات في الفلسفة، وترك كعالم كتابًا في علم الحساب تحت عنوان "*Arithmética*"، وآخر في علم الفلك بعنوان "*Astronomica*"، ومؤلفات حول الفلاحة ضاعت كلها، وأبحاث طبية[3]، في الفيزيولوجيا، حيث درس كثيرًا من الأمراض العصبية، وكان يعرف كل أعراض الصرع ويمارس التنويم المغناطيسي بإتقان إلى درجة اتهامه بالسحر، ودَوّن نتائجه التجريبية في كتاب تحت عنوان "*Medicinalia*".[4]

وله أيضًا مؤلفات حول الفيزياء واشتغل بدراسة الظواهر البصرية، لكن مؤلفاته هذه ضاعت، واهتم بالمسائل الطبيعية حول علم النبات والحيوان والمعادن، وله مؤلفات باللغتين اليونانية واللاتينية، ونشر كتاب ضخم بعنوان: "مسائل طبيعية" الذي عرض فيه تجاربه حول الأسماك الغريبة والأشجار.[5]

1- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 39.

2- جميل حمداوي: الحمار الذهبي لأبوليوس أول عمل روائي في الفكر الإنساني والأمازيغي، الحوار المتمدن، العدد: 1924، المحور: الأدب والفن، الرابط: *http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=97388*، تاريخ النشر: 2007/05/23م، تاريخ الإطلاع: 2015/08/02م.

3- محفوظ قداش: مرجع سابق، ص 209. Monceau (P.): Les Africains, Op.cit., P.P.281-282

4- Monceau (P.): Les Africains, Op.cit., P.282.

5- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية، تر.: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف الجزائر، 2001م، ص.ص 10-26. بوغرارة وفاء، مرجع سابق. محمد شفيق: مرجع سابق، ص.ص 100.

ولعل الكتاب العلمي الوحيد الذي عثر عليه هو كتاب "العالم *De Mundo*"، ويصنفه أغلب المؤرخين ضمن الكتب الفلسفية، حيث يصف فيه السماء والنجوم والمحيطات ومجموعة من الظواهر الطبيعية.(1)

وكُتُبًا عديدة فقد لخص فلسفة أفلاطون وبسّط نظريات مختلف المدارس الفلسفية في كتاب "عقيدة أفلاطون *Doctrine de Platon*"، وكتاب "دراسة العالم *Traité du Monde*"، ولم يقتصر على التبسيط والتلخيص بل قدم في كتاب حول "إله سقراط *le Dieu de Socrate*"، الذي كان عرضًا معمقًا لنظرية الجان مبرهنًا عن مقدرة فائقة في الإلمام بنظريات مختلف المدارس الفلسفية، وتوظيفها للبحث في مسائل جوهرية كمسألة العلاقة بين البشر والآلهة وفي بحثه هذا انعكاس لتطلعات الفكر الديني في تلك الفترة، وصدى الاهتمام بأعوص القضايا كقضية الوحدانية الإلهية، أي صدى الاهتمام بأقطاب الوثنية ومفكريها بالمسائل اللاهوتية.(2)

يعتبر لوكيوس أبوليوس نموذجًا ممتازًا عن المثقف المغاربي، غير أن النقاد لم يهتموا بمؤلفاته المختلفة الأدبية والفلسفية والعلمية إلا ابتداءً من القرن التاسع عشر للميلاد، في حين تجاهله المثقفون المغاربة المعاصرون.(3)

2- تيرينتيوس آفر *Terentius Afer*: ولد على الأرجح في سنة 190ق.م وإن ذكرت بعض المصادر 185ق.م، ومات أثناء رحلته إلى اليونان لجلب المزيد من المؤلفات سنة 159ق.م، ويعتبر من كبار المثقفين المغاربة في مجال الشعر والمسرح باللغة اللاتينية، وهو من أصل أفريقي وقرطاجي المنشأ، سباه الرومان في معاركهم على القرطاجيين، فحملوه معهم إلى روما كعبد، ثم تسمى باسم سيده تيرينتيوس لوكانوس عضو مجلس الشيوخ بروما الذي تكلف برعايته منذ طفولته، ثم رباه تربية أرستقراطية نبيلة إلى أن صار شابًا بالغًا وعتقه، وتضلع في معارف زمنه واغترف من الثقافتين: الرومانية واليونانية، وأصبح عَلَمًا بارزًا في ميدان المسرح والدراما(4)، واتخذ الكوميديا الإغريقية الحديثة نموذجًا له، وقد عالج في مسرحياته مواضيع التربية والأسرة والحرية بأسلوب مهذب، فقد اعتمد في معالجة

1- عبد السلام بن ميس: مرجع سابق، ص.ص 113-114.
2- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية، تر.: أبو العيد دودو، مصدر سابق، ص.ص 10-26. بوغرارة وفاء، ص 100.
3- عبد السلام بن ميس: مرجع سابق، ص 111.
4- ترنس الأفريقي: الأعمال المسرحية الكاملة (فتاة أندروس/أو الأندرية)، مصدر سابق، ص 4.

المواضيع التي تناولها على اللباقة وتحليل عواطف المشاهدين، ما جعله محبوبًا لدى الطبقة الأرستقراطية الرومانية.(1)

أما بالنسبة لحياته الفنية فقد وصلنا أفضل مصدر وأوثقه، ألا وهي ست مسرحيات مشهورة في الأدب الروماني باللغة اللاتينية، كان يُطْلِعُ الجمهور بواحدة منها في كل سنة ما بين (166-160ق.م) أثناء المهرجانات التي كانت تعرض في روما، ومن أهم مسرحياته الست: "الأخوان *fratres*"، و"معذب نفسه *Meus Carnifex*"، و"الخصي *Eunuchus*"، و"الحماة *Hecyra*"، و"فورميو *Phormio*"(2)، و"فتاة أندروس *Andria*" التي عرضت لأول مرة سنة 166ق.م.(3)

زد على ذلك، فقد طارت له شهرة كبيرة دفعة واحدة، ونال الجوائز؛ فحسده الحساد، واتهموه بالسرقة الأدبية، فدافع عن نفسه بما كان له من قوة، وهو صاحب المقولة الشهيرة: "**أنا إنسان لا يخفى عني أي شيء مما هو إنساني**"، ومن شدة إفراطه في حب الأدب مات تيرينتيوس ببلاد اليونان حزنًا، بعد أن ضاعت مخطوطاته العديدة والمتنوعة في البحر.(4)

3- يوبا الثاني *Juba II*: تبوأ يوبا الثاني (أنظر الشكل رقم 57، ص 173) مكانة سامية على مسرح التاريخ كملك عالم مثقف، قلما نجد مثله في العالم القديم، ولد بـ "زاما الملكية" ابن يوبا الأول، عاش ما بين 52ق.م وتوفي في 24م، عاش غريبًا عن وطنه ردحًا من الزمن في روما، تربى فيها على يد أخت أوكتافيوس في ظل حياة أسرة عمها الرخاء، تزوج بكليوباترا سليني، وسمح أغسطس لنفسه بإرجاع المملكة النوميدية إلى يوبا الثاني، لأنه كان يعتقد أن التربية التي حصل عليها في صغره وتأثره بالثقافة اللاتينية يُعَدّان كضمان لإخلاصه لروما.(5)

ويعد يوبا الثاني من أكثر المثقفين المغاربة اهتمامًا باللغات والفيلولوجيا(*) التاريخية والاشتقاقية، فكان يبحث في مصادر اللغة اللاتينية، ويرجع كلماتها إلى أصولها اليونانية

1- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 23. وقد كانت أعماله مصدر الإلهام الرئيسي للكوميديا الغربية، وخاصة الفرنسية والإنقليزية منها حتى القرن التاسع عشر. نفس المرجع.

2- أحمد عتمان: مرجع سابق، ص.ص 59، 65.

3- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 23.

4- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 83.

5- أحمد السليماني: مرجع سابق، ص 179.

*- **الفيلولوجيا *Philology*:** علم يُعْنى بدراسة مفردات اللغة وتراكيبها، على وجه من الشمول يستوعب دلالات الألفاظ والأصوات اللغوية والمقارنات بين اللغات من حيث خصائصها المميزة لها وغير ذلك من المباحث. أنظر: الموسوعة 2015، الفيلولوجيا، فقه اللغة، الرابط: *http://ency.kacemb.com*، تاريخ الاطلاع: 2015/09/13.

اعتمادًا على الاشتقاق، وكان مقتنعًا أن اللاتينية كانت من قبل هي الإغريقية، ولكن اعتراها شيئًا فشيئًا التحريف بسبب اختلاطها باللغة الإيطالية، واجتهد في الكشف عن الأصول اليونانية للكثير من الألفاظ اللاتينية، وكان يحب جمع الألفاظ الآتية أو التي قيل إنها أتت من اللغات الأجنبية، وذكر ستيفان ڤزال أنه يحتمل أن يكون بلين *Pline* قد نقل عنه الألفاظ المستعملة عند سكان بلاد المغرب القديم[1]، ومن أهم كتبه في مجال اللغويات، نذكر كتاب "التحريف في اللغة"، والذي بحث فيه عن التحريفات اللغوية والدلالية التي تعتري معاني الكلمات.[2]



الشكل رقم (57): رأس من البرونز ليوبا الثاني، **نقلاً عن:**
– متحف الرباط الأثري، الرابط: *http://www.fnm.ma/musees*، تاريخ التحميل: 2015/08/19م.

كما يعتبر موسوعيًا يُعنى كثيرًا بالبحث العلمي استقراءً واستقصاءً، ويشتغل في مختلف الميادين والمجالات العلمية المتنوعة، اعتمادًا على مكتبته الخاصة الزاخرة بالكتب الثمينة والنادرة، وكانت له بعثات علمية يرسلها إلى مختلف مناطق العالم لتقصي الحقائق العلمية والفكرية والفنية وحتى اللغوية[3]، كالبحث عن أصل النيل وعن جزر الكناري، والبحث في الكتب البونية.[4]

واهتم بالمعارف العلمية أيضًا التي تتعلق بالطبيعة والتاريخ والجغرافيا والفلك والرياضيات وغيرها[5]، وعلى غرار الكثير من المثقفين المغاربة، فقد كتب موسوعة علمية في ثلاثة أجزاء تحت عنوان: "ليبيكا *Lybica*"، تتعلق باستعراض عادات المجتمع المغاربي

1- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.P.252-253. Gsell (S.): Juba II, savant et écrivain, Op.cit., P.170.
2- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.261.
3- Ibid., P.261.
4- Ibid., P.P.255-256.
5- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.273.

وتقاليده ولغته وثقافته وبيئته، وكان يوبا في مؤلفه هذا يقتبس من رحلة حانون[1]، ومن الطريف أنه أشار في كتابه هذا إلى قصة "الأسد الحقود" التي لا تزال تروى من قبل الجدات في بوادينا وباللغة الأمازيغية على أحفادهن في ليالي السمر، ما يشير إلى أن المبدعين المغاربة كانوا السباقين في مجال السرديات بصفة عامة بما فيها القصة أو الحكاية، وفي ذلك دلالة على أن الأدب الشفوي قد يحفظ خير من المدون.[2]

ولا يعرف من مؤلفات يوبا الثاني سوى تسعة عناوين، ولا شك أنه نشر كثيرًا منها، ولم يصلنا أي واحد منها. ولكن بقيت لنا منها مقتطفات كثيرة بفضل الاستشهادات المروية عنه بنصها إلى حد ما، والمبعثرة في كتب مختلف المؤلفين، مثل: بلين، وبلوتارك، وأثيني وغيرهم. والحق أن جل هذه المقتطفات قصيرة جدًا، تُعسر معرفة الكتاب الذي أخذت الفقرة منه، عندما ينعدم ذكر المرجع.[3]

بالإضافة إلى مؤلفات أخرى نذكر منها: "موسوعة الموسيقى الضخمة"، وكتاب "تاريخ روما" و"الأركيولوجيا الرومانية"، وقد تحدث في أحدهما عن السكان الأوائل لإيطاليا والآخر عن حرب نومانس *Numance* بأسبانيا، وكتاب "الأشباه"، و"مختصر الآشوريين"، ورسالة صغيرة عن نبات أوفورب، وكتاب عن "فن الرسم أو الرسامين"، و"تاريخ المسرح" وغيرها، ودراسات تخص الإثنوغرافيا[*]، كما خصص كتابًا آخر لتاريخ وجغرافية بلاد العرب سماه: "آرابيكا *Arabica*"[4]، وصف فيه البلاد العربية، ووصف البلاد الواقعة أقصى الشرق منها، من بلاد الهند فذكر عادات شعوبها المختلفة، فمثلاً في وصفه لباس هؤلاء فقد ذكر أن بعضهم يرتدون لباسًا من الكتان وآخرين يرتدون لباسًا من الصوف والبعض الآخر عراة، بالإضافة إلى أكلهم فمنهم من يأكلون لحوم الحيوانات وآخرين يأكلون الأسماك وغيرها.[5]

1- Gsell (S.): Juba II, savant et écrivain, Op.cit., P.182.

2- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 80.

3- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.P.261-263.

*- **الإثنوغرافيا *Ethnographie*:** مشتقة من الكلمة اليونانية (*Ethnos*) وتعني العرق والجنس، وهو علم الإنسان الوصفي، يعتمد على منهج البحث الوصفي أو المسح، معتمدًا على الملاحظة المباشرة، من أجل تحليل وتفسير مختلف الظواهر الإنسانية أو التنبؤ بما سوف تؤول إليه المجتمعات البشرية. وهو كذلك علم وصفي يتمثل في ملاحظة وتحليل المجموعات الإنسانية التي تتناولها في خصوصيتها، أنظر: التونسي الزواري: مرجع سابق، ص 16. وهو كذاك علم وصف الشعوب وتركز على التقاليد والعادات والأعراف والفلكلور والمعتقدات. محمد العربي عقون: الإثنوغرافيا "الاستعمارية"، شار فيرو نموذجًا، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية، العدد: 28، أفريل - جوان 2005م، ها. 3، ص 56.

4- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.264-267.

5- أحمد السليماني: مرجع سابق، ص 186.

وعليه، فيوبا الثاني حسب شارل أندري جوليان كان يحسن اللغات اليونانية واللاتينية والبونية، وكان في تآليفه آخذًا من كل شيء، فلم يبق تقريبًا أي علم من علوم ذلك الزمان غريب عنه، وكان في إمكانه أن يكتب في كل موضوع بفضل مكتبته الثرية ونساخه الذين لا يعرفون التعب، إلى أن مؤلفاته لم تبق من بعده.[1]

لذلك كان قد نال إعجاب وتقدير معاصريه بمساهماته الفكرية، ويرى بلوتارك[*] *Plutarque* أنه أكبر مؤرخ ضمن الملوك في العالم القديم[2]، وأكثر الأدباء المغاربة طرفًا ورهافة حس[3]، ويعد من أكبر المؤرخين الأكثر علمًا ودراية لدى الإغريق. ومن شدة إعجاب أهل أثينا في اليونان بفكره ومساهماته في عالم المعرفة الإنسانية[4]، شرفوه آنذاك بنحت تمثال له ووضعوه أمام الخزانة الرسمية لمدينة أثينا القديمة، ثم منحوه الجنسية اليونانية، وقد حقق لأول مرة في تاريخ السياسة ما يسمى بالمدينة الفاضلة التي طالما حلم بها أفلاطون، مدينة على عرشها فيلسوف يُساعده في تسيير شؤونها مجموعة من الفلاسفة الفلاسفة، فلا غرابة في أن يتلقى كل هذه التقديرات من طرف أعرق مركز حضاري قديم (أثينا).[5]

4- أوفوربوس: يعتبر من أهم العلماء المغاربة في المجال العلمي، الذي اشتهر في مجال الطب والصيدلة، وكان طبيب يوبا الثاني، وقد اكتشف دواء ضد السموم، قادرًا على تنشيط الفكر وترويح النفس[6]، ويذكر ستيفان ڤزال هذا الاكتشاف بأن أوفورب طبيب الملك (يوبا الثاني) كان يَتَنَقّلُ في جبال الأطلس، فعثر على نبات له خواص عجيبة، إذ كانت الخلاصة أو العصارة التي يشتمل عليها هذا النبات تقوي النظر وتعطل مفعول سم الحيات والسموم الأخرى، فسر الملك بهذا الاكتشاف، وأطلق على النبات اسم أوفورب[7]، وقد يكون نفس

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 173.

*- بلوتارك *Plutarque*: باليونانية بلوتارخوس (46-120م) مؤرخ وناقد يوناني مشهور، يعتبر من أعلم مؤرخي السير والتراجم في العالم القديم. كتب سير متوازيه، وعمل فيه مقارنات بين الشخصيات اليونانية وبكل موضوعيه ونزاهة، كتب مقارنات ومقالات أخلاقية. انظر: أحمد عتمان: كليوباترا وأنطونيوس دراسة في فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي، المركز العربي للبحث والنشر، 1985م، ص 8.

2- Gsell (S.): Juba II, savant et écrivain, Op.cit., P.169.

3- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 80.

4- أحمد السليماني: مرجع سابق، ص.ص 179، 188. Gsell (S.): Juba II, savant et écrivain, Op.cit., P.169

5- عبد السلام بن ميس: مرجع سابق، ص 41.

6- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 82.

7- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.268.

العشب الذي ذكره بلين القديم، حيث أشار إلى أن المغاربة يتناولون عشبًا يمدهم بالقدرة على تحمل لسعات الثعابين.[1]

5- فرونطون الكيرتي: وهو كورنيليوس فرونطون *Cornrlius Fronton* الخطيب والقنصل، ولد في مطلع القرن الثاني للميلاد بكيرتا وفيها قضى طفولته، وتلقى فيها تعليمه الأولي والثانوي، ثم انتقل إلى قرطاجة أين تلقى تعليمه العالي، وهو من عائلة كيرتية موسرة، ويبدو أنها راسخة في الرومنة ولم تنسى انتماءها الأفريقي، وقد عبّر عن أفريقيته في إحدى رسائله الإغريقية، وقال بأنه ليبي أي أنه أفريقي أصيل، حسب ما ذكر على أنه: "**ليبي من بين الليبيين النوميد**"، وكان الأكثر براعة في البلاغة من بين الذين أنجبهم القرن الثاني الميلادي، وكانت البلاغة أثمن شيء عنده، فكان لا يرى شيئًا أهم من كتابة خطاب بعبارات بليغة وأصيلة تثير إعجاب العارفين وتخدم الحقيقة والحق.[2]

فكان قد بزغ نجمه في زمن كانت البلاغة أحسن وأهم جنس أدبي في عموم بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، ويعتبر من أساتذة البلاغة المشاهير، لذلك لقب بشيشرون الثاني، كما تقلد سامي الوظائف في الدولة الرومانية ونال أعلى الرتب، وقد خلد حفيده أوفيدوس فرونطون *Aufidus Fronton* ألقابه ورتبه في نص منقوش[3]، فقد كان أستاذ إمبراطوري وكلفه الإمبراطور أنطونيوس بيوس بتلقين البلاغة اللاتينية للأميرين ماركوس أوريليوس ولوكيوس ويروس.[4]

اختار فرونطون روما لتكون مسرحًا لإبداعاته الخطابية، ولم ينسى وطنه الأم الذي عبر فيه العديد من المرات عن تعلقه به وأشاد بمناخه الصحي، وتوالى العديد من المناصب، فقد كان حاكم على مدينة كالاما وذلك ما دلت عليه نقيشة عثر عليها في المدينة

1- هاينريش فون مالتسان: مرجع سابق، ص 47. ذكر نفس الكاتب أنه وجد الناس (فرق عساوة) في قسنطينة يأكلون الثعابين، وقد قال أن سولينوس *Solinus* قال: **"لا يعيش الناس إلا من لحوم الثعابين"**، كما تحدث الشاعر الروماني سيليوس إيتاليكوس *Silius Italikus* عن مهارة الأفارقة في اللعب بالثعابين السامة، ويصفهم بطريقة تجعلنا نتصور أننا نرى فيهم عساوة الحاليين. للمزيد أنظر نفس المرجع.

2- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 349.

3- وقد خلد حفيده أوفيدوس فرونطو *Aufidus Fronto* ألقابه ورتبه في نص منقوش وهو: " *Cornelius Fronto, Orator, Consul, Magister imperatorum Luci et Antonini*". محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 349. "*Orateur, consul, maitre de deux empereurs*". Monceau (P.): Les Africains, Op.cit., P.211

4- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص.ص 250-251. Monceau (P.): Les Africains, Op.cit., P.214

مؤرخة في سنة 143م، وأقام له سكان المدينة تمثالاً اعترافًا له، وأخر وظيفة تولاها واعتبرها نفيًا هي وظيفة بروقنصل في آسيا الصغرى.[1]

من أهم أعمال هذا الخطيب "المراسلات *Epistolae*"، وهي أشهر آثاره، كتبها في فترتين مهمتين من حياته الأولى ما بين 139-145م، وهي الفترة التي كان يقوم فيها بوظيفة معلم ومربي ماركوس أوريليوس، والثانية ما بين 161-165م أي في مرحلة تقدمه في السن، هذه المراسلات تتكون من خمسة كتب عبارة عن مراسلات إلى ماركوس أوريليوس وهو ولي للعهد وكتابان له وهو في منصب الإمبراطور، وكتابان إلى لوكيوس ويروس *L. Verus* وهو في منصب الإمبراطور أيضًا، وكتاب واحد إلى الإمبراطور أنطونين الورع، وكتابان عبارة عن رسائل عائلية بعنوان "الأصدقاء *Ad Amicos*"، وأخيرًا بعض الرسائل باللغة اليونانية موجهة على الخصوص إلى أبيان وإلى الإمبراطورة فاوستين زوجة أنطونين.

بالإضافة إلى "مقتطفات من الخطب" وهي مرافعات من أجل القرطاجيين والبيثونيين *Bithyniens*، و"مقتطفات من دراسة في فن البلاغة والخطابة"، وكلاهما كانت مهداة إلى الإمبراطور ماركوس أوريليوس، ودراستان في التاريخ مهمتان، كانت الأولى عن حرب الفرثيين *Parthes* والثانية بعنوان "مبادئ التاريخ عن حملة ويروس على الشرق".[2]

وأخيرًا "الدخان والغبار" المهدى إلى ماركوس أوريليوس، و"الإهمال" و"مغامرات أريون" وبعض الأشعار و"عطل ألسيوم" في شكل رسائل إلى نفس الإمبراطور، و"فقدان حفيدي" وهي عبارة عن نص رد فيه عن رسالة تعزية من الإمبراطور.[3]

كما أنجبت بلاد المغرب القديم عددًا من الشعراء؛ لا تزال أعمالهم خالدة إلى اليوم، وساهموا في إبراز قدرة المغاربة على الإبداع، ومن بينهم الشاعر نيمزيانوس (*Marcus Aurelius Olympius Nemesianus*) الذي ولد وعاش في القرن الثالث الميلادي بمدينة قرطاجة، وترك لنا ثلاث قصائد ذات طابع علمي تربوي تتمثل في "الصيد *Cynégétique*" و"الصيد البحري *les Halieutiques*"، وقصيدة ثالثة بعنوان: "الملاحة البحرية *la Nautique*".[4]

1- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 350.
2- المرجع نفسه، ص 351.
3- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
4- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 27-28.

أما في القرن الخامس الميلادي فقد برز الشاعر مارسيانوس كابيلا *Martianus Capella*، الذي يظهر من عبارة أفر القرطاجي *Afer Carthacinensis* التي تتبع اسمه أنه من قرطاجة، ولد وعاش في قرطاجة، وترك لنا قصيدة طويلة تتكون من تسعة أجزاء بعنوان: "زواج فلولوجيا وماركور *les noces de Philologie et de Mercure*"، تناول في الجزأين الأولين منها زواج فيلولوجيا التي تمثل حب العقل ومركور الذي يمثل الكلمة والعقل، وتقديم مركور إلى زوجته هدية تتمثل في سبع خادمات هن الفنون السبعة: النحو والجدلية والخطابة، والهندسة والجبر، والموسيقى وعلم الفلك.[1]

ومن الشعراء الذين كان لهم باع كبير في مجال الشعر نذكر: منيليوس الذي اشتهر بقصائده الشعرية في تناول مواضيع ميتافيزيقية تتعلق بمعرفة الغيب بالاستناد إلى الطالع، وكانت منظوماته الشعرية تجمع بين الأسلوب الخطابي والتدفق الحماسي. أما الخطيب والفيلسوف الرواقي كرنيتوس، الذي أسس بروما مدرسة له ليشرح فيها تلك الفلسفة الأخلاقية القائمة على نشدان القيم والفضيلة الكاملة، وأصبح شيخًا في عهد الأباطرة كلوديوس ونيرون.[2]

وهناك أيضًا الخطيب فلوروس *Publius Annaeus Florus* (140/70م) المغاربي الأصل[3] الذي كان يكاد أن يجن إن لم يحرز على جائزة الشعر في مهرجانات الكابيتول، ثم أصبح من أشهر خطباء روما زمن الإمبراطور هادريانوس[4]، ثم تحول إلى التأريخ فألف كتاب "مختصر تاريخ الرومان"، تناول فيه نشأة روما منذ عهودها الأولى حتى سنة (9م)، ومن أشهر ما كتبه أن تاريخ الإمبراطورية مثل الإنسان، فهي تمر بعدة مراحل من الولادة إلى الشيخوخة.[5]

والفيلسوف ماكروب *Flavius Macrobius Ambrosius Theodosius*، ولا يعرف عنه سوى أنه ولد في حوالي سنة 370م بمدينة سيكا فنيريا (الكاف)، وقد تولى مسؤوليات عليا في الإدارة الرومانية، وترك مؤلفين هما: كتاب "ساتورنال *Convivi primi*

1- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 28.
2- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص.ص 250-251.
3- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 33.
4- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص.ص 250-251.
5- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 33.

Commentarium in ciceronis و"تعليق على أحلام سكيبيو *dici saturnaliorum*"، *somnium Scipionis*".[1]

بالإضافة إلى مفكرين وعلماء مغاربة أمثال: سبتيموس سيفيروس (193-211م) الذي تلقى دراسته الأولية في مدارس مدينة لبتيس ماقنا، وواصل تحصيله في روما حيث تعلم اللغة اللاتينية وترقى من الكتابة والقراءة إلى تفسير النصوص والتدرب على الجدل والخطابة، وأصبح خطيبًا فصيحًا، وهو جد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس[2]، الذي قال عنه الشاعر اللاتيني يوفينال *Juvénal* منذ القرن الأول للميلاد ينصح خطيبًا وُلد في روما أن يذهب إلى الضفة الأخرى للمتوسط بحثًا عن الحظّ قائلاً: "**إنّ أفريقيا هي الأرض التي أنبتت المحامين والفصحاء مثل سبتيموس سويروس وفلوروس**"[3]، كان قليل الكلام لكنه قوي الحجة تغلب عليه اللكنة الليبية عندما يخطب باللغة اللاتينية[4]، وكذا بوكليوس *Poculios* من أعلام الفكر المغاربي القديم، ومارتيانوس كبيلا الذي ألف موسوعة نصفها منظوم والآخر منشور في أوائل القرن (5م)[5]، وغيرهم من هؤلاء المفكرين الذين برعوا في ميدان التأليف العلمي والأدبي باللغة اللاتينية.

وهكذا، يتبين لي أن المتقفين المغاربة قد تأثروا بسياسة الرومنة الثقافية، ولعل ما يثبت ذلك إنجازاتهم وإسهاماتهم العلمية الزاخرة في كل ميادين المعرفة الإنسانية خلال مرحلة الاحتلال الروماني وبلغة المستعمر.

المطلب الثاني: الإنتاج الفكري المسيحي

عُرف المغاربة بتدينهم الشديد اللافت للانتباه، وتمسكهم الكبير بعقائدهم التي نشأوا عليها، وفي هذا ذكر ستيفان قزال أن المغاربة في غالبيتهم متدينون، ويشعرون أن لهم رسالة، ويدافعون عن معتقدهم بشدة وحمية، وتشهد بذلك على الخصوص تلك السلسلة الطويلة من الفتن والحروب التي دارت رحاها خلال القرون الأخيرة من عصور التاريخ القديم.[6]

1- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 36.
2- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مرجع سابق، ص 20. Monceaux (P.): Les Africains, Op.cit., P.388
3- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 349.
4- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مرجع سابق، ص 20.
5- الحسن السائح: مرجع سابق، ص.ص 108-109.
6- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VIII, Op.cit., P.225.

وبعد انتشار الديانة المسيحية في بلاد المغرب القديم، عرفت الكنيسة الأفريقية العديد من الكتاب المشاهير، الذين تسلحوا بعلوم الدين والمنطق والفلسفة والجدل والمناظرة، وجعلوا من اللغة اللاتينية اللغة الرسمية لكل الغرب المسيحي[1]، وكانوا السباقين الأوائل الذين وضعوا أول المؤلفات المسيحية بهذه اللغة[2]، ومن بين هؤلاء اللاهوتيين، نذكر:

1- ترتوليانوس *Tertullianus*: وهو مؤسس الأدب النصراني اللاتيني، ولد بقرطاجة في أسرة وثنية في 155م أو 160م وتوفي في حوالي 225م وهو ابن رئيس سرية تابعة لفيلق البروقنصلية[3] (قائد المائة)، ولد بقرطاجة من والدين وثنيَين، تلقى دروسًا رفيعة المستوى وتبحر بنوع خاص في القانون، وذلك ما سيظهر في مؤلفاته اللاهوتية، يعتقد أنه مارس مهنة المحاماة في روما، حيث أقام فيها فترات طويلة، وكانت له فيها شهرة واسعة.[4]

اهتدى إلى المسيحية في حوالي سنة 193م، واستقر بعد ذلك في قرطاجة[5]، وتخلى عن الديانة الوثنية واعتنق الدين المسيحي وتحمس له تحمسًا شديدًا، ودافع عنه أيما دفاع، فوقف في وجه الكنيسة الرومانية الداعية إلى الاستغلال، وتكريس التفاوت الطبقي، وذلك في كتابه: "دفاعًا عن الدين *Apologeticus*" الذي صدر في سنة 197م[6] فكان أول من كتب هذا النوع باللغة اللاتينية بعدما كتب سابقه باللغة اليونانية[7]، وكان موجه للساسة الرومان والطبقة المثقفة الرومانية، للرد على تهمهم الموجهة ضد المسيحيين، ومستنكرًا الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له بتهم خيالية.

وكتاب "للأمم *Ad nationes*"، أبرز فيه مصداقية الديانة المسيحية، وفي نفس الوقت سَخِر فيه من الوثنيين وأساطيرهم وآلهتهم وقوانينهم، كما دعاهم إلى المحبة والتآخي مع البشر بقوله: "**نحن إخوانكم بحكم الطبيعة**"[8]. كما حرض الشباب المغاربة على التخلص من الخدمة العسكرية في الجيش الروماني كما أشرنا ذلك سابقًا. وقد تناول تارتولي في كتابه

1- Gsell (S.): L'Algérie dans l'antiquité, Op.cit., P.92.

2- إ.س. سفينسيسكا: مرجع سابق، ص 153.

3- ترتوليانوس: المنافحة أو الدفاع عن التوحيد، تر.: عمار الجلاصي، ج1، أعده للنشر موحمد وٍمادي، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، 2001م، ص 4. شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 258.

4- المطران كيرلس سليم بسترس وآخران: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسية، ط1، بيروت لبنان، 2001م، ص 328.

5- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

6- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 83.

7- ترتوليانوس: المنافحة أو الدفاع عن التوحيد، مصدر سابق، ص 4.

8- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 40.

مجموعة من القضايا الخلقية في ضوء العقيدة المسيحية الجديدة، حيث كان يدعو إلى العفة والأخلاق الفاضلة، ويحارب اليهود وأهل البدع الضالة والمنحرفة.[1]

بالإضافة إلى الكتاب المذكور آنفًا فقد ألف العديد من المؤلفات نذكر منها: "إلى الوثنية *Ad nationes*"، الذي كتبه حوالي سنة 197م، وقد دافع فيه عن الإله الواحد ويدافع فيه بمحبة عن المسيحية، و"في شهادة النفس *De testimonio animae*" الذي كتب في نفس السنة، ويرد فيه على السفسطائيين ويستدعي الحكمة الشعبية، وهو يعتقد بوجود الإيمان بالله الواحد لدى أقدم الشعوب، ويتهم التربية بإفساد الحس الديني لدى الإنسان، وقد أراد أن يقدم برهانًا نفسيًا عن الله.[2]

وكتاب "إلى الشهداء *Ad Martyres*" كتب سنة 197م الذي يتوجه فيه إلى موعوظين محكوم عليهم ومسجونين[3]، وكتاب "الرد على اليهود *Adversus Judaeos*" الذي كتب بين سنة 200م و206م، ويصور لنا فيه مجادلة بين مسيحي ويهودي اعتنق اليهودية حديثًا دامت نهارًا كاملاً، ويثبت فيه أن شريعة موسى ليست ضرورية للخلاص، ما دام هناك شريعة جديدة قد أتت[4]، وانتقدهم انتقادًا لاذعًا، واتهمهم بإثارة الفتن والأحقاد بين الوثنيين وقيامهم بحرب غير معلنة على المسيحيين، وتحريضهم السلطة الرومانية والوثنيين عليهم.

كتاب "في تقادم الهراطقة *de prescriptione*" المؤلف في حوالي 200م، وهو عمل رجل قانون ودرس فيه دراسة شاملة للهرطقة واعتبرها بأنها بالاختيار غير المشروع[5]، وهاجم من خلاله مع مجموعة من المؤلفات الهراطقة، منها: كتاب "ضد ماركيون *Adversus Marcion*" و"ضد هرموجان *Adversus Hermogenem*" الذي اتهمه بالوقاحة والهذيان إذ قال فيه: "**كان يخلط بين الفصاحة والهذيان وبين الوقاحة والحزم**".[6]

كتاب آخر بعنوان: "إلى سكابولا *Ad Scapulam*"، كتب في أواخر سنة 212م، يتوجه فيه إلى القنصل الأفريقي سكابولا، الذي كان قد سلم مسيحيين إلى الوحوش وأحرق بعضهم، فينذره بالعقاب الإلهي، ويطالب فيه بالحرية الدينية.[7]

1- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 83.
2- المطران كيرلس سليم بسترس وآخران: مرجع سابق، ص.ص 331-332.
3- أنظر: المرجع نفسه، ص.ص 333-345.
4- المرجع نفسه، ص.ص 331-332.
5- أنظر: المطران كيرلس سليم بسترس وآخران: مرجع سابق، ص.ص 333-345.
6- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 40.
7- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إضافة إلى كتاب "في جسد المسيح *de carne Christi*" كتب في حوالي 211م، و"في قيامة الجسد *de resurrectione carnis*" كتب في حوالي 212م، و"في الهرب في أثناء الاضطهاد *de fuga in persecutione*" كتب سنة 212م[1]، بالإضافة إلى "الصبر *de patienta*" و"إلى زوجتي *ad uxorem*" و"زينة النساء *de cultu feminarum*" و"وشاح العذارى *de virginibus*"، والتي حث من خلالها المسيحيين على التحلي بالأخلاق الفاضلة، والحرص على ضبط النفس والعفة، ونصح النساء بعدم التبرج، إلى جانب ترجمته للكتاب المقدس "العهد الجديد *le nouveau testament*" وللأول مرة باللغة اللاتينية، كما يعد أحد أهم واضعي علم اللاهوت.[2]

وبصفة عامة تنقسم كتابات ترتوليانوس إلى مجموعتين: الأولى كتبها عندما كان كاثوليكيًا، والثانية عندما اعتنق المذهب المونتاني في حوالي 207م، ويبرز من خلالها بحماسه واندفاعه المفرط في الدفاع عن أفكاره[3]، وقد قال عنه شارل أندري جوليان: "**بربري متنصر ولكنه لم يزل محتفظًا – إلى جانب ما انطبع فيه من روح المسيحية – بأهواء البربري وصلابته ونفوره من النظام**".[4]

2- مينوسيوس فيليكس *Minicius Félix*: العالم اللاهوتي الذي برز في نفس الوقت الذي برز فيه ترتوليانوس، ويستنتج من كتاباته أنه ذو أصل أفريقي، فقد ذكر في أكثر من موقع بلاد المغرب القديم وماضيها وآلهتها[5]، وألف كتابًا بعنوان "*Octavius*"، وهو عبارة عن حوار يدافع فيه الكاتب عن المسيحية ضد الاعتراضات المألوفة الموجهة ضد هذا الدين الجديد في تلك الفترة، على لسان مسيحي يدعى أوكتافيوس جانواريوس *Octtavius Januarius*، وقاض وثني يدعى كايكليوس نتاليس *Caccilius Natalis* من مدينة أوستيا، ولعب فيه الكاتب دور الحكم بينهما، وفي آخر الأمر يُوَفق المسيحي في إقناع محدّثه بمبادئ المسيحية.[6]

1- أنظر: المطران كيرلس سليم بسترس وآخران: مرجع سابق، ص.ص 333-345.
2- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص.ص 40-41.
3- المرجع نفسه، ص 41.
4- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 258.
5- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 41.
6- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 263. محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 42.

ويشبه فليكس في طريقة تقديم البراهين ما كتبه ترتوليانوس في كتاب "دفاع عن الديانة"، ما جعل البعض يعتقد بأنه اقتبس أفكاره من ترتوليانوس، والبعض الآخر يرى العكس.

3- كيبريانوس: وهو القديس كيبريانوس *Caccilius Cyprianus Thascius*، الذي برز في منتصف القرن الثالث الميلادي، وكان له الدور الفعال في نشر الديانة المسيحية وترسيخها في بلاد المغرب القديم وفي كل غرب الإمبراطورية الرومانية، ولد في نهاية القرن الثاني، أو بداية القرن الثالث ميلادي بمدينة قرطاجة في أسرة أرستقراطية وثنية[1]، في حوالي سنة 200 أو 210م، كانت أسرته غنية ومثقفة، فتبع دروسًا جيدة وصار خطيبًا لامعًا، ومعلم بلاغة[2] ومحاميًا؛ تأثر بالقس كاسيليانوس وتحول إلى المسيحية فجأة في حوالي 245م، فقام بتوزيع جزء من أمواله على الفقراء، وقد قال: "**إن نفحة ربانية نزلت من السماء فأحيته حياة ثانية وجعلت منه رجلاً جديدًا**".[3]

ونظرًا لثقافته الواسعة تقلد مهام الكنيسة القرطاجية بين نهاية سنة 248م وبداية 249م[4] إلى سنة 298م، على الرغم من مقاومة خمسة كهنة، من بينهم نوفاتيوس، انتخب أسقفًا "بحكم الله وصوت الشعب" على حسب قول بونتيوس[5]، وهو أعلى منصب في بلاد المغرب القديم والثاني في العالم الروماني الغربي بعد أسقف روما، وتزامن ذلك مع بداية اضطهادات الإمبراطور دكيوس للمسيحيين، التي توقفت سنة 251م لتتجدد مع الإمبراطور فاليريان سنة 257م، وهو الاضطهاد الذي انتهى بإعدامه سنة 258م.

كان كيبريانوس متحمسًا للمسيحية، فسخر كتاباته لخدمتها ووحدتها فألف في هذا المجال كتاب: "وحدة الكنيسة *de catholicae ecclesiae unitate*" بعد دخوله في صراع مع أسقف روما[6]، كما عرف عنه كثرة الدفاع عن المسيحية، وفي المقابل عرف بعدائه الشديد للنحل المخالفة لملته وتصديه للعقائد الضالة التي تتنافى مع ديانته، فقد صنف كتابًا يحتوي على حجج مؤيدة للمسيحية للرد على اليهود بالاستناد إلى الكتب السماوية عنوانه: "للرد على اليهودية *Testimonia ad Quirinum*"[7]، وامتاز بالهدوء إذ قال فيه

1- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 42.
2- أنظر: شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 364.
3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 279.
4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
5- المطران كيرلس سليم بسترس وآخران: مرجع سابق، ص 365.
6- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 43.
7- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 279.

سانت جيروم: "**السعيد كيبريانوس كان مثل نبع صاف**"، كما قال فيه أيضًا أحد زعماء المسيحية في بلاد المغرب القديم لاكتانس *Lactance*: "**كان يملك روحًا بسيطة، وأسلوب غني وعذب وواضح، مما مكنه من اعتلاء مرتبة مرموقة بين الأدباء، وروعة بلاغته وتوفيقه في شرحاته جعلته مقنعًا في خطاباته**".[1]

بالإضافة إلى مجموعة كتب ورسائل نذكر منها: "رسالة إلى دوناتوس *Ad donatum*" الذي يعد من أروع مؤلفاته في البلاغة المسيحية، وكتاب "تفاهة الأصنام *de idolorum vanitate*" فضح فيه عادات الوثنيين[2]، و"في مسلك العذارى *de haditu cirginum*" وهي مقالات روحية موجهة إلى النساء الراهبات في الكنيسة، و"في الاستشهاد *de Testimoniorum*" الذي ألفه في فترة الاستشهادات، و"في وحدة الكنيسة الكاثوليكية *de ecclesiae unitate*"، ألفه بسبب الانقسام الذي كان يهدد الكنيسة المسيحية، و"في طبيعة الإنسان المائتة *de mortalitate*"، مقال كتبه في الفترة التي ضرب فيها الطاعون أفريقية سنوات 252–254م حمّل فيه المسيحيين على الشجاعة اتجاه ذلك المرض، وغيرها من الكتب.[3]

4- أرنوبيوس الأكبر *Arnobius*: العالم اللاهوتي الذي ولد بنوميديا في منتصف القرن الثالث الميلادي[4] بسيكا فنيريا *Sicca Veneria* (الكاف) سنة 260م توفي سنة 327م[5]، ويذكر أسد رستم أنه توفي في حوالي سنة 330م[6]، عمل أستاذًا للبيان في مقاطعة أفريقية. كان وثنيًا ثم سئم منها بعد أن قضى جل حياته فيها، اعتنق الديانة المسيحية في كهولته.[7]

ومن أهم كتبه في هذا المجال: "ضدًا على الوثنيين *Adversus nationes*" أُلف سنة 300م، متحاملاً فيه على الديانة الوثنية وعباداتها، مع التأكيد في نفس الوقت أن الديانة المسيحية هي الضمان للفوز بالنجاة[8]، وحمّل الوثنيين مسؤولية الكوارث التي لحقت بالإمبراطورية الرومانية، كما أبرز عظمة الله وتفاهة آلهتهم، وامتاز بنظرته التشاؤمية فقد

1- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 43.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- المطران كيرلس سليم بسترس وآخران: مرجع سابق، ص.ص 364-382.
4- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 85.
5- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 43.
6- أسد رستم: آباء الكنيسة، الرسوليون والمناضلون، ج1، منشورات النور، (د.ب)، (د.ت)، ص 190.
7- المرجع نفسه، ص 190.
8- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 85.

قال في الإنسان: "**إنه مخلوق بائس وسيئ، يتحسر ويكره وضعيته، ويشتكي، ويقضي وقته يبكي، ويكذب ويضرب وينشر الخراب**".[1]

وقد أهله تكريسه كل حياته لخدمة المسيحية أن عد من آباء الكنيسة، ولأجل ذلك فقد ترك عمله ليتفانى في الدفاع عن الدين الجديد وتقويض أركان الوثنية[2]، وقد تكلم عن وطنه الأصلي بلاد المغرب القديم وأشاد بخيرات نوميديا وموريتانيا الزراعية، ومجد قرطاجة وحنبعل الذي أثار الرعب في الرومان، وذكر أن روما جاءت للقضاء على سلالة البشر.[3]

5- لوكيوس لكتانتيوس *Lucius Lactantius*: المعروف بلاكتانس، ولد ببلاد المغرب القديم (250-325م) تتلامذ على يد أرنوب، اعتنق الديانة المسيحية سنة 300م[4]. تلقى علومه اللاتينية في مقاطعة أفريقية، وألف فيها رسائله المأدبة *Symposium*، ثم انتقل إلى نيقوميديا في آسيا الصغرى، ليعلم البيان تنفيذًا لأمر الإمبراطور ديوكليتيانوس، ولما لم يجد من يدرس لأن المدينة يونانية، انصرف إلى التأليف.

ولمّا بدأ الاضطهاد ضد المسيحيين سنة 303م، استقال عن وظيفته لأنه كان مسيحيًا، ثم خرج من تلك المدينة فاستدعاه الإمبراطور قسطنطين سنة 317م إلى مدينة تراوس *Treues* في غالة ليُهذب ابنه الأكبر كريسبوس.

وبعدها جاب مناطق بلاد المغرب القديم ثم استقر بأبيتينا *Abitina* بنوميديا[*]، كان مهتمًا بعلم الأخلاق وحده، ألف كتابًا يدافع فيه عن الدين المسيحي في أربعة أجزاء، تناول فيه بالبحث المشيئة الإلهية *de opificio Dei* وعقاب الإله للمذنبين وبخصوص المؤسسات الإلهية *Divinae Institutions* وقد حرر مختصرًا لهذا التأليف، وعالج في الأجزاء السبعة من كتابه المؤسسات والزندقة وأصل الخطأ والحكمة الزائفة والحكمة والدين الأصليين والعدالة والعبادة والحق وسعادة الحياة، بالإضافة إلى كتاب الأموات المضطهدين *de Mortibus Persecutorum*[5]، هذا الكتاب الذي يبدوا فيه كمؤرخ، يقدم فيه معلومات

1- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 44.
2- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 85.
3- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 44.
4- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص.ص 289.
*- مدينة صغيرة على حوض مجردة، تعرف اليوم باسم شهود الباطن بالقرب من مجاز الباب بتونس. عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 128.
5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص.ص 289-290.

نادرة حول السنوات الأخيرة من القرن الرابع الميلادي وما تعرض له المسيحيون من اضطهادات من طرف الإمبراطور ديوكليتيانوس.(1)

ونظرًا لمهاراته الخطابية والبلاغية لقب بشيشرون المسيحي وكذلك المسيحي الجامعي وأول رجل أدب مسيحي(2)، لذلك تنوعت كتاباته العلمية، نذكر منها: كتاب الوليمة *Symposim*، وكتاب حول النحو أو علم العروض *Grammtius*، كما حاول أن يحصل على مجد الشعر، وقد ضاع العديد من مؤلفاته مثل مقالات الجغرافيا والنحو والفلسفة.(3)

6- أوبطا الميلي: كان أوبطا الميلي *Optat de Milev* أسقفًا لميلة(4) (ميلوم *Mileum* أو ميلفوم *Milevum*) في الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي، ويذكر كذلك باسم أوبطاطوس *Optatus*، ولد في حوالي 320م في نوميديا، وهو أقدم ممثل للأدب اللادوناتي، لذلك اشتهر بين الناس والمثقفين المسيحيين بانتقاده الشديد للمذهب الدوناتي وبموالاته للرومان والكنيسة المسيحية الرسمية، كتب مؤلف رد فيه على برمانيانوس وبيّن فيه بطلان الدوناتية(5)، والمعروف تحت العنوانين *libri contra parmenianum donatistum* أو *Dshismate Donatistarum*، كما اشتهر كمؤرخ إذ أجهد نفسه في إعادة بناء تاريخ الانشقاق الكنسي بين الكاثوليكية والدوناتية.(6)

7- القديس أوغسطينيوس: أهم عالم لاهوتي مغاربي، الذي قال عنه بيروني عن مبارك بن محمد الميلي: "**وهو أخطب خطيب لطيني وأكبر مفكري كل زمان**"(7)، ولد في ثاقاست *Thagast* بنوميديا في 13 أكتوبر سنة 354م ومات في هيبون سنة 430م(8)، من أب وثني متسامح يدعى باتريسيوس من أعيان ثاقاست (موظفًا في أحد المجالس)، وأمه تدعى مونيك وهي قديسة مسيحية(9)، درس في مسقط رأسه ثم في مادوروس تعلم القراءة والخط والعدّ، واللغة والأدب، ثم درس المنطق الجدلي والخطابة والبلاغة وسائر العلوم والفنون في مدينة مادوروس، وكان نفسه تنفر من أمرين أثناء دراسته: الشدة والعقوبات الجسدية، واللغة

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 311.
2- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 44.
3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 311.
4- Gaid (M.): Op.cit., P.150.
5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 311.
6- Bastard: Hôtes Sur Les Evêchés, Voisins de Cirta, R.N.M.S.A.P.C., Alessi et Arnolet, Libraires éditeurs, Constantine, Alger, 1863, P.237.
7- مبارك بن محمد الميلي: مرجع سابق، ص 307. محمد علي دبوز: مرجع سابق، ص 344.
8- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 304. محمد شفيق: مرجع سابق، ص 85.
9- محمد الصغير غانم: نصوص بونية – ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق، ص 103.

اليونانية، بينما كان ميالاً ومحبًا للغة اللاتينية، ثم انتقل إلى قرطاجة سنة 371م المركز السياسي والثقافي في بلاد المغرب القديم، لمتابعة دروس الحقوق، وفي سنة 383م انتقل إلى روما لتلقي دروس البلاغة لكنه لم يتمكن من ذلك، لينتقل بعدها إلى ميلانو سنة 348م وعمل هناك أستاذًا للبلاغة والخطابة، وخطيبًا للعرش الإمبراطوري[1]، وقد دفعته روحه الحائرة إلى اعتناق المانوية[*] لكنه ملّها ولجأ إلى الاحتمالية، ثم درس الأفلاطونية الحديثة التي قادته إلى المسيحية، ولا شك أن أمه قد أثرت عليه تأثيرًا كبيرًا واقتدى بأسقف ميلانو أمبروسيوس الذي قاده إلى التنصر وكان في سن الثلاثة والثلاثين.[2]

وبعد اعتناقه للديانة المسيحية ترقى الدرجات الكنسية، فعين سنة 391م معاونًا لأسقف هيبون[3]، ليصبح أسقفًا لها سنة 396م[4]، وكان ذلك في ظرف تسعة سنوات، لذلك كرس حياته لتنظيم الكنيسة الأفريقية والتأليف الديني، وقد ترك الكثير من المؤلفات الدينية[5]، فيعد كتاب "مدينة الله *La cité de Dieu*" من أحسن كتبه الدينية، الذي كان كما قال شارل أندري جوليان: "**يرد على الهجمات ويفلسف في التاريخ ويحرص بالخصوص على زيف المجتمعات الدنيوية التي لا يهم زوالها وبين مدينة الإله الأبدية**"[6]، وكذا مؤلف "المراسلات *les Lettres*".

واشتهر في مجال السيرة الذاتية بكتابه: "اعترافات *les Confessions*"، والذي أصبح في تاريخ الثقافة الإنسانية أول كتاب في السيرة الذاتية، ويقول شارل أندري جوليان في هذا الصدد: "**ومما يؤسف له أنه لم يبق لنا من مئات عديدة من خطب القديس إلا مائتان وست وسبعون رسالة لها أهمية كبيرة بالنسبة للتاريخ الديني ولفهم نفسية صاحبها**"[7]. غير أننا نجد القديس أوغسطين بكليته في كتابه "اعترافات" النابض صدقًا وشعورًا، الطافح وجدانًا وإن لم يخل في بعض الأحيان من أسلوب خطابي.

1- المطران كيرلس سليم بسترس وآخران: مرجع سابق، ص.ص 729-731.

*- **المانوية *Manichéisme*:** مذهب "ماني" الفارسي الذي عاش في القرن الثالث الميلادي وعمل على التوفيق بين المسيحية والزرادشتية، قال أن للعالم مبدأين: أحدهما النور، وهو مبدأ الخير والآخر الظلمة، وهو مبدأ الشر، وكل مبدأ من هذين المبدأين مستقل عن الآخر ومنازع له. جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج2، دار الكتب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982م، ص 314.

2- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 304. محمد شفيق: مرجع سابق، ص 85. أوغسطينوس: مصدر سابق، ص.ص 45-60، 95.

3- محمد الصغير غانم: نصوص بونية – ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، مرجع سابق، ص 104.

4- محفوظ قداش: مرجع سابق، ص 213.

5- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 86.

6- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 304.

7- المرجع نفسه، ص 315.

وقد ألف كتابه هذا في السنوات الأخيرة من القرن الرابع الميلادي، ولا شك أن يكون كُتِبَ في أواخر سنة 397م أو أوائل سنة 398م[1]، كما يعد أيضًا صاحب الفلسفة اللاهوتية ذات التوجه المسيحي والأخلاقي.

وكان تبشيره بالديانة المسيحية يسير في خط الكنيسة الرسمية التابعة لروما، لذلك عارضه الدوناتيون[2]، تصدى للحركة الدوناتية معتمدًا على الحوار والإقناع في البداية، لكن لمّا يَئس من عودتهم إلى الكنيسة الكاثوليكية أثار عليهم السلطة، حيث تبنى مبدأ خطير يتمثل في "الإرهاب المجد" تقوم به السلطة لإجبار الدوناتيين على العودة إلى أحضان الكنيسة الكاثوليكية مبررًا ذلك بقول المسيح: "**ادفعوهم إلى دين الله دفعًا**".[3]

8- دوناتوس *Donatus*: ولد في مدينة ميلة *Milev*، وتوفي سنة 335م، عرف عن هذا القس في التاريخ المغاربي بأنه من أبرز المفكرين الدينيين المعروفين بثورتهم على رجال الكنيسة الكاثوليكية التابعة للدولة الرومانية، وبمقاومة أتباعه الشرسة للاحتلال الروماني طيلة أربعين سنة، وقد سن مذهبًا جديدًا عرف بالدوناتية الذي كان منتشرًا بكثرة في أوساط الطبقات الكادحة من المجتمع المغاربي وألف كتابًا بعنوان "الروح القدس *Libre de Spiritu Sancto*".[4]

بالإضافة إلى مفكرين آخرين أمثال: برمانيانوس خليفة دوناتوس المتوفى سنة 363م، الذي يعد من أهم المثقفين الدينيين المغاربة من قرطاجة[5]، وقد ألف كتاب تحت عنوان "في الدفاع عن الدوناتية" في خمسة أجزاء، وله أيضًا مجموعة من "المزامير *Psaumes*".

واشتهر كذلك تيكونيوس *Tycinius* في مجال الدين، كان دوناتيًا ثم انفصل عنها، لأنه كان يريد الحفاظ على حريته وصراحته في وسط الدوناتيين، ولم يتردد في معارضة أراء هذه النحلة[*] في مسائل متعددة مما جعل الدوناتيين ينتقدونه انتقادًا شديدًا خاصة من قبل برمانيانوس، وذكر شارل أندري جوليان أنه كان لائكيًا ولكنه كان عالمًا فقيهًا وأديبًا نشر

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 315.
2- محمد شفيق: مرجع سابق، ص 86.
3- محمد الحبيب بشاري: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مرجع سابق، ص 45.
4- بوزياني الدراجي: مرجع سابق، ص 105. شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص.ص 301، 310.
5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 301.
*- **النحلة:** باللغة الفرنسية *Secte*، وبالإنقليزية *Sect*، وباللاتينية *Secta*، الدين والعقيدة والمذهب، وقد تطلق على طائفة من الناس يجمعهم مذهب واحد، فتكون مرادفة للجماعة أو الفرقة، أو تطلق على طائفة من الناس تجمعهم عقيدة باطلة أو عقيدة مخالفة لعقيدة الجماعة، فتكون حينئذٍ مرادفة للبدعة. جميل صليبا: مرجع سابق، ص.ص 460-461. تطلق كذلك على المذهب أو الديانة أو ما ينتسب إليه المرء من دين أو مذهب. أنظر: فرج الله الباري: موسوعة العقيدة والأديان، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ج5، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م، ص 21.

شرحًا للجِليّان *Apocalypse* الذي به نال شهرة كبيرة، كما وضع كتابًا في "تفسير الكتاب المقدس" تبنى فيه طريقة جديدة في الشرح والتحليل والتأويل.(1)

وبيتيليانوس الكيرتي *Petilianus*، المولود في حوالي 365م كان في أول الأمر محاميًا وخطيبًا نشيطًا وكاتبًا شهيرًا، لذلك جعله الدوناتيون أسقفًا لكيرتا في حوالي 395م في أثناء فترة الصراعات الكبرى بين الكنيسة الكاثوليكية والدوناتية، وكان يمثل الوجه الأقوى للكنيسة الدوناتية، وقد هاجم الكنيسة الكاثوليكية الرسمية وأساقفتها وكل ممثليها في بلاد المغرب القديم، له مجادلات مباشرة ضد أوغسطين أسقف هيبون، له مؤلفات منها: مقالة نقد ضد الكنيسة الكاثوليكية، رسالة حول الكنيسة الكاثوليكية، ومقالة ضد أوغسطين، ودراسة حول التعميد.(2)

أستنتج أن للديانة المسيحية دورًا كبيرًا في بروز الكثير من المفكرين المغاربة، من خلال كتاباتهم المتنوعة في مجال الدفاع عن الدين الجديد، كما يمكن أن نعتبر أن لهذه الديانة الدور الفعال في رومنة الفكر والعقل المغاربي.

كما يمكن القول، أن الأدباء والمثقفين المغاربة كانوا مزدوجي الثقافة، فإلى جانب حذقهم اللغة اللاتينية وإبداعهم فيها، فقد أتقنوا لغة آبائهم ودليل ذلك تلك النصوص المدرجة في كتاباتهم الموحية باعتزازهم بأصولهم، مثل: أبوليوس وفرونتونيوس وترتيليانوس وأوغسطينوس.(3)

وكخلاصة عامة فإن الرومنة الثقافية أنتجت نخبة مثقفة، ضلعت في مختلف المجالات العلمية في الأدب والشعر والعلوم الطبيعية والتاريخ والجغرافيا والعلوم الفلسفية واللاهوتية، وبرزوا بحق، وقد اعترف بهم الرومان واليونان وغيرهم، من أمثال لوكيوس أبوليوس الأديب والفيلسوف الفذ، كما أنشئت لهم التماثيل كيوبا الثاني. وما الذين ذكرناهم إلا ثلة قليلة من هؤلاء، وربما الكثير منهم صنفوا ضمن المفكرين والعلماء الرومان، ربما بسبب ذَوَبَانهم المطلق في الثقافة الرومانية، أو أنهم كانوا مجبرين على ذلك، وذلك ما كانت تحتمه عليهم ظروف تلك الفترة، لذلك اختاروا عن صدق أو كانوا مجبرين على الترومن عن قناعة أو عن غير قناعة، حتى يستطيعوا مسايرة التطورات الحاصلة آنذاك.

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص.ص 310-311.
2- محفوظ قداش: مرجع سابق، ص 211.
3- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 474.

كما كان للديانة المسيحية الدور الفعال في انتشار اللغة اللاتينية في الوسط المغاربي خصوصًا الذين اعتنقوا هذا الدين، الذي كان بمثابة ملجأ لجأوا إليه من أجل مقاومة التعسف وظلم السلطة الرومانية، وأنتجت لنا علماء لهوت بامتياز كان لهم الأثر الكبير على هذه الديانة في حوض البحر الأبيض المتوسط وخاصة الغربي منه، فقد جعلوا لغة الرومان لغة رسمية للديانة المسيحية في كل الغرب الروماني آنذاك.

الفصل الرابع

موقف السكان من سياسة روما الثقافية

المبحث الأول: المواقف الدينية والاجتماعية

المطلب الأول: الديانة الوثنية وصمود الذات المغاربية

المطلب الثاني: الانشقاق الديني والحركة الدوناتية

المطلب الثالث: مقاومة الدوارين الاجتماعية

المبحث الثاني: المواقف العسكرية والسياسية

المطلب الأول: مقاومة يوبا الأول

المطلب الثاني: مقاومة تاكفاريناس

المطلب الثالث: مقاومة فيرموس وجيلدون

الفصل الرابع: موقف السكان من سياسة روما الثقافة

بعد سقوط قرطاجة عام 146ق.م ثم المملكة النوميدية عام 46ق.م، وتحول الإقليمين إلى ولايتين رومانيتين؛ أصبح مصير كل بلاد المغرب القديم في أيدي الرومان، ورغم ذلك فلم يكن من السهل أن يتحقق لهم الاحتلال الشامل والكامل لبلاد المغرب القديم، فقد قوبل التوسع الروماني الذي حاول السيطرة على الأرض والإنسان روحيًا وفكريًا، كما وضحنا ذلك في الفصول السابقة؛ السيطرة التي تدعمها سياسة الرومنة الثقافية بمقاومة لا تنتهي وبأشكال متعددة ولكن تطبعت بالطابع العسكري وامتازت بالشدة والعنف، ومنذ العهود الأولى للاحتلال، وذلك ما سأتناوله في هذا الفصل:

المبحث الأول: المواقف الدينية والاجتماعية

أعالج في هذا المبحث الديانة الوثنية وصمود الذات المغاربية، وانشقاق الديانة المسيحية والحركة الدوناتية.

المطلب الأول: الديانة الوثنية وصمود الذات المغاربية

جاء الرومان بمعتقداتهم الدينية إلى بلاد المغرب القديم، وعلى ما يبدو فإنها ظلت مرتبطة بالطبقات الحاكمة والأعيان والثرية من القلة المستوطنة، وإذا كان الحصول على المواطنة الرومانية يفترض اعتناق الديانة الرومانية علاوة على اتخاذ لقب روماني، غير أن الشواهد والمعطيات التاريخية والأثرية تقدم الدليل على أن الرومنة في المجال الثقافي كانت مجرد غلاف خارجي وأن الذات المغاربية استمرت في ظل تلك السياسة.

حيث أن أسماء الأشخاص والآلهة تبدو رومانية ولاتينية، إلا أن ذلك لم يكن سوى مطابقة أو ترجمة شكلية، بينما ظل المغاربة أفريقيين في هويتهم ومشاعرهم وظلت معبوداتهم وطقوسهم أفريقية؛ فحسب الدراسة التي قام بها هانس بفلوم *H. Pflaum* عن محمد العربي عقون، أن أسماء الأشخاص في كل من كيرتا وسليتانة وتيديس ظلت أهلية مغاربية، فبعد جرد وفحص الأسماء التي احتفظت بها النقوش اللاتينية هي في الواقع ليبية وبونية وقع إخضاعها لقواعد الإعراب اللاتيني أو تمت ترجمتها إلى اللاتينية، وقد عَدّ هذا الباحث في تيديس على سبيل المثال 52 سيتيانياً *Sitii* و114 يوليًا *Jullii* و7 أيميلي *Aemilii*.[1]

1- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 384.

ولم تتغلغل الديانة الرسمية الرومانية خاصة عبادة الإمبراطور في نفوس الأهالي المغاربة. ولم تستطع السلطة الرومانية أن تحد من انتشار العبادات الليبية والبونية، وتشهد على ذلك آلاف النذور المرسومة على الخزف والنقوش والنقود المكتشفة، بأن المجتمع المغاربي بقي متمسكًا بمعبوداته وإنْ تغير اسمها[1]، واستمدت روحها وجوهرها من آلهة محلية، كالإلهين جوبيتر وساتورنوس اللذين استمدا روحهما من الإله بعل حامون، والإلهة كايلستيس التي استمدت روحها من الإلهة تانيت.[2]

وقد كان الاحتفاء بهذه الآلهة والقيام بمختلف طقوسها، شكلاً من أشكال الإصرار على الاستمرار وإثبات الذات، وإن المغاربة لجأوا في إطار مقاومة فرض المعبودات الرومانية، إلى مطابقة آلهتهم بآلهة رومانية اسميًا لا غير ثم استمروا في ممارسة عقائدهم التقليدية، وذلك ما أشارت إليه النصوص الأدبية والأثرية.[3]

وإن وحدة الاسم بين الإله ساتورن الروماني وساتورن الأفريقي، وهو استنساخ للإله بعل حامون القرطاجي[4] وتقارب صلاحيات الإلهين، قد قرب الجالية الرومانية من هذا المعبود الأفريقي الكبير الذي كان يحتل مكانة هامة في بلاد المغرب القديم، ولقد وجدت المئات من النصب المقامة للاحتفاء بالإله ساتورنوس الأفريقي، ويعتقد فيه المغاربة أنه الإله الأوحد الذي يمسك بزمام كل شيء، وظل هو المعبود نفسه.[5]

وظل طابعه المحلي بارزًا حتى أن لوڤلاي أشار إلى أنه يعتبر إلهًا بربريًا بونيًا في بنائه، وأن استمرار الطابع الأفريقي لعبادة ساتورن يعبر عن فشل سياسة رومنة الآلهة المحلية[6]، لذلك كانت عبادة ساتورن الأفريقي واسعة الانتشار في البلاد المغاربية، فهناك الكثير من النصب الإهدائية التي كانت موجهة للإله ساتورن (أنظر الشكل رقم 58، ص 193)، منها: نصب وجد في عين فووا *Aïn Foua* الذي حافظ على اسم فووا وهو لشخصية كيرتية يسمى باڤوس *Pagus*، فقد عثر على هيكل لهذا الإله ويحتمل أنه كان في فوروم هذا المكان، وكذلك في مدينة روفوش *Rouffach* المتواجدة شمال شرق قسنطينة (21 كلم)، والتي تشغل مكان ماستار *Mastar*، كان هناك باڤوس كيرتي (شخصية أخرى)، عثر على شاهد قبر كتب فيه اسم صاحبه

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 254-255.
2- محمد الهادي حارش: مرجع سابق، ص 222.
3- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 386.
4- Picard (ch. G): Op.cit., P.P.105-161.
5- Vars (ch.): Cirta, Op.cit., P.300. Gsell (S.): H.A.A.N., Op.cit., T. I, P.251.
6- محمد إبراهيمي الميلي: مرجع سابق، ص 152.

الذي كان كاهنًا لساتورن. وقد وجد نصب قدمه أحد الكهنة للإله ساتورن لوعد قطعه على نفسه في شولو *Chullu* (القل) التي كانت مستعمرة تابعة لكيرتا، وفي المكان المسمى أندلو *Andelot* تبعد بـ 75 كلم عن قسنطينة، نحت فيه الإله واقفًا يمسك بيده اليسرى خروفًا وفي يده اليمنى راية، وحول هذا التمثال كتابة تخلد ذكرى ذلك الكاهن: ويبوس مارتيالوس *Vibius Martialis*، وهو كاهن لهذا الإله الريفي[1]، بالإضافة إلى حوالي خمسين نصبًا لساتورن الأفريقي التي عثر عليها في منطقة تيديس لوحدها[2]، ومجموعة النقوش التي عثر عليها في ثاموقادي، وكلها عبارة عن نذر مقدمة إلى الإله ساتورن أو كما ذكره بالو وكانيا بـ: "بعل – ساتورن *Baal-Saturne*".[3]



(أ) زوجين يقدمان قربانًا للإله ساتورن
(عين فووا)



(ب) زوجين يقدمان قربانًا للإله ساتورن
(تيمقاد)



(ج) رجل يقدم قربانًا للإله ساتورن
(تيمقاد)

الشكل رقم (58): مجموعة نذر مقدمة للإله ساتورن الأفريقي، **نقلاً عن:**

(أ): Jahiliyya: ignorance ou trésor?, Des morts et des dieux romano-africains, URL : *https://jahiliyyah.wordpress.com*, Télé. le : 05/08/2015، ينظر: محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 219. ومحمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 316.

(ب)، (ج): Ballu (A.): Musée de Lambèse, Op.cit., P.56

1- Vars (ch.): Cirta, Op.cit., P.305.

2- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 387.

3- Ballu (A.): Musée de Lambèse, Op.cit., P.20.

وقد عُرف عيدًا شعبيًا واحدًا يحتفل فيه الساتورنيون بالإله ساتورن، كان في الفترة ما بين 17 و18 ديسمبر من كل سنة في العهد الجمهوري، ومنذ زمن حكم الإمبراطور كاليڤولا أصبحت الاحتفالات تمتد من 17 إلى 21 من نفس الشهر، ويقام فيها احتفالاً مهيبًا بهذا الإله ويحضره الأعيان وكبار الكهنة ويلبسون ألبسة جديدة (التوجا) وعامة الناس، وتقدم له القرابين، كما تقام على شرفه موائد الطعام والحلويات[1]، ولا شك أن الناس من العوام والطبقات الدنيا كانوا يفيدون على هذه الاحتفالات، وذلك من أجل الاستمتاع بما لذ وطاب.

ومنها تجدر الإشارة إلى أن تمسك الفرد المغاربي في المناطق الخاضعة للسلطة الرومانية بعبادة هذا الإله يعبر عن صموده الثقافي، كما لعب هذا الإله دور الحفاظ على القيّم الأفريقية التي لجأ إليها المجتمع المغاربي كتعبير عن رفضه الذوبان في الثقافة الرومانية.[2]

أما الآلهة التي تأتي في الدرجة الثانية بعد ساتورن الأفريقي، فهي الإلهة كايلستيس، وما يستخلص من النصوص النقوشية أنه قد وقع مطابقة هذه الإلهة بالإلهة العريقة تانيت، وعن موضوع المطابقة هذا استخلص بيكار بأن المعبودات الأفريقية ظلت كما هي محل احتفاء وتعبد من قبل المغاربة وأن تانيت (كايلستيس) ظلت إلهة قرطاجة الأولى؛ ومثل ما حدث مع المعتقدات البونية (بعل حامون وتانيت) وكذا جونون الرومانية، فإن تانيت – كيلستيس تعتبر زوجة الإله ساتورن الأفريقي وهي الإلهة الأم، وتظهر في النصب أحيانًا وهي تحمل رضيعًا، ويظهر بجانبها الهلال على الدوام.[3]

ومن هنا، فإن عبادة تانيت استمرت خلال الاحتلال الروماني تحت اسم الإلهة كايلستيس، وهذه الأخيرة حملت في أحد نقوش ألبولاي (عين تيموشنت) صفة الآلهة العذراء[4]، ومنه فهي معبودة محلية رئيسية استنسخت وحلت محل الإلهة تانيت ثم جونون الرومانية، وقد استمرت عبادتها في بلاد المغرب القديم حتى الفترة المسيحية.[5]

وما هو معروف أن الأرض المغاربية بلاد زراعية بامتياز ومنتجة للحبوب، فلا بد من وجود آلهة تتكفل بهذا النشاط الاقتصادي، والإلهة كيريريس *Cereres* باعتبارها إلهة الفلاحة قديمًا في نوميديا – لكن لا نعرف اسمها المحلي بسبب المطابقة الاسمية باللاتينية – لها شعبية

1- Vars (ch.): Cirta, Op.Cit., P.301.

2- محمد إبراهيمي الميلي: مرجع سابق، ص 152.

3- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 389.

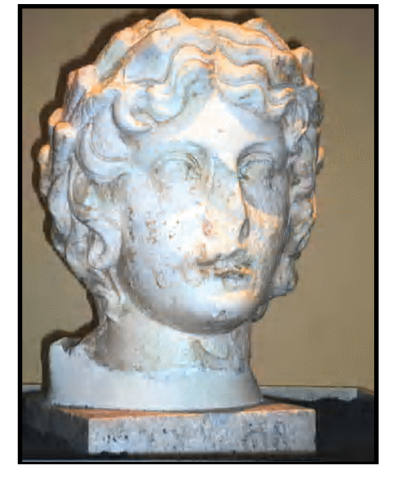
4- محمد الهادي حارش: مملكة نوميديا دراسة حضارية منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، مرجع سابق ص 190.

5- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 114.

واسعة في أوساط المجتمع المغاربي نتيجة تعدد المواسم الفلاحية[1]، لذلك أقيم لها هيكل في قلعة أرساكال *Arsacal* بترخيص من مجلس الأعيان، كما وجدت أثار تدل على عبادة هذه الآلهة في بلدة ماستار؛ حيث عثر على نصب أقامته كاهنة اسمها يوليا كريدولا *Julia Cerdula*، وفي تيديس تم العثور أيضًا على نصب أقامته الكاهنة روتيتيا نويلا *Rutitia Novela*.[2]

ويعتبر الإله باكاكس *Bacax* من بين الآلهة المحلية التي حافظ على اسمه الأهلي، ولا ندري لماذا لم يطابق اسمه باسم لاتيني على غرار الآلهة المغاربية، ويُستنتج من خلال احتفاء قضاة محليين بهذا الإله في تيبيليس، أن هذه الهيئة هي مجموعة من المغاربة المترومنين، وقد كانت تقام له طقوس في مغارة جبل طاية بقالمة؛ فقد نقشت في هذه المغارة نصوص إهدائية نذرية تقارب السبعين نصًا للإله باكاكس[3]، وبحروف لاتينية إلى جانب الإلهة كايلستيس خلال العهد الإمبراطوري الأول.[4]

بالإضافة إلى عبادة الأهالي للأرواح والجن حماة المدن (أنظر الشكل رقم 59، ص 195)، حيث نجد ذلك في الكثير من النصوص النقوشية، وهو شكل من أشكال النضال الوطني البلدي في المدن المغاربية ضد سياسة رومنة الآلهة المحلية.[5]



الشكل رقم (59): رأس جني ريفي من الرخام الأبيض، أواخر ق 2م (سوسة)، **نقلاً عن:**
– متحف سوسة، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/25م.

وتم اكتشاف الكثير من النصوص النقوشية تعبر عن مدى تمسك المجتمع المغاربي بالآلهة المحلية، فقد عثر على نقش بوني بتونس يحمل اسم إله محلي هو "جلو" ولعله من أصول جيتولية، وكذا نقش ماقيفا *Magifae* الذي عثر عليه في قصر البوم بتبسة يذكر خمسة أسماء

1- ڤابريال كامبس: مرجع سابق، ص 270.

2- Vars (ch.): Cirta, Op.Cit., P.318.

3- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 390-391.

4- Benabon (M.): Op.cit., P.289.

5- محمد العربي عقون: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، مرجع سابق، ص 391.

آلهة محلية وهي: مازيدانيس، ثيليلفاي، سوقانيس، يزدانيس، مازيديس[1]، بالإضافة إلى أسماء الآلهة التي عثر عليها في هنشير رمضان المتمثلة في: *Dii Mauri*، *Fudina*، *Vacurtum*، *Varsis*.

كما وقع العثور على نصب في باجة *Béja*، نقش عليه أسماء سبعة آلهة وبحروف لاتينية[2]، وهو عبارة عن نقش ناتئ *Bas relief*[3]، وهي تمثل آلهة محلية من العهد الروماني (أنظر الشكل رقم 60، ص 196)، وهي: ماكورتوم *Macurtum*، ماكورقوم *Macurgum*، ويهينام *Vihinam*، بونشور *Bonchor*، وارسيسيما *Varsissima*، ماتيلام *Matilam*، يونام *Iunam*[4]، ولقد وضعت هذه النصب في الطبيعة وليست داخل معبد، ولها خلفية تمثل أشجار النخيل وأشجار أخرى بأغصان مائلة من ثقل الثمار التي تحملها، ورغم التمثيل السطحي لهذا النصب فهو لا يخلو من جمالية معينة، وقد نقشت صور الآلهة بعناية، وهي توحي عن فكر غني ودقيق عبر به الفنان في هذا العمل.[5]



الشكل رقم (60): نصب في باجة نقش عليه أسماء سبعة آلهة وبحروف لاتينية، **نقلا عن:**
– متحف باردو تونس، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/06م.

يضاف إلى ذلك نصب غاية في الغرابة، وهو ذو طابع مغاربي واضح، وهو نصب أبيزار *Abizar* (أنظر الشكل رقم 61، ص 197)، الذي يوضح شخص ملتحي يبدو دون لباس يمتطي حصانًا دون سرج ومسلح، وتحتل الكتابة الليبية باقي المجال إلى اليسار.[6]

1- مها عيساوي: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 447.
2- محمد الصغير غانم: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، مرجع سابق، ص 113.
3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 254.
4- Camps (G.), "Dieux africains et Dii Mauri", in 15|Daphnitae-Djado, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», n° 15), 1995 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 22 septembre 2014. URL : *http://encyclopedieberbere.revues.org/2258*, P.9.
5- Voir : Camps (G): Berbères aux marges, P.227-230.
6- Février (P.A.) et Camps (G.): "Abizar", Op.cit., P.2.

ومهما يكن فإن عبادة الآلهة المحلية في بلاد المغرب القديم، وعبادة الجن والمغارات والأشجار والجبال والحيوان وقوى الطبيعة، وحتى عبادة الأودام (تقديس ملوك المغاربة القدماء)، بقيت واستمرت وكان لها أتباعها[1]، إضافة إلى آلهة أخرى مثل الإله ڤورزيل *Gurzil* وبور *Ieru* ويمسال *Iemsal* ويوبا *Iuba* وغيرها من الآلهة المحلية التي استمر المجتمع المغاربي في عبادتها طيلة فترة الاحتلال الروماني.[2]



الشكل رقم (61): نصب أبيزار *Abizar* يظهر فارسًا ممتطيًا جواده وبجانبه كتابة ليبية، **نقلا عن:**

- Février (P.A.) et Camps (G.): "Abizar", in 1|Abadir-Acridophagie, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes»), 1984 [En ligne], mis en ligne le 01 décembre 2012, consulté le 29 juillet 2015. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/791*, P.3.

إذن لجأ المجتمع المغاربي إلى التمسك بموروثه العقائدي كردة فعل واضحة وصور من صور مواجهة الاحتلال الروماني[3]، وبقي معظم المغاربة متمسكين بتقاليدهم القديمة، وكانت العبادة الحقيقية يقوم بها الفرد المغاربي وحده في العائلة، فلو نظرنا إلى نقائش الإهداء المتقرب بها إلى الآلهة، إننا نجد مذكورًا عليها اسم موظف رسمي واحد وبعض الضباط والجنود وبعض الحكام البلديين وعدد ضئيل من أعوان الإدارة، أما البقية من المجتمع المغاربي فلم تكن لهم صفة رسمية، لذلك كان تأثير روما فيهم شبه معدوم، وهم الأغلبية الذين صمدوا متمسكين بمعتقداتهم وتقاليدهم في وجه الديانة الرومانية وحضارتها.[4]

أستنتج أن المغاربة ظلوا متمسكين بهويتهم الأفريقية، ولم تنجح سياسة رومنة الآلهة، وأن القلة المترومنة في المناطق الحضرية لا تمثل شيئًا بالقياس مع الكم الديمغرافي الكبير لباقي جماهير المجتمع المغاربي في المدن أو الأرياف، الذين ظلوا أوفياء لمعتقداتهم، على الرغم من

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 254. وأحمد صفر: مرجع سابق، ص 320. رابح لحسن: مرجع سابق، ص 256-257.

2- Camps (G.), "Dieux africains et Dii Mauri", Op.cit., P.7-10.

3- Gsell (S.): H.A.A.N, T.VI, Op.cit., P.236.

4- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 254.

المجهودات التي قامت بها السلطات الرومانية في سبيل الرومنة النهائية خصوصًا للمناطق الخاضعة تماماً للسيطرة الرومانية، لذلك فكلما سمحت الفرصة تشهد البلاد المغاربية ثورات ضد الإدارة الرومانية.

المطلب الثاني: انشقاق الديانة المسيحية وظهور الحركة الدوناتية

كان لتبني السلطة الرومانية للديانة المسيحية والتحالف بين رجال الدين المسيحي والإمبراطورية الرومانية[1]، ضربًا من الهيمنة الروحية على المجتمع المغاربي القديم الذي رفض هذا التبني وقاومه؛ ونتيجة الاضطهادات التي تلقاها المسيحيون على مدار ثلاثة قرون، والتي كان لها الأثر البالغ في حالة العداء ما بين السلطة والمسيحيين، وساهمت هذه العلاقة في خلق حالة من عدم الاتفاق ما بين المسيحيين أنفسهم وتطورت أحيانًا إلى حدوث خلافات حادة، مثل ما حدث بين كيبريانوس والبابا إيتيان الأول حول مسألة تعميد المرتدين، واختلفت وجهات النظر ما بين المسيحيين في التعامل مع هذه الأحداث، وقد سعى آنذاك القديس كيبريانوس لتكريس الوحدة الكنسية في بلاد المغرب كما قال: "**الكنيسة الكاثوليكية واحدة**".[2]

فظهرت حركة مناهضة للكنيسة الرسمية، وهي الحركة الدوناتية التي ظهرت علانية عام 305م، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى أحد أعلامها الكبار وهو دوناتوس الأكبر *Donatus*[3]، ذلك بعد الصراع بين المسيحيين الذي بدأ منذ مجمع كيرتا من نفس العام، لانتخاب بولس *Paulus* خليفةً لمنسوريوس الأسقف المتوفى، بعد موجة الاضطهادات الكبرى والردة التي حصلت في عهد ديوكليتيانوس[4]، والدعوة إلى كيفية الخروج من هذه الأزمة الحرجة، من طرف القساوسة النوميد، الذين رفضوا الإجراءات المتخذة من قبل الكنيسة ومن قبل منسوريوس أسقف قرطاجة، في تعاملها مع القرارات الصادرة من قبل السلطات الرومانية الرامية إلى مصادرة الكتب المقدسة وممتلكات الكنائس.[5]

وعليه فقد شكل برتوكول كيرتا بداية للقطيعة بين المسيحيين كما يعد بداية لسلسلة مجامع للكنيسة المنشقة، خاصة بعد أحداث أبيتينا التي أثارت الحماس الديني لدى المغاربة؛ حيث أصبح

1- محمد الصالح العود: مرجع سابق، ص 44.
2- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 196.
3- Monceaux (P.): H.L.A.C., T. I, P.365.
4- Gsell (S.): L’Algérie dans l’antiquité, Op.cit., P.113.
5- Mercier (E.): Histoire de l’Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu’à la conquête française (1830), T.I, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1888, P.125.

نداء ضحايا تلك الأحداث بمثابة الميثاق الديني والاجتماعي الذي التف حوله الأوفياء من المسيحيين.[1]

وقد حاول أسقف قرطاجة في الكنيسة الرسمية تهدئة الوضع بالتقليل من حماسة المسيحيين المقاومين، وأرسل شمامسة إلى الأرياف والمدن لإقناع الناس على التريث وعدم الحكم على بعضهم بالكفر، وأن ذلك هو من اختصاص المجمع الكنسي في قرطاجة وروما، إلى أن ذلك الإجراء رُفض وثار أساقفة نوميديا في وجه منسوريوس المتهم بالخيانة، والذي قال: "**إنني مسيحي وأسقف ولست خائنًا**".[2]

ولقد وصلت أخبار المنشقين إلى روما مع نهاية عام 312م وبداية 313م، راسل الإمبراطور قسطنطين البروقنصل أنولينوس، لكي يعقد لقاء للإصلاح بين الطرفين المتنازعين، وكان المسعى هو تحقيق الوحدة الدينية، وفي نفس الوقت راسل الإمبراطور الأسقف كيكيليانوس مباشرة في قرطاجة وأخبره بتقديم مساعدات مالية مخصصة للكنائس في بلاد المغرب القديم، وعليه أن يقوم بتوزيعها على المتضررين، ووعده بأنه سيدعمه ضد كل المحرضين على الاضطرابات، وحثه على طلب المساعدة في ذلك في حالة الاحتياج؛ بالمقابل ألح الإمبراطور الروماني على البروقنصل والكاهن باتريسيوس بتقديم مساعدات للأسقف القرطاجي ضد المنشقين.[3]

لذلك فقد قدمت السلطات الرومانية الدعم لمنسوريوس وساعدت كيكيليانوس أثناء الانتخابات كأسقف في قرطاجة، ما أثار موجة من الاحتجاجات والرفض لعدم اتخاذه موقفًا مشرفًا أثناء الاضطهادات الكبرى[4]، ومنها ما صدر عن أساقفة نوميديا الذين قرروا إلغاء تلك الانتخابات وعدم الاعتراف بالأسقف المنتخب، الذي جاء خلافًا للأسقف منسوريوس المتوفي في سنة 311م[5]، ظهرت القطيعة بشكل جلي وحقيقي بين الطرفين، بعد صدور أحكام مجمع روما 313م ومجمع آرل *Arles*[*] 314م هذا الأخير دعى إليه قسطنطين وحضره أساقفة من بلاد الغال وإيطاليا والبروقنصلية ونوميديا وموريتانيا والبيزاسان وغيرها من مناطق بلاد المغرب

1- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 204.
2- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص.ص 346-345.
3- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص.ص 204-205.
4- محمد مبارك الميلي: مرجع سابق، ص 161.
5- Mercier (E.): Op.cit., P.127.
*- مجمع آرل دعى إليه الإمبراطور قسطنطين في مدينة آرل الواقعة ببلاد الغال، وحضره أساقفة ممثلين من مختلف المناطق الواقعة تحت حكم الإمبراطورية الرومانية وحضره ممثلون من كلتا الكنيستين الأفريقيتين، وتم الاتفاق فيه على بطلان الانشقاق نهائيًا. أنظر: سيد أحمد الناصري: مرجع سابق، ص 420.

القديم[1]، وكذا أحكام الإمبراطور قسطنطين 316م، التي ثمنت قرارات المجمعين وردت على المرتدين ودانتهم[2] ونُعتوا بغدر أساقفة قرطاجة منسوريوس وكيكيليانوس، الذي عد انتخابه شرعيًا، كما ساهمت الأحكام التي صدرت ضد المنشقين عن المجمعين وتدخل الإمبراطور إلى جانب الأسقف كيكيليانوس، إلى زيادة هوة الخلاف واتهام الكنيسة بالردة.[3]

لقد اعتُبر الدوناتيون – الذين زادت شعبيتهم في أوساط المجتمع المغاربي – في نظر السلطة الرومانية خارجين عن القانون، وتحالفت الكنيسة مع الإمبراطورية الرومانية ضدهم[4]، ورفضوا الخضوع للسلطة الرومانية، وبهذا الرفض قد أعلنوا العداء لها[5]، خصوصًا أن الإمبراطور قسطنطين كان يهدف من وراء مجمع آرل إلى إيجاد صيغة لدمج الكنيسة في الدولة وتجنيد رجالها ومبادئها لدعم سلطة الدولة الرومانية.

وأقر قسطنطين بأمر صادر في سنة 317م، بضرورة إعادة الكنائس التي استولى عليها الدوناتيون إلى الكاثوليك، ما أدى إلى رد فعل معاكس فتحولت الكثير من الكنائس تابعة للمنشقين حتى في قرطاجة، فاتُهموا بأنهم استولوا عليها بالقوة، لذلك قال القديس أوغسطين في دفاعه عن الكنيسة الكاثوليكية الرسمية: "**نحن نمثل كنيسة الله، الكنيسة الكاثوليكية منتشرة في كل الجهات، وأن المسيح أمره الرب أن يطلب ما يشاء ويعطيه وراثة الأمم، ويبسط له الملك في أطراف الأرض**"[6]. ويشير نص أوغسطين إلى نقطتين: الأولى تتمثل في تحميل الدوناتيين مسؤولية العنف والإرهاب في السيطرة على المعابد، أما الثانية فتتمثل في تكفير المنشقين وأن ليس لهم الحق في إدارة شؤون الكنائس لأنها للكاثوليك، اللقب الذي كان الدوناتيون على الدوام يرفضونه.[7]

ولقد أصدر قسطنطين قرارًا داعمًا لمرسوم ميلانو في 316م، الذي أقر فيه براءة كيكيليانوس من كل التهم الموجهة إليه، وتم تطبيق قوانين لإبعاد المنشقين في أول قرار للوحدة من أجل استعادة أموال الكنيسة الكاثوليكية[8]، وحكم بشرعية انتخاب أسقف قرطاجة[9]، وبذلك يكون قانون قسطنطين أشعل موجة من الاضطهادات الجديدة التي تبنتها السلطة الرومانية للقضاء على

1- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 204. Gaid (M.): Op.cit., P.146. وأنظر: سيد أحمد الناصري: مرجع سابق، ص 438.

2- Mercier (E.): Op.cit., P.125-126.

3- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص.ص 204-205.

4- المرجع نفسه، ص 205

5- Gsell (S.): L’Algérie dans l’antiquité, Op.cit., P.114.

6- Monceaux (P.): H.L.A.C., T.IV, Op.cit., P.197.

7- Ibid., P.197.

8- محمد البشير شنيتي: "حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن 4م"، مجلة الأصالة، العدد: 60-61، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجزائر، 1978م، ص 31.

9- محمد إبراهيمي الميلي: مرجع سابق، ص 162.

المنشقين بتطبيق قرارات المجامع الدينية الصادرة ضدهم ومطالبتهم الامتثال لقرارات السلطة السياسة[1]، وقد أفرز ذلك تأثيرًا واضحًا على الدوناتيين الذين بدوا كمضطهدين وشهداء، خصوصًا بعد لجوء الكاثوليك إلى الدولة الرومانية واعتمادهم عليها من أجل إرجاع المنشقين إلى الكنيسة الرسمية، ما دفع بالدوناتيين إلى اللجوء إلى تنظيم مقاومة في أوساط المجتمع المغاربي والذي كان مهيئًا لهذا العمل.[2]

هذا ما دفع بالقس دوناتوس الأكبر أن ينادي بشرف المسيحيين في نحلته ودعاهم إلى مقاومة الحكم الإمبراطوري بقوله: **"لماذا لا نقرأ تاريخ المحتالين والكذابين والمطبات التي لوّن بها المراوغون الدين، وأعداء الإنسان الذين صاروا من أهل المنزلة وتم الصمت على مجد الشهداء أو العمل على إطفاء هذا المجد والقضاء عليه؟"**.[3]

لقد حدثت اضطهادات ضد المنشقين دامت حوالي خمس سنوات، ساعدت فيها السلطة الرومانية الكنيسة الرسمية، التي استباحت أرواح المنشقين وأملاكم، ونتيجة لذلك استسلم بعض الدوناتيين في المعارك والكثير منهم تعرض للنفي، أو حكم عليه بالموت[4]، وفي ذلك يقول شارل أندري جوليان: "**فقد ساندت قوات الأمن دائمًا السلطة العليا في الكنيسة في مقاومتها للدوناتوسية ابتداءً من عهد قسطنطين**"[5]، وقد أدت تلك الاضطهادات إلى ازدياد الكراهية للنظام الروماني الذين قتل عدد كبير منهم، وبالتالي مولاتهم للدوناتية ومن ثمة اهتزاز أركان الحكم الروماني، وكذا تأكيد الحكم على خيانة الكنيسة الرسمية في قرطاجة والتي تحولت إلى أداة لاضطهاد المسيحيين، وأخذت في الابتعاد عن الفئات المستضعفة.[6]

ونتيجة تضرر الحركة الدوناتية من الاضطهادات والعنف، قدمت عريضة إلى الإمبراطور قسطنطين، الذي أدرك المخاطر المحدقة بالإمبراطورية الرومانية، وباعتبار أهمية المنطقة التي كانت تزود روما بالغذاء وتمتص فائضها الديمغرافي، أعلن عن قرار التسامح الديني في 321م وأمر من خلاله رجال الدين الكاثوليك بالاعتدال، ووضع حدًا لمطاردة المنشقين والسماح بعودة المنفيين وأعلن عن حرية العبادة.[7]

1- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 245.
2- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 356.
3- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 207.
4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 300.
6- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 207.
7- سيد أحمد الناصري: مرجع سابق، ص 438. Gsell (S.): H.A.A.N, T. I, Op.cit. P.160

لكن الحركة الدوناتية المعادية للسلطة الرومانية، التزمت بمبادئ المسيح وتمسكت بذلك مستخدمة تاريخ اضطهاد السلطة كسلاح أقوى لمقاومة الإمبراطور، الذي سعى إلى استغلال المسيحية لأغراض سياسية، واعتبروا أنفسهم الممثلين الحقيقيين للديانة المسيحية.[1]

كما كان زعيم الحركة الأسقف دوناتوس لعب دورًا فعالاً في توسيع القاعدة الشعبية والجغرافية للدوناتية، والتي لاقت انتشارًا واسعًا في معظم مناطق بلاد المغرب القديم، فالتف حولها الفقراء والمضطهدين، كما تعامل معها أصحاب المطامح السياسية.[2]

وبعد مرور سنة من قرار التسامح الديني راسل قسطنطين الأساقفة الكاثوليك من أجل تبني الاعتدال وهذا يعني أن هذه الفئة كانت عنيفة ضد المنشقين، وبلا شك فإن السلطة أدركت ذلك كأسلوب لتهدئة.

وبعد أن هدأ الوضع قليلاً، فقد خصص قسطنطين جملة من الامتيازات لرجال الدين الكاثوليك عام 326م، ومنعها عن المنشقين الدوناتيين، وهي سياسة تهدف إلى تشجيع الدوناتيين على العودة إلى الكنيسة الرسمية وإجبارهم على أعمال السخرة، وكذا دفع الدوناتيين للتخلي عن الكنائس وتركها بسبب الضيم الذي يعيشونه، وقد جاءت هذه السياسة بعد زيارة الإمبراطور إلى كيرتا في عام 325م.[3]

وإن اهتمام الإمبراطور بهذه المدينة التي أعاد بنائها وترميمها وأصبحت تحمل اسمه[4]، كان يهدف من ورائها القضاء على الحركة الدوناتية، التي لم يكن كافة أتباعها من المسيحيين، وذلك ما يفسر تحولها إلى حركة ذات مطالب اجتماعية تحت غطاء ديني تعرف بحركة الدوارين، وقد أوضح أوغسطين أن أسقف مدينة هيبون ماكروبيوس كان يستعين بمترجمين إلى البونية ليتحدث مع هؤلاء، وهكذا يبدو أن معظم السكان في مختلف بلاد المغرب القديم بقوا متمسكين بلغتهم البونية والليبية، فقد وجدت الكثير من النقوش البونية والبونية الجديدة العائدة إلى فترة أوغسطين، ما يوحي إلى أن المنشقين ابتعدوا عن الثقافة اللاتينية التي حملت الديانة المسيحية.[5]

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 349.
2- المرجع نفسه، ص 356.
3- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص.ص 210-211.
4- Mercier (E.): Op.cit., P.125.
5- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص.ص 211-212. Gautier (E.-F.): Le passé de l'Afrique les siècles obscurs, Nouvelle édition, Petite Bibliothèque Payot, Paris1952, P.127

ورغم أن المسيحية قد استقطبت الأثرياء وصار أتباعها من كبار الملاك والأثرياء الذين يغدقون الأموال تزلفًا لرجالها وطلبًا للغفران ليزداد رصيدها المالي والاقتصادي[1]، لكن ارتبط السكان بالدوناتية باعتبارها معبرًا لمشاغلهم أمام السلطة الرومانية خلال النصف الأول من القرن الرابع ما أعطى قوة للحركة الدوناتية التي أحدثت القطيعة نهائيًا مع الكاثوليك، لتصبح المذهب الأكثر شعبية في بلاد المغرب القديم.

ولكن وبعد تولي قسطانس (317–361م) العرش الإمبراطوري (ابن قسطنطين)، الذي حاول تحقيق وحد دينية بدفع الدوناتيين على ضرورة الارتباط والمشاركة في القداس الكاثوليكي، الشيء الذي فتح مرحلة جديدة من الصراع المسيحي المسيحي، صراع بدأ دينيًا ليتحول متخذًا طابعًا اجتماعيًا ساهمت فيه السلطة الرومانية والكنيسة الرسمية من جهة والحركة الدوناتية والدوارين من جهة أخرى.[2]

وأمام رفض الحركة الدوناتية الخضوع لمرسوم الإمبراطور، الذي أراد تطبيقه بالقوة، فحدثت أحداث دموية في 347م بمدينة باغاي، وذلك بواسطة ماكاريوس الذي مارس حملات اغتيالات في حق الدوناتيين، فقام القس دوناتوس إلى تحويل باغاي إلى معقل للمقاومة، وجعل كنائسها مخزنًا للحبوب[3]، كما دعمت تلك الأحداث على الارتباط الوثيق للحركة بمحيطها، لتتحول بشكل تدريجي إلى مقاومة شاملة، فقد عبر سكان مدينة فيجيزيلا *Vegezila* (بين تيفست وماسكيلا) عن غضبهم من أعمال ماكاريوس الذي قام بجلد مبعوثي مجلس كيرتا علناً سنة 347م.[4]

إذن أفرزت سياسة الإمبراطور حربًا دينية بدأت تمتد من ثاموڤادي إلى تيفست وباغاي التي تعتبر قلعة الحركة الدوناتية[5] التي تحولت إلى ما يشبه بالديانة الوطنية، التي أخذ أعداد أتباعها في تزايد مستمر تدعمها في ذلك جموع المزارعين والأهالي.[6]

وبعد وفاة الأسقف دوناتوس الأكبر سنة 355م أنتخب الأسقف بارمنيانوس *Parmenainus* كأسقف للكنيسة الدوناتية في قرطاجة تمكن من بعث الحركة من جديد. وهدأت الكنيسة الأفريقية على مدار أربعة عشرة سنة (348–362م) بعدما تخلصت من أعدائها بالنفي

1- شارن شافية وآخران: مرجع سابق، ص 241.
2- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص.ص 113-214.
3- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 357.
4- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 299. محمد البشير شنيتي: "حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن 4م"، مرجع سابق، ص 32.
5- Gsell (S.): L'Algérie dans l'antiquité, Op.cit., P.114.
6- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 215.

والقتل أو الضغط والتحالف مع السلطة الرومانية[1]، كما امتازت سياسة أبناء قسطنطين الدينية الممتدة من 337 إلى 361م بمحاربة الوثنيين والتدخل في الشؤون الكنسية، وإلغاء سياسة التسامح التي انتهجها قسطنطين.[2]

وبعد اعتلاء جوليانوس (361–363م) العرش الإمبراطوري، عادت الحرية للدوناتيين، بعد أن ألغى هذا الإمبراطور سياسة خلفه، فرجع الأساقفة المنفيين من طرف قسطانس واستعادوا أملاكهم، وقد اتهمهم الكاثوليك الذين تزحزحت مكانتهم بالاستيلاء بالقوة على الكنائس واضطهاد أعدائهم، ولكن تمكن الدوناتيون من استعادة معابدهم وأعادوا تنظيم عباداتهم، بعدما كرس الإمبراطور الحرية الدينية سنة 362م؛ لذلك تعد هذه المرحلة بالنسبة للدوناتية مرحلة عودة الأنفاس وإعادة تنظيم لكنيستهم.

لكن لم تدم فترة السلم هذه للحركة الدوناتية، فبعد عشرين شهر من حكم جوليانوس، عادت الأوضاع إلى سابق عهدها، فقد قدم الإمبراطور فالنتيانوس *Valentienius* – الذي حاول الحفاظ على التوازن الديني بين المسيحية والديانات الأخرى – وخلفائه[3] الحماية والدعم للكاثوليكية وحاولوا ضرب الدوناتية والعمل على القضاء عليها خاصة وأن الحركة سيطرة على معظم بلاد المغرب القديم ودعمها لثورة 372م[4] ثور فيرموس *Firmus*، كما ساندت ثورة جيلدون *Gildon*.[5]

لكن الحركة الدوناتية وبسبب المؤامرات والاضطهادات من قبل السلطة الزمنية والكنيسة الرسمية، اعتراها حالات التآكل الداخلي وذلك ما سعى إليه الأباطرة الرومان، فبعدما كادت تسيطر سيطرة مطلقة على كامل بلاد المغرب القديم، لتصبح البلاد دوناتيةً بحتة، بوفاة زعيم الحركة بارمينياتوس 392م[6] وتعيين أوغسطين أسقفًا جديدًا لأسقفية هيبوريجيوس في نفس السنة[7]، الذي لعب دورًا فعال في إحداث انشقاق داخل الحركة نفسها، باستعمال جميع الوسائل والإمكانيات بما في ذلك الدعوة على استخدام القوة.[8]

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 300.
2- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 218.
3- جنيبير شارل: مرجع سابق، ص 174.
4- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 219.
5- Gsell (S.): L'Algérie dans l'antiquité, Op.cit., P.115.
6- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 359.
7- أوغسطينوس: اعترافات، مصدر سابق، ص 4.
8- Gsell (S.): L'Algérie dans l'antiquité, Op.cit., P.P.115-116.

لذلك أصدرت السلطات الرومانية في عهد ثيودوس(*) أوامر بمصادرة المنازل والضيعات التي يشك أنها مراكز للاجتماعات الدوناتية، والقضاء على هذه الحركة التي أضرت بالاحتلال الروماني ببلاد المغرب القديم[1]، وفرضت غرامة مالية تقدر بعشر ليرات ذهبية على رجال الكنيسة الدوناتية، ولا أدل على ذلك قول أوغسطين: "**لقد أجبرناكم على دفع عشرات ليرات ذهبية طبقًا لأوامر الإمبراطور**"[2]، وعليه كان للأساقفة الكاثوليك دور كبير في معاناة الدوناتيين واضطهادهم.[3]

ففي الفترة ما بين سنتي 391 و430م أوحت المجامع الدينية المنعقدة خلال هذه الفترة بإصدار سلسلة من القوانين القاسية المعادية للدوناتية، وتدمير دور عبادتها[4]، فقد عقد مجمع قرطاجة في سنة 411م الذي يعتبر محاكمة حقيقية للحركة الدوناتية، وحضره 286 أسقفًا كاثوليكياً و279 أسقفًا دوناتيًا، تمت المحاكمة منذ بداية الانشقاق في 312م، وقضية الخونة والمرتدين والاتهامات الموجهة لمؤسسي الحركة الأوائل، وتم الحكم ضد الدوناتيين من طرف المبعوث الإمبراطوري والحكم عليهم بالعودة إلى الكنيسة الكاثوليكية.[5]

ورغم مجمع قرطاجة وقوانين التحريم ورغم اللجان الإمبراطورية والدعاية الكاثوليكية وما بذله أوغسطين في سبيل ذلك، إلا أن الدوناتيين بقوا منتشرين في بلاد المغرب القديم مرتبطين ببيئتهم المحلية، أوفياء للكنيسة الدوناتية، ويقاومون مضطهديهم، وظلوا موجودين إلى غاية الغزو الوندالي سنة 430م[6]، وكانوا على الدوام اليد الداعمة لكل المقاومات التي تزامنت معها ضد السلطة الرومانية وضد الأرستقراطيين والمالكين الكبار وضد كل المترومنين.[7]

ومنها أستنتج أن الحركة الدوناتية كانت حركة ثورية اجتماعية راديكالية جماهيرية، تؤمن بفعل التغيير الميداني، وترفض الاستلاب الديني المسيحي، وتحارب كل أشكال الرومنة والاستغلال الفاحش. لذلك شكلت نوعًا من رد الفعل على سياسة رومنة الديانة المسيحية، التي نجحت من خلالها روما في السيطرة على الطرف الكاثولكي، لكن الدوناتية بقيت تقاوم كل

---

*- وهو الإمبراطور ثيودوسيوس الأول (347-395م) آخر إمبراطور للإمبراطورية الرومانية الموحدة حيث انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى شطرين بعد وفاتة. أنظر: الموسوعة الحرة ويكيبيديا، رابط سابق، الإطلاع: 2015/09/14م.

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 303.

2- عبد الحميد عمران: مرجع سابق 223.

3- Henri Guys (M.): Recherches sur la destruction du christianisme dans l'Afrique septentrionale et sur les causes qui ont retardé la colonisation française en Algérie, E. Dentu, Editeur, Paris, 1865, P.6.

4- عبد الحميد عمران: مرجع سابق 223.

5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص.ص 308-309.

6- عبد الحميد عمران: مرجع سابق 234.

7- Gaid (M.): Op.cit., P.148.

الإجراءات والاضطهادات والقوانين الصادرة من قبل السلطة الرومانية والكنيسة الرسمية ضدهم، التي صادرت أموالهم وأملاكهم وأراضيهم ومنازلهم وكنائسهم ونفي زعماءها فضلاً عن الإعدامات.

كما يمكن أن أعتبرها كحدث كبير في بلاد المغرب القديم خصوصًا بعد تحالفها مع ثورة الدوراين التي دعمتها ثورتي فيرموس وجيلدون مع نهاية القرن الرابع الميلادي، لذلك كانت بمثابة الصوت المعبر عن المشاكل التي كان يعانيها المجتمع المغاربي القديم، ووسيلة للضغط على الاستعمار الروماني الإستغلالي الذي سعى للسيطرة على بلاد المغرب أرضًا وإنسانًا وعقيدة وتفكيرًا؛ لذلك فقد تقبل الديانة المسيحية كما نادى بها الحواريين، وناضلوا من أجل انتصارها، ثم اعتنقوا الدوناتية لأنهم كانوا دائمًا يرفضون التملق للسلطة الرومانية التي رأوا في اعتناقها المسيحية الكاثوليكية بداية لتغيير القيم السامية وتجسيدًا للمصالح الرومانية.

المطلب الثالث: مقاومة الدوارين الاجتماعية

اتخذت الثورات في بلاد المغرب القديم إبان الاحتلال الروماني عدة أشكال، فهناك المقاومة العسكرية التي لجأ إليها كل من تاكفاريناس وفيرموس وجيلدون، والمقاومة الدينية التي كان تعتمد عليها الحركة الدوناتية. أما المقاومة الاجتماعية فتتمثل بكل جلاء في ثورة الدوارين التي طبعت بطابع اجتماعي ثوري استهدفت الوقوف في وجه سياسة الرومنة والتمرد على السلطة الرومانية ومحاربة الاستغلال والتصدي لسياسة التفقير والتجويع التي كان تنتهجها الأرستقراطية الرومانية ضد المجتمع المغاربي، وسنتطرق إلى ثورة "الدوارين"، وتحديد الأسباب التي أفرزت هذه الثورة، وتبيان النتائج التي ترتبت عن مقاومتها الاجتماعية:

1- التعريف بالدوارين: لقد طرح إشكال حول تفسير مصطلح الدورارين أو السيركونسيليون *Circoncellion* والذي أطلقها عليهم معاصريهم من الموالين للسلطة الرومانية، أمثال أوبطا الميلي الذي استعمل هذا المصطلح لأول مرة، بعبارة الدوارون حول المخازن *Circum Cellas*، ووصفهم بأنهم قطاع طرق من الجياع الذين يحومون حول المزارع والمخازن لنهبها، فشاع استعمال هذا اللفظ[1]، وكان مركزهم ثاموقادي.[2]

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 360.
2- Mercier (E.): Op.cit., P.131.

من جهة أخرى درج القديس أوغسطين بعد ذلك في استعمال نفس المصطلح، وكان يعني بها الجناح العسكري في الحركة الدوناتية، الذي كان يستعمل لضرب رجال الكنيسة الكاثوليكية والأثرياء الرومان والمترومنين ورجال السلطة الحاكمة في بلاد المغرب القديم.[1]

وهناك قراءتان حول معنى مصطلح الدوارين، فتعتبر القراءة الأولى أنه جاء من الأصل اللاتيني *Circum Cellas* أي الذين يطوفون حول الأهراء[2]، أو حول المستودعات بحثًا عن القوت؛ في حين فإن القراءة الثانية للمقطع *Cellas* التي تعني مصلى الشهداء، وبذلك يصير مفهوم الكلمة الذين "يطوفون على الشهداء"[3]، ليحمل مدلول الطواف حول أضرحة الشهداء، وهو تفسير ديني لارتباط ثورة هؤلاء بالحركة الدوناتية[4]، ولها علاقة مع تاريخ الكنيسة الأفريقية خلال القرن الرابع الميلادي.

ومن خلال التفسيرين فإن الدوارين هم العمال الريفيين يعود ظهورهم، بعد أن تحولت المسيحية إلى ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية[5]، والدوارين هي ثورة جمعت بين الجانب الاجتماعي والاقتصادي والديني، وهم كما عرفهم قانون هونوريوس[*] *Honorius* 412م[6]، على أنها عصابات من الطبقات الاجتماعية الدنيا من المجتمع المغاربي، الذين كانوا يشتغلون كعمال زراعيين يوميين أو موسميين، يتنقلون بين مزارع كبار الملاك، ويطوفون حول أضرحة الشهداء الدوناتيين[7]، واندلعت في النصف الأول من القرن الرابع الميلادي في السنوات ما بين 330-340م.[8]

وقد أقرت وثيقة هونوريوس الارتباط الوثيق بين الدوناتية والدوارين، وذلك من خلال العقوبات المفروضة على الدوناتيين، في حالة ما إذا لم يلتحق الدوناتيين سواء منهم الأساقفة أو القساوسة أو العامة بالكنيسة الكاثوليكية التي انشقوا عنها منتهكين الحرمات، فليرغموا على أداء

1- Lancel (S.): "Circoncellions", in 13|Chèvre-Columnatien, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», n° 13, 1994 [En ligne], mis en ligne le 01 mars 2012, consulté le 14 juillet 2015. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/2288*, P.2.

2- محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 291.

3- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 239.

4- شينيتي، محمد البشير: نوميديا ورما الإمبراطورية، مرجع سابق، ص 362.

5- Lancel (S.): "Circoncellions", Op.cit., P.2.

*- **هونوريوس (*Flavius Augustus Honorius*):** إمبراطور الإمبراطورية الرومانية (393-395م) إمبراطور الإمبراطورية الرومانية الغربية (393-423م)، وذلك بعد أن قسم ثيودوسيوس الأول الإمبراطورية الرومانية لولديه آركاديوس إلى الشرق وعاصمته القسطنطينية، وهونوريوس في الإمبراطورية الغربية وعاصمته في روما. الموسوعة الحرة ويكيبيديا، مرجع سابق، تاريخ الإطلاع: 2015/09/14.

6- محمد الصالح العود: مرجع سابق، ص 47.

7- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 240.

8- محمد الصالح العود: مرجع سابق، ص 48.

غرامات فردية، وكل من أصر على البقاء على الدوناتية فإنه يتعرض إلى مصادرة أملاكه. ولم تستثني هذه الوثيقة أي كان سواءٌ كان أسقفًا أو قسًا أو غيرهم من أصحاب المزارع والمالكين وأصحاب المتاجر وحتى العمال والعبيد، وكل من كانت تربطه علاقة بالدوارين.[1]

2- الأسباب التي أفرزت هذه الثورة: لمعرفة الأسباب التي ساهمت في ظهور ثورة الدوارين (أنظر الخريطة رقم 04، ص 214) لا بد أن نستحضر العامل الديني الذي يتمثل في المسيحية التي اعتنقها كثير من الفقراء والمعوزين المغاربة الذين وجدوا فيها ملاذًا لهم من الاضطهاد الروماني وتعسفهم. فقد وجدوا المسيحية دينًا للخلاص، وعقيدة تدعو إلى المساواة الاجتماعية، والكرامة الإنسانية، والعدل والإنصاف، ونبذ الظلم والحيف والاستغلال، مع الدعوة إلى السلام والأخوة والمحبة.

وكان لظاهرة الاستغلال الاقتصادي والاجتماعي للاستيطان الروماني البشع، الذي انتهجته السلطة الرومانية وأتباعها، الذين استولوا على الأراضي الخصبة والبساتين، ونهبوا ممتلكات المغاربة وثرواتهم وأراضيهم باسم القانون، لامتصاصها وتوجيهها لخدمة الجاليات الأجنبية أو لتصريفه نحو روما، فأصبح الإمبراطور المالك الأكبر لتلك الأراضي[2] بالإضافة إلى المعمرين الرومان، ليتحول المالكين الحقيقيين إلى عمال أجراء في أراضيهم وفرضت عليهم الضرائب (أنظر الشكل رقم 62، ص 209).[3]

فكان السبب الحقيقي لتلك الثورة شدة بؤس الكادحين الفلاحين الذين لم تترك فيهم الحضارة الرومانية أي تأثير يذكر، وجعلهم الإمبراطور والسلطة الرومانية لقمة سائغة في يد الأرستقراطية الرومانية والمتأثرين بالثقافة والحضارة الرومانية من المترومنين، التي ليس لديها أي هم سوى امتصاص خيرات البلاد.[4]

وكانت بلاد المغرب القديم بمثابة خزان للحبوب بالنسبة للإمبراطورية الرومانية، ومصدرًا لتمويل الخزينة المركزية بالضرائب غير المشروعة، ومزرعة شاسعة للرخاء الاقتصادي إلى أن أصبح الشعب الروماني عالة على أهالي بلاد المغرب أصحاب الأرض ومالكيها الحقيقيين.

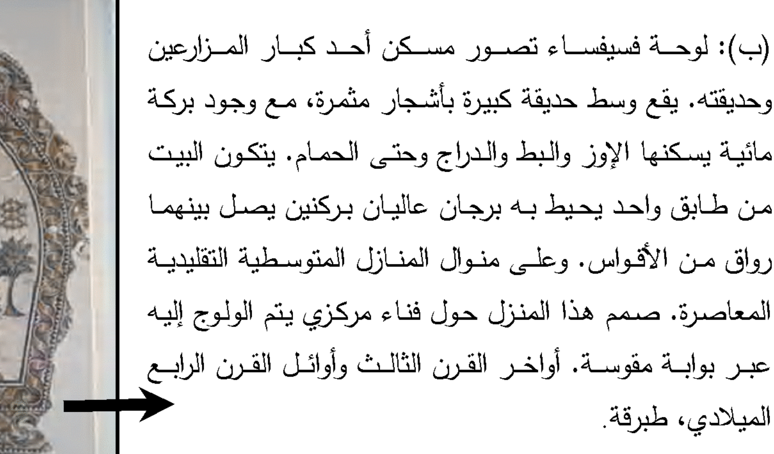
1- للمزيد أنظر: عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 248-249.
2- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 240.
3- Gsell (S.): L’Algérie dans l’antiquité, Op.cit., P.P.109-110.
4- محمد البشير شنيتي: "حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن 4م"، مرجع سابق، ص.ص 26-27.

وعليه، فالأسباب الدينية والعوامل الاقتصادية والأسباب الاجتماعية ناهيك عن الأوضاع المتردية التي كان يتخبط فيها معدمي المجتمع المغاربي، كلها ساعدت على اندلاع ثورة الدوارين التي اتخذت طابعًا ثوريًا بروليتاريًا[*] ودينيًا ضد سياسة الرومنة.



(أ): لوحة فسيفساء تصور ضيعة السيد جوليوس. في وسط اللوحة نشاهد مبنى ضخم حوله مشاهد صورت حسب طبقات ثلاث تمثل لنا النشاط اليومي لصاحب الضيعة وزوجته. أواخر القرن الرابع بعد الميلاد، قرطاجة.





(ب): لوحة فسيفساء تصور مسكن أحد كبار المزارعين وحديقته. يقع وسط حديقة كبيرة بأشجار مثمرة، مع وجود بركة مائية يسكنها الإوز والبط والدراج وحتى الحمام. يتكون البيت من طابق واحد يحيط به برجان عاليان بركنين يصل بينهما رواق من الأقواس. وعلى منوال المنازل المتوسطية التقليدية المعاصرة. صمم هذا المنزل حول فناء مركزي يتم الولوج إليه عبر بوابة مقوسة. أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع الميلادي، طبرقة.

الشكل رقم (62): فسيفساء تبين سيطرة المالكين الكبار على الأرض، **نقلاً عن:**

– متحف باردو بتونس، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/25م.

3– تطور مقاومة الدوارين: انتظمت الطبقات الكادحة خلال القرن الرابع الميلادي، في إطار ما يسمى بالحركة الاجتماعية، بدأت من نوميديا واحتوت على جمهور من العمال الريفيين الأحرار، والذين كانت قد تدهورت أوضاعهم الاقتصادية بشكل سيء، وقد انتظموا في حركة استهدفت إصلاح الوضع وتطبيق العدالة، فوجهوا ضربات قاسية إلى المالكين الكبار والأرستقراطيين؛ وقد

*- **بروليتاريا *Prolétariat***: تاريخيًا كان البروليتاري مواطنًا من الطبقة السادسة والأخيرة في المجتمع الروماني وبهذه الصفة فقد كان معفيًا من الضرائب وكان ينظر إليه على أنه مفيد من ناحية واحدة فقط وهي إنجاب الأولاد الذين سيصبحون عبيدًا أو جنودًا في خدمة المجتمع، وفي أوائل القرن التاسع عشر أعيد استعمال هذه الكلمة في الأدبيات السياسية للدلالة على الطبقات الدنيا والبائسة والمعدمة من المجتمع، تلك الطبقات التي لا تملك شيئًا ولا تستطيع أن تستمر في الحياة إلا بعملها. أنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج1، مرجع سابق، ص 433.

نظر الثوار إلى تلك الطبقة على أنها كانت مسؤولة عن سوء أوضاعهم، فأخذوا يناضلون في سبيل مقاومة ذلك والقضاء على هذا الوضع المأسوي الذي طالما عانوا منه.[1]

نشأت ثورة الدوارين في أحضان الحركة الدوناتية، فأضفت على الثوار الريفيين طابع القداسة، وجعلت أمواتهم في قائمة الشهداء، وصبغت على قادتها صفة الطهارة، وأطلقت عليهم تسمية جنود المسيح *Milite Christi*، على الرغم من أن أعمالهم وصفت بالوحشية والمقاومين بالمتمردين الخرجين عن القانون واللصوص المفسدين[2]، كما كانوا يطلقون على أنفسهم اسم المصارعين أو المقاومين *Agnostici* بالإضافة إلى جنود المسيح.[3]

بينما يهدف الكاثوليك إلى احتقار هؤلاء الثوار وإفراغ حركتهم من أبعادها الأساسية في مقاومة السلطة الرومانية، ويرى المؤرخ مونصو أن الدوارين تميزوا بالتشدد اتجاه الرجال الكاثوليك معتمدًا على نص لأوغسطين على أن الدوارين كانوا "**يقيمون الكمائن ضد أعدائهم، ويراقبونهم في الطرقات، ويختارون جنح الليل للهجوم عليهم في منازلهم**"[4]، ووصفوهم كذلك بأنهم عصابة من العراة جمعت الغاضبين والمغامرين والصعاليك والمعمرين المفلسين والفلاحين المجردين من أملاكهم والعبيد الآبقين[5]، لكن ذلك الصعلوك ما هو إلا نتاج للبؤس الاقتصادي والاجتماعي.

ولقد خلق التحالف بين الدوناتية والثوار الريفيين نوعًا من التحرر بعد انشقاق الكنيسة المسيحية في بلاد المغرب القديم، وتحول الخلاف الذي كان ذو طابع ديني إلى صراع اجتماعي قائم على التمايز الاقتصادي والاجتماعي[6]، والملفت للانتباه هو أن ثورة الريفيين لم يتم التطرق لها إلا بعد التحامها بالحركة الدوناتية سنة 347م.[7]

وتعود الجذور التاريخية لبداية التحالف بين الدوناتية والدوارين إلى عام 340م، حيث قام المتمردين بالمطالبة للقضاء على البؤس الذي يعيشونه، وقد ذكر أوبطا الميلي أن الأساقفة الدوناتيين هنا قد وجهوا نداء إلى الدوق الأفريقي تورينوس *Taurinus* من أجل كبح جماح الدوارين، وقد أرسل هذا الدوق جنوده إلى الأسواق التي كان يقتحمها الدوارون للتمون منها، وحدثت مجازر في قرية أوكتافا، هذه الأحداث خلفت الكثير من القتلى والجرحى.

1- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.298.
2- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 361.
3- Monceaux (P.): H.L.A.C., T.IV, Op.cit., P.43.
4- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 247.
5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 298.
6- محمد البشير شنيتي: "حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن 4م"، مرجع سابق، ص 31.
7- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 250.

ونتيجة لذلك فقد حدث خلاف بين الدوناتيين في حد ذاتهم حول هؤلاء القتلى، فقد رفض بعضهم دفنهم في الكنيسة ومنهم الكاهن كلاروس *Clarus* باعتبار أن الدفن محرم في بيت الله على حد تعبيره. ونتج عن ذلك الخلاف إلى بداية التلاحم والارتباط بين الريفيين والدوناتيين، لأن المبشرين الدوناتيين كانوا أكثر اطلاعًا على حقيقة هؤلاء الثوار، لذلك تعاطفوا معهم ووقفوا إلى جانبهم في محنتهم في أوكتافا عكس الأساقفة الكبار[1]، وكان لتلك الأحداث ازدياد أعداد الريفيين الذين التجأت أعداد منهم إلى الجبال.

أفرز هذا التعاطف الدوناتي خلال أحداث 340م إلى الارتباط في سنة 347م، خاصة بعد أن وجه دوناتوس في باغاي[2] دعوة هؤلاء الريفيين الانضمام إلى الحركة لمقاومة مبعوثي الإمبراطور بوليوس وماكاريوس، المكلفين بإحصاء الفقراء لتوزيع المؤونة عليهم، والسعي من أجل تكريس الوحدة الدينية في المنطقة، والتي رفضها دوناتوس وطلب من الثوار بقيادة أكسيدو وفازير التصدي للمبعوثين، اللذان طلبا من قائد الجيش الروماني الدوق سلفستر *Sylvester* التدخل بالقوة لمنع العنف الذي نظمه دوناتوس على حد زعم أوبطا الميلي. وبعد أن اتخذ المبعوث الإمبراطوري ماكاريوس الإجراءات القمعية حدث الصدام بين الطرفين، وقام بإهانة عدد من الأساقفة الدوناتيين وجلدهم وحاول إكراههم على التخلي عن مذهبهم والعودة إلى الكنيسة الرسمية الكاثوليكية.[3]

وأحتاط دوناتوس للمعيشة فحول كنيسته إلى مخزن للحبوب[4]، وبذلك تبدأ الثورة الاجتماعية والاقتصادية متخذةً بعدًا دينيًا، خصوصاً بعدما أطلق الدوارون على أنفسهم جنود المسيح وعلى قادتهم صفة الرؤساء[5]، وأخبرنا أوغسطين كيف أن صرختهم في المعركة التي كانوا يطلقونها الثناء على الله (الحمد لله *Deo Laudes*) كانت أكثر رعبًا للناس من زئير الأسود[6]، لأنها كانت ترمز للنهب والموت.[7]

إذن مثلت أحداث باغاي منعرجًا حاسمًا في الصراع بين الطرفين بانتقاله من حالة اللا تصادم إلى تحديد أهداف قائمة على سلب ونهب وحرق الملكيات الكبرى وتحرير العبيد وإرغام الدائنين على التنازل عن ديونهم وإذلال المالكين الكبار، فكان الثوار يرغمون المالكين على

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 373.
2- روبين دانيال: مرجع سابق، ص.ص 237-238.
3- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص.ص 255-256.
4- المرجع نفسه، ص 251.
5- Monceaux (P.) : H.L.A.C., T. IV, Op.cit., P.183.
6- روبين دانيال: مرجع سابق، ص 237.
7- Mercier (E.): Op.cit., P.130.

التصاغر تحت التهديد، وأصبح كل واحد منهم يسرع إلى التخلي عن ديونه مهما كانت كبيرة، وإن صادفوا سيدًا في الطريق ينزلونه من عربته ويأمرون خادمه بالركوب بدلاً منه ويجبرونه على الجري أمام خُدامه.[1]

وقد استعمل الثوار الدوناتيون العصي الطويلة في حربهم معتمدين على النص الديني الذي يمنع استعمال السيف لأن مستعمله سيهلك به[2]، واعتبروا قتلاهم من الشهداء الجديرين بالتقديس، وامتازت هذه الثورة بالانتشار، وذلك ما دلت عليه النقوش المكتشفة، ففي مقاطعة نوميديا وموريتانيا حمل ختم وجد في فرجيوة ما بين ميلاف وكويكول سطر نقش عليه عبارة (*Leo laudes* لله الحمد)، وختم آخر أوجز العبارة (*L(e)o laud(e)s*)، وهذه العبارة وجدت منقوشة بهنشير بوسعيد ما بين تيفست وماسكولا وفي باغاي وغيرها من المناطق.[3]

4- نتائج ثورة الدوارين: كان من نتائج ثورة الريفيين، انتشار حالة اللا أمن عبر الطرقات، فكان سير المعمرين والمالكين والأرستقراطيين عبر الطرقات يعتبر مجازفة حقيقية، لأن الثوار كانوا يستهدفونهم لإذلالهم وتحرير العبيد وتمزيق عقود شراء العبيد وتحريرهم بالقوة، ما مكن الثوار من حشد المزيد من المتعاطفين والمتضررين، ووجه الثوار رسائل تهديد إلى الدائنين من أجل التنازل عن ديونهم، ولم يعد لعقد الاعتراف بديّن أي قيمة، ولم يعد الدائنين قادرين على تحصيل ديونهم.[4]

ولقد دفع ذلك الكثير من الأثرياء إلى اعتناق النحلة الدوناتية في المدن والأرياف حفاظًا على مصالحهم من أن تتعرض للخطر، واضطر بعضهم إلى تسريح عبيدهم في المحاكم تحت ضغط الثوار، لإضفاء الشرعية القانونية لتصرفهم.[5]

أفرزت الثورة تنامي ظاهرة التضامن بين الأهالي، لتحميل السلطة الرومانية وأتباعها الوضع الذي آلت إليه بلاد المغرب القديم، وسعت إلى تحرير الناس وأصبح الأمل في التحرر ممكن التحقيق، خاصة بعد الارتباط بين الثورة والحركة الدوناتية[6]، ما مكنها من التحول إلى ثورة معارضة لسياسة الرومنة التي بدأت تهتز[7]، في ظل غياب مظاهر السلطة الرومانية، وعدم

1- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 252.

2- Monceaux (P.): H.L.A.C., T. IV, Op.cit., P.181.

3- Ibid., P.P.439-442. Gautier (E.-F.): le passé de l'Afrique du nord, Op.cit., P.125.

4- Augustin (St.): Les lettres, trad. sur l'édition nouvelle des pères bénédictins de la congrégation de S. Maur par m. Du Bois, T.V, chez André Pralard, Paris, CLXXXV.

5- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 374.

6- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 256

7- Gautier (E.-F.): le passé de l'Afrique du nord, Op.cit., P.125.

قدرتها على التحكم في الوضع، وعدم قدرة قضاتها على فرض القانون، ولم تعد هناك قدرة على تحصيل الضرائب.[1]

تراجع الإنتاج الزراعي في المناطق التي شملتها الثورة، ما عدا التي كانت تتوفر على الحماية الرومانية، خاصة وأن الثوار كانوا يقومون بأعمال السلب والنهب لمخازن الحبوب، وكانوا يأكلون كل ما يجدونه أمامهم ويقومون بتوزيع الحبوب على المحتاجين، وأحدث ذلك تدهورًا للاقتصاد الروماني، وتراجع اليد العاملة الموسمية التي تعد ضرورية للاقتصاد الزراعي أثناء فترات جني المحاصيل بالأخص الزيتون والحبوب والخضر.

استخدمت الإمبراطورية الرومانية كل الوسائل المتاحة من أجل القضاء على الثورة المدعومة من الحركة الدوناتية، بإرسال جيش للقضاء عليها، والذي قام بمجازر في باغاي سنة 347م، فقتل الكثير منهم وتم نفي دوناتوس[2]، وساهم ذلك في ازدياد التضامن الاجتماعي بين الأهالي، والذي تحول إلى عامل اتحاد ومناهضة للإمبراطورية الرومانية والكنيسة الرسمية، ولم تثني تلك الأحداث الدموية من عزيمة الثوار، فكان الرومان يعتقدون أثناءها أنهم قد قضوا نهائيًا على الثورة، لكن الثوار كانوا في كل مرة يتحينون الفرصة للانطلاق من جديد.[3]

كانت الثورة في البداية ذات منطلق اجتماعي اقتصادي، بين الرومان والمترومنين الذين كانوا يتحكمون في الاقتصاد والمعاش، والطبقات الاجتماعية الدنيا الكادحة التي كانت تعيش في وضع مزري[4]، لأنها لم تكن ذات خلفية إثنية أو قبلية معينة ولا جهة جغرافية ضيقة؛ إنهم كانوا من الأهالي الذين يسكنون الأرياف أو الرحل أو الذين كانوا يشتغلون في بيوت الأغنياء ويسكنون أطراف المدن.[5]

كانت ثورة الريفيين استمرارية لثورات القبائل خلال القرن الثالث الميلادي مثل ثورة قبائل الأستورياني *Austurianes* (364-366م) التي داهمت المؤسسات الزراعية في إقليم لبدة بمقاطعة تريبوليتانيا، وحربًا شعبية طبقية، ضد الأوضاع السيئة التي كانت كنتيجة لسياسة الرومنة، وما خلفته من ضيم اجتماعي وهيمنة الطبقة الأرستقراطية والغنية على الموارد

1- Augustin (St.): Les lettres, Op.cit., T.V.

2- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص.ص 256-257.

3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 301.

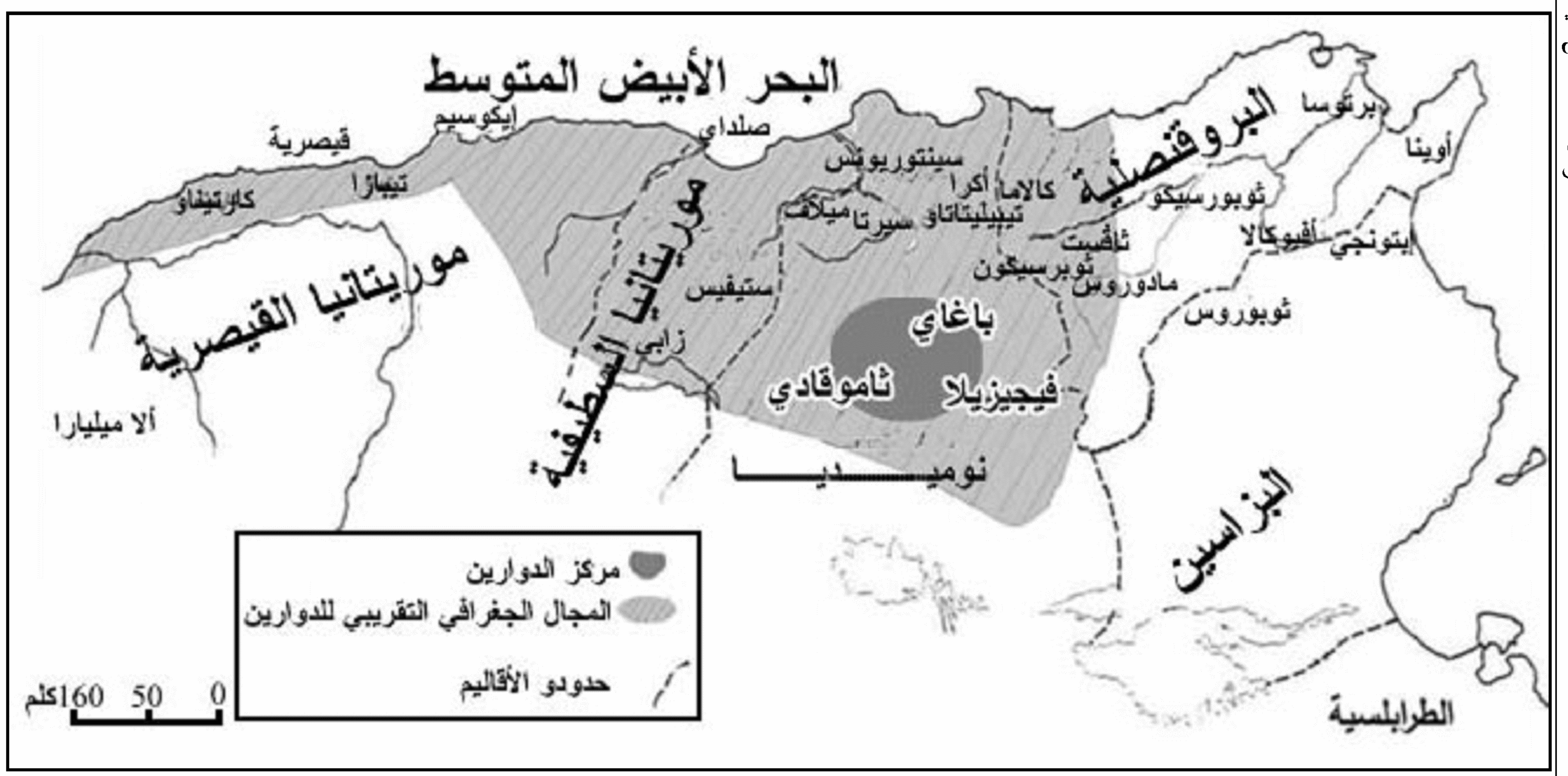
4- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 257.

5- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 370.

الاقتصادية المدعومة بقوة السلطة الرومانية التي حمت تلك المصالح بالقوة والقانون[1]، وقد انضمت الثورة الريفية إلى ثورة الأمير فيرموس بعد سنة 372م.[2]

ومن هنا أستنتج أن الثورة الريفية كانت بمثابة ثورة اجتماعية بروليتارية راديكالية، ترفض كل تفاوت اجتماعي طبقي، وثارت على الميز العنصري والاستغلال الاقتصادي الذي كان ممارس في حق المجتمع المغاربي، واعتمدت على الفلسفة الدوناتية التي كانت تحرض على الانتفاض في وجه الاحتلال الروماني، وضد سياسة الرومنة التي استهدفت الأرض والمجتمع وثقافته، وفرض ثقافة المستعمرين، موظفاً في ذلك ترسانته العسكرية والقانونية والثقافية.

1- محمد البشير شنيتي: نوميديا وروما الإمبراطورية تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، مرجع سابق، ص 369.
2- المرجع نفسه، ص 375.



خريطة رقم (04): خريطة تقريبية لثورة الدوارين، **نقلاً عن:**

- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 254. (تصرف الطالب)

المبحث الثاني: المواقف العسكرية والسياسية

إن المقاومات والثورات التي قادها المقاومين المغاربة في القرون الأولى من الاحتلال الروماني لبلاد المغرب أمثال يوغرطة ويوبا الأول وأرابيون، كانت لها علاقة بمظاهر الغزو الاستعماري الروماني للبلاد، وخلال الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد فإن التتابع الطويل للانتصارات التي كان يحرزها قادة الجيوش الرومانية على مختلف ثورات البلاد، لدليل على أن سكان بلاد المغرب القديم لم يخضعوا خضوعًا تامًا لسياسة الرومنة التي مست كل المجالات وخاصة الثقافية منها، وسأتناول في هذا المبحث نموذج عن المقاومة المغاربية ضد الغزو الروماني، ونماذج الثورات التي جاءت كردة فعل على سياسة الرومنة عامة.

المطلب الأول: مقاومة يوبا الأول

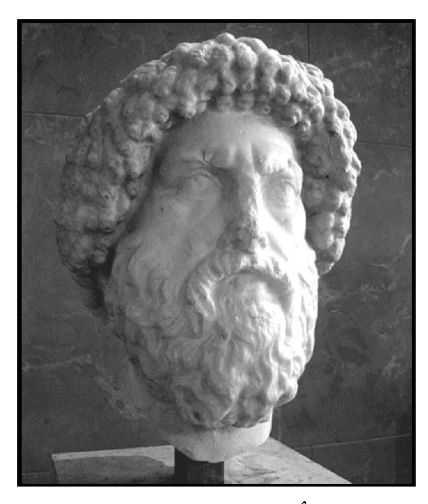
لقد كان كفاح يوغرطة ضد الاستعمار الروماني في بلاد المغرب القديم، الأرضية المتينة لكل النضالات المتلاحقة التي قدمها أجدادنا ضد الاستعمار الروماني[1]، وتعد مقاومة يوبا الأول من تلك المقاومات التي وقفت في وجه الأطماع الرومانية في السيطرة على الأرض المغاربية.

لقد قام يوبا الأول (58-46ق.م) (أنظر الشكل رقم 63، ص 216) منذ توليه العرش الملكي في نوميديا، بفرض سيطرته على كامل مملكته، ونظم العديد من الحملات العسكرية ضد القبائل المناهضة لسلطته، فأخضعها بالقوة العسكرية، وقد امتازت علاقاته مع الموريتانيين بالتوتر والخلاف المستمر[2]، وقام بتحصين عاصمة مملكته مدينة زاما *Zama* بأسوار من أجل الدفاع عنها عندما تقتضي الحاجة إلى ذلك.[3]

لقد انحاز يوبا الأول أثناء الصراع بين قيصر وبومبيوس إلى هذا الأخير، وسبب مناصرته لحزب البومبيين الأرستقراطي الذي كان متحفظًا اتجاه توسيع الحدود على حساب مملكة نوميديا، وكون قيصر كان يتزعم حزب العامة ذو التوجهات التوسعية الاستيطانية، ومنه فمناصرته لبومبيوس يكون بناءًا على بديهية "أهون الشرين" على حد تعبير محمد البشير شنيتي[4]، ففي عام 49ق.م أخذ الصراع بين قيصر ضد خصومه البومبيين أبعادًا أخرى، فقد خرج هؤلاء من شبه جزيرة إيطاليا ونظموا صفوفهم في منطقة البلقان وفي شبه جزيرة أيبيريا وبلاد المغرب القديم؛ فكان على قيصر أن قام بتنظيم حملة عسكرية ضدهم في أسبانيا وكلف أحد قادته وهو كوريون

1- محمد الصغير غانم: "يوغرطة رائد الكفاح النوميدي ضد الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص 31.
2- محفوظ قداش: مرجع سابق، ص 108.
3- Gsell (S.): H.A.A.N., T.VII, Op.cit., P.293.
4- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، مرجع سابق، ص 62.

Curion[1] بالذهاب إلى بلاد المغرب لمواجهة حاكم أوتيكا آتيوس فاروس *P. Attius Varus*، الموالي لبومبيوس المتحالف مع يوبا الأول بعد انتصاره على كاتو[2] بصقلية، والذي مات منتحرًا بعد أن غرز سيفه في صدره[3]، وقد نزل كوريون شمال شرق تونس في منتصف شهر جوان 49ق.م وقام بحصار مدينة أوتيكا، بعدما عجز فاروس من مواجهته فتراجع إلى مدينة أوتيكا، وفي تلك الأثناء تنقل يوبا الأول لنجدة حاكم أوتيكا فاروس، والانتقام من كوريون الذي كان يحمل له ضغينة لأنه طالب في إحدى جلسات مجلس الشيوخ بضم مملكة نوميديا إلى الممتلكات الرومانية، حينما كان كوريون تريبونًا[*] *Tribunus* استصدر قرارًا باحتلال نوميديا، وقد عرض وجهاء هذه المدينة من أنصار قيصر تسليم المدينة لكوريون مخافة أن يفقدوا ممتلكاتهم إذا انتصر يوبا الأول.[4]



الشكل رقم (63): يوبا الأول، **نقلا عن:**
– الموسوعة الحرة ويكيبيديا، رابط سابق، تاريخ التحميل: 2015/08/19م.
أنظر: السليماني أحمد: مرجع سابق، ص 162.

وقد حقق جيش كوريون انتصارًا جزئيًا في المعركة، فقام يوبا الأول باستدراجه إلى الموقع الملائم للمعركة، وكاد أن يبيد الجيش الروماني وطالب يوبا الأول برأس هذا القائد الروماني، ودخل بجيشه إلى أوتيكا منتصرًا[5]، وقتل كوريون في هذه المعركة في 28 جوان 49ق.م[6]، ولما بلغت أخبار هذا الانتصار إلى البومبيين، قام مجلس الشيوخ الذي كان بالمنفى في مقدونيا بمنح

1- إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى 133ق.م، ج2، مكتبة الأنجلو-مصرية، القاهرة، 1983م، ص 656. Gsell (S.): H.A.A.N., T.VII, Op.cit., P.295

2- عبد اللطيف أحمد علي: التاريخ الروماني، عصر الثورة من تيبيريوس جراكوس إلى أكتافيوس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ت، ص 278.

3- يوليوس قيصر: حرب أفريقية 47-46ق.م، تر.: محمد الهادي حارش، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م، ها. 1، LXXXVIII، ص 91. نجيب إبراهيم طراد: تاريخ الرومان، تقديم: محمد زينهم عزب، مكتبة ومطبعة الغد، طباعة نشر وتوزيع، مصر، 1998م، ص 222.

*- تريبون *tribune* باللاتينية *tribunus* هو ضابط أمير يقود أحد الليجيونات (الفيالق) *légion*، الرتب العسكرية، الموسوعة العربية، الرابط: *http://www.arab-ency.com/ar*، تاريخ الإطلاع: 2015/08/20م.

4- فرحاتي فتيحة: نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني الحياة السياسية والحضارية (213ق.م – 46ق.م)، منشورات أبيك، طبع بمطبعة متيحة، الجزائر، 2007م، ص 178. Gsell (S.): H.A.A.N., T.VII, Op.cit., P.295.

5- Gsell (S.): H.A.A.N., T.VII, Op.cit., P.295.

6- فرحاتي فتيحة: مرجع سابق، ص 179.

هذا الملك النوميدي لقب (ملك صديق وحليف الشعب الروماني)، بينما قرر الموالين لقيصر إلى اعتبار يوبا الأول وبومبيوس من أعداء الشعب الروماني.(1)

لقد تعاظم شأن الملك يوبا الأول في أعين النوميديين والرومان بعد الانتصار الساحق الذي حققه على أنصار قيصر في بلاد المغرب القديم، ذلك ما دفع بأنصار بومبيوس إلى المراهنة على كفاءة جيش يوبا الأول في هزيمة القيصريين، فقدموا وعودًا من أجل أن يقف النوميد إلى جانبهم؛ فوعدوه بفتح المقاطعة الرومانية بأفريقية له في حالة الانتصار، وكذا تقديم يد العون له من أجل صك عملة خاصة به سنة 49ق.م.(2)

بعد مقتل زعيم البومبيين (بومبيوس) في معركة فارسالوس في جوان 48ق.م انتقل معظمهم إلى بلاد المغرب القديم(3)، وبدأوا في التحضير لخوض غمار معارك أخرى أكثر شدة، فتمكنوا في مدة قصيرة من جمع الكثير من المقاتلين حوالي 40 ألف جندي مشاة و15 ألف فارس، يضاف إليهم الجيش النوميدي التابع للأقليد يوبا الأول، وتمركزت تلك القوات كلها حول أوتيكا *Utica*.(4)

لقد قرر قيصر بعد هذه التطورات الحاصلة في بلاد المغرب، أن ينتقل بنفسه إلى المنطقة للقضاء على منافسيه ومعارضيه البومبيين، ونزلت قواته بالقرب من هادروميتوم *Hadrumetum* (سوسة) في 28 ديسمبر من عام 47ق.م، وكان جيشه يتكون من 10 كتائب تظم حوالي 60 ألف جندي و15 ألف فارس(5)، وقد حاول قيصر السيطرة على هذه المدينة لكنه لم يتمكن من ذلك لحصانتها، فتراجع إلى روسبينا *Ruspina*.(6)

وتعرضت قوات يوليوس قيصر(*) هناك إلى العديد من الهجمات من قبل معارضيه البومبيين بالأخص من قبل لابينوس *Labienus* الذي كان يقود حوالي 10 آلاف جندي معظمهم من النوميديين، وتمت محاصرته (قيصر) هناك بعد وصول يوبا الأول رفقة جيشه

1- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 164. فرحاتي فتيحة: مرجع سابق، ص 179.

2- محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010م، ص 192.

3- محمد الهادي حارش: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، مرجع سابق، ص 76.

4- Gsell (S.): H.A.A.N., T.VII, Op.cit., P.295.

5- إبراهيم نصحي: مرجع سابق، ص 657. Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.151.

6- **روسبينا:** هي هنشير تنير بالقرب من مدينة المونيستير بتونس. شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 166.

*- يوليوس قيصر *Julius Caesar* (100ق.م- 44م): من أهم الشخصيات التي لعبت دورًا هامًا في التاريخ الروماني، فلم يكن قائدًا عسكريًا فذًا فحسب، بل كان رجل دولة وسياسيًا من الطراز الأول، كما كان من أعظم كتاب النثر اللاتيني وكان خطيبًا مفوهًا. أنظر: موسوعة الشروق، مرجع سابق، ص.ص 319-320. وأنظر: عبد الوهاب الكيالي: موسوعة السياسة، ج7، مرجع سابق، ص.ص 472-473.

وميتيلوس سيبيون بحوالي ثمانية كتائب وثلاثة آلاف فارس[1]، لكن التحالف الذي كان يجمع بين سيتيوس[*] *Sittius*[2] مع الملك الموريتاني بوكوس الثاني، اللذين كان قيصر قد أغراهم بأن يكون لهما نصيب بعد القضاء على البومبيين[3]، فقام سيتيوس[**] وبوكوس بالاستيلاء على كيرتا فأعملا فيها القتل والأسر ثم توغلا في الأرياف وخربوها[4]، ما دفع بيوبا الأول إلى الانسحاب لحماية مملكته من المغامر الإيطالي الذي كان يقود عصابة من المرتزقة القراصنة في البحر الأبيض المتوسط[5]، واسترجع يوبا الأول كيرتا وبعض المدن التي احتلها سيتيوس، وأسند إلى قائده سابورا وماسينيسا مهمة متابعة سيتيوس والدفاع عن كيرتا ثم عاد وانضم إلى سيبيون[6]، ويذكر محمد البشير شنيتي في هذا الإطار على أن موقف بوكوس كان مخيبًا لأمل الطامحين إلى التحرر، ولكن ساهم بشكل كبير في إنهاء المملكة النوميدية، ويكون بذلك قد سار على نهج بوكوس الأول مفضلاً استمرار العلاقة الحسنة مع الرومان على حساب مناصرة النوميديين من بني جلدته.[7]

انتهج قيصر سياسة مكنته من السيطرة على الوضع وتحقيق الأهداف التي يصبوا إليها في القضاء على معارضيه، لذلك فقد سعى إلى إيجاد حلفاء له يعتمد عليهم في أوقات الحاجة، بالإضافة إلى تشتيت صفوف خصومه، لذلك وأثناء حصاره في روسبينا انتظر وصول الإمدادات العسكرية لينتقل إلى موقع يشرف على أوزيتا[***] *Uzitta* والتي كانت ترابط فيها فرقة عسكرية يقودها سيبيون الموالي لبومبيوس[8]، فكان قيصر يأمل أن تخرج قوات سيبيون من موقعها

1- César (J.): La guerre d'Afrique, Ch. XlIX., trad. A. Bouvet, éd. Les belle-lettres, coll. P.U.F, Paris, 1949. Trad. Français a celle de la collection Nisard, Œuvres complètes, Paris, 1865, URL: *www.remacle.org*.

*- واسمه الكامل بوليبوس ستيوس، وهو الذي فر من دائنيه في روما وذهب إلى أسبانيا لتكوين ثروة جديدة ثم كون جيشًا خاصًا وأسطولاً صغيرًا وانخرط في خدمة حكام موريتانيا منذ 20 عامًا، أنظر: إبراهيم نصحي: مرجع سابق، ص 657.

2- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.157.

3- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، مرجع سابق، ص.ص 62-63.

- **سيتيوس بوبليوس: مرتزق روماني، دعم قيصر في أفريقيا، هزم جيوش يوبا الأول وأنصار بومبيوس 46ق.م، سلمه قيصر جزءًا من مملكة مسينيسا الثاني كجزاء مساعدته، قتله أرابيون ابن هذا الأخير سنة 44ق.م على إثر عودته من أسبانيا واسترجع أراضي والده. يوليوس قيصر: مصدر سابق، ها. 1، ص 33.

4- المصدر نفسه، XXV، ص 33.

5- محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق ص.ص 193-194.

6- فرحاتي فتيحة: مرجع سابق، ص 181.

7- محمد البشير شنيتي: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، مرجع سابق، ص.ص 62-63.

***- **أوزيتا:** مدينة تقع ما بين ثابسوس وهردومت، وكانت تحتوي على مخازن هامة من المؤونة والأسلحة. يوليوس قيصر: مصدر سابق، ها. 2، ص 91.

8- إبراهيم نصحي: مرجع سابق، ص 659. شارل أنري جوليان: مرجع سابق، ص 166. César (J.): La guerre d'Afrique, Op.cit., 51, 1.

المحصن ومواجهته، لكنه فشل في ذلك بحكم أن خصمه المرابط كانت تدعمه قوات لابيينوس فانسحب إلى منطقة أقّار *Aggar*(*) في فيفري 46ق.م.[1]

لكن تلك الأوضاع لم تدم طويلاً، فبعد أن فشل قيصر من استدراج سيبيون، قام بالانتقال إلى رأس ديماس بالقرب من ثابسوس *Thapsus* في 46ق.م[2]، ثم قام قيصر بتنظيم هجومين كاسحين، فهزم في الأول جيش سيبيون والثاني جيش يوبا الأول والقنصل الروماني أفرانيوس، وقتل منهم حوالي العشرة آلاف جندي[3]، بالمقابل استطاع سيتيوس من تحقيق انتصار على النوميديين الذين كانوا مكلفين بحماية كيرتا.[4]

لقد شكلت معركة ثابسوس التي دامت ثلاثة أسابيع، نقطة تحول في مجريات الأحداث، فتشتت أنصار بومبيوس، وأصبح الملك يوبا الأول مشردًا، وبعد الهزيمة فر باتجاه عاصمته زاما المدينة التي رفض أهلها أن يفتحوا له الأبواب[5]، بينما فتحوا أبوابها للمنتصر قيصر واستقبلوه استقبالاً حارًا، وبهذا يصبح الملك بلا ملك، وحتى بلا أولاد بعدما رفضت المدينة تسليمهم له، لذلك فقد فضل الانتحار من أن يقع أسيرًا بيد الإمبراطور قيصر.[6]

فقد اتجه رفقة باتريوس إلى مزرعة بالقرب من زاما في بيته الريفي، وقرروا القضاء على حياتهما من خلال مبارزة بين الاثنين قتل فيها يوبا باتريوس ثم سلم السيف إلى أحد الخدم وأمره بقتله، وبهذا مات في أواخر الشهر الرابع من عام 46ق.م.[7]

نتائج مقاومة يوبا الأول: لقد أدى انهزام يوبا الأول إلى نتائج خطيرة على بلاد المغرب القديم، نتيجة للإجراءات التي قام بها الإمبراطور المنتصر؛ حيث تمت إزالة المملكة النوميدية وتحويلها إلى مقاطعة رومانية تحت اسم أفريقية الجديدة *Africa Nova*، وجعل لها هذا الاسم حتى تتميز عن أفريقية القديمة *Africa Vetus*، يفصل بينهما الخندق الملكي *Fossa Regia* الذي حفره سيبيون الأميلي بعد تدمير قرطاجة سنة 146ق.م، وتم تعيين سالوستيوس كأول بروقنصل لهذه

---

*- **أقار**: حسب شارل أندري جوليان فهي تقع قرب قصور الساف على بعد 10 كلم من الجنوب الغربي من المهدية و34 كلم من الجنوب الشرقي من معسكر قيصر. شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 166.

1- إبراهيم نصحي: مرجع سابق، ص.ص 659-660. Mac Carthy (O.): Étude critique sur la géographie comparée et la géographie positive de la guerre d'Afrique de Jules César, 1ère partie, Re.Afr., T.9, 1865, P.P.430-458.

2- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.154.

3- César (J.): La guerre d'Afrique, Op.cit., Ch. XlIX.

4- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.156.

5- إبراهيم نصحي: مرجع سابق، ص 661. César (J.): La guerre d'Afrique, Op.cit., Ch. XlIX.

6- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.156.

7- فرحاتي فتيحة: مرجع سابق، ص 183. يوليوس قيصر: مصدر سابق، XCI، ص.ص 93-94، XCIV ، ص.ص 95-96.

المقاطعة[1]، وتحولت بذلك إلى مورد اقتصادي هام لروما، خصوصًا أن بلاد المغرب القديم كانت تمتاز بثروة زراعية هامة، ولعل أفضل دليل على ذلك تصريح يوليوس قيصر أثناء الاحتفال باحتلال مملكة نوميديا حين قال: "**أتيت لروما ببلد يستطيع أن يزودها بمليون ومائتي ألف مد القمح**".[2]

وفيما يتعلق بالحدود الغربية فقد ذكر شارل أندري جوليان أنها كانت تمتد عبر الخط المار بين هيبوريجيوس (عنابة) وروسيكادا (سكيكدة) وينحدر نحو الجنوب غربي كالاما (ڤالمة) ثم باتجاه الجنوب الشرقي ليصل إلى كابسا (ڤفصة).[3]

وبالنسبة للوعود التي قدمها لحلفائه سيتيوس وبوكوس الثاني، فقد منح للأول الإقليم الشمالي الغربي من مملكة نوميديا الممتد شمال مصب وادي أمساڤة *Ampsaga* (الوادي الكبير)، إلى الحدود الغربية للولاية الرومانية الجديدة، والتي تشمل كل من كيرتا وروسيكادا وشولو (القل) وميلة، والتي شكل منها هذا الأخير ما يسمى بالاتحاد الكيرتي الذي سيتم إلحاقه فيما بعد موت سيتيوس؛ أما بوكوس الثاني فقد نال الجزء الغربي من مملكة نوميديا.[4]

لم تمت روح المقاومة في المغاربة بعد النهاية المأساوية التي تعرضت لها مملكة نوميديا التي أزيلت من على الوجود، فقد استغل المغاربة فرصة اغتيال يوليوس قيصر عام 44ق.م، فقاد أرابيون[5] ابن ماسينيسا الثاني مقاومة ضد الرومان، لكن مقاومته لم تدم طويلاً فقد قضى عليه حاكم أفريقية الجديدة، وبعد وصول أوكتافيوس أغسطس إلى العرش الإمبراطوري عام 36ق.م، قام بدمج المقاطعتين في ولاية واحدة وأسماها أفريقية البروقنصلية *Africa Proconsularia*[6]، وسلم إلى يوبا الثاني ممتلكات بوكوس وممتلكات بوڤود وجزءًا من أراضي جيتوليا تعويضًا له عن ممتلكات آبائه التي أصبح جزء كبير منها تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية[7]، لذلك لم تكن

1- عبد القادر بوعزم: "التوسع الروماني والمقاومة المغاربية (مقتل بطليموس وردّ فعل المور)"، مجلة عصور، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث العلمي، العدد: 6-7، جوان – ديسمبر 2005م/1426هـ، ص 254. يوليوس قيصر: مصدر سابق، XCVII، ص.ص 97-98. هاينريش فون مالتسان: مرجع سابق، ص.ص 71-32. Gaid (M.): Op.cit., P.123.

2- منصوري خديجة: "أهمية قمح المغرب القديم من خلال النصوص القديمة"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا، جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد: 10، شركة باتنيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، 1420هـ/1999م، ص 40.

3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 168.

4- عبد القادر صحراوي: التحصينات العسكرية أثناء الاحتلال الروماني (46ق.م-284م)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2011م، ص 19. هاينريش فون مالتسان: مرجع سابق، ص 32. Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.157-158.

5- عبد القادر بوعزم: "التوسع الروماني والمقاومة المغاربية (مقتل بطليموس وردّ فعل المور)"، مرجع سابق، ص 254.

6- Gsell (S.): H.A.A.N, T.III, Op.cit., P.P.185, 196.

7- عبد القادر بوعزم: "التوسع الروماني والمقاومة المغاربية (مقتل بطليموس وردّ فعل المور)"، مرجع سابق، ص 254.

مملكته (موريتانيا) في الحقيقة مستقلة تماماً عن الإمبراطورية الرومانية، فيمكن اعتبارها كولاية رومانية تتمتع باستقلال محدود.[1]

أستنتج أن يوبا الأول من دون شك كان على علم بأطماع الرومان في البلاد المغاربية، وكانت له طموحات في الحفاظ على مملكة أجداده من الهيمنة الرومانية، لذلك لجأ إلى سياسة التحالف مع خصم يوليوس قيصر، من أجل تحقيق ذلك الطموح، لكن قوة وحنكة الإمبراطور قيصر كانت أكثر من طموحات الأقليد النوميدي والذين تحالف معهم، فقد تمكن من القضاء على كل خصومه في بلاد المغرب بالكامل، ما كان له نتائج كارثية على البلاد المغاربية، لأن ذلك سيفتح المجال للرومان من أجل الاستيلاء على ما تبقى من بلاد المغرب القديم، وابتلاع المنطقة شيئًا فشيئًا، لكن بالمقابل لم تتوقف المقاومة إلى غاية نهاية الوجود الروماني في المنطقة.

المطلب الثاني: مقاومة تاكفاريناس (17م-24م)

لقد استمرت المقاومات والانتفاضات، وكانت أخطرها الثورة التي اشتهرت باسم قائدها تاكفاريناس *Tacfarinas* خلال القرن الأول الميلادي، والذي نظم المقاومة واكتسب شعبية كبيرة، وأصبح زعيمًا ثوريًا ينطق باسم الثائرين ويعبر عن إرادة الأهالي في المطالبة بحقوقهم من الإمبراطور الروماني تيبريوس *Tiberius*[2]، وتمكن خلالها هذا الثائر من قهر الجيوش الرومانية[3]، وسنتطرق إلى بعض حيثيات هذه الثورة (أنظر الخريطة رقم 05، ص 227).

تعد أسباب هذه الثورة محل خلاف ونقاش بين المؤرخين، وحسب محمد غانم الصغير فإن هذه الثورة كانت أول ثورة شعبية اندلعت في بلاد المغرب القديم ضد سياسة الرومنة، ووصفت بأنها كانت من بين الحروب الشرسة ذات الأهداف التحررية التي استغرقت سبع سنوات وامتدت من سنة 17م إلى سنة 24م[4]، وقد أشار مارسيل بنابو إلى محاولات الاستيطان وتكريس الهيمنة الرومانية في البروقنصلية، خاصة أثناء فترتي حكم الإمبراطورين أوكتافيوس وتيبريوس من بعده[5]، ذلك أن الرومان استولوا على أجوَد الأراضي في بلاد المغرب القديم، وحُرم المغاربة منها حيث طُردوا إلى المناطق الجبلية الصعبة وغير الصالحة للزراعة لذلك رأى الأهالي أن الخطر

1- كولين ماكفيدي: أطلس التاريخ الأفريقي، تر.: مختار السويفي، مطابع الهيئة المصري العامة للكتاب، ص 55.

2- Benabon (M.): Op.cit., P.78.

3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 178.

4- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مجلة الثقافة، العدد 115، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1997م، ص 12. محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج1، مرجع سابق، ص211. عبد القادر بوعزم: "التوسع الروماني والمقاومة المغاربية (مقتل بطليموس وردّ فعل المور)"، مرجع سابق، ص 257.

5- Benabon (M.): Op.cit., P.76.

الروماني ظل يبتلع أراضيهم شيئًا فشيئًا[1]؛ أي أنها ترجع إلى بداية شق الليمس الروماني الذي ربط بين خليج السرت شرقًا ومعسكر حيدرة بالقرب من تبسة غربًا وما ترتب عنه من حد لحرية قبائل الموسولام. وحسب كانيا *Cagnat* فإن سبب هذه الثورة كذلك يعود إلى طبيعة المجتمع المغاربي في هذه المناطق التي كانت بعيدة عن التأثيرات الرومانية وتمسكه بالحرية.[2]

كما قامت هذه الثورة على إثر شق الطريق الاستراتيجي الرابط بين كاسترا هيبيرنا *Castra Hiberna* الواقعة بين تيفست وقابس مرورًا بحيدرة *Amaedara* وقفصة *Capsa*، بعد استقرار الفيلق الثالث الأغسطي في حيدرة قبل نقله إلى مدينة تيفست، ما خلق عامل إعاقة لتنقلات قبائل الموسولام والجيتول الشبه مستقرة التي تعتمد على حرفة الرعي.[3]

فلم يكن أمام تلك القبائل إلاّ الخضوع للرومان أو مقاومة تلك السياسة، وقاموا بثورة تزعمها شاب نوميدي يدعى تاكفاريناس[4]، وهو قائد نوميدي ينتمي إلى قبيلة الموسولام[*] *Musulam* بالأوراس، ويعتبر من أبرز قادة المقاومة العسكريين البارزين، على الرغم من سكوت المصادر التاريخية القديمة عنه، انضم إلى جيش الرومان في فرق المساعدين، وليس الفرق الرومانية، لأن الفرق المساعدة احتياطية وتتكون من الأهالي المجندين، وتدرب خلال السنوات التي قضاها في الجيش على فنون القتال وأساليب الحرب الرومانية، ليكتسب خبرة عسكرية وظفها فيما بعد في قيادة جيشه ومواجهة الاحتلال الروماني، ثم فر من الجيش الروماني في ظروف غامضة عام

1- Gsell (S.): H.A.A.N, T.III, Op.cit., P.229-230.

2- Cagnat (R.): L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1913, P.19.

3- جمال مسرحي: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجًا، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، تخصص تاريخ حضارات البحر الأبيض المتوسط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009م، ص 111.

4- محمد السيد محمد عبد الغني: نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 1999م، ص 98.

*- الموسولام من أشهر القبائل المغاربية التي اقترن اسمها بمقاومة الاحتلال الروماني، وورد ذكرها في النصوص والوثائق القديمة، على أشكال مختلفة منها: موسولامي *Musulami* وموسولاني *Musulani*، ويرجح محمد العربي عقون أن تكون تسميتهم موسولان، لأن صيغتها أقرب إلى اللغة الليبية أي تنتهي بالنون علامة على الجمع، والكلمة ليست بعيدة عن ماسيل إذ يعتبرهم الموسولام نفسهم الماسيل قبيلة الأسرة الملكية النوميدية. وكانت وراء مقاومة قائدها تاكفاريناس، وحسب المؤرخين كانت مستقرة في الكتلة الأوراسية ومحيطها خلال القرن الأول للميلاد يحدها: (شمالاً كيرتا، جنوبًا الجيتول والجرمنت، وشرقًا تمتد إلى غاية تبسة، وغربًا الحضنة)، كما فيهم المستقرين جهة تبسة ومادوروس وبدو رحل أو أصناف رحل. أنظر: محمد العربي عقون: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، مرجع سابق، ص 179. Gsell (S.), Inscriptions latines de l'Algérie, T.1, Op.cit., P.P. 267

17م، وقد جمع حوله الكثير من أبناء قبيلته ودربهم على فنون القتال واستعمال السلاح[1]، وجعل من هؤلاء جيشًا منظمًا، من مشاة وفرسان.[2]

ورغم أن المؤرخ تاكيتوس يصف لنا تاكفاريناس، بأنه قد ألف عصابة من المتشردين وقطاع الطرق ليبث الرعب والهلع ويقلق النظام العام الروماني، وأن استمرار حربه تعتبر وصمة عار في جبين مجلس الشيوخ والشعب الروماني إذا لم يوضع لها حد[3]، إلى أنه في الحقيقة أصبح قائدًا كبيرًا يُتحدث باسمه ويراسل الإمبراطور تيبريوس عارضًا عليه الأرض مقابل السلام، وأن يتخل الرومان عن الأرض المحتلة لأصحابها، وإلا فإنه سيشن حربًا لا هوادة فيها، وقد اعتبر الإمبراطور ذلك وقاحة من تاكفاريناس.[4]

سرعان ما تمكنت قبائل الموسولام من جر قبائل المور والجيتول للانضمام إليها في الحرب ضد الرومان، وكان زعيم المور يدعى مازيبا *Mazippa*، وهكذا تكوّن منهم جيش متحد انقسم إلى قسمين: جنود مسلحون مجتمعون في معسكر على غرار النمط الروماني، وأُلزموا بالنظام وطاعة الأوامر، وكانوا تحت قيادة تاكفاريناس، وقوات خفيفة تحت قيادة مازيبا، كما انضمت إليهم قبائل الكينيثيون *Cinithiens* التي تسكن جهة السرت الصغير، وقد تجمعت هذه القوات المتحالفة من قبائل بلاد المغرب القديم للدخول في مواجهة مع القوات الرومانية في ولاية أفريقية الرومانية[5]، ويشير تاكيتوس إلى فعالية وأهمية حرب العصابات التي انتهجها تاكفاريناس، بحيث أرهقت الرومان، وأبطلت فعاليتهم وتلاعبت بهم[6]، وهو أسلوب لم يكن معروفًا لدى الرومان الذين كانوا يجيدون الحرب المنظمة في الميدان المكشوف، فلم يكن بإمكان قادة الجيش الروماني باستطاعتهم التحكم فيها أو إيقافها، لذلك مالت الكفة لصالح تاكفاريناس.[7]

وتمكن هذا القائد بجيشه المنظم من هزيمة أربعة قناصل رومان: فوريوس كامليوس *Camillus Furius* وأمبرونيوس *Ampronius* (18-21م)[8]، الذين تولوا حكم البلاد

1- مصطفى أعشي: "نماذج من ثورات الأمازيغ ضد المحتلين الأجانب 3/1 (ثورة تاكفاريناس ومجموعة الموسولام نموذج للمقاومة الأمازيغية ضد الرومان)"، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، تاريخ الاطلاع: 2015/08/17.

2- Cagnat (R.): Op.cit., P.10.

3- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، ص.ص 12-14.

4- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج1، مرجع سابق، ص.ص 53، 57.

5- Cagnat (R.): Op.cit., P.P.9-10.

6- Tacite: Annales, Œuvres complètes de tacite, Livre II, XX, trad. en français: J. L. Burnouf, librairie de l. hachette, paris, 1859, URL: *http://remacle.org*.

7- مصطفى أعشي: "نماذج من ثورات الأمازيغ ضد المحتلين الأجانب 3/2"، مرجع سابق.

8- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج1، مرجع سابق، ص.ص 54، 56.

المغاربية أثناء ثورته على التوالي، وكذا الأمراء والملوك المحليين من حلفاء الرومان يوبا الثاني وابنه بطليموس. وشملت ثورته كل الوسط والشرق الجزائري، وامتدت إلى خليج السرت وواحة فزان أين احتضنتها قبائل الجيتول والجرامنت، وأصبحت تهدد السلم الروماني *Pax Romana* في بلاد المغرب القديم.[1]

فعينت الإمبراطورية الرومانية قنصلاً جديدًا وهو يونيوس بلايزوس *Junius Blaesus*، الذي أسند له الإمبراطور تيبريوس أمر القضاء على تاكفاريناس[2]، قام بعمل مزدوج إذ[3] قلد خطة تاكفاريناس الحربية. وحاول أن يغري الثوار، ويقنعهم بإغماد سيوفهم دون أن ينالهم آذى، ويعملوا على إلقاء القبض على زعيمهم، ويذكر تاكيتوس[4] أن الكثير من أنصار تاكفاريناس قد تراجعوا عن تأيده بمقتضى هذا العفو الذي منحه إياهم الحاكم الروماني.

ثم انتقل بلايزوس في محاربة تاكفاريناس بأساليب ووسائل مماثلة لطرقه في القتال، كما أشرنا، فقسم جيشه إلى ثلاث كتائب وبدورها إلى فرق خفيفة متكونة من 100 جندي، عهد إليها مراقبة المناطق والحد من تحرك جيوش القائد النوميدي بداية من كيرتا إلى خليج السرت، وعمد إلى تجنيد كتائب مساعدة من الأهالي وتقديم مغريات لهم والهدف هو السعي لإلقاء القبض على تاكفاريناس.[5]

إن الإستراتيجية المتبعة من قبل البروقنصل الجديد لم تكن إستراتجية طويلة الأمد للقضاء على الثورة بقدر ما كانت استعراضًا للقوة الرومانية، ونشرها في كافة أنحاء الولاية كعامل ردع للثوار حتى لا يتجرؤوا على الإغارة من جديد على مناطق الولاية الأفريقية، لكن في الحقيقة كان ذلك مجرد استعراض مؤقت للقوى لم يستمر؛ إذ تراجع بعد فترة من التأهب، خاصة بعد تكريم الإمبراطور للقائد بلايزوس، ولعل تاكيتوس قد أصاب جزئيًا حين ذكر بأن القادة الرومان الذين واجهوا تاكفاريناس حتى ذلك الحين كانوا يكتفون بمواجهة هذا الثائر، بما يؤهلهم للحصول على التكريم الخاص للقادة المنتصرين.[6]

1- محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص 211.

2- Cagnat (R.): Op.cit, P.21.

3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 179.

4- Tacite: Annales, Op.cit., Livre II, XX.

5- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص.ص 14-15. محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص 212.

6- محمد السيد محمد عبد الغني: مرجع سابق، ص 107.

ولما باء هذا القنصل بالفشل، عينت روما مكانه قنصلاً آخر وهو دولابيلا *Dolabilla* سنة 24م[1]، الذي وقفت معه جيوش بطليموس (تولى الحكم مكان أبيه يوبا الثاني المتوفى)، إذ جند جيشًا كبيرًا من الأهالي ووُضع تحت قيادة هذا القنصل[2]، الذي اعتمد على نفس خطة بلايزوس متجنبًا أخطاء سلفه ومستفيدًا من النقاط الإيجابية.[3]

لقد استطاعت القوات الرومانية المدعومة من قبل قوات بطليموس، من إلحاق هزيمة بجيش تاكفاريناس في معركة ثوبرسيكوم نوميدروم *Thubriscum Numidarum*، وألحق بهم القنصل الروماني أول هزيمة وتشتت جراءها الجيش النوميدي، وفر إلى سلسلة جبال البيبان لاسترجاع الأنفاس، ولحقه الجيش الروماني وتمكن من مباغتة جيشه بالقرب من بقايا قلعة قديمة تسمى بأوزيا *Auzia* أو أومال *Aumale* (سور الغزلان)، بعدما استسلم جيش تاكفاريناس للراحة والنوم وسط غابات كثيفة؛ ذبح الرومان ما طاب لهم من الثوار، ورمى تاكفاريناس بنفسه في مواجهة الجند الرومان بكل شجاعة مفضلاً الموت على الاستسلام، وانتهت الحرب بمقتل هذا القائد الثائر عام 24م.[4]

وكان من نتائج فشل هذه الثورة أن خمدت المقاومات في بلاد المغرب القديم، طيلة فترة حكم تيبريوس وكاليقولا، وازداد الاستيلاء على أراضي الثوار وضمها إلى أملاك الإمبراطورية، وبناء المستوطنات والمراكز العسكرية. كما توجه الرومان جنوبًا وحاولوا السيطرة على المناطق الصحراوية، التي كانت ملاذًا للثوار، وحاولوا كذلك بسط السيطرة على القبائل المنتفضة بمحاولة إدماجها في الحضارة الرومانية، وتوطينهم في أماكن تحت مراقبة الجند المسرحين المقيمين في بعض المستوطنات، خاصة في منطقة الأوراس، مثل: مستوطنة ديانا فيتيرانوروم *Diana Veteranorum* ولامبيز ولامبيريدي (تقعان جهة مدينة باتنة حاليًا).[5]

بالإضافة إلى تلك الأحداث سمحت في تدشين مرحلة جديدة في السياسة الرومانية اتجاه المناطق الصحراوية وسكانها، خاصة في ناحيتها الجنوبية الشرقية المتمثلة في البيزاسان *Byzacène* (الوسط التونيسي) وتريبوليتانيا *Tripolitania*[*]، وجعلت الرومان يقتنعون بضرورة

1- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج1، مرجع سابق، ص 60. محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص 212.
2- المرجع نفسه، ص.ص 212- 213.
3- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 180.
4- Cagnat (R.): Op.cit., P.P.23-24.
5- جمال مسرحي: مرجع سابق، ص.ص 123-124.
*- **تريبوليتانيا:** تتشكل من مدن سبراتا ولبتيس ماڤنا وأويا، تم دمجها من قبل الرومان مع جزيرة كريت في مقاطعة واحدة في عام 78ق.م، وفي عام 20ق.م أصبحت مقاطعة سناتورية لديها مجلس خاص ممثل مقاطعة أفريقيا المجاورة لها من ناحية الغرب. وفاء بوغرارة: مرجع سابق، ص 76.

وضع حد لهجمات تلك القبائل التي تعيش هناك، وفتح الباب لأولى الاتصالات مع الصحراء[1]، لذلك شهد الليمس توسعًا كبيرًا خصوصًا زمن سبتيموس سيفيروس (193-211م) وخلفائه، أين أصبح الليمس يمر بفيسكرا *Vescera* (بسكرة) والقصبات *Gemellae* وتهودة *Thabudeos*، دوسن والقهرة وبوملال وعين الريش ومسعد *Castillum Dimmidi* مرورًا ببوسعادة ووصلاً إلى الجلفة وإلى البيض.[2]

لقد اعتقد الرومان أنه بالقضاء على هذه المقاومة ستكتمل شروط تثبيت السلم الروماني ببلاد المغرب القديم، غير أن المغاربة كانوا على الدوام يتحينون الفرص لمواجهة سياسة الرومنة التي كانت تنخر الأرض والإنسان وثقافته، لذلك لم تمض عشرون سنة على إخماد هذه المقاومة حتى اشتعلت مقاومة أخرى سنة 44م[3]، بعد حادثة اغتيال الملك بطليموس *Ptolémée* من قبل الإمبراطور كاليقولا *Caligula*، فانتقم أيديمون *Aedemon* لسيده[4]، التي عرفت بثورة القبائل النوميدية بقيادة أيديمون التي امتدت إلى قبائل الموسولام بجبال الأوراس، والتي كانت على الدوام بركانًا ثائرًا في وجه الاستعمار الروماني الذي طوقه بخطي الليمس الشمالي والجنوبي والقلاع العسكرية في كل جهة، وربطت هي الأخرى بشبكة طرق ثانوية؛ استمرت هذه الثورة في شكل مناوشات خفيفة ردحًا من الزمن إلى أن قضى عليها القنصل الروماني سولبيسيوس *Sulpicius*.[5]

واستخلصت من هذا، أنه كان لاحتكاك شخصية تاكفاريناس بالرومان من خلال منصبه كجندي في الجيش الروماني أمكنه التعرف عن نوايا الرومان في تنفيذ سياسة الرومنة التي تستهدف الأرض والإنسان، والتي انعكست من خلال تعاملهم مع المجتمع المغاربي، الشيء الذي دفعه إلى التفكير في مواجهة هذه السياسة، أو أنه كان ينوي من وراء ذلك اكتساب الخبرة العسكرية واستغلالها للوقوف في وجه الاحتلال، لكن إمكانيات العدو الروماني وخططه الإستراتيجية الهادفة إلى ابتلاع المنطقة، والتطبيق الفعلي لسياسة الرومنة، كانت أقوى من طموحات هذا الثائر الذي قضى سبع سنوات يحارب الرومان بكل شجاعة.

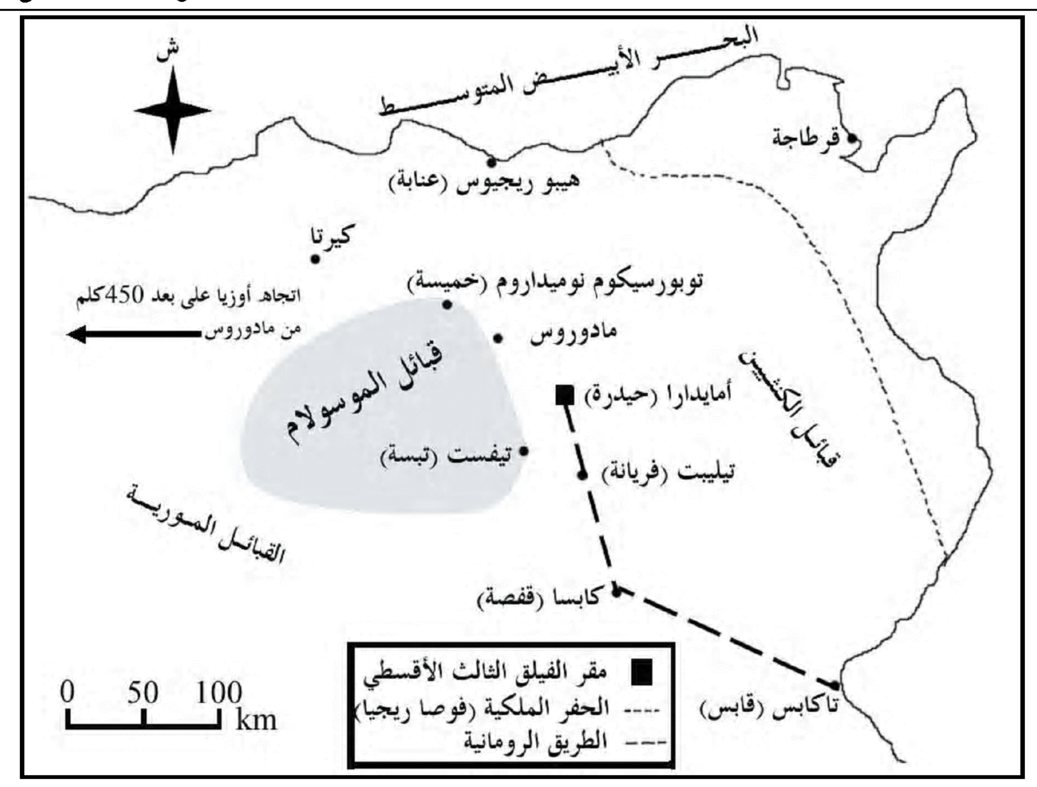
1- أنظر: محمد تكيالين: "التواجد الروماني في الصحراء بين الإستراتيجية الدفاعية والمصالح الاقتصادية"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، جامعة غرداية، 2011م، ص 108.

2- عبد القادر صحراوي: مرجع سابق، ص 22.

3- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، ص.ص 17-18.

4- Pline L'Ancien: Op.cit., livre V, I.11.

5- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، ص.ص 17-18.



الخريطة رقم (05): مقاومة تاكفاريناس (17–24م)، **نقلا عن:**

– جمال مسرحي: مرجع سابق، ص 110. (تصرف الطالب)

المطلب الثالث: ثورة فرموس وجيلدون

شهد الثلث الأخير من القرن الرابع الميلادي ثورتي الأخوين فرموس وجيلدون، التي انطلقتا من جبال جرجرة والبيبان، ثم عمتا فيما بعد كامل منطقتي موريتانيا القيصرية والسطيفية.[1]

أولاً– ثورة فيرموس *Firmus* (372–375م): اندلعت ثورة فيرموس (أنظر الخريطة رقم 06، ص 232) في المجال الجغرافي، الذي استعصى على الاحتلال الروماني، والمتمتع بنوع من الاستقلالية، كانت تسكنه بعض الأسر العريقة الموصوفة من خلال المصادر التاريخية بالملكية *Regulis*، التي كانت تربطها علاقات مع الحكام الرومان، وأشهرها أسرة الأمير فيرموس *Firmus* بن نوبيل *Nubel*، وهذه سيطرت في تلك الفترة على منطقة واسعة من موريتانيا تبدأ من جبال البيبان إلى نهر الشلف، وحازت ضياعًا واسعة وتراقب منافذ وادي الصومام ويسّر وأوزيا[2]، حسب ما أشارت إليه بعض النقوش اللاتينية التي عثر عليها في المنطقة[3]، مثل النقيشة التي عثر عليها في خرائب كنيسة القديسة صالصا *Salsa* بتيبازة التي نصت على ما يفيد طمع فيرموس في كرسي الإمبراطور، وكذلك نقيشة روسكونيا *Rusgunia* بشرق مدينة الجزائر،

1- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص 19.
2- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.334.
3- محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص 216.

العائدة إلى القرن الرابع، وتتضمن اسم والد فيرموس المدعو فلافيوس نوبيل رڤولوس *Flavius Nobil Regulus* باعتباره كان قائدًا لوحدة عسكرية من المساعدين.(1)

وتعود الأسباب المباشرة لهذه الثورة، إلى النزاع الداخلي الذي شب بين أفراد عائلة نوبيل بعد وفاته، بالأخص بين فيرموس الابن الأكبر وأخيه سمّاك *Smmac*، وبالإضافة إلى هذين الأخوين فقد ترك نوبيل العديد من الأبناء: جيلدون *Gildon* وماسيزيل *Mascizel* وديوس *Dius* ومازوكو *Mazucu* وأختهم كيريا *Kyrai*.(2)

أما عن الأسباب الحقيقية فهي تعود بلاد شك إلى الأسلوب الذي اتبعه الاستعمار الروماني في خلق القلاقل والفتن بين القبائل المغاربية، لإحداث حروب أهلية تسمح للرومان من تنفيذ مشاريعهم في إطار سياسة الرومنة، خاصة في المناطق الجبلية المستعصية، مثل منطقة القبائل والأوراس والمناطق الجنوبية، وفي جانب آخر هناك الأهالي المترومنين والمرتبطين بالإمبراطورية الرومانية من خلال زعماء عشائر يتمتعون بسيادة مستقلة نوعًا ما(3)، بالإضافة إلى العوامل الدينية وأن المجتمع المدني والريفي في تلك الفترة كان متأثرًا بالمسيحية وله قابلية إلى التمرد على السلطة الرومانية لصالح الحركة الدوناتية التي كانت تستخدم جماعات الدوارين كطلائع ثورية قوية في تلك الفترة.(4)

ويذكر كانيا في هذا السياق أن الحركة الدوناتية التي كانت مطالبها ذات طموح سياسي واجتماعي، تتوق إلى التحرر لأتباع هذه النحلة المسيحية من طبقات المجتمع المغاربي المضطهدة التي تعيش على الهامش، فقد وجد فيها فيرموس قوة بشرية، كما رأوا فيه القائد الذي ينشدونه(5)، ومن هنا فإن للحركة الدوناتية دور فعال في مساندة ثورة فيرموس، وكان ذلك دليلاً لأعدائهم لكي يقيمون عليهم الحجة ويدينونهم أمام القانون الروماني.(6)

ويذكر المؤرخ الروماني أميان مارسيلان *Ammien Marcelin*، بأن جذور ثورة فرموس كانت قد لاحت للعيان ببداية الصراع بينه وبين أخيه سمّاك حول الحكم، ما أدى إلى قتل هذا الأخير الذي كان يناصره جيلدون وبعض أثرياء الرومان، وقد ترتب عن ذلك بأن طالب أنصار

1- للمزيد أنظر: محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج2، مرجع سابق، ص.ص 355-356.

2- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.334.

3- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 264.

4- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج2، مرجع سابق، ص 360.

5- Cagnat (R.): Op.cit., P.72.

6- Dureau de La Malle (M.): L'Algérie, histoire des guerres des Romains, des Byzantins et des Vandales, Librairie de Firmin Didot frères, Paris, 1852, P.194.

سمّاك بمعاقبة فرموس واعتبر مجرمًا في رأي القانون الروماني، ونظرًا لمكانة فرموس في قومه، فقد ناصرته قبائل عديدة موريتانية، واعتبرت مناصرة الرومان لأخيه سمّاك تَدَخل في شؤون الأسرة الموريتانية.[1]

ويذكر كانيا أن الذي ساهم في إذكاء الصراع بين أفراد العائلة هو الحاكم الروماني الكونت رومانوس *Comes Romanus*، وكان سببًا في اغتيال سمّاك[2]، وفي إثارة فيرموس وانقلابه ضد الرومان بعد أن كانت عائلته حليفة لهم منذ أجيال[3]، على الرغم من أن الإمبراطور فلانتينيانوس قد أوفد لجنة للتحقيق في الأحداث غير أن رومانوس قد حال دون معرفة الحقائق.[4]

وهنا نرى أن حركة فرموس قد خرجت من نطاقها الضيق وأخذت بعدًا تحرريًا لاسيما بعد أن انضمت إليه فرقتان من الكتائب المساعدة الرومانية التي كانت تتشكل من الأهالي.

من جهة أخرى يذكر المؤرخ أميان والذي عاصر هذه الأحداث بأن مهمة الرومان صعبة للغاية في القضاء على هذه الثورة واقتصر دورهم في كثير من الأحيان على الدفاع فقط أمام هذا الخصم العنيد الذي استطاع أن يضمن وحدة القبائل الموريتانية والتفافها حول ثورته. لدرجة أنه كان بإمكانه أن يسخر للمعركة الواحدة ما يقارب العشرين ألف مقاتل.[5]

ويلاحظ بأن أخته كيريا *Kyria* كانت قد سخرت ثروتها الكبيرة لفائدة رواج فكرة الثورة بين الأهالي مقدمة لهم كل المساعدات المادية والمعنوية[6]، وهي السيدة الوحيدة التي ذكرت في وثائق هذه الحرب كانت تقف إلى جانبه؛ ونتيجة لذلك اتسعت رقعة حرب فرموس التي تمر بوادي الصومام ويسّر وكذا سهول نهر الشلف وجبال أورسنيس وزكار حيث كانت مضارب قبائل المازيس الذين كانوا يناصرونه.[7]

وحسب المعطيات الجغرافية فإن مساحة المنطقة التي كانت تدور على أراضيها المعارك قد امتدت من تنس *Cartenna* غربًا إلى الهضاب العليا السطيفية شرقًا، هذا في بداية الأمر، ثم عمت فيما بعد كامل الشمال القسنطيني والأوراس[8]، تمكن خلالها فيرموس من إثارة الأهالي في

1- محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص 217. محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص 20.

2- Cagnat (R.): Op.cit., P.70.

3- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج2، مرجع سابق، ص 356.

4- Ammien Marcellin: histoire de Rome, XXIX, Trad.: Collection des Auteurs latins publiés sous la direction de M. NISARD, Firmin Didot, Paris, 1860. URL: *http://remacle.org*.

5- محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص 217.

6- Dureau de La Malle (M.): Op.cit., P.201.

7- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.335.

8- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص 21.

تلك المناطق رغبة منه في إقامة مملكة، واستولى على بعض المدن، فقام بغزو الساحل وهاجم مدينة إيكوزيوم *Icousim* (مدينة الجزائر) ومدينة قيصرية وأخضعهما واستولى على الخزينة لعامة للأخيرة وأضرم فيها النيران وحولها إلى رماد.[1]

وبذلك سيطر الثوار على الوضع خصوصًا أنه قد دمر عاصمة المقاطعة وأصبح إقليم متيجة الحيوي تحت رقابة فيرموس، وكان لذلك وقع كبير، حيث بدا هذا القائد أنه السيد المطلق في المنطقة، فنال مبايعة الكثير من القبائل والمدن الداخلية.

عندما أحست روما من أن الوضع سيفلت من يدها وأن مصالحها باتت فعلاً مهددة في المنطقة أرسلت قائدها فلافيوس ثيودوزيوس *Falvius Théodosius* الذي عرف بحنكته الحربية في بلاد المغرب القديم، وعليه فقد نزل القائد الروماني بجيجل، وانضم إليه جيلدون *Gildon* أحد إخوة فرموس الذي كان يعاديه، وانضم منذ الوهلة الأولى للصراع العائلي إلى أخيه سمّاك ضد فرموس.[2]

وقد استمرت الثورة مدة عشر سنوات أو أكثر، لكن المؤرخين اعتادوا تاريخ الأعمال العسكرية بدءًا بالإنزال الروماني عام 372م[3]، لقد استمرت إذن الأعمال العسكرية بين الطرفين وكانت نتائجها سجالاً بين النجاح والإخفاق لمدة ثلاثة سنوات، وقد كان هدف القائد الروماني هو ربح الوقت، وجعل القبائل النوميدية تمل الحرب وتفقد الحماس، وبالتالي تتخلى عن مناصرة فرموس حتى يسهل القضاء عليه، ومقابل ذلك كانوا ينكلون بكل شراسة بأنصار فرموس حتى يجعلوهم عبرة لمن يريد الانضمام إليه.[4]

ومن خلال رواية أميان فإن القائد الروماني ثيودوز انتقل من آرل وقام بإنزال قواته في ميناء إجيلجيلي *Igilgili*[5] سنة 372م، واستمرت حملاته العسكرية ثلاثة سنوات، فقام بتحرير المقاطعة السطيفية واتخذ مدينة ستيفيس مركزًا للعمليات العسكرية وسعى لربح الوقت[6]، ومنها انتقل إلى مناطق مختلفة من موريتانيا القيصرية، فتمكن من استرجاع مدن المنطقة مثل قيصرية وإيكوزيوم وتيبازة وهيمن على إقليم متيجة، ويذكر أميان أنه كان في الجيش الروماني إخوة

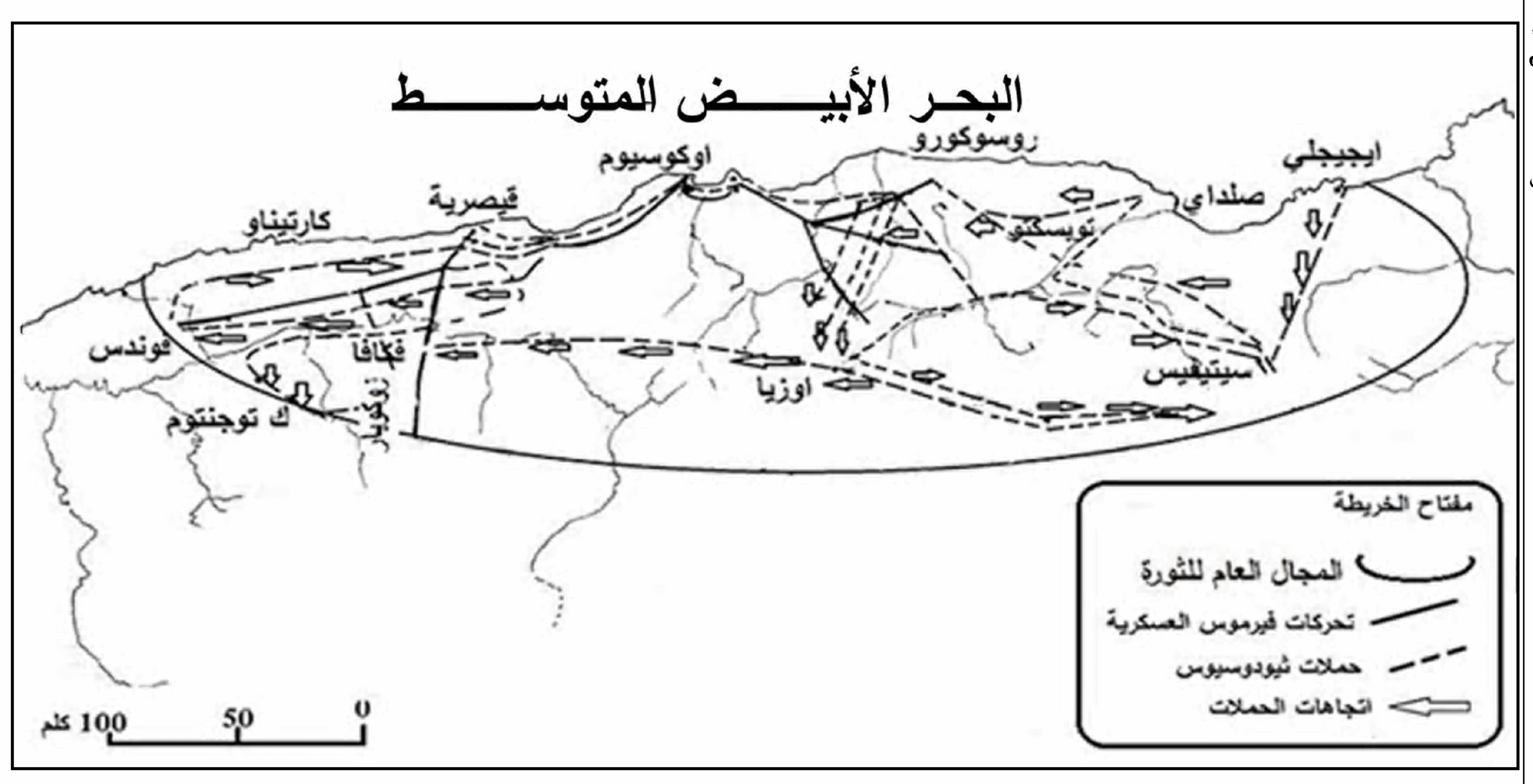
1- Ammien Marcellin: Op.cit., XXIX.
2 -Mercier (E.): Op.cit., P.134.
3- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج2، مرجع سابق، ص 358.
4- محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص 218.
5 -Ammien Marcellin: Op.cit., XXIX.
6 -Cagnat (R.): Op.cit., P.83.

فيرموس منهم ماسيزيل وديوس[1]، وقد عاثت القوات الرومانية فسادًا في المنطقة أحرقت مخازن الغذاء والمؤن والقرى[2] وهدمت القلاع، وأثخن قتلاً في كل أتباع فيرموس، فكانت أعمال ثيودوزيوس أعمال تخريب حقيقية للمنطقة ظنًا منه أنها الطريقة الأنجع للقضاء على هذه الثورة.[3]

حاول فرموس بعد أن أحس بنقص زاده وتراجع القبائل النوميدية عن مناصرته فتح مفاوضات مع القائد الروماني وذلك اعتمادًا على بعض رجال الدين المسيحي. غير أن القائد الروماني غالى في شروطه التي كان من بينها استسلام القائد النوميدي بنفسه، وتقديمه للمحاكمة باعتباره ارتكب جريمة قتل في حق أخيه ثم ألف عصابة شقت عصا الطاعة عن القانون الروماني[4]

ورغم أن فيرموس قد طلب الأمان[5]، فقد جعلته تلك الشروط من رفض الاستسلام لاسيما وأنه ينتمي إلى أسرة شريفة، ذات مكانة بين الأسر النوميدية[6]. يضاف إلى ذلك حادثة خيانة قام بها أحد مساعديه واسمه إقمازن *Igmazen*[7]، ملك قبائل الإيزفلاس كما سماها أميان الذي يبدو أنه كان على اتصال مسبق بثيودوسيوس، الذي قتل العديد من أفراد قبيلة هذا الملك، ما دفعه إلى خيانة فيرموس والتفاوض على تسليمه[8]، إلا أن إلقاء القبض على فرموس سنة 375م لم يجعله يستسلم للأمر الواقع، فقد فضل الانتحار شنقًا على الاستسلام، وسلم إقمازن جثة فرموس للقائد الروماني.[9]

1- Dureau de La Malle (M.): Op.cit., P.198.
2- Ammien Marcellin: Op.cit., XXIX.
3- محمد البشير شنيتي: الجزائر في ظل الاحتلال الروماني بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج2، مرجع سابق، ص 364.
4- Dureau de La Malle (M.): Op.cit., P.195-197. Gaid (M.): Op.cit., P.152.
5- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 303.
6- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص 22.
7- Mercier (E.): Op.cit., P.135. Gaid (M.): Op.cit., P.154.
8- Ammien Marcellin: Op.cit., XXIX.
9- Dureau de La Malle (M.): Op.cit., P.209.



الشكل رقم (06): خريطة المجال الجغرافي لثورة فيرموس وحملة ثيودوسيوس. **نقلا عن:**

– عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 273. .(تصرف الطالب)

ثانيًا- ثورة جيلدون *Gildon* (397-398م): أما بالنسبة لأخيه جيلدون الذي كان منحازًا إلى جانب أخيه سمّاك في الصراع العائلي نتيجة اقتناع شخصي، لكنه فيما بعد عندما اكتسبت قضية فرموس بعدًا سياسيًا هدفه تحرير موريتانيا أصبح أسيرًا للمغريات الرومانية[1]، وقد كافئه الإمبراطور ثيودوس في حربه ضد أخيه، فعين قائدًا لفرقتين من الميليشيا برتبة دوق كما أشار إلى ذلك القرار الصادر في 393م، وقد عين قبل هذا التاريخ أي في عام 387م، وبقي دوقًا لأفريقية لمدة عشر سنوات أو أكثر، مستقرًا بقرطاجة إلى جانب البروقنصل بروبينوس *Probinus* تربطه علاقة متينة بروما إلى غاية 394م.[2]

وقد منحت له صلاحيات تفوق تلك التي كانت تسند للقناصل في أفريقية، وحتى يقربه الإمبراطور الروماني تيودوس منه أكثر، خلق معه علاقة مصاهرة، إذ طلب الإمبراطور يد سالفينا *Salvina* ابنة جيلدون إلى أحد أقربائه، هذا الزواج الذي اعتبر سياسيًا أكثر منه علاقة إنسانية، لذلك أصبح جيلدون متورطًا في العمالة للرومان في نظر القبائل الموريتانية.[3]

استمر جيلدون محافظًا على ولائه للإمبراطور ثيودوس لمدة اثنتي عشر سنة، نظرًا للدعم المادي والمعنوي الذي كان يتمتع به شريطة أن لا يفكر في الخروج أو الاستقلال عن الدولة الرومانية.[4]

غير أن جيلدون استعاد وعيه واستفاق من نشوة الانتصار والانتقام من أخيه فرموس فوجد نفسه تورط في قضية لها أبعاد سياسية، وبذلك يكون قد أساء إلى سمعة الأسرة وتنكر لخط مقاومة الاحتلال الروماني وسياسته في المنطقة، التي تفرضها عليه مكانته الاجتماعية بين الأسر النبيلة في موريتانيا القيصرية، ووفقًا لذلك نراه يحاول أن يصلح ما أفسده عامل الغيرة والحقد على أخيه ويتصرف كقائد عسكري؛ تفرض عليه ظروف تلك المرحلة أن يواصل ثورة العصيان والتصدي للاستعمار الاستيطاني الروماني وسياسة الرومنة، لاسيما وهو بحكم تعيينه دوقًا وقائدًا عامًا للجيش جله من المجندين المغاربة، وله الإمكانيات ما يساعده لا على تخليص موريتانيا فحسب بل كامل البلاد المغاربية.[5]

كما أدرك بعد سنوات من التحالف مع الرومان على أهمية الاستقلال عن روما، التي لم تتوقف عن طلب المؤونة والرجال، فبدا أنه لم يكن راضيًا عن ذلك، فقد رفض تقديم مساعدات

1- محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص 219.

2- Mercier (E.): Op.cit., P.136.

3- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص 21.

4- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 306.

5- محمد الصغير غانم: مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج2، مرجع سابق، ص 220.

عسكرية للإمبراطور ثيودوس في حربه ضد أوجين *Eugène* في بلاد الغال عام 394م[1]، رغم الأوامر التي وجهها له هذا الإمبراطور وطلبات النجدة ضد عدوه الوثني.[2]

فكانت أولى خطوة أقدم عليها في إعلانه عصيانه وإعلان الثورة (أنظر الشكل رقم 07، ص 236) هي: تنكره للديانة الرسمية للإمبراطورية عن طواعية للحركة الدوناتية بجناحيها، أما الخطوة الثانية فتمثلت في محاولة توظيف ثروته في إنشاء إدارة خاصة مستقلة عن الكيان الروماني في بلاد المغرب القديم[3]، ثم أقدم في عام 395م على تحديد مقدار مساعدات الحبوب التي كانت تتلقاها روما من البلاد المغاربية وفي السنة الموالية عمد إلى إلغائها نهائيًا[4]، وقد أحسن جيلدون في استعمال هذا السلاح، وبذلك يكون قد ضرب حصارًا اقتصاديًا على روما، حيث احتجز السفن المحملة بالقمح والتي كانت ستبحر إلى إيطاليا.[5]

لقد أدى هذا الإجراء الخطير الذي أقدم عليه جيلدون إلى حدوث اضطرابات في روما، وارتفع سعر القمح واختفائه من الأسواق وكادت أن تحدث فيها المجاعة، وقد تأخرت الدولة عن دفع رواتب الجند التي كانت نسبة منها تدفع قمحًا، وتحول مشكل القمح المحور الأساسي في اجتماعات مجلس الشيوخ الروماني، ونجح هذا القائد بفضل هذا الحصار من إشغال روما عما يجري في المغرب القديم وإضعافها اقتصاديًا وتأخير تدخلها ضده إلى عام 398م.[6]

وقد كانت الخطوة الأخيرة التي أقدم عليها جيلدون والتي أثارت غضب مجلس الشيوخ في روما فبعد وفاة الإمبراطور ثيودوس سنة 395م، ولما رأى بأن الإمبراطورية الرومانية صارت مقسمة بين طفلين صغيرين شجعه[7] ذلك على الإعلان عن عدم اعترافه بالإمبراطور هونوريوس *Honorius* إمبراطور الغرب الروماني، وحول بلاد المغرب إلى سلطة الإمبراطور أركاديوس *Arcadius* حاكم الشرق الروماني الذي كان مقره بالقسطنطينية، وكان يعلم بأن هذا الأخير أصبح في وضع لا يسمح له بمراقبة المنطقة.[8]

وبسبب تزامن الحركة الدوناتية مع ثورات تلك الفترة، فإن الحركة الدوناتية قد تحالف مع جيلدون ولكن ليس من منطلق ديني، بل كان من منطلق درء الحيف والظلم، وقد وجد فيهم هذا

1- Mercier (E.): Op.cit., P.137.
2- Cagnat (R.): Op.cit., P.83.
3- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.340.
4- Mercier (E.): Op.cit., P.134.
5- منصوري خديجة: "أهمية قمح المغرب القديم من خلال النصوص القديمة"، مرجع سابق، ص 44.
6- المرجع نفسه، ص 46.
7- Décret (F.), Fantar (M.): Op.cit., P.339.
8- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 279.

الثائر تطلعات تناسب سياسته لمقاومة الاحتلال الروماني المستغل لثروات المنطقة، لذلك توحدت الأهداف في ثورة شاملة ضمت القائد العسكري جيلدون، والقبائل المتحالفة بالإضافة إلى القوة الدينية الدوناتية، وكذا الطبقة العاملة من الدوارين.[1]

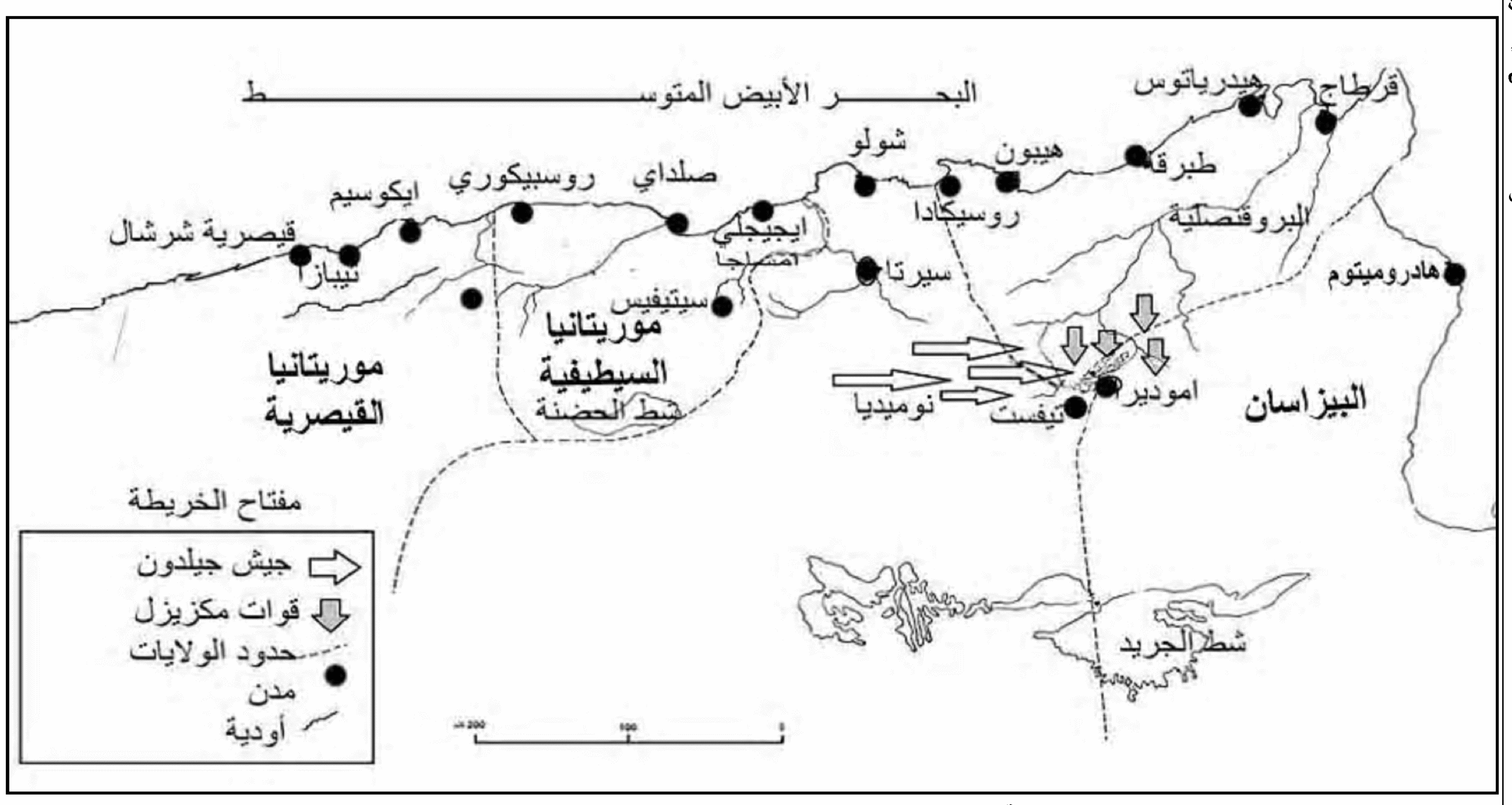
لقد أدركت روما خطورة ما قام به جيلدون، ما دفع بالإمبراطور هونوريوس إلى الاستعداد للحرب، وقد تحمس لها وأن يقود الحرب بنفسه، وركز على أن تكون حملة عسكرية كبيرة، حتى تعيش بلاد المغرب في حالة هلع ويخضع قبائلها، بعد أن ينقل جيوشه من نهر الراين.

وردًا على دهاء هذا الخصم العنيد عمدت روما كعادتها إلى ضرب المغاربة ببعضهم، فسخرت شخصية موريتانية أخرى كانت ترى فيها القدرة والكفاءة للقضاء على جيلدون، وهو القائد ماسيزيل أخ جيلدون، وكان القائد ستليكون *Stilicon* قد أوصى الإمبراطور بأن يقود هذه الحرب (ماسيزيل)، الذي جاء على رأس جيش من خمسة آلاف فارس في بداية سنة 398م، وأطلق عليه لقب قائد الجيوش الرومانية التي تحركت من قرطاجة لإعادة تثبيت السياسة الرومانية في المنطقة، في الوقت الذي قام فيه جيلدون بقتل اثنين من أبناء أخيه المتحالف مع الرومان.[2]

أما جيلدون فقد وحد البنى الاجتماعية المغاربية وضم القبائل الجيتولية والموريين[3] وسكان الصحراء والوثنين والدوناتيين، إضافة إلى تلقيه للدعم من قبائل النازامون الأهلية والجرامنت والنزاك في طرابلس، وشكل جيشًا من القبائل المتحالفة.

غير أن هذا الجيش لم يصمد طويلاً أما الجيش الروماني، الذي اتجه إلى قرطاجة ثم إلى هادروميتوم وقطع إقليم البيزاسان من الشرق إلى الغرب، وتمت محاصرة قوات جيلدون في أمديرا (حيدرة)[4]، التي حدثت فيها المعركة الفاصلة حيث انهزم جيلدون، ثم حاول الفرار بعد ذلك بحرًا إلا أن محاولته باءت بالفشل، ألقي عليه القبض وزج به في السجن حيث شنق نفسه في جويلية 398م[5]، أما أخوه ماسيزيل فقد عاد إلى روما وقد قوبل بحفاوة أذكت غيّرة ستيلكون تجاهه، الذي اغتاله في حادثة لم تكن من قبيل الصدفة، وحرص الرومان على النيل من مجده وتولى الشاعر كلوديانوس في ملحمة له أسماها وقعة جيلدون.[6]

1- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 280.
2- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص 25.
3- Mercier (E.): Op.cit., P.137.
4- عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 281.
5- Mercier (E.): Op.cit., P.137. Gaid (M.): Op.cit., P.155.
6- شارل أندري جوليان: مرجع سابق، ص 306.



الخريطة رقم (07): موقع المعركة الفاصلة بين جيش جيلدون وقوات مكزيزيل، **نقلا عن:**
عبد الحميد عمران: مرجع سابق، ص 283. .(تصرف الطالب)

لما أخمدت ثورة جيلدون أسند الحكم في بلاد المغرب القديم إلى حاكمين رومانيين، وقد تمردا على السلطة المركزية في روما على التوالي الأول في سنة 413م والثاني في 427م، ودفعت تلك الأوضاع بأحد المغاربة وهو بونيفاس *Bonifatius* إلى الاستعانة بالوندال بعد مرور 31 سنة من إخماد مقاومة جيلدون.(1)

من هنا توصلتُ إلى أن الثورات التي قام بها تاكفاريناس وفيرموس وجيلدون كانت ثورات تحررية اجتماعية ودينية وعسكرية، استهدفت توحيد واستقلال بلاد المغرب القديم، والتخلص من الاستعمار الروماني، الذي سيطر على كل شيء بهدف الحفاظ على كينونته، والمساهمة في بقاء الإمبراطورية الرومانية. بينما كان المجتمع المغاربي محروم من حقوقه وممتلكاته وخيراته وأراضيه المشروعة، يعاني من الاضطهاد والقمع والظلم والبطش، هذا ما دفعه إلى التمسك بثقافته فكرًا ومعتقدًا، ودفعه إلى التخلي عن الديانة المسيحية الكاثوليكية الرسمية التي استلبته، وفضل البعض منهم البقاء على الوثنية أو الالتحاق بالدوناتية باعتبارها حركة ثائرة.

أما الشيء الملفت في تاريخ هذه الثورات ظاهرة الخيانة بين المغاربة عامة والإخوة خاصة أمثال: إقمازن، وجيلدون، وماسيزيل، كانت دومًا عاملاً من العوامل الهدامة لكل المشاريع التحررية التي أقدم عليها الكثير من الشخصيات والقادة المغاربة، الذين تتحطم مقاوماتهم بسبب سلاح الخيانة، ولا شك أن الاستعمار الروماني كان يدرك ذلك، فكان يستغل هذا السلاح في إخماده لأي ثورة تشهدها المنطقة.

وكاستنتاج عام، فإنه بالرغم من المجهودات الجبارة التي تعرضت لها القبائل المغاربة المصحوبة بالعنف والقتل والطرد والاستبعاد من قبل السلطة الرومانية، إلا أنها صمدت وحافظت على بنيتها وثقافتها ولغتها، ففي حالة القوة فإنها تلجأ إلى المقاومة العسكرية، وفي حالة ضعفها وللحفاظ على القبيلة، تهاجر إلى المناطق المستعصية إلى الجبال والصحراء.(2)

1- محمد الصغير غانم: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مرجع سابق، ص 25.

2- مصطفى عوفي وآخرون: المسألة الثقافية في الجزائر دراسة سوسيوأنثربولوجية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005م، ص5.

خاتمة

خاتمة:

لقد ارتأيت في نهاية هذا البحث أن أشير إلى جملة من النتائج والحقائق الهامة التي توصلتُ إليها، والتي يمكن إبرازها في النقاط الآتية:

1- شهدت مدن بلاد المغرب القديم ازدهاراً خلال الفترة الرومانية على الصعيد العمراني في مجال أماكن التسلية والترفيه، فقد شيّدت مرافق المدينة الثقافية التي تعتبر من بين وسائل الرومنة الثقافية (المسارح والملاعب وميادين السباق والحمامات، وبناء المدارس والمكتبات)، وتدل المؤشرات الأثرية على توسع في حركة بناء تلك العمائر التي امتازت بالضخامة والفخامة والجمال والأبهة والإبهار، وهي من أهم مظاهر الازدهار الحضاري والثقافي في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، كمسارح تيمقاد وقرطاجة ولبتيس ماقنا وقيصرية وكيرتا وغيرها، وبناء المدارس وإرساء المكتبات العامة كمكتبة تيمقاد وقرطاجة وبولا ريجيا وهيبون، ومكتبة قيصرية للملك يوبا الثاني، وبناء منشآت الاستحمام كحمامات تيمقاد وقرطاجة ولبتيس ماقنا.

2- استهدفت السياسة الثقافية الرومانية إلى دمج مجتمع بلاد المغرب القديم في إطار الحضارة والثقافة الرومانية، عن طريق مباني التسلية والترفيه، والمتمثلة في المسارح والمدرجات وميادين سباق العربات والحمامات، والتي مثلت بحق الأماكن المجسدة لثقافة المجتمع الروماني، والتي روج فيها الرومان لألعابهم في بلاد المغرب القديم، من خلال تمثيل العروض المسرحية لأشهر المسرحيين الرومان وباللغة اللاتينية وحتى العروض كانت ذات طابع روماني، وكذا تنظيم مختلف الألعاب في المدرجات وسباقات العربات في ميادين السباق على الطريقة الرومانية، كما استغلت الحمامات التي ما يكمن أن أقول عنها أنها كانت بمثابة النوادي في الوقت الحاضر، إذ كانت تمثل أماكن للتثقيف الجسدي والفكري. وقد لخص الرومان فكرة ممارسة تلك العروض المسرحية والألعاب وحضور فعالياتها في عبارة بسيطة ودالة على النمط المعيشي الذي كان سائدًا في المدن المغاربية خلال فترة الاحتلال الروماني، وذلك حسب نقش مكتشف تحت رواق فوروم مدينة تيمقاد في مقاطعة نوميديا، جاء فيه أن الحياة هي: "صيد واستحمام ولعب وضحك".

3- امتدت سياسة روما الثقافية إلى الجوانب العقائدية للإنسان المغاربي، فقد نجحت الإمبراطورية الرومانية رومنة المعتقدات المغاربية، من خلال فرض عباداتها وعلى رأسها عبادة الإمبراطور، ورومنة أسماء الآلهة المحلية وجعل الآلهة الرومانية على رأس المعبودات

المغاربية، وفشلت في رومنة الممارسات والطقوس الدينية للسكان المحليين، كما لم تتمكن المعبودات الرئيسية للرومان الثلاثي الكابيتولي (جوبيتر وجنون ومينيرفا) من زحزحة مكانة بعل حامون وتانيت، فقد أصبح الأول باسم ساتورنوس الأفريقي وتانيت باسم كايلستيس، ورغم رومنة أسماء الآلهة إلى أن لب العبادة استمر على صورته السابقة للوجود الروماني.

أما بالنسبة للديانة المسيحية، فقد استطاعت بعد مرور قرون من الاضطهادات أن تفرض وجودها على المشهد المغاربي، لذا فقد سعى الرومان إلى رومنة هذا الدين الجديد الذي رأت فيه النموذج المثالي لدعم سيطرتها على البلاد المغاربية أرضًا وإنسانًا، وبعد تمكن الإمبراطورية من كسب هذا الديانة المسيحية إلى جانبها، دفع بالمغاربة رغم تمسكهم بهذه الديانة إلى تبني مذهب جديد المتمثل في النحلة الدوناتية، والوقوف موقف المعارض للسياسة الرومانية في البلاد المغاربية.

4- أفرز انتشار الثقافة الرومانية في بلاد المغرب القديم تغيير في النظم الاجتماعية، التي كانت سائدة في المجتمع المغاربي خلال الفترة الليبو – بونية، أين كانت النظم الاجتماعية تخضع لعادات وتقاليد وأعراف يطغى عليها الطابع القبلي، هذا الطابع الذي يضمحل في إطاره التمايز الاجتماعي، حيث كانت القاعدة الاجتماعية الصلبة والقائمة على مبدأ التضامن، توحي إلى غياب التدرج الهرمي والمساواة، كما أن العلاقات القائمة على رابطة الدم تمثل غشاء أيديولوجي يحجب التفاوت والفوارق.

لكن مع فترة الاحتلال الروماني أصبح هذا المجتمع يخضع إلى قوانين الثقافة الرومانية وحضارتهم، فبرزت طبقية واضحة مبنية على أساس القانون الذي بني عليه الاستعمار الروماني (غالب ومغلوب)، وخاصة المجتمع المدني الذي لم يسلم من ذلك لأنه كان على الدوام أمام مرأى ومسمع السلطات الرومانية، وأما المجتمع القبلي فقد حوصر بخط الليمس وسلسلة القلاع والحصون، لذلك فإن المغاربة كانوا إما مهزومين أو محايدون، وهم في كلا الحالتين من الناحية القانونية لم يظفروا في الأولى بالحقوق المدنية وفي الثانية فهم مجردون من ملكية الأرض التي تسمح لهم بتبوء مرتبة في المدينة.

5- ارتكزت السياسة الثقافية على الرومنة اللغوية ووضعت لذلك الآليات اللازمة مثل: فرضها في النظم القانونية الإدارية والخدمة العسكرية وإنشاء مرافق ثقافية على رأسها المدارس والمكتبات، ويبدوا أن هذه السياسة قد حققت بعض النتائج، التي زودت روما

ببعض العناصر البارزة في المجال الثقافي، وكان الانخراط في الجيش الروماني والتمسك بالثقافة اللاتينية طريقًا نحو الحصول على المواطنة الرومانية أعلى دراجات المواطنة.

لكن مثلت العناصر المغاربية المترومنة الأقلية التي وجدت في الحصول على حق المدينة السبيل الوحيد لتحقيق الترقية الاجتماعية والشخصية، لذلك فقد ظل أغلبية المجتمع المغاربي خارج دائرة المواطنة التي تشبه سلماً يبدأ بالمواطنة اللاتينية ثم الإيطالية وأخيرًا الرومانية، وتتطلب الحصول عليها جهودًا مضنية، فماذا تساوي أسماء الكثير من الأفراد الرومان والمترومنين الذين احتفظت النقوش المكتشفة بأسمائهم أمام الكم الديمغرافي الكبير من أفراد المجتمع المغاربي الواقعة خارج دائرة الثقافة والحضارة الرومانية، الذين لم ترد أسمائهم في مختلف النقوش أو السجلات الأخرى.

6- استفادت قلة من الرومان والمترومنين من الازدهار الحضاري أثناء الاحتلال الروماني، بينما ظلت الأغلبية من المغاربة، تعيش في حدود تحقيق الاكتفاء الذاتي في أقل الحالات، في إطار التمسك بنظمها الاجتماعية وثقافتها المحلية، وذلك ما تشير إليه الشواهد الأثرية المتمثلة في النقوش المزدوجة اللوبية – اللاتينية والبونية – اللاتينية، التي تشير إلى أن المجتمع المغاربي حافظ على هويته طيلة فترة الاحتلال الروماني، الاحتلال الذي كان له دور فعال في زعزعة الكيان الحضاري المغاربي بحصاره وتهميش ثقافته ولغته.

7- أكدت الإمبراطورية الرومانية على تعميم لغتها وآدابها من خلال التعليم، الذي يعتبر من أهم الأعمال التي تشرف عليها إدارة البلديات الرومانية في المدن المغاربية، فقد استفادت من ذلك الفئات الاجتماعية الحضرية المترومنة الغنية منها والمتوسطة، وتضمنت المدن المغاربية خاصة الحواضر الكبرى مدارس تؤمن التعليم لأبنائها بمراحله المختلفة، ولعبت دورًا ملحوظًا في انتشار الثقافة الرومانية في الوسط الاجتماعي المغاربي، وقد التحق بتلك المدارس الكثير من المغاربة من أبناء الطبقات المتوسطة، لأن أبناء الأثرياء كانوا يتلقون تعليمهم في منازلهم من قبل معلمين وأساتذة خاصين، بينما بقيت الأغلبية من الطبقات الفقيرة وسكان الأرياف والقبائل محرمون من التعليم وخاصة التعليم العالي، لذلك فالتعليم في تلك الفترة كان يعكس طبقات المجتمع المدني.

ويبدوا أن سياسة روما الثقافية في المجال التعليمي قد حقق بعض النتائج، حيث برز الكثير من المفكرين والعلماء الذين كانت لهم مساهمات في إثراء الفكر الإنساني، في المجال الأدبي من كتابات مسرحية وفن الخطابة والشعر وفي مجال السرديات والقصص وغيرها،

والمجال العلمي والفلسفي والتاريخي والمجال الديني، وكانت الكتابات عكس ما كانت تطمح إليه روما فقد كانت تأليفاتهم باللغتين اليونانية واللاتينية، ورغم طغيان اللغة اللاتينية إلا أن هؤلاء لم ينسوا انتمائهم العرقي الأصلي الذي ما يفتر يتضح من خلال كتاباتهم، وهو أسلوب من أساليب المقاومة باستعمال لغة المستعمر وهي ميزة ميزت المثقفين المغاربة عبر تاريخهم النضالي الطويل، فكانوا يستعينون بلغة المحتل لتمرير أفكارهم التحررية. كما ساهموا في إثراء الفكر الإنساني العالمي في العالم القديم وما تزال أفكارهم متداولة إلى يومنا هذا.

8- لقد قاوم المجتمع الحضري والريفي والقبلي المغاربي سياسة روما في بلاد المغرب القديم، والطامحة إلى إحلال السيطرة المطلقة على البلاد، من خلال استغلال خيراتها الاقتصادية والاجتماعية، منذ الوثبة الاستعمارية الرومانية الأولى على قرطاجة عام 146ق.م، وأهم ما ميز تلك المقاومات الطابع العسكري والاجتماعي والديني، وإن كان الأول هو الأكثر تمييزًا، الذي جسدته مختلف الثورات المغاربية من ثورة يوبا الثاني وتاكفاريناس وفيرموس وجليدون، والمقاومة الدينية الممثلة في الحركة الدوناتية والاجتماعية الممثلة في ثورة الريفيين (الداورين)، كما اعتبرت ثورة تاكفاريناس أولى الثورات التي جاءت كردة فعل على سياسة الرومنة.

9- عجزت السياسة الثقافية الرومانية عن تحقيق أهدافها، فبدلاً من لَوْتنة المجتمع المغاربي حدث ما يمكن أن نصطلح عليه بأَفْرقة الحضارة الرومانية في بلاد المغرب القديم، والذي تجسده العناصر المغاربية والمدن التي تحصلت على حقوق المواطنة الرومانية، فقد تمكن الكثير من العناصر المغاربية أن تتبوأ مناصب عليا في إدارات البلديات المحلية وحتى الوصول إلى مجلس الشيوخ الروماني وإلى العرش الإمبراطوري وحتى منهم من تولى مناصب كحكام في الولايات الواقعة خارج حدود بلاد المغرب القديم، كما أن الكثير من المغاربة الذين تحصلوا على حقوق المواطنة كانت بصورة شكلية، فقد بقوا متمسكين بثقافتهم الأصلية بينما اتخذوا أسماء رومانية وتعلموا اللغة اللاتينية وذلك لحاجة إدارية ملحة فقط، ما أضفى نوع من الطابع الأفريقي على الثقافة الرومانية في المدن والحواضر المغاربية.

وفي الختام أحمد الله جل شأنه الذي وفقني لإتمام هذا البحث، فإن وفقت فبعون الله وتوفيقه وإن قصرت فمن نفسي.

بيبليوغرافيا البحث

بيبليوغرافيا البحث:

أولاً: المصادر

1/ المصادر باللغة العربية:

1- الكتاب المقدس، ط3، دار المشرق، بيروت لبنان، 1994م.

2- أوغسطينوس: اعترافات القديس أوغسطينوس، نقلها إلى العربية: الخوري يوحنا الحلو، ط4، دار المشرق، بيروت، 1991م.

3- ترتوليانوس: المنافحة أو الدفاع عن التوحيد، ج1، تر.: عمار الجلاصي، أعده للنشر موحمد ؤمادي، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، 2001م.

4- ترنس الأفريقي: الأعمال المسرحية الكاملة لترنس الإفريقي، ج1: فرميون، ج6: الأخوان، تر.: عمار الجلاصي، أعده للنشر موحند أومادي، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، 2001م.

5- ديون كاسيوس: التاريخ الروماني، ج10، الكتب: *LXXX-LXXI*، تر.: مصطفى غطيس، ط1، مطبعة ألطوبريس للطباعة والنشر، طنجة، 2013م.

6- سالوست: حرب يوغرطة، تر.: فيصل الأحمر وفاطمة بريهوم، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2013م.

7- لوكيوس أبوليوس: الحمار الذهبي أو التحولات، الكتاب الأول، ترجمة: عمار الجلاصي، أعده للنشر موحمد ؤمادي، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، 2001م.

8- // : الحمار الذهبي أول رواية في تاريخ الإنسانية، تر.: أبو العيد دودو، منشورات الاختلاف الجزائر، 2001م.

9- هوميروس: الإلياذة، تر.: عتمان، أحمد وآخرون، ط2، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008م.

10- هيرودوت: أحاديث هيرودوت (489/487-425 قبل الميلاد) عن الليبيين (الأمازيغ) ((ⵉⵙⴰⵡⵍ ⵏ ⵀⵉⵔⵓⴷⵓⵜ ⵖⴼ ⵉⵎⴰⵣⵉⵖⵏ (489/487-425 ⴷⴰⵜⴰⵙ ⵉ ⵜⵍⴰⵍⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⴰⵙⵉⵃ))، ترجمة وتعليق وشرح: مصطفى أعشي، ط1، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، دار المعارف، الرباط، 2009م.

11- // : تاريخ هيرودوت، تر.: عبد الإله الملاح، المجمع الثقافي، (د.ب)، 2001م.

12- يوليوس قيصر: حرب أفريقية 47-46ق.م، تر.: حارش، محمد الهادي، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2014م.

2/ المصادر باللغة الأجنبية:

1- Ammien Marcellin: histoire de Rome, livre XXIX, Trad.: Collection des Auteurs latins publiés sous la direction de M. NISARD, Paris Firmin Didot, 1860. URL: *http://remacle.org.*

2- Apulée: Apologie, trad. par M. Victor Bétolaud, T.II, Garnier Frère, Librairie Editeur, Paris, 1836, URL: *http://remacle.org.*

3- Augustin (St.): les lettres, trad. sur l'édition nouvelle des pères bénédictins de la congrégation de S. Maur par m. Du Bois, T.V, chez André Pralard, Paris, CLXXXXV.

4- César (J.): La guerre d'Afrique, Ch. XlIX., trad. A. Bouvet, éd. Les belle-lettres, coll. P.U.F, Paris, 1949. Trad. Français a celle de la collection Nisard, Œuvres complètes, Paris, 1865, URL: *http://remacle.org.*

5- Martial (M. Val.): Œuvres Complètes, Spectacles, petit livre sur les spectacles, XXIX, URL: *http://remacle.org.*

6- Plaute: Les comédies de Plaute, LE CÂBLE (RUDENS), trad. en française par E. Sommer, tome second, 1865, URL: http://remacle.org/.

7- // : Les deux Bacchides Bacchis, trad. de J. Naudet, T.II, 1865, URL: *http://remacle.org.*

8- Pline L'Ancien: Histoire naturelle, livre cinq (V.16), Texte français, Paris: Dubochet, 1848-1850, édition d'Émile Littré, URL: *http://remacle.org.*

9- // : Histoire naturelle, livre cinq. V, Texte français, Paris: Dubochet, 1848-1850, édition d'Émile Littré, URL: *http://remacle.org.*

10- Plutarque: Vies des hommes illustres, trad. nouvelle en français par Alexis Pierron, T.II, charpentier, libraire-éditeur, Paris, 1854, URL: *http://remacle.org.*

11- Quintilien: Institution Oratoire, livre I, (VIII. De la lecture de l'enfant), *http://remacle.org.*

12- Salluste (C. C.): La guerre de Jugurtha (Bellum Jugurthinum), Présentation de Kamel Chehrit, 3e édition, Editions, grand Alger livre (G.A.L), Alger, 2006.

13- // : Œuvres complètes de Salluste, trad.: Charle Durosoir, Librairie Garnier Frères, Paris, 1865.

14- Tacite: Annales, Œuvres complètes de tacite, Livre II, LII, XX, trad. en français par J. L. Burnouf, librairie de l. hachette, Paris, 1859, *http://remacle.org.*

15- Terence: Œuvres complètes, Introduction, trad.: Henri Clouard-Garnier, édition d'Émile Littré, URL: *http://remacle.org.*

16- // : Œuvres complètes, Les Adelphes, trad.: Henri Clouard-Garnier, édition d'Émile Littré, URL: *http://remacle.org.*

17- Tertullien: Apologie du christianisme écrite en l'an 197 après J.-C., XXXV, trad. J. P. Waltzing, librairie Bloud ET Gay, Paris, 1914, URL: *http://remacle.org.*

18- Tite-Live: Œuvres de Tite-Live (Histoire Romaine), Trad. française: M. Nisard, Livre XLIV, Firmin Didot, Paris, 1864, URL: *http://remacle.org.*

19- Vitruve: De l'architecture, L'architecture de Vitruve, livre cinquième. VI, trad. nouvelle par M. Ch.-L. Maufras, C.L.F. Panckoucke, 1847, URL: *http://remacle.org.*

ثانيًا: المراجع

1/ المراجع باللغة العربية:

1- إبراهيم، أيوب: التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996م.

2- إبراهيمي، محمد الميلي: الجزائر في ضوء التاريخ، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، 1980م.

3- أحمد علي، عبد اللطيف: التاريخ الروماني، عصر الثورة من تيبريوس جراكوس إلى أكتافيوس أُغسطُس، طبعة منقحة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، مصر، 1988م.

4- الأعظمي، محمد ضياء الرحمان: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، ط2، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1424هـ/2003م.

5- البرغوثي، عبد اللطيف محمد: التاريخ الليبي القديم، من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج5، ج7، أعده للنشر تامنغست، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، (د.ت).

6- بسترس، كيرلس سليم وآخران: تاريخ الفكر المسيحي عند آباء الكنيسة، منشورات المكتبة البوليسية، ط1، بيروت لبنان، 2001م.

7- البكري، أبي عبيد الله: المغرب في ذكر إفريقية والمغرب (جزء من كتاب المسالك والممالك)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت).

8- بن عبد العزيز، الخلف سعد: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط1، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1418هـ/1998م.

9- بن محمد، مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميلي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، إنتاج دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د.ت).

10- بن مسعود، محمد: تاريخ ليبيا العام من القرون الأولى إلى العصر الحاضر، ج2، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، 2001م.

11- بن ميّس، عبد السلام: مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)، ط2، طبعة إدجل (*IDGL*)، الرباط، 2010م.

12- بوحوش، رابح: اللسانيات وتطبيقاتها على الخطاب الشعري، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة، 1427هـ/2006م.

13- بوروينة، الشاذلي والطاهر، محمد: قرطاج البونية تاريخ وحضارة، مركز النشر، تونس، 1999م.

14- بوزياني، الدراجي: ملامح تاريخية للمجتمعات المغربية، مؤسسة بوزياني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

15- بوطالب، محمد نجيب: سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، سلسلة أطروحات الدكتوراه (41)، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2002م.

16- بيومي، مهران محمد: المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1410هـ/1990م.

17- حارش، محمد الهادي: التاريخ المغاربي القديم السياسي والحضاري، منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة، وحدة بن بولعيد، الجزائر، 1992م.

18- حارش، محمد الهادي: مملكة نوميديا دراسة حضارية، منذ أواخر القرن التاسع إلى منتصف القرن الأول قبل الميلاد، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

19- خشيم، علي فهمي: نصوص ليبية، ج6، أعده للنشر تامنغاست، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، (د.ت).

20- دبوز، محمد علي: تاريخ المغرب الكبير، ج1، ج4، تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، 2010م.

21- الدسوقي، عمر: المسرحية نشأتها وتاريخها وأصولها، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (د.ت).

22- ذراع، الطاهر: الديانات القديمة في شبه الجزيرة العربية، مطبعة بغيجة، عين الباي، قسنطينة، 2008م.

23- رستم، أسد: أباء الكنيسة، الرسوليون والمناضلون، ج1، منشورات النور، (د.ب)، (د.ت).

24- السائح، الحسن: الحضارة الإسلامية في المغرب، ط2، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، 1986م.

25- السليماني، أحمد: تاريخ ملوك البربر في الجزائر القديمة، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007م.

26- شارن، شافية ورحماني، بلقاسم وبشاري، محمد الحبيب: الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007م.

27- شفيق، محمد: ثلاثة وثلاثين قرنا من تاريخ الأمازيغيين، أعده للنشر تامنغاست، مؤسسة تاولت، الرابط: *http://www.tawalt.com*، (د.ب)، (د.ت).

28- شلبي، رؤوف: أضواء على المسيحية، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1975.

29- شنيتي، محمد البشير: الاحتلال الروماني لبلاد المغرب (سياسة الرومنة 146ق.م/40م)، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.

30- // : الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (الليمس) ومقاومة المور، ج1، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، (د.ت).

31- // : نوميديا وروما الإمبراطورية، تحولات اقتصادية واجتماعية في ظل الاحتلال، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الأبيار، الجزائر، 1433هـ/2012م.

32- الشيباني، عمر محمد التومي: تطور النظريات والأفكار التربوية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1971م.

33- الشيخ، حسين: اليونان والرومان، دار المعرفة الجامعية، 2003م.

34- // : دراسات في الحضارات القديمة الرومان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1425هـ-2004م.

35- صحراوي، عبد القادر: التحصينات العسكرية بنوميديا وموريطانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني 46ق.م- 284م، دار الهدى للنشر والطباعة والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011م.

36- صفر، أحمد: مدنية المغرب العربي في التاريخ، ج1، عشرون قرناً من تاريخ إفريقية من عصور ما قبل التاريخ إلى آخر العهد البيزنطي، دار النشر بوسلامة، تونس، 1959م.

37- طامر، أنوال: حفريات في المسرح الجزائري المسرح النوميدي في العهد الروماني، طبع مشترك: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، وأطفالنا للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

38- طراد، نجيب إبراهيم: تاريخ الرومان، تقديم: محمد زينهم عزب، مكتبة ومطبعة الغد، طباعة نشر وتوزيع، مصر، 1998م.

39- العبادي، مصطفى: الإمبراطورية الرومانية (النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999م.

40- عبد الرحمان ابن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، مج1: المقدمة، مج2، مج6، دار الكتب العلمية، ط3، بيروت، لبنان، 2006م.

41- عبد الستار، لبيب: الحضارات، ط16، دار المشرق، بيروت، لبنان، 2003م.

42- عبد العليم، مصطفى كمال: دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م.

43- عتمان، أحمد: الأدب اللاتيني ودوره الحضاري، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989م.

44- // : كليوباترا وأنطونيوس دراسة في فن بلوتارخوس وشكسبير وشوقي، المركز العربي للبحث والنشر، 1985م.

45- عكاشة، علي وآخرون: اليونان والرومان، ط1، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، 1999م.

46- عموره، عمار: الجزائر بوابة التاريخ ما قبل التاريخ إلى 1962م، الجزائر العامة، ج1، دار المعرفة، باب الوادي، الجزائر، 2006م.

47- العود، محمد الصالح: التحولات الحضارية في شمال إفريقيا في الفترة الوندالية 429-534م، ط1، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2010م.

48- عيساوي، مها: النقوش النوميدية في بلاد المغرب القديم، دارسة تاريخية لغوية حول الواقع الثقافي قبيل الاحتلال الروماني، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 1430هـ/2009م.

49- عقون، محمد العربي: الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2008م.

50- غانم، محمد الصغير: الملامح الباكرة للفكر الديني الوثني في شمال إفريقيا، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2005م.

51- // : مقالات آراء في تاريخ الجزائر، ج1، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010م.

52- // : نصوص بونية – ليبية مختارة من تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2012م.

53- فرحاتي، فتيحة: نوميديا من حكم الملك جايا إلى بداية الاحتلال الروماني الحياة السياسية والحضارية (213ق.م – 46ق.م)، منشورات أبيك، طبع بمطبعة متيجة، الجزائر، 2007م.

54- لحسن، رابح: أضرحة الملوك النوميد والمور دراسة أثرية وتاريخية، دار هومة للطباعة النشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.

55- المحجوبي، عمار: ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146ق.م-235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001م.

56- محمد السيد محمد عبد الغني: نماذج من الكفاح الجزائري القديم ضد الهيمنة الرومانية، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 1999م.

57- مشرفي، محمد محي الدين: بلاد المغرب القديم في العصر القديم، دار الكتب العربية، ط4، لبنان، 1389هـ/1969م.

58- مطمر، محمد العيد: رحلة إلى تيمقاد، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2011م.

59- معدّي، الحسيني الحسيني: يوليوس قيصر رجل كل العصور (حياة أسطورية ونهاية مأساوية)، دار الكتاب العربي، دمشق، القاهرة، (د.ت).

60- منصوري، خديجة: الحمامات ببلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2001م.

61- الناصري، سيد أحمد: تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي والحضاري، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1991م.

62- الناضوري، رشيد: تاريخ المغرب الكبير، المغرب الكبير 1، العصور القديمة أسسها التاريخية والحضارية والسياسية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1981م.

63- نخلة، منى يونس: علم الآثار في الوطن العربي، منشورات جروس يونس، لبنان، (د.ت).

64- نصحي، إبراهيم: تاريخ الرومان من أقدم العصور حتى 133ق.م، ج2، مكتبة الأنجلو-مصرية، القاهرة، 1983م.

2/ المراجع المعربة:

1- أيمار، أندريه وأبوايه، جانين: تاريخ الحضارات العام، روما وإمبراطوريتها، تر.: فريد م. داغر وآخر، ط2، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، 1986م.

2- باصي، روني: أبحاث في دين الأمازيغ، تر.: حمو بوشخار، ط1، نشر: دفاتر. وجهة نظر، سحب: مطبعة النجاح الجديدة، (د.ب)، 2012م.

3- براندر، جفري: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، تر.: إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، الكويت، 1993م.

4- بيرد، ماري وهندرسون، جون جراهام: التراث الكلاسيكي، تر.: محمد فتحي خضر، ط1، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، 2014م.

5- توشار، جان: تاريخ الأفكار السياسية من اليونان إلى العصر الوسيط، ج1، تر.: ناجي الدرواشة، ط1، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، 2010م.

6- جنيبير، شارل: المسيحية نشأتها وتطورها، تر.: عبد الحليم محمود، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، (دس).

7- جوليان، شارل أندري: تاريخ إفريقيا الشمالية، تونس، الجزائر، المغرب الأقصى، من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م، ج1، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، النشرة الرابعة، الدار التونسية للنشر، 1983م.

8- دانيال، روبين: أصول التراث المسيحي في شمال أفريقيا، دراسة تاريخية عن القرنين الأولين، تر.: سمير مالك، دار منهل الحياة، بيروت، لبنان، 1999م.

9- دوفرجيه، موريس: علم اجتماع صناعي، تر.: سليم حداد، ط2، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1421هـ/2001م.

10- دوكريه، فرانسوا: قرطاجة الحضارة والتاريخ، تر.: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، 1994م.

11- ديورانت، ويل: قصة الحضارة، قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية، تر.: محمد بدران، ج1، مج3، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1408هـ/1988م.

12- رستوفتزف. م: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، الجزء الأول، تر.: زكي علي ومحمد سليم سالم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957م.

13- روث، أ.ب تشارلز: الإمبراطورية الرومانية، تر.: رمزي عبده جرجس ومحمد صقر خفاجة، مهرجان القراءة للجميع، مكتبة الأسرة، القاهر، 2003م.

14- ستيبتشفيتش، ألكسندر: تاريخ الكتاب، القسم الأول، تر.: محمد م. الأرناؤوط، عالم المعرفة، الكويت، 1994م.

15- سفينسيسكا، إ.س.: المسيحيون الأوائل والإمبراطورية الرومانية خفايا القرون، تر.: حسان ميخائيل اسحق، دار علاء للنشر والتوزيع والترجمة، ط2، دمشق، سوريا، 2007م.

16- سنيوبوس، شارل: تاريخ حضارات العالم، تر.: محمود كرد علي، ط1، طباعة دار طيبة للطباعة، الناشر الدار العالمية للكتب والنشر، الجيزة، 2012م.

17- عقون، محمد العربي: المؤرخون القدامى (غايوس كريسبوس سالوستيوس (86-35ق.م) وكتابه حرب يوغرطة (*Bellum Jugurtthinum*)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2006م.

18- ف. دياكوف، س. كوفاليف: الحضارات القديمة، ج2، تر.: نسيم واكيم اليازجي، منشورات علاء الدين، ط1، دمشق، 2000م.

19- قداش، محفوظ: الجزائر في العصور القديمة، تر.: صالح عبّاد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993م.

20- لنتون، رالف: شجرة الحضارة، ج2، تقديم: محمد سويدي، طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 2007م.

21- لورو، باتريك: الإمبراطورية الرومانية، تر.: جورج كتوه، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية، طرابلس، ليبيا، (د.ت).

22- ليبهارت، توماس: فن المايم والبانتومايم، تر.: بيومي قنديل، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م.

23- مختار، جمال وآخرون: تاريخ إفريقيا العام، مج2، تر.: السيد أحمد عبد الرحيم مصطفى وآخرون، دار جون أفريك، باريس، 1985م.

24- مونتيسكيو: تأملات في تاريخ الرومان (أسباب النهوض والانحطاط)، نقله من الفرنسية إلى العربية: عبد الله العروي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2011م.

25- هاملتون، أديث: الأسلوب الروماني في الأدب والفن والحياة، تر.: حنا عبود، منشورات وزارة الثقافة، المعهد العالي للفنون المسرحية، دمشق، سوريا، 1998م.

26- هاينريش فون مالتسان: ثلاث سنوات في شمال غربي أفريقيا، تر.: أبو العيد دودو، ج3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.

27- هورس، مادلين: تاريخ قرطاج، تر.: إبراهيم بالش، ط1، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 1981.

28- ڤابريـال، كـامبس: فـي أصـول بـلاد البربـر، ماسينيسـا أو بـدايات التـاريخ، تعريـب وتحقيـق: محمد العربي عقون، المجلس الأعلى للغة العربية، الأبيار، الجزائر، (د.ت).

3/ المراجع باللغة الأجنبية:

1- Albertini (E.): L'Afrique Romaine, éd. Imprimerie officielle, Alger, 1955.
2- Ballu (A.): Les ruines de Timgad antique Thamugadi, nouvelles découvertes, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1903.
3- // : Les ruines de Timgad, antique Thamugadi: sept années de découvertes (1903-1910), Imprimeurs-Editeurs, Nérudien Frères, Paris, 1911.
4- // : Musée de Lambèse, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1903.
5- Basset (R.): Recherches sur les Religions des Berbères, éd. Ernest Leroux, Paris, 1910.
6- Benabou (M.): La résistance Africaine a la romanisation, François Maspero, Paris, 1975.
7- Boeswillwald (E.), Cagnat (R.): Timgad une cité africaine sous l'empire Romain, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1905.
8- Boissier (G.): l'Afrique Romaine, promenades archéologiques en Algérie et en Tunisie, Hachette et Cie, Paris, 1895.
9- Cagnat (R.): L'armée romaine d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs, imprimerie nationale, Ernest Leroux, éditeur, Paris, 1913.
10- // : Les bibliothèques municipales dans l'Empire romain, Extrait des mémoires de l'Académie des inscriptions et belles-lettres; T. XXXVIII, 1ére partie, Imprimerie nationale, Paris, 1906.
11- Camps (G.): Aux Origines de la Berbérie, Massinissa ou les débuts de l'Histoire, Libyca, 1962.
12- Carcopino (J.): du droit de cité accordé par les romains aux peuples conquis, extrait des Annales universitaires de l'Algérie, Publication de la Société des amis de l'Université d'Alger, Mars 1915, Typographie Adolf Jourdan, Imprimeur Libraire de l'Université, Alger 1915.
13- Commaille (A.): Les aqueducs des bains et des Thermes dans L'antiquité, Paris.
14- Décret (F.), Fantar (M.): L'Afrique du nord dans l'antiquité des origines au V siècle, Ed. Payot, Paris, 1981.
15- // : L'Afrique de Nord dans l'antiquité, histoire et civilisation des origines au Vème Siècle, Ed. Payot, Paris, 1991.
16- Dureau de La Malle (M.): L'Algérie, histoire des guerres des Romains, des Byzantins et des Vandales, Librairie de Firmin Didot frères, Paris, 1852.
17- Félix (R.): the book trade at the time of the roman empire, The Library Quarterly, VIII, 1838.
18- Gaid (M.): Les Berbères dans l'histoire de la préhistoire à la Kahina, T.I, éditions Mimouni Hichem Rouïba, Alger, 2009.
19- Gautier (E. F.): le passé de l'Afrique du nord, les siècles obscurs, nouvelle édition, petite bibliothèque Payot, Paris, 1952.
20- Girard (P. F.): Manuel élémentaire de droit romain, Cinquième Edition, librairie nouvelle de droit et de jurisprudence, Paris, 1911.

21- Gsell (S.): Histoire ancienne de l'Afrique du nord, T.I, librairie hachette, Paris, 1918.
22- // : Inscriptions latines de l'Algérie, Inscriptions de La Proconsulaire, T.I, Librairie Ancienne Honoré Champion Edouard Champion, Paris, 1922.
23- // : L'Algérie dans l'antiquité, typographie Adolphe Jourdan, imprimeur libraire éditeur, Alger, 1903.
24- // : Les monuments antiques de L'Algérie, T.I, éditeur, ancienne librairie Thorine et fils Albert fontemoing, Paris, 1901.
25- // : Promenades archéologique aux environs d'Alger (Cherchel, Tipaza, Tombeau de la Chrétienne), Paris: Les belles Lettres, 1926.
26- Haddadou (M.A.): les berbères célèbre, 2d. Alger, 2003.
27- Henri Guys (M.): Recherches sur la destruction du christianisme dans l'Afrique septentrionale et sur les causes qui ont retardé la colonisation française en Algérie, E. Dentu, Editeur, Paris, 1865.
28- Homo (L): le siècle d'or de l'Empire Romain, Paris, 1947.
29- Laraoui (A.): L'histoire du Maghreb, un essai de synthèse, Ed. F. Maspro, Paris, 1970.
30- Le Bohec (Y.): Histoire de l'Afrique Romaine (146 av. J.C. – 439 AP. J.C.), 1ère éd., éd Picard, Paris, 2005.
31- Le général Faidherbe: Collection complète des inscriptions numidiques (libyques), librairie A. Franck, Paris, 1870.
32- Marou (H.): ST. Augustin et l'afin de la culture antique, édition Boccard, Paris, 1937.
33- Mercier (E.): Histoire de l'Afrique septentrionale (Berbérie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française (1830), T.I, Ernest Leroux éditeur, Paris, 1888.
34- Mommsen (Th.): Le droit public romain, T. I, trad. par Girard (P. F.), éditeurs Thorin et fils, Paris, 1892.
35- Monceaux (P.): Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe, T. II, Saint Cyprien et son Temps, Editeur Ernest Leroux, Paris, 1902.
36- // : Les Africains, étude sur la littérature latine d'Afrique, les paiens, lecène, oudin et Cio, éditeurs, Paris, 1894.
37- // : Les Africains, étude sur la littérature latine d'Afrique, les paiens, lecène, oudin et Cio, éditeurs, Paris, 1894.
38- Olivier (M. G.): Recherches sur l'Origine des Berbères, Imprimerie Dagand, Bone, 1867.
39- Paul (A.): Histoire de la littérature romaine, T.I, C. Delagrave, 1871.
40- Picard (CH.G.): les religions de l'Afrique antique, Paris, 1945.
41- Roman (D.), Roman (Y.): Rome de la République à l'Empire (IIIe s. av. J-C.- IIIe s. AP. J.-C.), 2e édition mise à jour, édition ellipses Marketing S.A., Paris, 2006.
42- Vars (CH.): CIRTA, ses monuments, son administration, ses magistrats, Editeur Adolphe Braham, Imprimeur, Constantine, 1895.

43- Violle (M.): Thamugas, ses fouilles et ses découvertes avec plan et gravures, imprimerie typographique et lithographique F, Soldati, Batna, 1894.

ثالثًا: المجلات والدوريات:

1/ المجلات والدوريات باللغة العربية:

1- بشاري، محمد الحبيب: "الحياة الأدبية الرومانية ومساهمة الأفارقة في إنعاشها"، مجلة عصور، مجلة علمية محكمة – علوم إنسانية تاريخ وحضارة، العدد: 20، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جماعة وهران، الجزائر، جانفي – جوان 2013م.

2- بن علال، رضا: "ألعاب الصيد و مبارزة الحيوانات المجسدة على مواد مختلفة في المغرب القديم"، مجلة الإتحاد العام للأثريين العرب، العدد رقم 09، الإتحاد العام للأثريين العرب، 2008م.

3- بن مرزوق، عبد الرحمان: "مدينة تيمقاد أو تاموقادي قديمًا"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية، تصدرها جمعية التاريخ والتراث الأثري بولاية باتنة، العدد: 2، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة، الجزائر، 1408هـ/1987م.

4- بوعزم، عبد القادر: "التوسع الروماني والمقاومة المغاربية (مقتل بطليموس وردّ فعل المور)"، مجلة عصور، مجلة فصلية محكمة يصدرها مخبر البحث العلمي، العدد: 6-7، جوان – ديسمبر 1426هـ/2005م.

5- تكيالين، محمد: "التواجد الروماني في الصحراء بين الإستراتيجية الدفاعية والمصالح الاقتصادية"، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، جامعة غرداية، 2011م.

6- حارش، محمد الهادي: "في أصول عبادة آمون في المغرب القديم"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد: 04، 1988م.

7- حمدان، عبد المجيد: العبيد عند الرومان خلال القرنين الثاني والأول قبل الميلاد، مجلة دراسات تاريخية، العددان 117-118، كانون الثاني – حزيران، عام 2012، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 2012م.

8- رحماني، بلقاسم: "أثر الاستعمار الروماني في الجوانب الثقافية والاجتماعية في بلاد المغرب القديم"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، مجلة علمية دورية محكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، العدد الثاني، جوان 2009م، جمادى الثانية 1430هـ.

9- // : "روما وسياسة الرومنة في شمال إفريقيا (بلاد المغرب نموذجًا)"، مجلة البحوث والدراسات، دورية أكاديمية محكمة يصدرها المركز الجامعي بالوادي، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، العدد التاسع، السنة السابعة، محرم 1431هـ/ يناير 2010م، جمادى الثانية 1430هـ.

10- شنيتي، محمد البشير: "حول الدوناتية وثورة الريفيين بنوميديا خلال القرن 4م"، مجلة الأصالة، العدد: 60-61، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، الجزائر، 1978م.

11- عوفي، مصطفى وآخرون: المسألة الثقافية في الجزائر دراسة سوسيوأنثربولوجية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2005م.

12- عيساوي، مها: "قراءة في تاريخ تعليم المرأة الجزائرية عبر العصور"، مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن قسم الدراسات والنشر والشؤون الخارجية، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، الإمارات العربية المتحدة، العدد: 80، 1434هـ/2012م.

13- // : "مدينة تبسة في العصور القديمة"، التراث مجلة تاريخية أثرية، تصدرها دوريًا جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد 09، مطابع عمار قرفي، باتنة، رجب 1418هـ/ نوفمبر 1997م.

14- عقون، محمد العربي: الإثنوغرافيا "الاستعمارية"، شار فيرو نموذجًا، إنسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجية والعلوم الاجتماعية، العدد: 28، أفريل - جوان 2005م.

15- غانم، محمد الصغير: "بعض ملامح التحرير في الجزائر أثناء فترة الاستعمار الروماني"، مجلة الثقافة، العدد 115، وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، 1997م.

16- // : "زانة الأثرية"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا: جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد: 12، شركة باتنيت للمعلومات والخدمات المكتبية، باتنة، 1425هـ/2004م.

17- // : "يوغرطة رائد الكفاح النوميدي ضد الاستعمار الروماني"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا: جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد: 12، شركة باتنيت للمعلومات والخدمات المكتبية، باتنة، 1425هـ/2004م.

18- منصوري، خديجة: "التطورات الاقتصادية لموريتانيا القيصرية أثناء الاحتلال الروماني"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا، جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد: 12، شركة باتنيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، 1425هـ/2004م.

19- // : "أهمية قمح المغرب القديم من خلال النصوص القديمة"، مجلة التراث، مجلة تاريخية أثرية تصدرها دوريًا، جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، العدد: 10، شركة باتنيت للمعلوماتية والخدمات المكتبية، 1420هـ/1999م.

20- المرشد إلى آثار لبدة الكبرى، مصلحة الآثار، مطابع وزارة الإعلام والثقافة، طرابلس، ليبيا، 1386هـ/1967م.

21- دليل آثار تيمقاد (تاموقادي)، جمعية المعالم الأثرية لولاية باتنة، عين التوتة، باتنة، 2001م.

2/ المجلات والدوريات باللغة الأجنبية:

1- Baradez (J.): "Quatorze années de recherches archéologiques à Tipasa (1948-1961), méthode er bilan", R.AF., Vol.105, A. Rnolet, imprimeur-libraire, Alger, 1961.

2- Barnéond: "Chronique", R.AF., Vol.07, A. Rnolet, imprimeur-libraire, Alger, 1863.

3- Basset (H.): "Les influences puniques chez les Berbères", R.AF., A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1921.

4- Bastard: "Hôtes Sur Les Evêchés, Voisins de Cirta", R.N.M.S.A.P.C., Alessi et Arnolet, Libraires éditeurs, Alger, 1863.

5- Bugnot (J.) et De Verneuil: "Esquisses historiques sur la Mauritanie Césarienne et Iol-Caésarea (Cherchell)", Première Partie, R.AF., Vol.14, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1870.

6- Camps (G.): "Punica Lingua et épigraphie Libyque dans la Numidie d'Hippone", B.A.C.T.H.S., Vol. 23, (1990-1992), éd. Du comité des Travaux hist. et scien, 1994.

7- Camps (G.): "Africanae", Encyclopédie Berbère, II Ad-Aǧuh-n-Tahlé, EDISUD, La Calade, 13090, Aix-en-Provence, France, 1985.

8- Courtois (Ch.): "Saint Augustin et le problème de la survivance de Punique", R.AF., Vol. 94, A. Jourdan, Libraire-éditeur, Alger, 1950.

9- De la Füye (A.): "Note sur quelques découvertes archéologiques faites à Tébessa pendant les années 1886-1887", R.N.M.S.A.C.

10- Gsell (S.): "Juba II, savant et écrivain", R.AF., Vol. 68, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1927.

11- Hédi (S.): "Nouveaux témoignages sur la vie économique a Thysdrus", histoire et archéologie de l'Afrique du nord, IIe colloque international (Grenoble, 5-9 avril 1983), Congrès des sociétés savantes, 108è, Grenoble, 1983.

12- Mac Carthy (O.): "Étude critique sur la géographie comparée et la géographie positive de la guerre d'Afrique de Jules César", 1ère partie, R.AF., T.9, 1865.

13- Mac Carthy (O.): "monuments du culte de Mithra", R.N.M.S.A.P.C., Alessi et Arnolet, Libraires éditeurs, Constantine, Alger, 1863.

14- Picard (G.CH.) et Baillon (M.): "Le théâtre de Carthage,- Afrique du nord antique et médiévale- spectacles, vie portuaire", Vème colloque international, réuni dans le

cadre du 115ème congrès des travaux historiques et société savantes, Avignon 09-13 avril 1990, Editions du comité des travaux historiques et scientifiques 1992.
15- Tissot (Ch.): "Inscriptions de l'amphithéâtre d'El-Djem", R.AF., Vol.1, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1856.
16- Tissot (Ch.): "Inscriptions de l'amphithéâtre d'El-Djem", R.AF., Vol.14, 1856, revue africaine, Vol.14, A. Jourdan, libraire-éditeur, Alger, 1870.

3/ المجلات والدوريات الإلكترونية:

أ) المجلات والدوريات الإلكترونية باللغة العربية:

1- أعشـي، مصطفى: "الربـة تانيـت بـين الأصـل الأمـازيغي والامتـداد الشـرقي"، مجلـة المـؤرخ الإلكترونيـة، العدد: 09، مجلة تاريخيـة دوريـة تصـدر عـن جمعيـة ليـون الأفريقـي للتنميـة والتقـارب الثقافي، 2011م، الرابط: *http://magazin-histoire.blogspot.com*.

2- // : "نمـاذج مـن ثـورات الأمـازيغ ضـد المحتلـين الأجانـب 3/1 (ثـورة تاكفاريـنـاس ومجموعـة الموسـولام نمـوذج للمقاومـة الأمازيغيـة ضـد الرومـان)"، تاوالـت الثقافيـة، الـرابط: *http://www.tawalt.com*.

3- العيوض، سيدي محمد: "موقع بناصـا الأثري من الأصـول إلى الجلاء الرومـاني"، مجلـة كـان الإلكترونية، العدد: 13، سبتمبر 2011م، الرابط: *www.kanhistorique.org*.

4- لاشـين، صـديقة: "فـن المـايم والبانتومـايم"، موقـع جريـدة مسـرحنا، العـدد: 262، الـرابط: *http://www.masrahona.com*.

5- محمـد علـي، عيسـى: "الحيـاة العامـة فـي المـدن الليبيـة القديمـة أثنـاء الاسـتعمار الرومـاني مـن خـلال بعـض نمـاذج الفسيفسـاء"، مجلـة آثـار العـرب، مجلـة إلكترونيـة، الرابط: *http://www.wata.cc/forums/showthread.php*.

6- مسـعد، محمـود عبـد الـرازق: "الأمفثيـاتر Amphithéâtre"، مجلـة الآثـار الإلكترونيـة، الـرابط: *http://archaeologic.net/cmds.php?action=newsopen&id=3879*.

7- حجوني، غوتي: تـاريخ الأمـازيغ، دوريـة كـان التاريخيـة، العدد 10، ديسمبر 2010م، الرابط: *www.historicalkan.co.nr*.

ب) المجلات والدوريات الإلكترونية باللغة الأجنبية:

1- Camps (G.), "Dieux africains et Dii Mauri", in 15|Daphnitae-Djado, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», n° 15), 1995 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 22 septembre 2014. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/2258*.
2- Camps (G.): "Dougga", in 16|Djalut - Dougga, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», N°16), 1995 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 25 juillet 2014. URL: *http://encyclopedieberbere.revues. org/2210*.

3- Cretot (M.): "Les Jeux Et Les Spectacles De L'Afrique Romaine (3)", Cercler Algérianiste Association culturel des français d'Afrique du nord, URL: *http://www.cerclea lgerianiste.fr.*

4- Ennabli (A.): "L'Art Romain en Afrique du Nord Son avenir". R.P.M., 16 Septembre 2000, UNESCO-San, Marcos, URL: *http://whc.unesco.org/documents /publi_review_16_fr_1.pdf.*

5- Février (P.A.) et Camps (G.): "Abizar", in 1|Abadir-Acridophagie, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes»),1984 [En ligne], mis en ligne le 01 décembre 2012, consulté le 29 juillet 2015. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/791.*

6- Galand (L.): "Libyque et Berbère", URL: *http://www.persee.fr.*

7- Gilbert (C. P.): Acholla, In: Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres, 91e année, N. 3, 1947, URL: *http://www.persee.fr.*

8- Janon (M.): "Lambèse", in 28-29/Kirtēsii - Lutte, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», no 28-29), 2008 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2013, consulté le 25 septembre 2014. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/305.*

9- Lancel (S.): "Circoncellions", in 13|Chèvre-Columnatien, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», n° 13, 1994 [En ligne], mis en ligne le 01 mars 2012, consulté le 14 juillet 2015. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/2288.*

10- Leglay (M.): "Caelistis", in 11|Bracelets-Caprarienses, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», n° 11), 1992 [En ligne], mis en ligne le 01 avril 2013, consulté le 13 juin 2015. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/1896.*

11- Leglay (M.): Saturne africain, Annales. Économies, Sociétés, Civilisations, Année 1970, Volume 25, Numéro 5, *http://www.persee.fr.*

12- Leveau (Ph.): "Caesarea de Maurétanie, Une ville romaine et ses campagnes, Rome", École Française de Rome, URL: *http://www.persee.fr.*

13- Lichiheb (H.) et autre: modélisation architecturologique des thermes impériaux romains de Tunisie, URL: *http://dspace.univbiskra.dz:8080/jspui/bitstream/1234567 89/653/1/19-h.lichiheb%20-.pdf.*

14- Pichot (A.): "amphithéâtres et cirques des Maurétanies romaines", L'Africa Romana, Volume primo, Le ricchezze dell'Africa. Risorse, produzioni, scambi, 2008, URL: *http://www.sefarim.fr/hamore/pdf/Les_colonies_juives_dans_l'Afrique_ romaine.axd?action.*

15- // : "Jeux et spectacles en Afrique romaine", archéologie provinciale, URL: *http://www3.unil.ch/wpmu/chrono-zones/files/2013/07 /pichot2005.pdf.*

16- // : "Théâtres et amphithéâtres: outils de romanisation en Maurétanie?", Études de lettres [En ligne], 1-2|2011, mis en ligne le 15 mai 2014, consulté le 21 juillet 2014. URL: *http://edl.revues.org/113;DOI:10.4000/edl.113.*

17- // : Théâtres, "amphithéâtres et cirques des Maurétanies romaines", L'Africa Romana, Volume primo, Le ricchezze dell'Africa. Risorse, produzioni, scambi, 2008, URL: *http://www.sefarim.fr/hamore/pdf/Les_colonies_juives_dans_ l'Afrique_romaine.axd?action.*

18- Robert (T.), Benabou (M.): La résistance africaine à la romanisation. In: Revue de l'histoire des religions, tome 193 n°1, 1978, URL: *http://www.persee.fr.*

19- Thébert (Y.): "Bulla Regia", in 11|Bracelets-Caprariensses, Aix-en-Provence, Edisud («Volumes», N° 11), 1992 [Enligne], mis en ligne le 01 mars 2013, consulté le 01 février 2015. URL: *http://encyclopedieberbere.revues.org/1878*.
20- Tlili (N.): "Les bibliothèques en Afrique romaine", In: Dialogues d'histoire ancienne. Vol. 26 N°1, 2000, URL: *http://www.persee.fr*.
21- Turcan (R.), Benabou (M.): "La résistance africaine à la romanisation", In: Revue de l'histoire des religions, tome 193 n°1, 1978, P. 70, URL: *http://www.persee.fr*.
22- Yvon (TH.): "La romanisation d'une cité indigène d'Afrique: Bulla Regia", In: Mélanges de l'école française de Rome, Antiquité, T. 85, N°1. 1973, URL: *http://www.persee.fr*.

رابعًا: القواميس والمعاجم والموسوعات والأطالس

1/ القواميس والمعاجم والموسوعات والأطالس باللغة العربية:

1- ابن جني: الخصائص، تح.: محمد علي النجار، ط1، دار الكتب، القاهرة، 1956م.

10- نعمة، حسين: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994م.

11- داولي، تيم: أطلس الكتاب المقدس وتاريخ المسيحية، تر.: الأب يوسف توما، شركة توني كانتيل للتصميمات، (د.ت).

2- ابن منظور: لسان العرب، المجلد التاسع، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

3- الباري، فرج الله: موسوعة العقيدة والأديان، اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري، ج5، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2004م.

4- الزواري، سارة التونسي: المعجم الفلسفي النقدي، ط1، مطبعة السفير الفني، 2005م.

5- الشهباني، يحي: معجم المصطلحات الأثرية، فرنسي عربي، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 1996م.

6- الكيالي، عبد الوهاب: موسوعة السياسة، ج1، ج7، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

7- صليبا، جميل: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج2، دار الكتب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982م.

8- عجيبة، أحمد علي: موسوعة العقيدة والأديان، الرهبانية المسيحية، وموقف الإسلام منها، ج6، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 1994م.

9- ماكفيدي، كولين: أطلس التاريخ الأفريقي، تر.: مختار السويفي، مطابع الهيئة المصري العامة للكتاب.

12- موسوعة الشروق، مؤلفة شاملة (عربية، عالمية، إسلامية)، مج1، دار الشروق، القاهرة، 1994م.

13- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، ج2، دار الكتب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1982م.

2/ القواميس والمعاجم والموسوعات والأطالس باللغة الأجنبية:

1- Dominique et Michel Frémy: Quid 2001 (tout sur tout et un peu plus que tout), éditions Robert Laffont, France.

2- Dictionnaire de la langue français, 1993, Nouvelle éd. Hachette.

3/ الموسوعات الإلكترونية:

1- الموسوعة الحرة ويكيبيديا باللغة الفرنسية، الرابط: *http://fr.wikipedia.org*.

2- الموسوعة الحرة ويكيبيديا باللغة العربية، الرابط: *http://ar.wikipedia.org*.

3- الموسوعة 2015، الفيلولوجيا، فقه اللغة، الرابط: *http://ency.kacemb.com*.

4- الموسوعة العربية: **السيرك (*Circus, Cirque*)**، المجلد الحادي عشر، التربية والفنون، تربية وعلم النفس، السيرك، الرابط: *http://www.arab-ency.com*.

خامسًا: المذكرات والرسائل

1/ المذكرات والرسائل باللغة العربية:

1- بن علال، رضا: الألعاب في المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، أطروحة ودكتوراه في التاريخ القديم، تحت إشراف الدكتور سعيد ديلوم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2010-2011م.

2- بوغرارة، وفاء: الحياة الثقافية في المغرب القديم بين الأصالة وتأثير الثقافات الوافدة 146ق.م-431م، مذكرة ماجستير في التاريخ الثقافي والاجتماعي المغاربي عبر العصور، تحت إشراف الأستاذ الدكتور الطاهر ذراع، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإنسانية، جامعة أدرار، 2013-2014م.

3- حميدو، زكية: مصلحة المحضون في القوانين المغاربية للأسرة، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه في القانون الخاص، تحت إشراف الأستاذ الدكتور جيلالي تشوار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، 2004-2005م.

4- طاطا، فريد: مدينة زانة "ديانا فيتيرانوروم" تاريخها ومعالمها، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الآثار القديمة، تحت إشراف الدكتور محمد المصطفي الفيلاح، معهد الآثار، جامعة الجزائر 2، 2011-2012م.

5- عمران، عبد الحميد: الديانة المسيحية في المغرب القديم (النشأة والتطور 180-430م)، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد غانم الصغير، كلية العلوم الإجتماعية والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2011/2010م.

6- عيساوي، مها: المجتمع اللوبي في بلاد المغرب القديم، من عصور ما قبل التاريخ إلى عشية الفتح الإسلامي، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في تاريخ المغرب القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد غانم الصغير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009-2010م.

7- عقون، محمد العربي: من التاريخ البلدي للجزائر القديمة في العهد الإمبراطور الأول، منذ استيلاء سيتيوس على سيرتا (46ق.م) إلى أحداث القرن الرابع، دراسة في تاريخ وآثار ونظم سيرتا العتيقة، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد غانم الصغير، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2004-2005م.

8- قنديل زايد، مصطفى محمد: التعبير عن التعليم في الفن اليوناني والروماني، بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في الآداب، جامعة طنطا، مصر، 1422هـ-2001م.

9- مسرحي، جمال: المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية نموذجًا، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم، تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد غانم الصغير، تخصص تاريخ حضارات البحر الأبيض المتوسط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008-2009م.

2/ المذكرات والرسائل باللغة الأجنبية:

1- Bouchareb (A.): Cirta ou le substratum urbain de Constantine, La région, la ville et l’architecture dans l’antiquité (Une étude en archéologie urbaine), thèse pour l’obtention du diplôme de doctorat d’état option: urbanisme, Sous la Direction du Profésseur M. H. Larouk, université Mentouri - Constantine faculté des sciences de la terre, de la géographie et de l’aménagement du territoire département d’architecture et d’urbanisme, 2006.

2- François (T.): apprendre et enseigner en Afrique proconsulaire, l'éducation classique et la vie municipale africaine, du second siècle a la fin du monde antique, mémoire présente a la faculté des études supérieures de l'université Laval dans le cadre du programme de maitrise en histoire pour l'obtention du grade de maitre et arts (M.A.), département d'histoire, faculté des lettres, université aval, Québec, Canada, 2007, Collection mémoires et thèses électroniques, URL: *www.theses.ulaval.ca /2007/24441 /24441.pdf.*

سادسًا: المواقع الإلكترونية

1/ باللغة العربية:

1- حمداوي، جميل: "تاريخ المسرح العالمي"، موقع ديوان العرب: *http://www.diwanal-arab.com/spip.php?article5153*، تاريخ النشر: 14 جويلية 2006م.

2- حمداوي، جميل: الحمار الذهبي لأبوليوس أول عمل روائي في الفكر الإنساني والأمازيغي، الحوار المتمدن، العدد: 1924، المحور: الأدب والفن، الرابط: *http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=97388*، تاريخ النشر: 2007/05/23م.

3- عمرون، نور الدين: "المسار المسرحي في الجزائر إلى سنة 2000م"، الرابط: *http://al-hakawati.net/arabic/music_art/stage1.pdf*.

4- مندوبية ليبيا لدى اليونسكو، صبراتة *Sabratha*، الرابط: *http://www.libya-unesco.org/arabic/album-ar05.htm*.

5- تاوالت الثقافية، الرابط: *http://www.tawalt.com*.

6- معلم معبد الكابيتول، دقة، الجمهوريّة التونسيّة، الرابط: *http://dipmec.unipv.it*.

7- الأوراس المبهج، الرابط: *http://aures.meilleurforum.com/t141-topic*.

2/ باللغة الأجنبية:

1- Agence de mis en valeur du patrimoine et de promotion culturel, monument: Dougga, URL: *http://www.patrimoinedetunisie.com.tn*.

2- Agence de mis en valeur du patrimoine et de promotion culturel, monument: "Le théâtre romain de Carthage", URL: *http://www.patrim- oinedetunisie.com.tn*.

3- Agence de mis en valeur du patrimoine et de promotion culturel, monument: "Amphithéâtre d'El Jem", URL: *http://www.patrimoine- detunisie.com.tn*.

4- Fiche maquette: "L'amphithéâtre d'Arles, Service du patrimoine de la ville d'Arles", URL: *http://www.arles-antique.cg13.fr/docs/dossiers_enseignants/Urbanisme_romanisation/toutes_les_fichesUR.pdf*.

5-*http://www.arles-antique.cg13.fr/docs/dossiers_enseignants/Urbanisme_romanisation/toutes _les_fichesUR.pdf*.

6- Jahiliyya: ignorance ou trésor?, Des morts et des dieux romano-africains, URL: *https://jahiliyyah.wordpress.com*.

7- La mosaïque de l'amphithéâtre de Zliten, Venatio et damnatio ad bestias, URL: *http://www.mediterranees.net/art_antique/oeuvres/zliten/ venatio.html*.

8- L'Aurès éternel Photothèque, URL: *http://aureschaouia.free.fr/webgallerie/index.php?/categories/flat/start-2235*.

9- Geneviève Nihoul: "la colonisation romaine en Afrique: un succès?", URL: *http://pul.uclouvain.be/html/WYSIWYGfiles/files/CataloguePUL2013.pdf*.

10- Lire et écrire dans la Rome antique, URL: *http://latogeetleglaive. blogspot.com*.

11- Rapport de la mission conjointe de suivi reactif centre du patrimoine mondial - icomos site archeologique de carthage (tunisie), (24 –28 janvier 2012), URL: *whc.unesco.org/document/ 116958*.

12- Site archéologique de Leptis Magna, **Auteur:** Federica Leone, URL: *http://whc.unesco.org/include/tool image.cfm?src=/uploads/sites/gallery/original/site_0183_0021.jpg&id_site=183*, **Date:** 08/01/2011.

13- Site archéologique de Leptis Magna, Date: 01/01/2003, Copyright: UNESCO, Auteur: G. Boccardi, URL: *http://whc.unesco.org/fr/list/183/ gallery*.

سابعًا: مواقع المتاحف

1- متحف الرباط الأثري، الرابط: *http://www.fnm.ma/musees*.

2- متحف الآثار، الإسكندرية، الرابط: *http://antiquities.bibalex.org*.

3- المتحف الوطني بباردو، تونس، الرابط: *http://www.bardomuseum.tn*.

4- متحف سوسة، الرابط: *http://www.inp.rnrt.tn*.

فهرس الخرائط والملاحق

فهرس الخرائط والملاحق:

1- فهرس الخرائط:

الرقم	عنوان الخريطة	الصفحة
01	خريطة أفريقيا الرومانية توضح توزيع بعض المسارح والملاعب المدرجة في بلاد المغرب القديم	24
02	أسقفيات ظهرت في القرن الرابع الميلادي	103
03	خريطة توضح بعض القبائل المكنطنة التي أشارت إليها النصوص الأدبية والأثرية	130
04	خريطة تقريبية لثورة الدوراين	215
05	مقاومة تاكفاريناس (17-24م)	228
06	خريطة المجال الجغرافي لثورة فيرموس وحملة ثيودوسيوس	233
07	موقع المعركة الفاصلة بين جيش جيلدون وقوات ماكزيزيل	237

2- فهرس الملاحق:

الرقم	عنوان الشكل	الصفحة
01	مخطط المسرح الروماني حسب فيتروفيوس	05
02	مسرح قرطاجة *Carthage*	08
03	مسرح لبتيس ماقنا *Leptis Magna*	09
04	مسرح ثاموقادي *Thamugadi*	11
05	مسرح كويكول *Cuicul*	12
06	مسرح دوقة *Dougga*	14
07	مسرح قيصرية *Caesarea*	16
08	مسرح تيبازة *Tipasa*	17
09	مسرح قالمة *Guelma*	18
10	ممثل مسرحي تراجيدي، متحف صبراتة (ليبيا)	26

فهرس الأعلام
والأماكن والبلدان
والشعوب والقبائل
والآلهة الوثنية

فهرس الأعلام والأماكن والبلدان والشعوب والقبائل والآلـهة الوثنية:

1- فهرس الأعلام:

2- فهرس القبائل والشعوب:

3- فهرس الأماكن والبلدان:

2- فهرس الآلهة الوثنية:

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

ملخص باللغة العربية لرسالة الماجستير، الموسومة:

سياسة روما الثقافية في بلاد المغرب القديم وموقف السكان منها (146ق.م–430م)،

إعداد الطالب: بوقفة نور السادات، إشراف الأستاذ الدكتور الطاهر ذراع

يعالج هذا البحث سياسة الاحتلال الروماني الثقافية في بلاد المغرب القديم، بدراسة كل مجالات تلك السياسة المادية والفكرية، بتبيان الوسائل والمناهج التي اعتمدت عليها، قصد معرفة أهدافها التي انصبت على إحكام السيطرة على بلاد المغرب القديم، وموقف سكان بلاد المغرب القديم من تلك السياسة.

ومن هذا المنطلق فإن هذه الدراسة ستتناول بالبحث سياسة روما الثقافية في بلاد المغرب القديم وموقف السكان منها (146ق.م–430م).

وتعتبر هذه الدراسة من المواضيع المهمة التي تتعاطى التأريخ للإنجازات الثقافية في بلاد المغرب القديم أثناء الاحتلال الروماني، لأن الاستعمار الروماني عمل على تجسيد الرومنة الثقافية للمجتمع المغاربي وتغيير كيانه الحضاري والثقافي، وتعويضه بثقافة وحضارة المجتمع الروماني.

ولهذا البحث أهمية إذ يتجاوز الدراسات التقليدية المقتصرة على الجوانب السياسية والاقتصادية والعسكرية، وذلك بدراسة الجوانب الثقافية والاجتماعية التي لها الأثر الكبير في مسار المجتمعات الإنسانية.

لقد اتبعت الإمبراطورية الرومانية في احتلالها لبلاد المغرب القديم سياسة ثقافية استهدفت من ورائها دمج المجتمع المغاربي في الحضارة والثقافة الرومانية، مستعينة في ذلك على كل الوسائل المتاحة في هذا الجانب، فاعتمدت على الوسائل العمرانية المتمثلة في مباني التسلية والترفيه وعلى رأسها المنشآت المسرحية وملاعب الألعاب وميادين السباق ومنشآت الاستحمام، لما لها من دور في نشر ثقافة المجتمع الروماني في الوسط الاجتماعي المغاربي.

وامتازت تلك السياسة بميزتين: الميزة الأولى تتعلق بالجانب المعماري، فقد أشارت الشواهد الأثرية والتاريخية إلى أنها كانت هياكل بارزة وواضحة عكس ما كان سائدًا عند اليونان، وامتازت بعناصر الجمال والضخامة والفخامة والأبهة والإبهار. أما الميزة الثانية فتتعلق بنوعية العروض والنشاطات التي تؤدى فيها، ويعود سبب التركيز على هذه الوسائل

لأنها كانت بمثابة دور للدعاية الإعلامية تفتح المجال للانتشار السريع للنظم الثقافية الرومانية وبامتياز.

كما تستدعي تلك السياسة، القضاء على اللغات السائدة والمتمثلة في اللغتين الليبية والبونية، واستبدالهما باللغة اللاتينية، ولتحقيق هذه الغاية اعتمد الرومان على إصدار القوانين والمراسيم التي جعلت من اللغة اللاتينية لغة رسمية في البلاد، إذ فرضت في الإدارات والمحاكم والأحكام وكلغة تخاطب في الأماكن العمومية، وفرضت كلغة علم ودراسة في المؤسسات التربوية والعلمية التي كانت رائجة آنذاك.

ولم تتوقف تلك السياسة عند هذا الحد بل تعدت إلى الجوانب العقائدية للإنسان المغاربي، فقد حاولت الإمبراطورية الرومانية القضاء على المعتقدات المغاربية من خلال رومنة الآلهة المغاربية، واستبدالها بمعبوداتها وعلى رأسها عبادة الإمبراطور والثلاثي الكابيتولي (جوبيتر وجونون ومينرفا) وغيرها من الآلهة الرومانية، كما حاربت الديانة المسيحية من خلال سلسلة الاضطهادات الطويلة التي استمرت طيلة قرون من الزمن، وكان الكثير من المغاربة قد اعتنقوها لمّا كانت مبادئها مبادئ سامية إذ كانت تدعوا إلى العدل والمساواة ونبذ استغلال الإنسان لأخيه الإنسان، وحينما رأت فيها روما قوة جامعة وتحمل في طياتها قوة ضغط وجمع للأفراد في إطار نسق اجتماعي موحد، لجأت إلى رومنتها وجعلها ديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية.

لقد استقطبت تلك السياسة الثقافية الكثير المغاربة المترومنين، والذين برزت منهم نخب مثقفة بالثقافة اللاتينية سواء كانوا وثنيين أو مسيحيين، مكنتهم تلك الثقافة من تبوأ المراتب العليا في السلطة الرومانية، ومنهم من ساهم مساهمة فعالة في إثراء الفكر الإنساني في العالم القديم من إنتاج علمي وفلسفي وتاريخي وأدبي، ولعل من أهمهم أبوليوس وفرونطون ويوبا الثاني والقديس ترتوليانوس وأرنوبيوس وكبيريانوس وأغسطينوس وغيرهم.

غير أن تلك السياسة امتازت بالنسبية في تحقيق أهدافها، فقد حاولت روما في البداية تطبيق هذه السياسة على كل المجتمع المغاربي، ولاستحالة ذلك وُجِهت لفئة معينة وخاصة فئة الحضر والبورجوازية المحلية والأعيان ورؤساء القبائل، بصفتهم عناصر مهمة، رَغِبَة السلطة الرومانية في استقطابها إلى جانبها، بينما بقيت الأغلبية خارج تلك الدائرة، تحيَ حياة البؤس والشقاء، التي شكلت العناصر المقاومة للسياسة الرومنة في البلاد المغاربية.

ملخص البحث باللغة الأجنبية:

Résumé de Thèse de Magister

Cette thèse est représentée sous le titre de: ***«La politique culturelle de Rome dans le pays de l'ancien Maghreb et la réaction des autochtones entre (146 av. J.C -430 ap. J.C.)».***

Présentée par: Bougoffa Nour Assadete, Sous la Direction du Docteur: Tahar Drâa

Cette recherche traite la politique culturelle des Romains dans le Maghreb ancien en étudiant tous les domaines relatifs à cette politique matérielle et les procédés déployés pour aboutir à la domination totale sur le pays des Maghreb ancien et la réaction des autochtones envers cette politique.

A cet effet la présente recherche cible à faire de la lumière sur l'importance du sujet de la Romanisation du Maghreb ancien tout en sachant que l'occupant et pour influer sur les dominés a bâti de considérables édifices outre les théâtres et les autres lieux de spectacles de cette époque (Les Amphithéâtres, Cirque, Les Thèrmes) bien sur pour immerger son savoir en la matière et attirer les gens au tour de l'empire.

Le reste des vestiges sur les cites en témoigne aujourd'hui.

Parlant aussi sur un autre fait celui de la langue car les langues d'origine ont été délaissées forcément pour laisser place au latin devenu alors officiel. Côté spirituel a son tour à subi le même sort et fut changé pour devenir comme celui de Rome cette politique a donné ses fruits auprès de certains Maghrébins en romanisés si l'expression m'était juste et qui ont bénéficié par la suite des fonctions importantes pendant l'ère Romaine.

Mais plus tard cette politique n'a pas donné satisfaction et la majorité de la population est demeurée loin des Romains et constitue la résistance contre les Romains et leur politique.